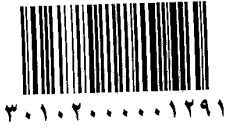


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القري
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب



المدح في الشعر العربي

دراسة ونقداً

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد
الطالب / تاج محمد صغير مقبل

إشراف
٢٢٨٦

الأستاذ الدكتور / فتحي محمد أبو عيسى



١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م



* الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات *

- كلمات شكر ...

عمر الله وشكر اللهم لشكرنا في الدنيا والآخرة
وقدم جميع ذيل شكرنا واحتسابنا فيهما مني والبرهان من لسان الله تعالى
وذلك لجميع الناس الذين في جنته في الآخرة وفي قدرتهم مع الله والبرهان
لشكرنا في الدنيا والآخرة وسورة الكهف تحليننا في محرابنا في محرابنا في
وسورة الكهف في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في
خلودنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في
حسننا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في
غنايانا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في
لشكرنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في
فتحنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في
على بابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في
حتى تغيروا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في
سريتك في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في
ولله في محرابنا في محرابنا في محرابنا في محرابنا في

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله

* وفي جميع محرابنا *

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذه دراسة عن المنصفات في الشعر الجاهلي - دراسة ونقدا *
عشت معها قرابة سنوات أربع وكنت أتصور منذ الوهلة الأولى أن الموضوع
بهذه الصورة سيكون مؤطرا محدود المعالم أستطيع أن أفرغ منه في
وقت قصير بيد أنني بعد تلك المعاشة الدؤوب رأيتني في بحر لحي تتلاطم
أمواجه وتدفعني أتجاهه من مكان إلى آخر .

وكنت كلما انتهيت من قضية أخال أنها إلى تلك الحدود أصبحت
في ثوبها القشيب ، لكن ما كان أكثر ما يعن لي حول هذه القضية ذاتها
من إضافات وملاحظات ونقداً بعد التوغل في قراءة الشعر الجاهلي
واستيطان أسراره من مصادره الرئيسية ومراجعته الأم .

على أن هناك مشكلة كانت تطوقني وأنا أمضى في بحث هذا الموضوع
مؤداها : أين ذلك الشعر الجاهلي الذي يدور في فلك المنصفات مما
ثبتت صحته عن رواة هذا الشعر ؟ ، وتلك قضية تستفرغ الجهد
وتستقطر العزيمة والهمة إذ لا بد لمن يبحث أمثال هذا الموضوع
من الشعر الجاهلي أن يكون على وعي بالمزلق التي يمكن أن تقوض
موضوعه في غفوة أو غفلة منه ، ومن ثم كنت مشدودا إلى قراءة هذا الشعر
بعين ونقده بالعين الأخرى ، حتى لا يفلت مني زمام الموضوع في ردهاته
أوجنباته المتعددة .

وشاء الله أن أستمر على هذه التحيزة سنين عددا حتى استكملت
الصورة قسماتها في النهاية (وتبلور الموضوع) في تلك الدراسة التي
أقدمها اطروحة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي من جامعة أم
القرى بمكة المكرمة .

(ب)

وقد جاءت خطة الموضوع في مدخل وثلاثة أبواب على النحو التالي :

أولا : (مدخل الى هذه الدراسة) :

كان لا مناص من الحديث في وجازة عن مدخل استطيع أن استكشف عن طريقه ملامح البيئة الجاهلية بصفة عامة وما يرتبط بموضوعي منها بصفة خاصة ، كوضع الحياة الاقتصادية عند العرب الجاهليين وكيف كانت هذه الحياة بما تتقاضه مدعاة للصراع والتناحر بين القبائل التي تدرج على أرض ذلك المجتمع الجاهلي .

وانذا كانت الحياة الاقتصادية ما تضطلع بدور في انكسار العصبية القبلية اقتضى الأمر أن أتكلم في هذا المدخل عن العصبية القبلية وما كان يوجبها ويذكي نيرانها بين الفينة والأخرى ، أما بقية المدخل فملاح عامة تساعد على رسم الصورة التي أتوخاها من هذا الموضوع .

ثانيا : الباب الأول من هذه الدراسة (الحماسة في الشعر الجاهلي) :

وينضوي تحت هذا الباب فصول ثلاثة :

الفصل الأول : الحماسة أبعادها وغاياتها :

وفيه عرضت للحديث عن معنى الحماسة كما دارت في المعاجم اللغوية منطلقا من هذه المعاني الى المعنى الأدبي الذي يواكب استعمال الكلمة في المضامين الأدبية الراقية ولم يفتني في هذا الفصل أن أقف دون بعض الآراء التي كان لها فهم خاص في معنى (الحماسة) فناقشته حتى أدم رأيي الذي إليه أميل مناقشة تبرز ما تنطوي عليه رؤيتي في مفهوم الحماسة غير ميال الى الترهل والاسراف في ذلك اللجاج وهذه المناقشة .

(ج)

الفصل الثاني : (دوافع الحماسة) :

وحول هذه الدوافع طوفت تطوفة في نصوص الشعر الجاهلي المتزاحمة حتى أقف على الدوافع التي كانت تحفزهم الى الدخول في المعارك وكثيرا ما وجدت هذه النصوص تساعد على تعيين الدوافع وتحديدتها وهي في جملتها منوطة بالدفاع عن القبيلة واعزازها ، كما هي منوطة بحمية العربي الجاهلي وابائه .

وكان الفرض من هذا الباب بفصوله الثلاثة أن يكون الحديث عن المنصفات في الباب التالي مجسدا ، يبدأ الحديث عن الحماسة بما تشتمل عليه من هذه الأبعاد والروى .

فالباب اذا وثيق الصلة من هذه الزاوية بالمنصفات (موضوع الدراسة) اذ لا تتجلى قيمة المنصفات الا بعد معرفة خطرات العربي ومدى ما كان يهدر بين حناياه من وسوسات وأفكار لونها الحياة الاجتماعية الجاهلية التي لم ينفك عنها قيد أنملة .

فاذا جاءت المنصفات بعد ذلك تشير الى ان كوكبة من الشعراء استطاعوا أن يربثوا بأنفسهم عن أن يسبحوا مع التيار القبلي في هذه الحياة ، كان هذا المعنى تجلية للمنصفات التي نحن بصدددها . ولفرط اعجاب الأكياس من الجاهليين بهذا الخلق المترفع اطلقوا على بعض الشعراء الجاهليين لقب " المنصف " تنويها له بديده الذي كان يسلكه في التعامل مع غيره من الجاهليين .

الفصل الثالث : (مجالي الحماسة في الشعر الجاهلي) :

وفي هذا الفصل استنطقت الشعر الجاهلي ونصوصه الزاخرة
الكثيرة مظاهر الحماسة وهالتي أن الشعر الجاهلي يمكن أن يكون في أكثر
صوره حماسيا يدين للحماسة بكل نبض وولاء .

وهذا المعنى الذي تراءى لي من نصوص الشعر الجاهلي يمكن أن
يكون ردا على أولئك الذين وقفوا بالمنصفات عند حدود الحرب والضرب
ورأوا أنها لا تطلق الا على نصفة الأعداء المحاربين وقد يكون هذا صحيحا
الى حد كبير ، غير أن التأمل في الشعر الجاهلي يمكن أن يضيف الى
ذلك المعنى الذي وقفوا عنده معاني أخرى ان سلما وان حربا مما
دفعني الى عرض عديد من النماذج التي تصور تلك المجالي وتهتفت
بها في دنيا الشعر الجاهلي .

ثالثا : الباب الثاني من هذه الدراسة فقد جاء بعنوان (المنصفات في
الشعر الجاهلي) :

وهو بهذه المثابة يعد صلب الدراسة وعمادها الذي تقوم

بـه ، وقد جاء هذا الباب في فصول ثلاثة كذلك :

- أولها : الانصاف في الحرب .
- ثانيها : الانصاف الاجتماعي .
- ثالثها : الانصاف السياسي .

ولم أشأ أن ادلف الى هذه الفصول الثلاثة تباعا الا بعد تمهيد
عرفت فيه المنصفات في اللغة وفي الأدب وخرجت من هذا التمهيد
برؤية معينة حول معنى المنصفات لا تحلاني أواعتسافاً لمعنى الكلمة
بل خضوعاً للنص وما ينطق به . وهذا بدوره استدعاني الى أن أعرج
على معنى المنافرة والحكومة والحق والظلم الى غير ذلك من المعاني
المتشابهة التي فض هذا التمهيد مغاليقها مؤتسفا في كل ذلك بأنماط
من الشعر الجاهلي ونماذج منه .

ثم كان الفصل الأول : (المنصفات في الحرب) :

الذي أشرت إليه مسيرة طويلة رصدت بوعي كيف تجلوا الانصاف في الحروب وعلى أي الانحاء كان ، ولشد ما راغني أنني ألفت الشعر العربي الجاهلي يسعفني هذا النطاق بصور مختلفة للانصاف في الحروب والأيام . كانصاف الظافر للمنهزم وانصاف المنهزم للظافر ، وانصاف القرن . . . وما الى ذلك مما ينطوي عليه ذلك الفصل .

وهنا لا بد من الإشارة الى أن ما أشيع عن المجتمع العربي الجاهلي من أحكام يتلقاها جيل خالف عن سالف من الموءرخين من أنه كان مجتمعا تسوده الهمجية ويسرى في جنباته الظلم ، كل أولئك وما اليه من قبيل التعميم الذي لا يثبت أمام الحيثية العلمية لهذا الشعر الجاهلي بدليل ذلك الحشد الحاشد من النصوص المختلفة التي تمثل ردا على تلك الفرى التي انعقد الاجماع عليها من قبيل الموءرخين أويكار حتى اذا ما انتهيت من ذلك الفصل تحدثت عن تاليه .

الفصل الثاني : (الانصاف الاجتماعي) :

وفي هذا الفصل رأيت العجب العجاب ، ذلك أنني رأيت ان الشعر المنصف ييتم صوب القرابة فيحاول أن ينصفها ما استطاع الى ذلك سبيلا ولكن في الوقت ذاته لا يتحيف صلات الابعاد في حياة السلم فهو ما يزال بها يلقي في روعها معاني الهدوء والدعة والبعد عن برائن الحروب الفاتكة لعلها تستجيب له وتدعن .

وآخر فصول هذا الباب وهو الفصل الثالث : يدور حول محور

(الانصاف السياسي) :

وقد يكون اطلاق كلمة (السياسي) هكذا في عنوان ذلك الفصل ما

يشير تساؤلا ، ان كيف يتأتى الحديث عن السياسة بهذا المعنى المعاصر

وهو ما غاب عن حياة الجاهلية بالفعل ؟ لكن ذلك مردود بأن الارتباط بالقبيلة يعنى لونا من الانتماء الذى يمكن أن يكون سياسيا بمفهوما الان ، فوق أنى مع ذلك تعرضت لشكل الأُحلاف والجوار وذلك كله يؤيد هذا المعنى الذى آثرته .

وفي هذا الفصل أمشاج من معاني المنصفات وأخلاق منها تتبدى في أن ثمة بعض شعراء كانوا يرفضون الاعتراف بالسلطة والجاه ويقفون قبالتها في غير اكترات أو ميلالة ، وأحيانا أخرى يزنون الأمور بموازينها فاذا الشعر المنصف يتعامل مع السلطة معاملة الدبلوماسي المحنك يستعطفها قصدا لتقليل أظافر الحرب حتى لا يجثم شبحها أو يلوح في الأفق على حياتهم .

رابعاً : ويأتى عنوان الباب الثالث من هذه الدراسة : (شعر المنصفات دراسة تحليلية فنية) .

وقد قسمت هذا الباب الى فصلين اثنين .

الفصل الأول : جاء يتمحض لدراسة بعض ألوان من المنصفات دراسة تحليلية تذوقية ، تتراوح بين القصيدة الطويلة والمقطعة القصيرة حتى نرى كيف كانت أشكال المنصفات في ذلك الشعر .

ويستري الانتباه في هذه الدراسة ان القصائد الطويلة كأنما كان الشاعر المنصف فيها لا هم له الا أن يستفرغ جزئيات المعركة جزئية جزئية فالشاعر في مثل هذه القصيدة كان كالفلكي الذى يرصد النجوم - كما يقال - في حين أن شعر المقطعات الذى جاء في نطاق المنصفات أوتفاريق في الأبيات المفردة كان لا يدخرو سعا في المعالنة عن نفسه في شبه خطرة أو خطرات ملاحقة لا تلبث أن تتوقف متصيذا الفرصة التي يمكن

أن يطلق فيها تلك النفثة التي تعتمل بين جنباته من انصاف ظاهر .

وأما الفصل الثاني من هذا الباب فقد جاء ينهل من معين الدراسات

النقدية التي تحاول ان تعرف الاجابة عن هذا التسأل : أين شعر

المنصفات من الشعر الجاهلي ؟ وهل كانت له خصائص تفرد بها عن

سواه من سائر هذا الشعر واذا كان فما تلك الخصائص ؟ وماذا يرى

النقد القديم والمعاصر فيها ؟

كل هذا حتى يتسق الموضوع في دراسة جامعية تنهض به بحول

الله .

ولا يعرب عن التنويه أن دراسة الشعر الجاهلي أوبالاً أخرى

بعض موضوعات منه ما تزال في حاجة الى جهد جهيد من قبيل من الدارسين

والباحثين حتى ينصفوا ذلك اللون من الأدب ، أقول ذلك لأن من كتب في

المنصفات مع تقديرنا لمحاولاتهم الرائدة كانوا معجلين في جمع النصوص

أوفي بعض الأحكام التي تنتمي للمنصفات على سواء ، وقد ضمت هذه

الدراسة بفضل الله عدداً عديداً من النصوص التي استدركتها على الباحثين

من قبلي . وقد يأتي من بعدى من يضيف لبنة أخرى أو يضع دعامة من

الدعائم في هذا الموضوع .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف

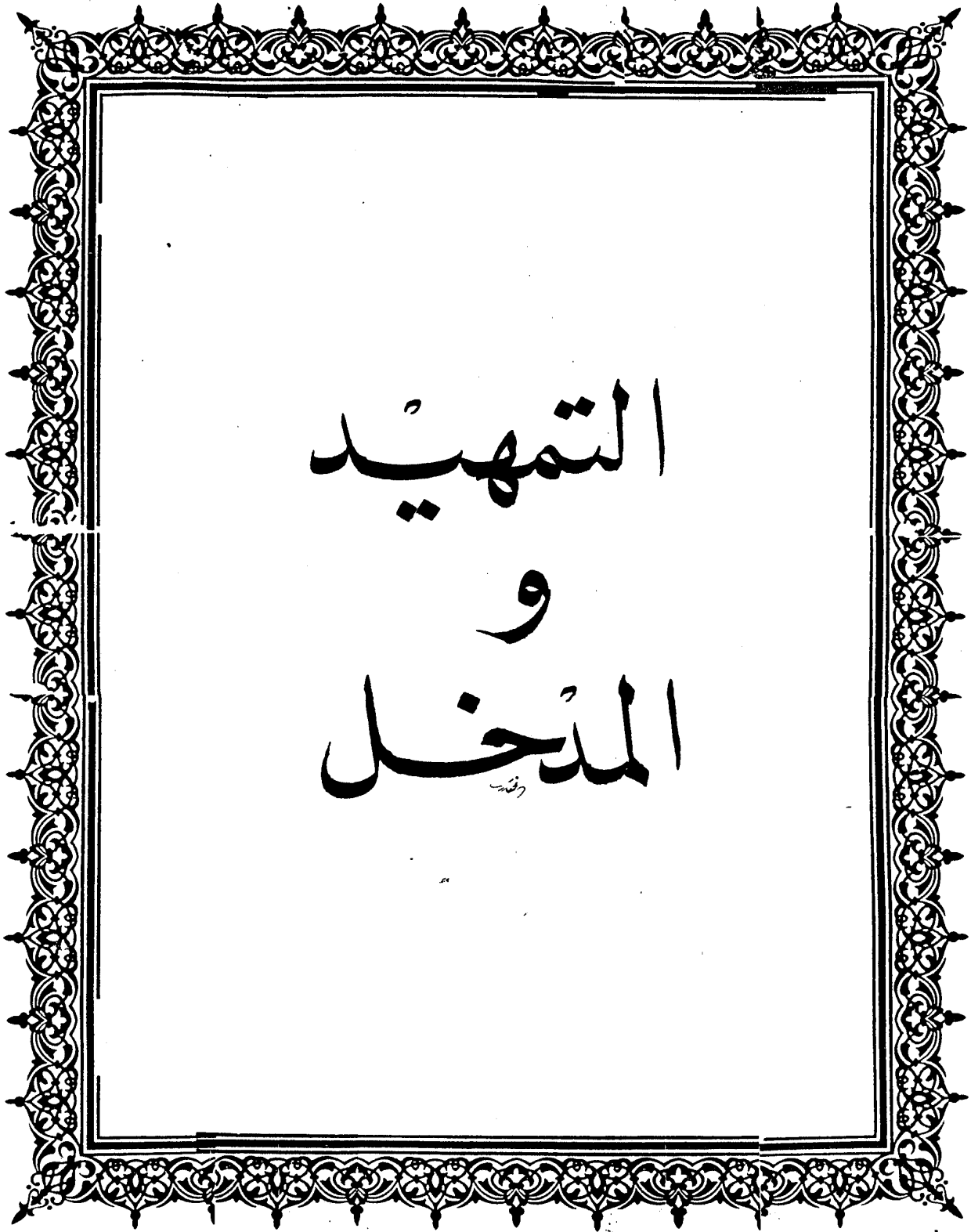
سعادة الاستاذ الدكتور فتحي محمد أبو عيسى لما أولاني من رعاية وتوجيه خلال

مدة الاشراف فقد كان لا يبخل علي بذخيرته من المعلومات التي ساعدت

على استواء هذا العمل على سوقه ، وقد كان يعطيني من وقته الكثير غير مكتف

بساعات الاشراف المحددة مما كان له أكبر الأثر في نفسي فجزاه الله عني وعن

العلم وطلابه كل خير ،،،



التمهيد
و
المدخل

البيئة الجغرافية

شبه الجزيرة العربية هي موطن العرب منذ القدم ، ويطلق عليها
تجاوزاً " جزيرة العرب " (١) وليست بجزيرة لاحاطة بحربها من الجهات
الثلاث (٢) ، الشرق والغرب والجنوب .

وعلى قمم الجبال وبطون الأودية ، وفي الصحارى الواسعة ،
كانت تتناثر القبائل العربية . ولالأخمس بن شهاب التغلبي " قصيدة
طريفة في " المفضليات " (٤) يذكر فيها مواطن القبائل العربية في معرض
الاعتداد بقومه والاعتزاز بقوتهم ، ليستشير في الذهن أخبار الأيام والمعارك ،
وأنهم لسطوتهم لا يتخذون لهم مسكناً معيناً مثل بقية القبائل ، يقول
" الأخمس بن شهاب " :

(٦) لكل أناسٍ من معدٍ عمارة
(٥) عروضٍ اليها يلجؤون وجانب
(٧) لكيز لها البحران والسيف كلُّ
وإن يأتها بأسٌ من الهندكاربُ

- (١) انظر تعليل ذلك في كتاب صفة جزيرة العرب ص ١ / للهمداني (ت ٣٣٤) .
بتحقيق محمد بن عبدالله بن يلهيد النجدي ، مطبعة السعادة
مصر ١٩٥٣ م .
- (٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨ / لكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ،
الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ المطبعة الخيرية / القاهرة .
- (٣) شاعر فارسي جاهلي قديم ، يقال له فارس العصا ، والعصا : اسم
لفرسه ، وانظر ترجمته في المفضليات ٢٠٣ والمؤتلف والمختلف ٢٧ وخزانة
الهمداني ٣ : ١٦٩ .
- (٤) المفضليات / ٢٠٤ للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، بتحقيق أحمد
محمد شاكر وعبد السلام هارون ، الطبعة السادسة بيروت / لبنان .
- (٥) كذا ولعلها (يلجئون) .
- (٦) العمارة : الحى العظيم يقوم بنفسه ، والعروض : الناحية .
- (٧) لكيز : بالتصغير هو ابن أفصى من بني أسد بن ربيعة . والبحران :
البلاد المعروفة ، وكارب : شدة الأمر والأخذ بالنفس والتضييق عليها .

- (١) تَطَايِرٌ مِنْ أَعْجَازِ حَوْشٍ كَانَتْهَا جَهَامٌ أَرَاقٌ مَاءٌ فَهِيَ أَسْبَابُ
(٢) وَبَكَرٌ لَهَا ظَهَرَ الْعِرَاقُ وَإِنْ تَشَأْ يَحُلُّ دُونَهَا مِنَ الْيَمَامَةِ حَاجِبٌ
(٣) وَصَارَتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قُفَاٍ وَرَمْلَةٍ لَهَا مِنْ حِجَالٍ مُنْتَأَى وَمَذَاهِبُ
(٤) وَكَلْبٌ لَهَا خَبَتْ فَرْمَلَةٌ عَالِجٌ إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ
(٥) وَغَسَانٌ حَتَّى عِزَّهُمْ فِي سَوَاهِمٍ يَجَالِدُ عَنْهُمْ مِقْنَبٌ وَكِتَائِبُ
(٦) وَبِهْرَاءٌ حَقٌّ قَدْ عَلِمْنَا مَكَانَهُمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ حَوْلَ الرِّصَافَةِ لَاحِبٌ

- (١) الحوش : الابل الحوشية التي لم تروض . الجهام : السحاب الذي هراق
ماءه ، وهو أسرع لسيره .
(٢) بكر : هو بكر بن وائل من ربيعة ، حاجب : مانع ، أى يمنع ضيغها
- وهم بنو حنيفة بن لجيم ، واليمامة موطنهم .
(٣) تميم : هو ابن مريم أد من نزار ، والقفا : ما خشن من الأرض ،
واجتمع . والحبال : (بالحاء المهملة) حبال الرمل .
منتأى : من النأى وهو البعد ، أى لها بعد ومذاهب فلا يصل
اليها عدوها .
(٤) كلب : هو ابن وبرة من قضاة من حمير ، خبت : منازل بني كلب ،
عالج : رملة بالبادية ، والحرة : أرض تلبس بالحجارة ، الرجلاء :
الغليظة .
(٥) غسان : ماء سمي به الأزد من الغوث من كهلان من سبأ ، يقول :
هم ملوك توليهم الروم وتقاتل عنهم فعزهم في غيرهم . سواهم : غيرهم
وبرواية : سواهم : أى الخيل المسودة من شدة التعب ، المقنب :
بكسر الميم ، جماعة الخيل .
(٦) بهراء : ابن عمرو بن الحاف من قضاة ، شرك : بنيات الطريق
تنشعب منه ، والرصافة : ناحية حمص ، اللاحب : الطريق الماضي
المنقاد .

* وانظر الشرح في الفضليات ٢٠٤ - ٢٠٥ وصفة جزيرة العرب ٣٦٧ وما
بعدها بتحقيق محمد بن علي الأكواع الحوالي من منشورات اليمامة
للبحث والتأليف والترجمة والنشر/الرياض المملكة العربية السعودية ١٣٩٧هـ/
٠١٩٧٧

(١) وغارت إِيَادَ في السواد ودونها بَرَازِيْقُ عَجْمٍ تبتغي من تَضَارِبِ

ولقيمة هذه القصيدة التاريخية جعلها (أبو عبيد البكري) خاتمة لفصل

ضاف يتضمن أخبار ربيعة في مقدمة كتابه " معجم ما استعجم " (٢) .

(٣)

ويقسم الجغرافيون العرب الجزيرة الى خمسة أقسام هي :

أ - تهامة : (٤) وهي المنطقة المحصورة بين جبال السروات والبحر الأحمر ،

وهي أرض منخفضة شديدة الحرارة والرطوبة ، جنوبها يسمى :

تهامة اليمن ، وشمالها : تهامة الحجاز ، وتمتد بمحاذاة مرتفعات

جبال السروات من جنوب الجزيرة الى شمالها .

ب - الحجاز : هو المنطقة المرتفعة (وذلك أن جبل السراة وهو أعظم

جبال العرب وأذكرها أقبل من قعر اليمن حتى بلغ أطراف

(٥)

بوادى الشام ، فسمة العرب حجازا لأنه حجز بين الغور

(٦)

وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر) .

(١) غارت : دخلت ، اياد : هو ابن معد بن عدنان ، السواد : سواد

العراق ، ولكثرة نخله سمي سوادا .

(٢) معجم ما استعجم من أسما البلاد والمواضع / ص ٨٦ لأبي عبيد

البكري (ت ٤٨٧ هـ) الجزء الأول تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة

الأولى ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م القاهرة .

(٣) انظر صفة جزيرة العرب / ص ٤٧ وما بعدها بتحقيق محمد بن

عبدالله بن بليهد النجدي ، ومعجم ما استعجم (١ / ١٦) وما بعدها .

(٤) تهامة : من التهم وهو شدة الحر وركود الريح .

(٥) الغور : تهامة وسميت غورا لانخفاضها .

(٦) صفة جزيرة العرب / ص ٤٨ بتحقيق النجدي .

وهو عبارة عن جبال ورمال وحرار ووديان وعرة تصب مياهها في
مواسم الأمطار باتجاه البحر .^(١)

جـ - نجد : وتضد مرتفعات الحجاز مكونة " هضبة نجد " الخصبة ،
وهي هضبة فسيحة . وما يلي الحجاز منها يسمى " العالية " .
وما يلي العراق يسمى " السافلة " .
ونجد أصح بلاد العرب وأجودها هواً ، وقد تغنى الشعراء العرب
بصبا نجد وعرارها ، في بعض القصائد الشعرية ، أشادة بجوها
وتنويرها بطبيعتها .^(٢)

د - العروض : (ويشمل اليمامة والبحرين وما والاها ، وأغلب الأرض فيه
صحارى وسهول ساحلية) .^(٣)

هـ - اليمن : وهو أقسام ثلاثة :

أولها : تهامة اليمن : وهي أرضون ساحلية خصبة .
ثانيها : مرتفعات جبال السروات التي تبلغ في اليمن أقصى ارتفاعها .
ثالثها : انبساط هذه المرتفعات من جهة الشمال الشرقي لتكون
هضابا تتصل بهضبة نجد . وتتصل برمال الربع الخالي
من الشرق .

(١) انظر كتاب (حضارة العرب ص ٥٢ وما بعدها) لغوستاف لوبون ،

ترجمة محمد عادل زعيتر ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م دار احياء الكتب
العربية .

(٢) انظر فجر الاسلام لآحمد أمين ص ٣ الطبعة السابعة / مكتبة النهضة
المصرية ١٩٥٩م .

(٣) الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١/١٧٤ جواد علي ، دار العلم
للملايين / بيروت ، ومكتبة النهضة / بغداد الطبعة الأولى ١٩٦٨م .

وأهم قبائل الحجاز في مكة ، قريش وكنانة ، وجنوبها هذيل ،
وفي المدينة الأوس والخزرج " وبنو قريظة والنضير وبنو قينقاع من اليهود"
وفي الطائف : ثقيف .

وفي نجد كانت تسكن كثير من قبائل العرب مثل : طى، وتميم
وبكر، وتغلب، وقيس عيلان وغطفان .

وأهم قبائل اليمن : همدان ومذحج ومراد .

وقد وردت هذه الأقسام وغيرها من بقاع الجزيرة ومواطن القبائل
في أشعار العرب . وتزخر معلقة " لبئد بن ربيعة العامري " الشاعر
الجاهلي المعروف بذلك ، ومطلعها :
(١)

عَفَتِ الدِّيارَ مَحَلَّها فَمَقامُها بَمَنى تُأبِدُ غَوَظَها فَرِجامُها
(٢)

ومنها :

مَرِيَّةٌ حَلَّتْ بِقَيْدِ جاورت أهل الحجاز فأين منك مرامها
(٣)

كما أن فيها ذكرا لمواضع بني أسد وغنى وغيرهما .

ومناخ الجزيرة العربية عموما حار شديد الجفاف (والجفاف مع ذلك
ليس سائدا في بلاد العرب كلها ففي جزيرة العرب بقاع متسعة كثيرة

(١) ديوانه ص ٢٩٧ .

وانظر شرح المعلقات السبع ١٢٥ ومابعدها ، تأليف : أبي عبدالله الحسين

ابن أحمد الزوزني ، دار الجليل / بيروت لبنان . الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ /

(٢) منى : موضع بحمي ضريبة غير منى الحرم . تأيد : توحش . والغول

والرجام : جبلان .

(٣) ديوانه ص ٣٠١ . ومنى : منسوبة الى مرة ، وفيد : بلدة معروفة .

* وانظر طائفة من الأشعار في مواضع القبائل وأسماء الديار ، في كتاب

" صفة جزيرة العرب " بتحقيق محمد بن علي الأكواع الحوالي ص ٣٨٧

ومابعدها .

(١) الخصب كبلاد اليمن وبلاد نجد) .

وفي شهور الصيف تهب رياح حارة تحرق البادية حرقا وتشوي الوجوه ،
وتبدو البلاد وكأنها قطعة من الجحيم ويطلق على هذه الرياح " رياح
السموم " . (٢)

وفي مواسم الأمطار تجرى الأودية بمياهها التي ما تلبث أن تجف
بعد أن تتشربها الأرض لتضفي عليها بعض الخصوبة ، فتتجمعها القبائل
لرعي ابلها ومواشيها ، ومعظم أرض الجزيرة صحارى شاسعة (وليس في
هذه البيداء من الأودية ذات المياه الا عدد قليل كوادى سرحان في
الشمال ووادى الرمة ووادى الدواسر في الجنوب) . (٣)

وكانت هذه الصحراء الفسيحة والرمال الممتدة درعا حصينا يقضي
القبائل العربية شرور الأعداء الذين يتربصون بهم .
وفي احتماء العرب وتحصنهم بالصحراء والرمال والجبال يقول
" طارق الطائي " (٤) مخاطبا عمرو بن هند :

- (١) حضارة العرب / غوستاف لوبون ص ٥٢ ، وانظر كتاب " تاريخ العرب " فيليب حتى وآخرون ١٩/١ وما بعدها ، الطبعة الثانية ، دار الكشاف ، بيروت / لبنان .
- (٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام / جواد علي ١/١٥٣ .
- (٣) انظر كتاب (تاريخ الشعوب الاسلامية - العرب والامبراطورية العربية ص ١١ و ١٢) كارل بروكلمان ترجمة نبيه فارس ونشير البعلبكي الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٣ م .
- (٤) هوقين بن جروة الطائي ، وعارق لقب غلب عليه لبيت قاله ، شاعر جاهلي مجيد ، وانظر ترجمته في شرح الحماسة / للمرزوقي ٢/١٤٤٦ ، نشر أحمد أمين ، وهبند السلام هارون ، الطبعة الأولى ١٣٢١ هـ / ١٩٥١ م القاهرة . والمرزباني ٣٢٦ والأعلام ٥/٢٠٥ .

- (١) ومن مبلغ عمرو بن هند رسالةً إذا استحققتها العيس تنض من البعد
(٢) أي وعدني والرمل بيني وبينه تأمل رويدا ما أمانة من هـنـد
(٣) ومن أجاب حولي رغان كأنها قبائل خيل من كميـت ومن ورد

وهكذا يتضح أن البيئة الجغرافية للجزيرة العربية كانت قاسية وأن قسوتها كانت في بعض الأحيان مدعاة للمناقرات والأيام ، على ما سيأتي ذلك في غضون هذا البحث ان شاء الله .

-
- (١) استحققتها : جعلتها في حقيبتها ، تنض : تجهد .
(٢) ما أمانة من هند : يعيره بنسبته الى أمه .
(٣) رغان : الرمن أنف الجبل ، كميـت : من الخيل ما بين الأسود والأحمر لا هو أشقر ولا هو أدهم ، والورد : بين الكميـت والأحمر وبين الأشقر

البيئة الاقتصادية



العرب قسماً : حاضرة واديّة ، فالحضر هم سكان المدن ،
وأهم مدن الجزيرة العربية : مكة والمدينة والطائف ، وصنعاً ومأرب .
والبدو هم القوم الرحل الذين يرتادون منابت الكلاب ويتبعون
منابع الماء ومساقط الغيث لا يقر لهم قرار ولا يطيب لهم مقام الا حيث
يجدون موارد رزقهم .

وقد اشتغل سكان المدن بالزراعة والتجارة والصناعة ، ومن اشتهر
بالتجارة قريش حيث كان لها رحلتان في العام الى الشام واليمن ،
يقول تعالى :

(١) * لا يلاف قريش ايلاً فهم رحلة الشتاء والصيف * (١)

وكان اليمنيون واسطة عقد التجارة بين الشرق والغرب (٢) ، وقد بلغوا
في الثراء مبلغاً عظيماً يدل على ذلك ما نقله المؤرخون من أحوالهم
وافراطهم في الترف والنعيم ، واستعمالهم أطباق الذهب والفضة ، وصناعتهم
للنسيج الفاخر ، وما اشتملت عليه قصور أغنيائهم من أنواع الزينة والفاخرة .
(٣)

وفيهم قال الله تعالى : * لقد كان لسبا في مسكنهم آية ، جنتان

عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * (٤)

- (١) سورة قريش الآية ١ ، ٢٠ .
(٢) انظر تاريخ التمدن الاسلامي ، الجزء الاول ص ٩ وما بعدها /
جرجي زيدان دار الهلال ١٩٠٢ م .
(٣) انظر صفة جزيرة العرب / ص ٣٤٤ وما بعدها بتحقيق الأوكوع .
(٤) سورة سبا ، الآية ١٥ .

أما أهل البادية فقد كانوا يحتقرون المهن ويزدرون أصحاب
الحرف ، قليلا من شأنهم ، لما جبلوا عليه من الحرية والاباء والاسراف في
تمجيد النفس (الى حد أدى الى ازدياد كل ما هو غير عربي من انسان
ومن نتاج انسان) . (١)

وفي هذا يذكرون (أن منهم من كان يختار الموت على الدنية ،
والدنية أن يذهب الى رجل فيتوسل اليه بأن يجود عليه بمعروف ، ومنهم
من اعتقد ، والاعتقاد أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل أحدا
حتى يموت جوعا) . (٢)

ويذكر المؤرخون أن بعض تجار مكة اذا أفلسوا أو ساءت حالتهم
خرجوا الى البادية سرا وأقاموا هناك حتى يهلكوا جوعا . (٣)

وكانت موارد رزق البدو هي المراعي ومنايع الماء ، فاذا أُجذبت
الأرض ، وجفت الينابيع وانقطع عنهم الغيث والقطر ، اعتمدوا على الفارات
والسلب والنهب ، وهو في عرفهم دليل القوة وأحقية الحياة . ولا يرون في
ذلك غشاة أو بأسا .

وكانوا يعتمدون في معاشهم على جمالهم وماشيتهم ، ويشربون
اللبن ويأكلون لحم الجزور مع الخبز الجاف والتمر ، ولا يستنكفون أن
يأكلوا الضب والوبر .

(١) المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٨٥ / ٤ .

(٢) المصدر السابق ٨٠ / ٥ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤ / ٢٠ لأبي عبدالله محمد بن أحمد

الأصمعي القرطبي . مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٩ هـ

وفي السنين المحملة المجدبة التي تأتي على الزرع والضرع يموت العديد منهم جوعاً وعطشاً لذلك كانت تقوم بينهم الحروب والمنازعات - في أحيان كثيرة - على موارد الماء ومنابت الكلاء ، لأنهم يجهدون أنفسهم في سبيل الوصول إليها ، بعد أن تكاد أعناقهم تتقطع من الظمأ والحرق ، وما إن يستردون أنفاسهم اللاهثة ، ويهبلون حلوقهم الجافة حتى يجسى من يذاحمهم على مصدر رزقهم ومعاشهم فلا يطيقون لذلك صبراً ، وتدور رحى الحرب بين الفريقين حتى يستقل أحدهما بالماء والكلاء ، ويقنع الآخر من الغنيمة بالاياب .

وكان العرب يقتلون أبناءهم وبناتهم خشية الفقر لا العار بدليل

قوله تعالى :

﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ (١)

وقد يضطرمهم الفقر الى السطو على المدن (فينتهبون ما قدروا عليه

من غير مغالبة ولا ركوب خطر ، ويفرون الى منتجعهم بالقفر ولا يذهبون

الى المعازفة والمحاربة الا اذا دافعوا بذلك عن أنفسهم) (٢)

وتزخر القوائد العربية بنماذج مشيرة لشعراء يتحدثون عن الفقر

والغنى والسعى للمال والثروة ، ويصورون مدى الجهد الذي يبذلونه

في سبيل المال ، وتعيير نساءهم لهم بالفقر أو الاسراف .

(١) سورة الاسراء آية ٣١ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٨٤ .

فهذه زوجة " معاوية بن مالك - معبود الحكماء " (١) تغضب عليه
أن رأت ميسوط الكف فياض الجود ، يصور " معاوية " هذا الموقف
فيقول :

قالت سُمَيَّةُ : قد غَوِيَتْ بأن رأت حقا تناوَبَ مالنا ووفود
غَوَى لَعَمْرُكَ لا أزال أعوده ما دام مال عندنا موجود
وعن المرأة والشباب والعال يقول " علقمة بن عبدة " (٢) :

فان تسألوني بالنساء فاننسى بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من ودهن نصيب
يرد ن ثراء المال حيث علمه وشرخ الشباب عندهن عجيب

ونكتفي بهذين المثالين مخافة الاستطراد الذي يأخذ حيزا من البحث
ليس هذا مجاله .

(١) المفضليات ٣٥٦ . فارس شاعر مشهور ، جاهلي .

وهو من أشرف العرب في الجاهلية وهو أخو " ملاعب الأُسنة " عامر بن
مالك ، وعم لبيد بن ربيعة - لقب معبود الحكماء لبيت قاله ، انظر ترجمته
في المفضليات ٣٥٤ والمحبر ٤٥٨ وخزانة البغدادى ٤ : ١٧٤ والمؤء تلف
للأمدى ١٨٨ والمرزباني ٣٩١ ، والأعلام ٢٦٣/٧ .

(٢) شاعر جاهلي مجيد ، مشهور سي علقمة الفحل تميزا له عن آخر يدعى

علقمة الخصى ، وهو من بني تميم له مناقضات مع امرىء القيس .

وأبياته في ديوانه ص ٣٥ ، ٣٦ بتحقيق لطفي الصقال ، ودرية الخطيب .
وانظر شرح الأعم الشنتمرى ص ١٤٤ ، دار الكتاب الفكر العربي ، الطبعة
الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م / حلب .

البيئة الاجتماعية

١ - لم تجتمع القبائل العربية المتناثرة في أنحاء الجزيرة العربية على حكم موحد ، ولم تخضع لسلطة مركزية وهذه سنة الحياة (فاذا كثرت القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة) (١) .

وكانت كل قبيلة مستقلة بذاتها لها قانونها ومعارفها وأنسابها الخاصة بها ، وبعض هذه القبائل كان يتألف من عدة أفراد لا غير ، لا يزيدون على الثلاثة أو الأربعة (٢) ، وتتجمع هذه القبائل على قلتها بالاستقلال الذاتي والميزة النوعية .

وأساس تكوين القبيلة هو العصبية (٣) ورابطة الدم ، إذ ينتمي جميع أفرادها الى جد مشترك ، وهذا يفسر لنا قوة العصبية ، وشدة الالتحام بين أفراد القبيلة الواحدة إذ يكونون بنيانا متماسكا يعمق تضامنهم وحدة الدم والنسب .

ويفخر العربي ويتباهي بأن قبيلته خالصة صافية من الأخلاط والشوائب ، يقول " راشد بن شهاب اليشكري " (٤) :

(٥)
فلا تحسبنا كالعَمُورِ وجمعنا
فنحن وبيت الله أدنى الى عمرو
(٦)
جميعا ولسنا قد علمت أشابة
بعيدين عن نقص الخلائق والغدر

(١) مقدمة ابن خلدون / ٩٠ .

(٢) مثل بني ناشم وبني فهران كعب بن جذيمة بن عبد القيس ، راجع

المحبر ٢٥٦ / لابن حبيب (٢٤٥هـ) تصحيح د . ايلزقة ليختن
شتيتر الامريكية ، دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م .

(٣) مقدمة ابن خلدون / ٧١ وما بعدها .

(٤) المفصليات (١) وراشد بن شهاب بن بني يشكر بن وائل من ربيعة بن نزار
وأخطأ صاحب الاعلام فنسبه الى " شيبان " ، شاعر جاهلي ممدوح
وانظر ترجمته في الحماسة بشرح المرزوقي وسمط اللابي ٨٢٩ والاعلام ١٢ / ٣ .

(٥) العمور : جمع عمرو .

(٦) الأشابة : المختلطون .

ويقول أبو قيس بن الأُسَلْت (١) :

حتى تجلت ولنا غايية
من بين جَمْعٍ فَيَرِ جَمَاعٍ (٢)

٢ - لم تستطع كثرة القبائل الاحتفاظ بوحدها واستقلالها ،
لاضطرارها في الحرب الى المحالفة وفي السلم الى الموالاة ، وتبعاً لذلك تكونت
طبقات متميزة في القبيلة الواحدة .

وهناك قبائل " اذا حاربوا أعداءهم لم يحالفوا قيرهم " (٣) ،
ولذلك أطلق عليهم " جمرات العرب " (٤) وهم " بنو ضبة بن أد وبنو
الحارث بن كعب ، وبنو نمير بن عامر " (٥) .

وطبقات القبيلة حينئذ تنقسم الى ثلاث طبقات اجتماعية :

- (١) الصرحاء : وهم أبناء القبيلة الذين ينتمون الى أب واحد مشترك .
- (٢) الموالى : وهم الذين ينضمون الى القبيلة من قبائل أخرى ، اما بالحلف
أو الجوار والموالاة . ويصبحون أعضاء جدد في القبيلة لهم ما لها
وعليهم ما عليها الا أن طبقتهم أدنى من طبقة الصرحاء ، وديية
الحليف نصف دية الصريح .

- (١) هو أبو قيس صيفي بن الأُسَلْت الأوسى ، فارس شاعر جاهلي أدرك
الاسلام واختلف في اسلامه ، وقصيدته في ديوانه ص ٧٨ وما بعدها
جمع وتحقيق د . حسن محمد باجودة / دار التراث القاهرة ١٩٧٣ م .
وفي المفضليات ص ٢٨٤ . انظر ترجمته في البيان والتبيين ٣ / ٢٣ والاعلام
٢١١ / ٣ .
- (٢) الغاية : الراية ، الجماع : الأُخْلَاط من قبائل شتى .
- (٣) شمس العلوم / ودواء كلام العرب من الكلوم / للقاضي نشوان بن سعيد
الحميري / عالم الكتب بيروت / تصحيح القاضي عبدالله بن عبدالكريم
الجراني اليمني ١ / ٢٣٩ - ٣٤٠ .
- (٤) وقيل الجمرة : القبيلة التي فيها ثلاثمائة فارس .
وفي المحبر لابن حبيب / ٢٣٤ جمرات العرب أربعة ضبة بن أد ،
وعيس بن بغيض ، والحارث بن كعب ، ويربوع بن حنظلة .
- (٥) شمس العلوم ، مرجع سابق ، ١ / ٣٤٠ وطفت منهم بنو الحارث
لأنها حالفت مذحجا ، وبنو ضبة بن أد ، وبقيت نمير لأنها لم تحالف .

وقد يطلق المولى على ابن العم ، وهو مولى الولادة ، وجمع بين
الاثنين الحصين بن الحمام المرى ^(١) في قوله :

موالى موالينا الولادة فيهم ومولى اليمين ^(٢) حَابِسًا مَقْسَمًا

وكان "عبدالله بن عنمة الضبي" ^(٣) تازلا في بني شيبان متزوجا
منهم ، وله قصيدة ^(٤) في رثاء "بسطام بن قيس الشيباني" ^(٥)
سيد بني شيبان الذى قتل "يوم نقا الحسن" ^(٦) بين بنى
ضبة قوم عبدالله بن عتبة وبني شيبان .

وقد يجسر أحد أفراد القبيلة الصرحاء جنائيات على قومه وتكشر
جرائره فتخلعه من نسبها وتنفيه من بينها لينضم الى قبيلة أخرى

(١) هو الحصين بن الحمام بن ربيعة من وائلة بن سهم بن مرة من غطفان ،

كان سيدا فارسا شاعرا وفيا ، يعد من أوفياء العرب ، كان قائد قومه

وصاحب الرأي فيهم ، من الشعراء العقليين المجيدين في الجاهلية .
وكان يقال لله مانع الضيم أدرك الاسلام واسلم .
انظر ترجمته في شرح الحماسة للمرزوقي ١٩٧ ، ٣٧٦ والشعر

والشعراء ٦٤٨ ، ١٨٢٠ . والاعلام ٢/٢٦٢٢ وبيئته والمفضليات ٦٤ .

(٢) موالى الولادة هم موالى القرابة من بني العم ، وموالى اليمين ، هم الحلفاء

لأنهم يقسمون على النصر ، وحابسا : أى يحبس كل من الحليفين
بالقسم .

(٣) هو عبدالله بن عنمة بن حرثان الضبي من مضر ، شاعر مخضرم أدرك

الجاهلية والاسلام وشهد القادسية (٥١هـ) انظر ترجمته في الاصمعيات

٣٦ والاشتقاق ١٩٩ والاعلام ٤/١١١ .

(٤) في الاصمعيات ص ٣٦ . اختيار الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب

ابن عبد الملك (١٢٢-٢١٦) . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون الطبعة الخامسة

دار المعارف بمصر ١٩٧٩ م .

(٥) هو أبو الصهباء من اشهر فرسان العرب في الجاهلية يضرب المثل

بفروسيته وغلادته ، أدرك الاسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبي

وانظر ترجمته في المصنف تلغ ٦٤ والكامل لابن الاثير ١/٢٢٤ ،

والاشتقاق ١٩٨ ، ٢٩٩ ، والامالي ٢/١٤٨ ، ١٨٥/٣ والاصمعيات ٣٦ .

(٦) ويقال له "يوم الشقيقة" وانظر النقائص ١٩٠ = =

ويدخل في ولائها . (١)

(٣) طبقة الرقيق : وهم العبيد الذين استجلبهم العرب من الحبشة (٢) ،

أو فارس (٣) ، والروم (٤) ، وقد يعتقدون اذا أظهروا شجاعة

ومروءة وشرفا ويصبحون في منزلة الموالي ، ويتزوجون منهم ، وخير

مثال لذلك "عنترة بن شداد العبيسي" الذي أظهر بلاء وشجاعة

ومقدرة أرغمت سيده على قوله "كروأنت حر" .

٣ - لم تكن علاقات القبائل مع بعضها طلاقات اغارة وسلب وحرب غالباً .

ان كانت تعقد الأُحلاف فيما بينها ، فقد كان نظام الأُحلاف شائعاً في

العصر الجاهلي وكان العرب يعقدون الحلف على دم الذبائح أو بغمس

الأيدي في جفان مملوءة بالدماء ، أو بغمسها في الطيب كحلف المطيبين

، أو في الرب وهو عصارة الثمار ، كحلف الرباب (٥) .

ومن الأُحلاف العربية المشهورة : "حلف الرباب ، وحلف الحمص ،

وحلف قریش والأُحابيش وحلف المطيبين (٦) ، (ومخالفة الخزرج لقبيلتي

==== والعقد الفريد ٥٢/٦ ، والكامل لابن الأثير ٦١٣/١ والعمدة لابن

رشيق ٢٠٨/٢ .

(١) مثال ذلك طائفة الصعاليك .

(٢) منهم بلال بن رباح رضي الله عنه ، وعنترة بن شداد .

(٣) وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه رقيقاً عند يهودى في المدينة .

(٤) ومنهم صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه .

(٥) انظر كتاب المنق / لابن حبيب ٢١٧ وما بعدها و ٢٧٥ وما بعدها

بعناية خورشيد احمد فاروق الطبعة الاولى مطبعة المعارف العثمانية

١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م حيدرآباد الدكن .

(٦) انساب الاشراف ص ٣٨٤ ، تصنيف احمد بن يحيى المعروف بالبلازرى

٧٦/١ تحقيق الدكتور محمد حميد الله . دار المعارف بمصر ١٩٥٩م .

(١) أشجع وجهينة ، والأوس لقبيلة مزينة .

وأشهر حلف وأكبره " حلف الفضول " وقبائل هذا الحلف بنو هاشم ،
وبنو المطلب ، وبنو زهرة ، وبنو تميم (وكان سبب هذا الحلف أن الزبير
ابن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان وروءاء هذه القبائل اجتمعوا فاحترفوا
(لا يدعوا) (٢) أحدا يظلم بمكة أحدا الا نصروا المظلوم على الظالم
وأخذوا له بحقه) (٣) .

وذلك (أن رجلا من اليمن من بني زبيد قدم مكة معتمرا ببضاعة
فاشترها منه رجل من بني سهم ، وقيل انه العاص بن وائل ، فتوانى الرجل
بحقه فسأله ماله أو متاعه فامتنع عليه ، فقام على الحجر وأنشد بأعلى صوته :

يَا لَ قُصِّ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتَهُ بِيْطِنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفْرِ (٤)
وَأَشْعَثَ مُحْرِمٍ لَمْ تُقْضَ حَرَمَتُهُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجْرِ
أَقَائِمٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِذَمَّتِهِمْ أَوْ ذَاهِبٌ فِي ضَلَالِ مَالٍ مُعْتَمِرٍ (٥)

- (١) الكامل في التاريخ ٢٨٧/١ للإمام العلامة أبي الحسن علي بن أبي
الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير
(ت ٦٣٠ هـ) راجعه نخبة من العلماء نشر دار الكتاب العربي بيروت
لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م . وانظر كتاب " حسان
ابن ثابت " حياته وشعره ص ١٦ ، د . احسان النص ، دار الفكر دمشق .
- (٢) لعلها (ألا يدعوا) .
- (٣) المحبر لابن حبيب ١٦٧ .
- (٤) هكذا وعلله (نائي) بالهمزة .
- (٥) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢٧٥/١ وما بعدها ، تأليف السيد
محمود شكري الألويسي البغدادي ، غني بنشره وتصحيحه وضبطه محمد
بهجت الأثرى الطبعة الثالثة / مطابع دار الكتاب العربي / مصر .
وهناك أقوال أخرى سردها صاحب (نهج البلاغة / ١٦ / ٩٥) في سبب عقد
حلف الفضول وما ذكرنا أشهرها .

وقد اتخذت العلاقة بين القبائل أشكالاً أخرى مثل الزواج والمصاهرة ،
وصداقة أفراد القبائل فيما بينهم (١) والمواخاة ، وما من شك في أن الأسواق
المنتشرة في نواحي الجزيرة كانت مجمع القبائل التي تأتي للمبايعة والمقايسة
وشراء ما تحتاجه لمعيشتها .

وكانت هناك أسواق كثيرة للاجتماع والمشاورة والمفاخرة ومفاودة الأسرى ،
وانشاد الشعر ، وأخذ الثأر ، وكان القاتل يتقنع حتى لا يعرفه أهل المقتول .
ومن هذه الأسواق (٢) : سوق عكاظ ، وسوق ذي المجاز ، وسوق
مجنة ، وكانت عكاظ أشهر أسواق العرب في الجاهلية ، يفد إليه كثير من
القبائل العربية ، يقول حسان بن ثابت : (٣)

سأنشران بقيت له كلا ما
يسير في الجامع من عكاظ

ويقول " طريف بن تميم بن عمرو " : (٤)

أولما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا الي رسولهم يتوسم

وكانت تميم (حاكمة عكاظ في الجاهلية) . (٥)

- (١) يذكرون أن هناك صداقة وطيدة حميمة بين " قيس بن مسعود الشيباني " و " عنترة بن شداد العبيسي " وضرب الأمثلة على هذا النوع من صداقات الأفراد يطول ذكره .
- (٢) انظر أسواق العرب في الجاهلية في المحبر / ٢٦٤ وما بعدها ، وصفة جزيرة العرب / بتحقيق النجدي ١٨٠ وما بعدها ، وبلوغ الأرب / ١ / ٢٦٤ وما بعدها .
- (٣) ديوانه ٥٥٠ .
- (٤) هو طريف بن تميم من بيتي العنبر ، شاعر فارسي جاهلي ، أول من ألقى قناعاً بعكاظ ، ولذلك سمي (ملق القناع) وكان فارس عمرو بن تميم في الجاهلية ، ويقال له " فارس الأغر " والأغر : فرسه . انظر أبياته في الأصمعيات ١٢٧ وحماسة الخالدين ١٦٣ / ٢ وسقط اللالي / ١ / ٢٥٠ ، ٢٥١ وموسوعة الشعر العربي ٢٢١ / ٤ . وترجمته في الاشتقاق ١٣١ والبيان والتبيين ٣ : ٦٩ وغيرها .
- (٥) بلوغ الأرب / ١ / ٢٦٤ .

وكان هناك حكام مشهورون في العرب (١) يلجئون اليهم لحل مشكلاتهم وما استعصى عليهم من أمور لما يمتاز به هو " لا الاحكام من راحة عقل وذكا" وبعد نظر.

واشتهر من هو " لا الاحكام " عامرين الطرب العدواني (٢) من قيس ، و " عيلان بن أبي سلمى الثقفي " . وهو " لا الاحكام لم تكن مشورتهم مقصورة على قبائلهم بل كانت القبائل تأتي اليهم دون النظر الى انتمائهم .

وكان هناك أسواق في الجاهلية ذات طابع غريب (ومنها سوق الرابية ، ولا يستطيع أحد أن يصل اليه الا بخفارة ، فكانت قریش تتخفر بينى " آكل المرار " وساد بنو " آكل المرار " بفضل قریش) (٣)

وكانت الاسواق بمثابة أندية عامة لجميع القبائل تعرض فيها أشعارها وبضائعها ، وكان لكل قبيلة " ناديها " الخاص بها ، يقول الله تعالى * فليدع ناديه * (٤)

-
- (١) انظر حكام العرب في الجاهلية في المحبر / ١٣٢ وما بعدها .
(٢) هو من الروء ساء والحكام في قومه ، ايا ، عاصر الحارث الغساني (٥٢٥ - ٥٦٩ م) وهو من الشعراء الجاهليين لكنه شهر بالخطابة توفي نحو ٨٢ ق هـ .
انظر البيان والتبيين ١ / ٣٦٥ ، ٤٠١ ، و " المعمرن والوصايا ٤٤ ، وتاريخ الأدب العربي / عمر فروخ ١ / ١١٢ ، ١١٣ .
(٣) المحبر / ٢٦٢ .
(٤) سورة العلق / آية ١٧ .

السيادة والرئاسة في القبيلة

السيادة والرئاسة في القبيلة

لم تكن القبائل العربية على شتاتها وتنازعها تسير في حياتها على غير هدى ، وإنما كانت لها أنظمة خاصة وعامة تعمل بها ، لتضفي بعض التنظيم على هذا الشتات المتناثر في الأودية والصحارى وعلى قمم الجبال ، وفي مآهات البيداء .

وكانت الأعراف والتقاليد والشيم العربية مثل الكرم ، وحفظ الجوار ، وصيانة العهد ، وإغاثة الملهوف ، تندى جفاف الصحرا ، وقسوة الحياة القبلية .

(١)

والبشر (بطبيعتهم الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع وحاكم)

وكان لكل قبيلة شيخ أو سيد يرأسها ويقودها في الملمات ويرعى شئونها ويعتنى بمصالحها وللسيادة والرئاسة صفات ومقومات توهل صاحبها لتسئم هذا المنصب الهام في القبيلة ، وكان عامل السن والحنكة والدهاء والقوة والشجاعة والجاه خير مؤهلات قائد القبيلة وشيخها فإذا تساوى عدة أفراد من القبيلة بالقوة والدهاء اختاروا أكبرهم سناً وأوسعهم جاهاً .

(٢)

ويضاف الى هذه الميزات صفات نبيلة مثل رجاحة العقل ، والحكمة ، والحلم ، والجلد ، والفطنة ، والكرم وسداد الرأي ، وثقب النظر ، واللباقة ، والغنى ، والفصاحة ، والهيبة والسوقار ، وحسن السم والهيئة ،

(١) مقدمة ابن خلدون / ٧٧ .

(٢) انظر تاريخ التمدن الاسلامي / ١٧ / ١ .

والمحزم ، والتواضع ، وقد سود العرب ، الفقير والبخيل والشاب ، ولم يسودوا الجبان ^(١) ، لأن الشجاعة أهم ما يجب أن يتحلل به رئيس القبيلة ، ان يكون في مقدمة القوم في الحرب مظهرا شجاعته وثباته ، يقول عمرو بن حذار ^(٢) :

أقدم قديداً لا تكن خلوساً لا طعنن طعنة قلوبنا ^(٣)
ذات رشاشٍ تنزع الخميسا من لا يقاتل لا يكن رئيساً ^(٤)

وكان اختيارهم لمن هو أهل للسيادة مكرمة من مكارمهم ، يفخرون بها وأنهم يضعون الأمور في نصابها .

(١) كان عمرو بن الطفيل سيد بني عامر بخيلا ، فلما فر يوم " فيف الريح " استنكفوا رئاسته .
(٢) معجم الشعراء / ٢٢٢ ، للمرزباني ، بتهديب المستشرق سالم الكرنكوي
عنيت بنشره للطبعة الأولى مكتبة القدس / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان .

وعمر بن حذار من بني وائل بن صعصعة ، وكنيته " أبو أبي " شاعر شجاع ، وهو قاتل " بشر بن أبي خازم الأسدي " الذي قال فيه وهو يودع أنفاسه الأخيرة :

فان أباك قد لا قى غلاما من الأبناء يلتهب التهابا
وان الوائلي أصاب قلبي بسهم لم يكن نكسا لغايا
وشعر عمرو هذا قاله " يوم الرقم " وكان مع بني عامر على غطفان وأبلى فيه بلاءا حسنا (واسمه في شرح المفضليات " عيس بن حذار ") ،
وانظر معجم الشعراء للمرزباني ٢٢٢ .

(٣) قديد : اسم فرسه ، خلوسا : حذرا مترددا ، قلوبا : طعنة تخرج الدم .

(٤) ذات رشاش : أي طعنة تنثر الدم . الخميس : الجيش العظيم .

(ولهذا ترى السيادة فيهم مقصورة على الأماثل من الناس الذين يتصفون بالشجاعة والمواجهة الجسور التي لا تنطوي على خوراً وضعفاً أو شحاً ، مما يسيء إلى من نصبوه وكانوا وراء اختياره ولذا كثيراً ما كانت السيادة فيهم للأشياخ الذين تعرضوا بمواقف الحياة وعركوها ، فرأيهم صائب ، وحجتهم واضحة دامغة ، وتدبيرهم حسن ، يتنزه عن فورة الشباب وحماسه ، ويتصف بوقار الشيخوكياستهم) . (١)

يقول " حسان بن ثابت " في الرئيس الشيخ الشجاع المجرّب

(٢)

الوفى :

(٣)	ولا ناكلًا عند الحمالة زُكلاً	وانا لقوم ما نسود غادرا
(٤)	ولا ناكلًا في الحرب جيباً مفقلاً	ولا مانعاً للمال فيما ينوبه
(٥)	علينا ، ولا نأفها كهاماً مفقلاً	ولا جيباً هيابةً متهكماً
(٦)	أغرّتهراه بالجلال مكللاً	نسود منا كل أشيب بارع

(١) بتصرف من كتاب (قيثارة الشعر العربي ١٦٤ وما بعدها ، د . فتحي

محمد أبو عيسى ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٠ م) واعتمدت في شرح

معاني مفردات الأبيات عليه .

(٢) الأبيات في ديوان حسان ١/٤٤ بتحقيق د . وليد عرفات ، طبعة حلب .

(٣) ناكلًا : ضعيفاً جباناً ، الحمالة : الدية والكفالة ، الزمل : التجبان والضعيف .

(٤) ينوبه : يصيبه وينتابه . الجيبس : الثقيل الوخم الذي لا خير فيه .

(٥) السهميس : أخسأ الناس والأهمم خلقة وخلقا ، أو الأحمق المائق .

العيابة : كثير العيب للناس ، مفقلاً : ضعيف الرأي خاطئ .

(٦) البارع : الفاضل ، والاكليل : التاج .

وقد كان الرئيس الذي يتمتع بموهلات السيد يحظى بالاحترام
والتقدير الشخصي (١) .

وقد بلغ بعض السادة في أخلاقهم وسيادتهم لقومهم منزلة عظيمة
في نفوس العرب حتى إن " هشام بن المغيرة " (٢) (كان يعرف برب
قريش ونسبت اليه في الجاهلية فقال الشاعر :

أَحَادِيثٌ مِنْ مَعَدِّ وَحَمِيرٍ وَخَبْرَهَا الرُّكْبَانُ حَسَقَ هِشَامِ

ولم يكن السيد ليصل الى هذه المنزلة الا بعد جلد و صبر شديدين ، لذلك
قالوا :

" من طلب الرئاسة فليصبر على ماض السياسة " (٣) .

وقد اشتهرت بيوتات عربية في الجاهلية بالسيادة والشرف منها :
(بيت هاشم بن عبد مناف ، وبيت حذيفة بن بدر الفزاري ، وبيت قيس
ابن مسعود ، وبيت آل زارة ابن عدى الدارميين ، وبيت تميم ، وبيت آل ذى
الجددين بن عبدالله بن همام ، وبيت شيبان ، وبيت ابن الديان من
بني الحارث بن كعب في اليمن) (٤) .

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسي ٥٢/١ وما بعدها ، حسن ابراهيم حسن
مكتبة النهضة المصرية .

(٢) من سادات العرب في الجاهلية وكانت قريش وكنانة توؤخ بموتهم
انظر المنق ص ١٠٣ وما بعدها .

(٣) نهاية الأرب / للنويري ٤٣/٦ .

(٤) صناجة الطرب / ٣٩ / لنوفل الطرابلسي / الطبعة الثانية / دار الرائد

العربي بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م وفيه (وأما كندة فلا يعدون من
أهل البيوتات وان كانوا ملوكا) .

و لأن السيادة كانت في أهل العصبية ، والجاه والشرف نجد أنها
ربما تتوارث ، ويفخر " عامر بن الطفيل " (١) الذي ورث سيادة بني
عامر عن أبيه أنه جمع للوراثة أهليته للسيادة ، فيقول (٢) :

اني وان كنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفارسِها المندوبُ في كلِّ موكبِ
فما سَوَّدتني عامرٌ عن قرابَةِ أبي الله أن أسمو بأُمٍ ولا أبِ
ولكنني أحسُّ حماها وأتقِى أذاها وأرض من رماها يَنكَبِ

ويدل على توارث السيادة قول " بشامة بن الغدير " (٣) :

وجدت أبي فيهم وجدى كليهما يطاع ويؤتى أمره وهو مخيبي
فلم أتعمل للسيادة فيهم ولكن أمتنى طاعماً غير متعبِ

ولشيخ القبيلة حقوق وعليه واجبات ، فمن حقوقه : الاشراف على تقسيم الغنائم ،
والاستئثار منها ما يراه لنفسه ، وقد أجمل " عبدالله بن عنمة الضبي "

(١) فارس مشهور وشاعر مجيد فحل أدرك الاسلام وغدربأصحاب بئر معونة

(٤هـ) انظر ترجمته في المعمرين ص ٦٠ وديوانه بشرح ثعلب ١٣

والخزانة ١ : ٤٧٣ - ٤٧٤ ، والشعراء ١٩١ - ١٩٢ ، ١٥١ ، ٢٢٤ .

(٢) ديوانه ١٣ / رواية الأنباري عن ثعلب / دار صادر ودار بيروت

لبنان ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

(٣) هو بشامة بن الغدير العذري المرى من شعراء المفضليات وخال زهير

ابن أبي سلمى ، كان غنيا كثير المال وكان أحزم الناس رأيا ، وكانت

ظفان تستخيره اذا أرادت الغزو ، أدرك الاسلام وعده ابن سلام

من شعراء الطبقة الثامنة . انظر طبقات ابن سلام ٢١٨ - ٢٢٦ ،

وانظر المفضليات ٥٥ ، وأبياته في الحيوان ٢ / ٩٥ للجاحظ تحقيق

عبد السلام هارون / مطبعة الحلبي القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٨ م .

(١) حقوق شيخ القبيلة في الحرب بقوله:

لك المِزْبَاعُ منها وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ (٢)

ومن حقوقه في السلم : أن يعمل بمشورته ، وأن يطاع أمره ، ويجل قدره ، فلا يدعى الا بكنيته ، يقول الشاعر :

(أكنيه حين أنادي به لا كرمه ولا ألقبه والسواة للقب) (٣)

وعلى شيخ القبيلة تقع واجبات تثقل كاهله ، يقول "الأعلم الهذلي" :

فان السيد المعلوم فينا يجود بما يضمن به البخييل
وان سيادة الأقسام فاعلم لها صعداء مطلعها طوييل

فعليه اكرام صيوف القبيلة ، وفتح بيته لهم ، وعليه فك الأسرى من أبناء عشيرته ، ويتحمل ديات من عجز هن حملها من قومه ويدفعها عنهم .

ولذا كنت العرب عن سيدها فقالت " سيد معمم " أي أن كل جنانية

يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . (٥)

(١) الأُصمعيات / ٣٧٠ .

(٢) المِزْبَاعُ : ربع الغنمية ، والصفايا : جمع صفية وهي ما كان الرئيس يصطفيه لنفسه من خيار الغنمية . والنشيطه : ما أصابه الجيش في الغارة من فرس وناقة ، والفضول : ما فضل فلم يقسم .

(٣) صناجة الطرب / ٢٠١ .

(٤) هو حبيب بن عبدالله ، أخو صخر الغي الهذلي ، ثم الخثمي ، شاعر جاهلي محسن ، انظر ترجمته في الموءء تلف للامدى (٣٧٠هـ) بتصحيح وتعليق

الدكتور ف. كرنكو الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٩٤ . وشرح اشعار الهذليين ١/ ٣٠٩ للسكري تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ومراجعة محمود محمد شاكر ، دار العروبة

القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م وأبياته فيه ١/ ٣٢٣ .

(٥) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٤/ ٣٤٨ .

العصية القليلة

الانعطاف الى العصبية القلبية

وأثره في الذود عن القبيلة

وباستنطاق المعاجم العربية عن معنى العصبية، وجدت أن:

العصبية : مأخوذة من العصب ، و (العصب من الناس بين العشرة الى الأربعين) (١) وذلك قول اخوة يوسف * لئن أكله الذئب ونحن عصبه انا اذا لخاسرون * (٢)

(٣) وقد تأتي بمعنى الاجتماع والشدة فيقال : (رجل معصوب الخلق) أى شديده متكامله .

و (من أمثال العرب : فلان لا تعصب سلماته ، يضرب مثلاً للرجل الشديد العزيز الذي لا يقهر ولا يستذل ومنه قول الشاعر :

* ولا سَلِمَاتِي فِي بَجِيلَةٍ تَعْصَبُ * (٤)

ويقال (عصب القوم بفلان : أحاطوا به) (٥) والعصب بذاتها تدل على الاجتماع (والعصبية والتعصب : المحاماة والمدافعة) (٦)

(١) كتاب جمهرة اللغة / لابن دريد * أبي بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى * المتوفى سنة ٣٢١ هـ / ٢٩٧/١ نشره مؤسسة الحلبي القاهرة بدون تاريخ .

(٢) سورة يوسف آية ١٤ .

(٣) مجمل اللغة / صنفه أحمد بن فارس / وحققه الشيخ هادي حسن حمودي ، من منشورات معهد المخطوطات العربية الطبعة الاولى

١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ٣/٤٩٣ .

(٤) لسان العرب لابن منظور / ١/٦٠٣ . المجلد الاول ، نشر دار صادر

و دار بيروت / بيروت لبنان ١٩٥٥م .

(٥) مجمل اللغة ٣/٤٩٣ .

(٦) لسان العرب / ١/٦٠٦ .

ونصل الى تعريف العصبية ، كما كانت في الجاهلية ، فهي (أن يدعو
الرجل الى نصره عصبته والتألب معهم على من يعاديهم ظالمين أو مظلومين) (١) .

وتلك هي حمية الجاهلية التي يقول الله تعالى عنها : * ان جعل
الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية * (٢) (وسئل النبي صلى الله
عليه وسلم عن العصبية فقال : " أن تعين قومك على الظلم ") (٣) .
و (عصبه الرجل بنوه وقربته لأبيه) (٤) .

ويرى ابن خلدون أن أساس العصبية هو النسب ، فأفراد القبيلة
(٥) لا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد) .

وقد أشرت الى أن أساس بناء القبيلة هو وحدة الدم والنسب ، لذلك
 نجد العربي شديد العصبية لها صادقا في امحاض اخلاصه في دفاعه
عنها ، فرابطة الدم والعصبية هي أقوى الروابط وأمتنهم عند العربي ، ولذلك
اهتم العرب بأنسابهم اهتماما لم تعرفه أو تألفه أمة من الأمم . (ولشدة
تعلقهم بالنسب والحفاظ عليه كانوا يتنافرون بالحسب والنسب) (٦) .

(١) لسان العرب ١/٦٠٦ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٦ .

(٣) سنن أبي داود ٣٤١/٥ ، دار الحديث / حمص سورية الطبعة
الأولى ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م بتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل
السيد .

(٤) لسان العرب ١/٦٠٥ ومجلد اللغة ٣/٤٩٣ .

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٧١ .

(٦) صناجة الطرب / ٤١ .

وإذا كان على القبيلة وسيدها واجب الدفاع عن أفرادها ورعايتهم ،
فان على الفرد أيضا واجب الدفاع عنها والذود عن أحسابها وأنسابها .
وكان العربي يقوم بواجبه نحو قبيلته ويفخر بأنه شديد الحفاظ على أمر
قومه ، يقول " رببعة بن مرقوم الضبي " (١) :

وأحفظ بالمغيبة أمر قومي فلا يسدى لدى ولا يضاع (٢)

ويقول معاوية بن مالك (٣) :

نعطي القبيلة حَقَّها وحقيقتها فيها ونغفرُ ذنبها ونسودُ
وإذا تحمَّلنا العشيرة ثقلها قننا به وإذا تعودُ نعُودُ (٤)

ومناصرة القبيلة عند العربي تكون بدافع الولاء والوفاء والعصبية وليس وراها
شيء يقول " دوسر بن زهيل القريني " (٥) :

وأرسى الذى يرمون عن قوسٍ بيغضةٍ وليس على مولاى حدى ولا عهدى (٦)

(١) هو رببعة بن مرقوم الضبي ، شاعر مخضرم أسلم وحسن اسلامه وشهد

القادسية وهو من شعراء مضر المعدودين ، شعره جمعه الدكتور نوري حمودى
القيسى ، مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٦٨م ، وانظر المفضليات ١٨٦ .
وحماسة ابي تمام للمرزوقي ٦١ ، ٥٤٢ ، وما بعدها . وطبقات ابن سلام ٢٨١ .

(٢) شعره/ والمفضليات ١٨٦ ، لا يسدى : أى لا يهمل ولا يترك سدى .

(٣) المفضليات ٣٥٥ .

(٤) ثقلها : غرمها وحملاتها ودياتها .

(٥) لم تذكر المصدر ترجمة له / في الأصمعيات / ٥٠ قصيدة مطلعها :

وقائلة ما بال دوسر بعدنا صحا قلبه عن آل ليلى وعن هند

وهذا البيت في العيني ٤ : ٣٦٦ وفي الضرائر ١٣٤ بدون نسبة .

(٦) حدى : من الحدة وهي الغضب يقول انه ينصر قومه لا يريد منهم

مناصرة أو عوناً على ما ينوبه من الحقوق .

وما أسرع ما كان العربي يلبي نداً قبيلته ويهب للنجدة على ظهور
الخيال والابل، يمثل هذه السرعة والعزم والشدة قوة " سلامة بن جندل
السعدى " (١) :

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع
كان الصراخ له قرع الظنابيب (٢)
وشد كور على وجنا ناجية
وشد سرج على جردا سرحوب (٣)

وفي سبيل القبيلة وصونها يقدم العربي الدفاع عنها على معتقداته، ويعرض
صفحاً عنها، يقول " عوف بن عطية بن الخرع التيمي " (٤) :

نوم البلاد لحب اللقاء
ولا نتقى طائرا حيث طارا (٥)
سنيحا ولا جاريا بارحسا
على كل حال نلاقي اليسارا (٦)

- (١) شاعر جاهلي قديم من فرسان العرب المعدودين أحد وصاف الخيل
وله ديوان مطبوع. انظر ترجمته في ديوانه وخرزانه البغدادي ٢/ ٨٦ وشعرا
النصرانية ٤٨٦ والاعلام ٣/ ١٠٦، والأبيات في ديوانه ص ٢٥ (وما بعدها
تحقيق د. فخر الدين قباوة المكتبة العربية / حلب الطبعة الأولى
١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م.
- (٢) الصاخ : المستغيث، الصراخ : الاغاثة . الظنبوب : حرف عظم
الساق، وقرع يعنى العزم على الأمر .
- (٣) الكور: رجل الناقة بأداته . وجناد : ناقة غليظة . ناجية : سريعة .
جردا : فرس قصيرة الشعر . سرحوب : فرس طويلة .
- (٤) هو من فرسان العرب ، شاعر جاهلي مفلق ، وعده ابن سلام من شعراء
الطبقة الثامنة الجاهليين ، انظر البيان والتبيين ٣/ ٨٧ وطبقات ابن
سلام ١٦٤ وحماسة الخالديين ٢/ ١٤٣ . وأبياته في الفضليات ٤١٥
ومعجم الشعراء للعرزباني ٢٧٦ ، والبيت الثاني عنده ورد هكذا
سنيحا ولا بارحا ان جرى ونرجو هناك بهن اليسارا
- (٥) يقول لا نبالي بالطير من أى النواحي جرت ، فنحن مصممون على ما عقدنا
العزم عليه .
- (٦) السنيح : ما أتى من اليمين عند اهل الحجاز وما أتى من اليسار عند أهل
 نجد ، والباح ضد ذلك عندهم .

والقبيلة كلانت كل شي* عند العربي يقدمها على نفسه وأهله ، وماله ، ويذود عنها باخلاص فهي كيانه كله ويلبي نداها عصبية وحمية دون السوء ال
عن السبب يقول " قُرَيْطُ بْنُ أَنْيْفٍ " (١) :

(٢)
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

ولا يسألون عن الحرب ومكانها ، فانجاد المستنجد ، فوق كل شي* ، يقول
" وذاك بن نميل المازني " (٣) :

مقاديم وصالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يمان
اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لاية حرب أم بأي مكان

ولا يبالون ان كان المستنجد بهم ظالما أو مظلوما ، فالعصبية قبل الحق
وبعده ، يقول " النابغة الذبياني " (٤) :

(٥)
حدبت على بطون ضنة كلها إن ظالما فيهم وإن مظلوما

-
- (١) هو " قريظ بن أنيف العنبري التميمي ، شاعر مخضرم وفي حياته غموض وذكر في الأعلام ١٩٥/١ أنه جاهلي والصحيح ما ذكرناه .
- (٢) الحماسة / شرح المرزوقي ٢٩/١ .
- (٣) هو " وذاك بن نميل أو شميل المازني ، شاعر جاهلي قديم وانظر ترجمته في الحماسة بشرح المرزوقي ١٢٧/١ . وأبياته فيها ١٢٩/١ والأعلام ١١١/٨ .
- (٤) ديوانه ١٠٣ بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية ١٩٨٥ ، دار المعارف مصر .
- (٥) ضنه : هم قوم من قضاة ثم من عذرة .

ولما كانت العصبية القبلية تقوم أساساً على النسب كانت لذلك عصبية
الرجل لا بيه أقوى من عمه ، وعصبية لعمه أقوى من ابن عمه ، وعصبية لابن عمه
أقوى من ابن خاله وهكذا تتدرج العصبية حتى تصل الى مستوى
الجماعة .

فتلبية النداء عصبية شديدة ، يقول " عمرو بن أبي عمارة الخنيسي
الأزدي " (١) :

دعوت قنابت من خنيس عصابة الى الصوت مشى المخفقات الرواقل (٢)

ولكنها ليست على قدر عصبية " عمرو بن النبيت الطائي البحتري " (٣) لا بن
عمه الذي آذاه ، وأظهر له عداوته ولكنه يقول :

انى وان كان ابن عمى كاشحاً	لمزابن من دونه وورائيه
ومعيره نصرى وان كان أمراً	متزحزحاً في أرضه وسمائه
وانا تخرق في غناه وفرته	وانا تصعلك كنت من قرنائيه
وانا تجلفت الجوالف مالاه	عطفت صحبحتنا على جربائيه
وانا غدا يوماً ليركب مركباً	صعباً قعدت له على سبائيه

-
- (١) نص المرزباني على أنه جاهلي ، وله أبيات في خزنة الأدب ٤٠٥/٢
للبيدائي طبعة دار صادر / بيروت يتنازعها مع غيره . وبنيته
هذا في معجم الشعراء ٢٣٣ ولم أجد له ترجمة ولا ذكراً سوى ما ذكرت .
- (٢) ثابت : أتت متواترة ، المخفقات : النياق الضامرة ، الرواقل :
- المجدات المسرعات في السير .
- (٣) نص المرزباني على أنه جاهلي والبيتان الأولان عنده باختلاف يسير مع
ذيل الأُمالي ٨٤ / اللقالي ، دار الكتاب العربي بيروت / لبنان ، ولم
تسعفني المصادر بترجمة مفصلة عنه . وانظر ص ١٧٩ من هذا البحث .

وفي يوم الصرائم قتل " عصمة بن حدرة بن قيس اليربوعي " (١)

سبعين رجلا من عبس ثارا بابن عم له .

وكانت العصبية متأصلة في نفوس العرب بها يحاربون ولاجلها يقتلون ويقتلون ، وبالبحث عن أسباب الحروب نجد أنها غالبا ما تقع نزاعا على مرعى أو اشتباكا حول منبع ماء ، أو كلمة ندت من سفيه جاهل ، ولكن الشر الذي يشعل هذه الحرب ، هو العصبية ان كان نداؤهم " يا آل فلان ويا فلان " فيجيب القوم النداء حمية دون أن يعلموا ببواطن الأمور ، وتقوم الحرب ويشتجر الطرفان ، وربما لا يعلمون لماذا يحاربون أو من يحاربون !!

وتلك عصبية تمكنت من نفوس العرب ، حتى إن " عتيبة بن الحارث ابن مدرك البكري " (٢) قال شعرا في الاسلام يذكر " غزوة حنين " تفوح منه رائحة العصبية ونخوة الجاهلية ، يقول " عتيبة " (٣) :

وَأَذْكَرُ مَسِيرَهُمُ لِلنَّاسِ إِذْ جَمَعُوا	ومالكٌ فوقه الراياتُ تختفيقُ
ومالكٌ مالِكٌ ما فوقه أحدٌ (*)	وَأَفَى "حُنَيْنًا" عليه التاجُ يَأْتَلِقُ
فِي كُلِّ جَأْ وَأَجْمَهٍ مَسُومَةٍ	تَعَشَى إِذَا هِيَ سَارَتْ دُونَهَا الْحَدَقُ
وَقَيْسٌ عِيْلَانٌ طَرًّا تَحْتَ رَايَتِهِ	ان سَارَسَارُوا وان لاقى بهم صدقوا

(*) ومالك هذا هو " ابن عوف النصرى " .

(١) هو من بني رباح من يربوع ، شاعر جاهلي فاتك ، انظر خبره في

النقائض لأبي عبيدة ١/٣٣٦-٣٣٧ ، طبع ليدن ١٩٠٥ م ،

وانظر معجم الشعراء * ٢٧٤ .

(٢) يقول عنه الأصدى " فارس شاعر " .

(٣) الموء تلف والمختلف ١٥٥ ، ويذكر الأمدى أن عتيبة كان مع المشركين

حتى لقوا الناسَ خيرَ الناسِ يقدمهم

عليهم البيضُ والأُبدانُ والسِّدْرُ

فضاربوا الناسَ حتى لم يروا أحدا

حول النبيِ وحتى جنهُ الفسقُ

ثم تنزلَ جبريلُ ينصرهم

من السماءِ فمهمزومٌ ومعتنقٌ

منا ولو غيرُ جبريلٍ يقاتلنا

لمعتنا إذا أسيفنا العتقُ

وفاتنا عمرُ الفاروقِ إذ هزبوا

بطعنةٍ بِلِّ منها سرجه العلقُ

=== في قصيدته هذه ، ولكن ورود كلمات مثل " النبي " و " عمر الفاروق " و " جبريل " و " خير الناس يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم " تدل على أنه قالها بعد اسلامه . ولم أجد له ترجمة ولم تسعفني المصادر بأخباره .

البابُ الأوَّلُ :

الحماسة في الشعر الحماسي

الفصل الأوَّلُ : أبعاد الحماسة وغاياتها

الفصل الثاني : دوافع الحماسة والحرب

الفصل الثالث : مجال الحماسة وغاياتها

الفصل الأول

أبي الحسن وغايبها

الحماسة بين المدلول اللغوي

والمفهوم الأدبي

أولاً : المدلول اللغوي وغاياته :

تعقبت كلمة " الحماسة " في عديد من المعاجم اللغوية ، بغية الوقوف على معناها ، فانتهيت الى ما يأتي :

١ - الحماسة مصدر للفعل " حمس " من باب " فرح " وعلى

هذا الاشتقاق اتفقت كتب اللغة والمعاجم وجاء تصريفه فيها كمايلي :

(حمس يحمس حمسا ، وهو حمس وأحمس ، وهم حمس ، وسنة

حمسا ، وسنون أحامس ، وتحامس القوم تحامسا وحماسا) . (١)

٢ - أكثر المعاني ورودا في المعاجم للفعل " حمس " الذي

اشتقت منه كلمة " الحماسة " هو الشدة ، ويشترك معه في هذا المعنى

الفعل " حمش " . (٢)

ففي لسان العرب : (حمس الشر : اشتد ، وكذلك حمش ، والتحمس :

التشدد ، ونجدة حمسا : شديدة يريد بها الشجعة ، قال :

* بنجدة حمسا تُعدي الذمرا *

وحمس الأمر : اشتد ، والتحمس : الشديد ، والأحمس أيضا :

المتشدد على نفسه في الدين ، وعام أحمس وسنة حمسا : شديدة ،

(١) انظر في ذلك : " لسان العرب " ٥٨/٦ ، و " القاموس المحيط "

٢٠٨/٢ ، و " المحكم " ١٥٧/٣ ، و " الصحاح " ٩١٩/٣ ، و

" تاج العروس " ٤٩٣/١٥ ، و " جمهرة اللغة " ١٥٦/٢ ، و

" الاشتقاق " لابن دريد ٣١٣ ، و اشتقاق الأسماء " للأصمعي ١١٢ .

(٢) انظر تحبير الموشين / للفيروزآبادي ص ٦ المطبعة الأهلية ، بيروت ١٣٣٠ هـ .

وأصابتهم سنون أحامس - أي شديدة ، وفيه :- لقي هند الأحماس
أي الشدة ، وقيل : هو اذا وقع في الداهية وقيل معناه : مات . ولا أشد
من الموت ، وفي معنى قول روية :

" وكاهلاً ذا بركة هروسا " (*)
لاقيَن منه حمساً حميساً
معناه : شدة وشجاعة (١) .

وفي معجم مقاييس اللغة (٢) : (" حمس " : الحاء والميم
والسين : أصل واحد يدل على الشدة ، والحمس والحماسة : الشجاعة
والشدة ورجل حمس ، قال :

* ومثلو لَزَّ بِالْحَمِيسِ الرَّئِيسُ * (٣)

٣ - وقال آخرون - أي في الحميس : التنور - هو بالشيئ
المعجمة ، وأي ذلك كان فهو صحيح لأنه ان كان من السين فهو من الذي
ذكرناه ، ويكون شدة التهاب ناره ، وان كان بالشين فهو من : " أحمشت
النار والحرب) .

- (*) ما بين القوسين تكملة من ديوان روية ٦٩ بتحقيق وليم بن الورد ،
الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م وورد في تاج العروس ٥٥٨/١٥
هكذا (وكللا ذا بركة هروسا) .
- (١) لسان العرب ٥٧/٦ وانظر تاج العروس ٥٥٨/١٥ ، والمحكم ١٥٧/٣ ،
ومجل اللغة / لابن فارس ١٠٨/٣ تحقيق هادي حسن حمودي
الكويت الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (٢) معجم مقاييس اللغة / لابن فارس ١٠٤/٢ بتحقيق عبد السلام هارون
الطبعة الاولى القاهرة ١٣٦٦هـ .
- (٣) ويقال : " بالحمس البئيس " و " الربيس " وهذا عجز البيت ، وأوله
* فلا أمشي الضرا اذا ادارني * ومثلي *
وروي أيضا أدارني ، وانظر اشتقاق الأسماء للأصمعي ١١٢ .

وفيه أيضا (١) : (والحمارس : الرجل الشديد ، وهذه منحوتة
من كلمتين : من حمس و "مرس" فالمرس : المتمرس بالشيء ، والحمس
: الشديد) (٢)

والشدة التي يؤدبها مدلول "حمس" لا تقتصر على شيء بعينه ،
ففي الاشتقاق (٣) : (وكل شيء اشتد فقد حمس) .

وان كانت الشدة أكثر ما تنصرف إلى الحرب إذ يقول صاحب الاشتقاق
في موضع آخر : (والحمس : الشدة يقال : حمست الحرب : إذا اشتدت) (٤)

ومفهوم الشدة يتسع ليشمل إلى جانب الشدة الحسية ، الشدة
المعنوية ، يقول صاحب الصحاح (٥) : (والتحمس : التشدد ، وتحمس
الرجل : إذا تعاصى) .

فإن المعنى في أصله ينظر إلى الشدة (٦) على وجه العموم .

٤ - وإذا كانت الشدة لها النصيب الأكبر في المدلول اللغوي
فإن الشجاعة تكاد تقترب منها وتلازمها ، وقد مر بنا في "لسان العرب" (٧)
أن النجدة الحمساء هي الشديدة الشجاعة .

(١) ١٤٦/٢ .

(٢) وانظر كذلك تاج العروس ٥٥٥/١٥ وما بعدها ، وجمهرة اللغة

لابن دريد ٤٥٢/٣ وتهذيب اللغة ٣٥٥/٤ - ٣٥٦ والمزهر

٤٨/١ ، الطبعة الثالثة بتحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ،

وانظر شمس العلوم الجزء الأول الصفحات ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٣) ص ٢٥٠ .

(٤) ص ٣١٣ وانظر أيضا ص ٥٤٩ .

(٥) ٩٢٠/٣ .

(٦) انظر معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا ١٦٢/٢ دار مكتبة الحياة

بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

(٧) ٥٧/٦ وتاج العروس ٥٥٩/١٥ .

وفيه (١) : (ورجل : أحسن : شجاع ، وقد حمس حمسا :

كَأَنَّ جَمِيرَ قَصَبٍ إِذَا مَا حَمَسْنَا وَالْوَقَايَةَ بِالْحُنَاكِ

وينو فلان أحماس : أي شجعان) .

وفيه (٢) : (والأحمن : الشديد الصلب في الدين والقتال ،

والحماسة : الشجاعة والحماس والرماحين والقدا حمن كل ذلك : الجري^٥
الشجاع ، قال :

(٣)
* ذُو نُخْوَةٍ حُمَارٍ عُرِضَ * (٣)

وفي تعريف الشجاعة ، يقول صاحب كتاب " نظام الغريب " (٤) :

(الشجاعة والحماسة والبسالة بمعنى واحد) . وفي تاج العروس (٥) :

(الحماسة : الشجاعة والنع والمحاربة .

وعني هند الأحماس يقول الزمخشري :) وينو هند : قوم من

العرب فيهم حماسة ، ومعنى اضافتهم الي الأحماس : اضافتهم الي شجعانهم

(١) ٥٥٧/٦

(٢) ٥٥٨/٦

(٣) تكلمة البيت (أليس عن حيوانه سخن) من ديوان المعراج ٥٢٤/١

تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، مكتبة أطلس دمشق .

(٤) نظام الغريب في اللغة / لعيسى بن ابراهيم الريعي الانماطي الحميري

ص ١٢٢ تحقيق محمد بن علي الأكوح ، دار المأمون / بيروت دمشق

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٥) ٥٥٥/١٥ وانظر معجم مقاييس اللغة ١٠٤/٢ ومجلد اللغة ١٠٨/٣

والمحكم ١٥٧/٣ وكتاب الافعال لابن القطاع ٢٠/١ الطبعة الاولى

١٣٦٠ هـ والقاموس المحيط ٢٠٨/٢ والنوادر لأبي مسحل الأعرابي

١/١ ٦٢٠ تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م وفيه

: (ولقي هند الأحماس وأم الهيثم بمعنى مات : وقال الشاعر :

أطوف ما طوفت ثم مصيرنا اليكم وان لاقيت هند الأحماس

وانظر الاشتقاق والاسماء ١١٢ والصاح ٩١٩/٣ ، وتهذيب اللغة ٣٥٤/٤ ،

(١) أو الى جنس الشجمان وأنهم منهم .

هـ - والى جانب الشدة والشجاعة هناك معان أخرى أوردتها المعاجم

وكتب اللغة مثل : الغضب والهياج .

فعلى سبيل المثال في كتاب الأفعال لابن القطاع^(٢) : (حمس

الرجل : شجع وهاج وغضب ، وحمسته وأحمسته : أغضبت)١٠

وفي القلب والابدال^(٣) : (والحميس : الشديد الغضب ، قال

عمرو بن لجا :

أرسلتُ فيها مُجفراً دَرَسَا أدهمَ أَحوى شاعِرِيًا حَمَسَا)

وأورد صاحب كتاب النوادر^(٤) مترادفات الغضب وتذكر منها الفعل

" حمس "

(١) أساس البلاغة / للزمخشري ١٤١ طبعة/ صادر دار بيروت ١٣٨٥ هـ

١٩٦٥ م وانظر معجم متن اللغة ١٦٢/٢ .

(٢) الأفعال لابن القطاع ٢٠٠ / ١ ، ترتيب سالم الكرنكي ١٣٦٠ هـ مطبعة دائرة

المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الهند .

(٣) ١٥١ والمجفر: العظيم الجفر ، والدرفس : الغليظ الشديد ، وشاغري : نسبة

الى يعقوب يقال له : شاعر . الكنز اللغوي في اللسان العربي نشر وتعليق

الدكتور أوضت هفز المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣ م .

(٤) النوادر لأبي مسحل ٧٨/١ ، وانظر في دلالة الفعل " حمس " على

الغضب والهياج ، لسان العرب وشمس العلوم ٤٦٩/١ ،

والصاح ٩٢٠/٣ وكتاب الجيم للشيباني ١٩٢ بتحقيق : ابراهيم

البياري المطابع الأميرية / القاهرة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م ومجلد اللغة

١٠٨/٣ والتكلمة وذييل الصلة / للصفاني ٣٤١/٣ تحقيق محمد أبو

الفضل ابراهيم ، دار الكتب القاهرة ١٩٧٣ م .

واشتقاق الأسماء ١١٢ / وتحرير الموشين ٠٦

وفي كتاب الجيم (١) أورد قول الشاعر :

قلت له قولاً رقيقاً أنساً يُميتُ منه الضغنَ والأُحاسِياً

٧ - ومن المعاني أيضاً : الحرب والقتال ، ففي لسان العرب (٢)

: (احتس الديكان واحتشا ، واحتس القران : اقتلا ، وتحامس القوم

تحامسا وحماسا : تشادوا واقتلوا) .

وهذا المعنى أيضاً أجمعت عليه كتب اللغة والمعاجم واتفقت

على دلالة الفعل على المشادة والقتال ، ولا يخفى أيضاً أن هذه له صلة

بالشدة ، فالمشادة أحد تصاريف الشدة .

٨ - ومن مدلولاته أيضاً : التشدد في الدين والورع فيه ،

ففي لسان العرب (٣) : (والحمس : قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم

وشجاعتهم فلا يطاقون ، وقيل : كانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون

البيوت من أبوابها وهم محرمون ، ولا يسلاون السمن ، ولا يلقطون الجلة ، (٤)

(١) ص ١٩٢ .

(٢) ٥٧/٦ وانظر في هذا المعنى المحكم ١٥٧/٣ وتاج العروس

١٥٨/١٧ واشتقاق الأسماء ١١٢ والاشتقاق ٣١٣ ، ٥١٩ ،

ومجالس شعلب ٣٨٥/٢ ، والجاسوس على القاموس / لا حمد فارس

١٥٧ مطبعة الجوائب ١٢٩٩ هـ والمزهر ١/٥٤٨ ، والحيوان

للجاحظ ٣٣٩/٢ وتحبير الموشين ٦ .

(٣) ٥٧-٥٨/٦ وانظر القاموس ٢٠٨/٢ والمحكم ١٥٧/٣ والصحاح

٩١٩/٣ ومجل اللغة ١٠٨/٣ وتهذيب اللغة ٣٥٤/٤ وتاج

العروس ٥٥٥/١٥ وجمهرة اللغة ٤٥٢/٣ والمقرب ١٢٨ ،

والاشتقاق ٢٥٠ ومواسم الأدب ١٢٣/١ واشتقاق الأسماء ١١٣ ،

١١٤ وشمس العلوم ١/٤٦٢ ، ٤٦٧ .

(٤) الجلة : (مثلثة) وهي البعرة أو البعر الذي لا ينكسر .

والحمس : هم قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة وقيس وهم : فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة ، سموا حمسا لانهم تحمسوا في دينهم ، أي تشددوا وكانت الحمس سكان الحرم ، وكانوا لا يخرجون أيام المواسم الى عرفات وانما يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم (١) .

وفي تهذيب اللغة (٢) : (والاحمس : الورع من الرجال الذي يتشدد في دينه) .

ومن معانيه أيضا : الحرمة ، أو الحفاظ على الحرم وصيانتها (٣) ، ومنه قول الشاعر :

(ولم يهبين حمسة لا حمسا ولا أخا عقدي ولا منجسا

يقول : لم يهبين لذي حرمة حرمة ، أي ركن رؤوسهن .

وقول الآخر :

(٤) لو لي تحمست الركاب اذا ما خانني حسبي ولا وفري

(١) ويدل على أن " الحمس " قريش ومن لف لفهم ، قول " حسيل بن سجيح الضبي في الحماسة ، يذكر بني عامر " حين التقوا مع قومه بني ضبة " يوم " الشريف " :

لقد علم الحي المصبح أنني غداة لقينا بالشريف الاحمسا

جعلت لبان الجون للقوم غاية من الطعن حتى عاد احمر وارسا
انظر الحماسة بشرح المرزوقي ٥٦٧ . وانظر القاموس ٢٠٨/٢ وتاج العروس ٥٥٥/١٥
(٢) ٣٥٥/٤ ، ٣٥٦ ، وانظر القاموس ٢٠٨/٢ وتاج العروس ٥٥٥/١٥
والصاحح ٩١٩/٣ .

(٣) انظر المحكم ١٠٨/٣ والتكملة ٣٤١/٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٥٥/٤ ، ٣٥٦ .

ويدل أيضا على الوقوع في الشر والضلال والهلكة ، ومنه قول الشاعر:
(فانكم لستم بدار تكنة (*)) ولكنما أنتم بهند الأحماس

ومربنا معنى قول ربيعة :

وكاهلا ذابركة هروسا
لا قين منه حمسا حميسا

معناه : شدة وشجاعة (١) .

وقد أوضح المعنى "ثعلب" في مجالسه أوضح بيان وجلاه

بقوله (٢) : (والحمس لا يكون الا عند البلا) .

(*) يعلق محقق تاج العروس ٥٥٧/١٥ فيذكر أن (" بدار تكنة " خطأ والصواب " بدار تلنة ") .

(١) انظر في ذلك : لسان العرب ٥٧/٦ وتاج العروس ٥٥٧/١٥ ، ٥٥٩ وتهذيب اللغة ٣٥٥/٤ .

(٢) مجالس ثعلب ٣٨٥/٢ بتحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٠م .

غايات الحماسة اللغوية

وبعد ايراد تلك المعاني التي ذكرتها من خلال معاشتي لكتب اللغة نرى أن الأصل الذي اشتقت منه كلمة " الحماسة " يرتبط بالمعاني الآتية :

- ١ - الشدة .
- ٢ - الشجاعة .
- ٣ - الغضب .
- ٤ - الانفعال الشديد .
- ٥ - الاقتتال والمشادة ، وايقاد نار الحرب واضرامها .
- ٦ - التشدد والورع في الدين .
- ٧ - الحرمة .
- ٨ - الوقوع في الضلال والشر والهلكة .

وما من شك في أن هذه المعاني هي الأصل اللغوي للكلمة " الحماسة " التي نحن بصددها ، وبالملاحظة والاستقراء يتضح أنها جميعا رواند تصب في منبع واحد هو " الشدة " .

ولنتناولها بالتفصيل لنرى مدى صحة هذه النظرة .

*

أولا : الشدة

وقد ركزت معاجم اللغة في شرحها للفعل " حمس " ومشتقاته وتصريفاته بأنه الشدة ، وانفرد صاحب معجم مقاييس اللغة بقوله : (الحاء والميم والسين أصل واحد يدل على الشدة) (١)

والعرب يطلقون على كل شيء شديد أو يتصل بالشدة من زمان أو مكان أو عمل أو انفعال أو تصرف ، لفظ الحماسة . ألا ترى أنهم يقولون إذا أصابتهم سنة محلة ، ونزل بهم القحط وأجدبت الأرض وكان ذلك شديدا عليهم : (عام أحسن وسنة حمسا وسنون أحامس ، يقول الشاعر :

لنا ابل لم نكتسبها بِفُدْرَةٍ ولم يفن مولاها السنون الا حامس (١)!

والأماكن الصلبة المجدية الغليظة التي تجهد الركب والقوم ولا تسعفهم بقطرة ماء ، أو الرمال الحمراء المتوهجة التي تحرق الأقدام وتنهك القوى وتنقطع فيها الأعناق من الحر والظما . أشد وقع ذلك عليهم فجعلوه من الحماسة . لذلك قالوا مفتخرين بتجاوزهم لهذه الفلوات في الصحارى وتجشمهم للمصاعب والشدائد :

(وكم قطعنا من قفاف حمس غير الرعان ورمال دهس
وواحد " حمس " أحسن .) (٢)

وهكذا لما غلت قريش في دينها واشتدت في شجاعتها ، أطلقوا عليها " الحمس " .
والرجل الصلب الشديد في القوة والتمن والرأى والقتال " أحسن " .
فلا مناص إذا من التسليم بأن أصل الحماسة هو الشدة في كل شيء من إنسان أو حيوان أو جماد أو اعتقاد أو عاطفة .

(١) لسان العرب ٥٧/٦

(٢) اشتقاق الأسماء ١١٣ والبيت من ديوان العجاج ٢٠١ ، وورد فيه هكذا :

كركرة وثفتات ملس وكم قطعنا من قفاف حمس
غير الرعان ورمال دهس وعمر نساميتها بسير دهس

ثانيا : الشجاعة

وأكثر ما يقترن ذكر الشدة بالشجاعة ، فإذا قالوا : نجدة حمساء ،
أى شديدة والمقصود بها الشجاعة . (١)

وفي قبائل العرب كانت هناك قبائل ويطون وأشخاص تميزوا
بالشدة والشجاعة ، فأطلق عليهم مشتقات الحماسة مثل : بنو أحمس
" من بني منقر " ، وأحمس من قبائل ضبيعة " وبنو أحمس " من بجيلة وبنو
حميس يقال لهم " الحرمة " من قبائل جهينة . (٢)

وفي معنى قول " عمرو بن معديكرب " :

(أحماس لو كانت شيارا جيانا بتثليث ما ناصيت بعدى الأحاسا

أراد قريشا ، وقيل أراد بالأحامس بني عامر لأن قريشا ولدتهم ، وقيل أراد :
الشجعان من جميع الناس) (٣)

وسواء أراد قريشا ومن لف لفظها ، أو أراد الشجعان فإن المعنى
لا يخرج عن الشدة والشجاعة لأن قريشا كانوا شديدين في الدين
والقتال فلا يطاقون .

وإذا أطلقت كلمة " الحماسة " بلفظها انصرف المعنى - غالبا - إلى

-
- (١) لسان العرب ٥٨/٦ ، ومعجم مقاييس اللغة ١٠٤/٢ والقاموس
٢٠٨/٢ وتاج العروس ٥٥٥/١٥ والصحاح ٩١٩/٣ ، والانصاح
٠١٤٢/١ .
- (٢) انظر الاشتقاق لابن دريد ٢٥٠ ، ٣١٣ ، ٥١٩ ، ٥٤٩ .
- (٣) ديوانه ١١٣ هاشم الطعان والمعاجم غالبا ما تذكر الشطر الثاني
فقط من البيت . وانظر تهذيب اللغة ٣٥٥/٤ ولسان العرب ٥٨/٦ .

(١) الشجاعة.

بل ان الحماسة لفظ من مترادفات الشجاعة ، ان أن (الشجاعة
والحماسة والبسالة بمعنى واحد) (٢)

وكما أسلفنا فان الشجاعة جزء لا يتجزأ من الشدة ، لأن الشجاع
لا بد أن يكون قوى القلب والجسم والاقدام ، ومن هنا كان منطلق صاحب
المحكم في قوله : (الحماسة : الشدة في كل شيء) (٣)

*

ثالثا - الغضب

كان العربي فردى النزعة بالغ الالباء والأنفة سريع الانفعال
، شديد الاعتزاز برأيه ، شديد التمسك لا يطيق ان يمس أحد شرفه
بسوء ، أو أن يتعرض لقومه بأذى ، وكان يغضب لا تُفه الأسباب ، ولذلك
اشتهر الحكماء لقلتهم وندرتهم ، فالتطرف في القول والفعل سمة من
سمات العربي الهدوى بخاصة ، أخذ من صحرائه حرته ينطلق فسي
رحابها دون قيود أو شروط ، فاذا ما جبهه أمراً واجهته معضلة كان
سريع الاستجابة والتفاعل ، ولا غروا اذا اذا غضب المرء لقومه ورأيه وأهله
أن يكون " أحسن " (٤) شديداً .

(١) انظر لسان العرب ٥٨/٦ والقاموس ٢٠٨/٢ وتاج العروس

٥٥٥/١٥ والصحاح ٩١٩/٣ ، ومعجم مقاييس اللغة ١٤٢/١

والانصاح ١٤٢/١ .

(٢) نظام الغريب في اللغة ١٢٢ .

(٣) ١٥٢/٣ .

(٤) انظر مترادفات الغضب في كتاب " النوادر " لأبي مسحل الاعرابي ٧٨/١

تحقيق د . عزة حسن دمشق ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

رابعاً - الانفعال الشديد

كان العربي - كما أسلفت - شديد الحساسية لما يدور حوله ، فبيئته
الفطرية التي عاش فيها جعلته مرهف الأحاسيس والعواطف ، والى جانب
ذلك صبغته بشدتها وعنفوانها ، فإذا ما اشتد هياجه وغضبه وانفعاله
فقد " حمس " وموطن " الحماسة " هو الغضب الشديد (١) .
ف (الحمس والحميس هو الشديد الغضب) . (٢)

فالغضب انفعال وعاطفة ، تختلف حدتها من آن لآخر ، فإذا ما
وصل الى مرحلة الهياج والعنفوان فهو " الحماسة " .

*

خامساً - الاقتتال

ومن دلالات اشتقاق الحماسة : الحرب والاقتتال ، ويطلق على
المحاربة : التهامس والاحتماس .
والقوم الذين يحاربون بعنف وضاوة يقال لهم " الحمس " (٣) أي
أشداً شجعاناً ، وإذا التحم الجيشان واحتدم القتال فان اضطرام
الحرب والتهابها هو " الحمس " لذلك قالوا : (حمست النار والحرب
حمساً : توقدتا) (٤) .

(١) انظر كتاب الأفعال / لابن القطاع ٢٠٠ / ١ .

(٢) القلب والابدال لابن السكيت ٤١ .

(٣) لذلك سميت قريش بالحمس لشدتهم في دينهم وشجاعتهم فلا
يطاقون .

(٤) الاشتقاق ٢٥٠ ، ٥١٩ ، وكتاب الأفعال ٢٠٠ / ١ .

ووجه تشبيه الحرب بالنار ظاهر ، لغلجان الأفتدة وحرارة الدم في العروق
ما يصور الحرب وكأنها نارتلظى وحينئذ يقال : (حمس الوغى) (١) و
(وحى الوطيس) (*). (٢)

*

سادسا- الورع في الدين

غلب على العرب معنى الشدة في كل شي* : في حربهم وسلمهم
وفي دينهم ، لذلك لما بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق أبى كثير من
المشركين أن يتبعوا الهدى مع علمهم بضلالهم ، وما ذلك إلا عناد ومكابرة
واتباع لا سلافهم .

وقريش اتخذت من جوارها للبيت الحرام سلما ارتقت به فسي
الدرجة على من سواها من قبائل العرب وكانوا يقولون : نحن أهل الحرم
ولا نخرج الى الحل ، وابتدعوا شعائر في الحج تميزهم على من سواهم
(٣) .
وإذا كان التحمس هو التشدد ، فإنه في الدين خاصة ، فالأحمس هو التشدد
على نفسه في الدين أو هو الورع المتزمت .

(*) والوطيس : حجارة مدورة ، فإذا حميت لم يمكن أحد أن يظأ عليها
وقيل هي : التنور ويشبه حر الحرب به +

(١) تاج العروس ٥٥٩/١٥

(٢) الفاخر/ لابن سلعة ١٣٩ تحقيق عبد العليم الطحان والنجار ،
١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م الطبعة الأولى / دار احياء الكتب العربية .

(٣) انظر في ذلك مثلا : لسان العرب ٥٧/٦ - ٥٨ واشتقاق الأسماء

١١٣-١١٤ ، ومواسم الأدب ١/١٢٣ .

ولم يكن التشدد في الدين في قريش خاصة ، وإنما تشاركها فيهِ
قبائل من العرب اتخذت لنفسها عادات دينية تتمسك بها ، فكان لكل
قبيلة صنم ومن ذلك " مناة " ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الإوس والخزرج
، فكانوا يحجون إليه ولا يحلقون رؤوسهم إلا عنده . (١)

*

سابعاً - الحرمة

لم يكن العربي يفض^لب/ ولا يتحمس له ، غضبه إذا انتهكت محارمه
أواستبيح عرضه ، فيرى المساس بشرف القبيلة امتهاًناً لشرفه ذاته ،
وتتفاوت حدة انفعاله وتحمسه بقدر ما يتصل به من أذى في حرمه ،
فغضبه لشرف امرأته يفوق غضبه لشرف جاره أو أقرباه ، ومن ثم يتدرج
الغضب حتى يصل إلى مستوى الجماعة .

فلا غرو إذ أن تتصل الحماسة بالذود عن الشرف والحرمة
حتى تصبح معنى أساسياً من معانيها .

(١) خير مرجع لذلك ولما ذكرناه كتاب الأضام لابن الكلبي ، طبعة
دار الكتب / القاهرة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، الطبعة الثانية .

ثامنا - الوقوع في الضلال والشر والهلكة

فاذا أُجِدبت الأرض وامتنع القطر واشتد البلاء كان ذلك " حمسا " وذلك قول ثعلب (١) :

(والحمس لا يكون الا عند البلاء)

واقْتتال الأُقارب وقوع في الضلال والغي والهلكة فهو اذا " حمس وتحامس " .

والموت وهو الهلاك " حمس " لذلك قالوا (لقي فلان هند الأُحامس : أى الشدة ، وقيل : هو اذا وقع في الداهية ، وقيل معناه : مات ، ولا أشد من الموت .) (٢)

والفلوات والمفاوز " حمس " لأنها مظنة الهلاك .

وتتفق كتب اللغة والمعاجم في اسناد الشر الى الفعل " حمس " فتقول (٣) : (حمس الشر : اذا اشتد) .

وعموما ومن خلال قراءة النصوص اللغوية التي تشرح الأُصل الذي اشتقت منه " الحماسة " نجد أن معناها يتضح جليا في الشدة وما يتعلق بها . فالشدة في الجسم والتصرف والعواطف والأُمكنة ، والأُزمنة ، والدين ، والأخلاق ، وأيضا الموت والهلاك والشر ومرادفاتها وكل ما يتصل بالشدة من معاني ، كل هذا ينطبق عليه لغويا صفة " الحماسة " .

- (١) مجالس ثعلب ٤٥٣ تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ١٩٦٠ م دار المعارف .
- (٢) انظر لسان العرب ٥٧/٦ وتاج العروس ٥٥٧/١٥ والمحكم ١٥٧/٣ .
- (٣) انظر لسان العرب ٥٧/٦ ، وتاج العروس ٥٥٨/١٥ ، والمحكم ١٥٧/٣ ، ومجلد اللغة ١٠٨/٣ .

ثانيا : المفهوم الأدبي للحماسة :

لعل سوء الا يتبادر هنا فحواه : اذا كانت هذه هي الحماسة اللغوية فما الحماسة التي نقروها أو نقرأ عنها في الأدب العربي ؟! وهل تنفصم عرى العلاقة بينهما أو أن هناك ارتباطا وثيقا يجمعهما؟! وقبل الاجابة عن هذا السؤال يجدر بنا أن نلقي نظرة سريعة وفاحصة على مفهوم " الحماسة " في الأدب . فقد جرى العرف لدى دارسي الأدب وباحثيه على اضافة صفة الحماسة على قصائد معينة لتجاوزها الى غيرها ويتجلى ذلك واضحا في تلك القصائد التي أنشأها الفرسان والشعراء الجاهليون يصفون فيها دوران رحى الحروب وتطاحن القبائل في ميادين القتال ، أو تلك القصائد التي يتيه بها الفارس فخرا بنفسه ، واعتدادا بشجاعته وطولته ، واقتحامه لساحات الوغى دون خوف أو وجل ، وتصويره لحسن دفاعه عن عشيرته وبلائه في سبيلها .

وهذه - لعمرى - نظرة أراها جديرة بالمناقشة .

ولما ألف الشعر العباسي الفحل " أبو تمام " كتاب " الحماسة " وهو عبارة عن اختيارات لقصائد ومقطوعات من الشعر الجاهلي والاسلامي ، لا تقتصر على الحماسة فحسب وإنما انضوى تحت الكتاب عشرة أبواب هي : الحماسة والمراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأضياف والمديح ، والصفات والسير والنعاس ، والملح ، ومذمة النساء .

وكأن هذا التقسيم لم يرق لهم فأخذوا يعطلون ادراجه تحت مسمى " الحماسة " وارتأوا أسبابا يرونها منطقية ، ولسنا بصدد سرد هذه الأسباب وان كانت في اعتقادهم وجيهة الا أنها غير مقنعة . (١)

(١) للاستزادة في معرفة هذه الآراء ينصح الرجوع الى المصادر التالية:

وهذه الآراء تدخل في نطاق المحاولة لكنها ليست قطعية يقينية لاعتمادها على إجابة الفكر في معاني أبيات الحماسة والأبواب الأخرى .
ولكنني أميل بعد الدراسة المتأنية والبحث المتفحص الى أن أبا تمام " قد أصاب المحز في اطلاق " الحماسة " على مختاراته ، لأن العرب كانوا يعيشون حياة كلها حماسة وشدة ، فالعربي اذا أحب أحب بصدق واذكره كره بعنف ، يغلف حبه الاخلاص والموءة ، ويشوب كرهه العداوة والبغضاء ، اسمع الى " المثقب العبدى " يخاطب " عمرو بن هند " الملك فيقول (١) :

فأما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غثي من سميني
والا فأطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتتقيني

- === أ - حماسة أبي تمام وشروحها / للدكتور عبدالله عسيلان ١/٢٦، ٢٧ .
ب - كتاب " أبوتمام بين أشعاره وحماسه / لمحمد بركات علي ٥٢٢ - ٥٤٨ - الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م مؤسسه الخافقين دمشق .
ج - كتاب " الأوب في حماسة أبي تمام " د . احمد ماهر البقرى ص ٤٥ مؤسسه شباب الجامعة / الاسكندرية .
د - الحماسة بشرح المرزوقي ١/٥١ ، ٩٢ ، وما بعدها و١/٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، والمقطوعات ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، وتعقيب المرزوقي عليها .
(٢) ديوانه ص ٢١١ ، ٢١٢ تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م .
والمثقب هو : عائذ بن محصن ، وقيل شأس بن عائذ وقيل نهار بن شأس ويكنى أبا وائلة " من بني عبد القيس ، شاعر جاهلي سمى بالمثقب لبيت شعر قاله ، وهو من شعراء البحرين ، عاصر عمرو بن هند ، وكان سيدا مصلحا ومن قاموا بالصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس ، وهو أقدم من النابغة . انظر ترجمته في ديوانه وطبقات ابن سلام ٢٧١ والموشح ١٤٣ وخرانة الأوب ٤/٤٣١ .

وعداوته هذه يظهرها لا يفرق فيها بين قريب وغريب ، فهذا
" المتلمس " يخاطب خاله الشاعر " الحارث بن التوأم " اليشكري " يبتئسه
بالعداوة الصريحة الممضة التي يكنها له ، فيقول :
(١)

أحارث انا لوتشاط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما
ولنا أن نسلم أن العربي في جاهلية كان يتمتع بأخلاق حميدة ، وأخرى
ذميمة لكنه متمسك بها لا يزحزحه عنها شيء ، ونجد كثيرا من الشعراء
الجاهليين يتمدحون بأخلاقهم التي قد نراها في منظورنا غير جديرة
بالفخر ، ولكنهم كانوا يعتبرونها مجداً يحرصون عليه ويتفاخرون به .
ومن أخلاقهم الجديرة بالفخر ، الوفاء بالعهد ، وصيانة الجار ، وحفظ
السر ، ورعاية الصديق ، يسرد بعضها قيس بن الخطيم في قوله :
(٢)

(١) ديوانه ١٦ تحقيق حسن كامل الصيرفي وانظر الاصحيات
٠٢٤٥

والمتلمس : شاعر جاهلي مشهور ، أخواله بنو يشكر ، نجا من غدر
همروبن هند به وهلك ابن أخته طرفة بن العبد ، سمي المتلمس
لهيت قاله ، واليه تنسب الصحيفة المشغومة التي يغرب بها المثل .
وانظر ترجمته في الاصحيات ٩٢ وطبقات بن سلام ١٥٥ ، والأمثالي
٠١٤١ ، ١١٠ ، والموشح للمرزباني

(٢) ديوانه ص ١٠٥ وما بعدها بتحقيق د . ناصر الدين الأسد / الطبعة
الأولى ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م مطبعة المدني القاهرة .

وقيس بن الخطيم شاعر فارسي جاهلي مشهور كنيته " أبو يزيد "
أدرك الاسلام ولم يسلم وقتل قبل الهجرة قتله الخزرج . وانظر
ترجمته في سطر اللآلي ٢ / ٧٩٧ ، وخزانة الأدب ٣ / ١٦٨ ، ١٦٩ ،
والبرهان والعرجان ١٤ ، ٢٠٤ ، والأعلام ٥ / ٢٠٥ .

اذا جاوز الاثنين ستر فانه
وان ضيع الاخوان سرا فانني
يكون له عدى اذا ما ضمنت
سلي من ندي في الندامى ومالقي
وأى أخى حرب اذا هي شمرت
وهل يحذر الجار الغريب فجميعتي
وما لمعت عيني لغرة جارة
أبى الذم آباء نمتى جدودهم

بنشر وتكثير الحديث قمين
كثوم لا سرار العشير أمين
مقر بسوداء الفؤاد كنيين
ومن هولوى عند الصفاء خديين
ومدرة خصم بعد ذاك أكون
وخونى وبعض المقرفين خؤون
ولا ودعت بالذم حين تبين
(١) ومجدي لمجد الصالحين معين

وأخلاقهم حميدها ونميمها كانت مكتسبة من بيئتهم القاسية ، فلم يكن
في حياتهم - في الغالب - أمر بين بين فكل أمورهم يجنح الى التطرف
فاما حرب وعداوة يتساقون بها السم الزعاف واما جوارواخاء تتصافح فيه
القلوب ، فالنفاق والتلق كان منعدما في سلوك العربي وطباعه ، بل انه
يراه خلقا نميما يتبرا منه ويأبى أن يوصم بعاره .

(١) معاني الكلمات : قمين : حرى وخليق .

سوداء الفؤاد : علقة سوداء تكون في جوفه . كنين : مكنون .

مدرة خصم : يقال : هو مدرههم اذا كان يقدم في الخصومة

أو الحرب . المقرفين : المقرف من أمه عربية وأبوه ليس

كذلك . . وقيل العكس . والمقرف أيضا : النذل .

الغرة : بالضم بياض في الجبهة ، والغرة : بالكسر الغفلة .

إذا فأخلاق العرب رمز القوة ، والقوة عنوان " الحماسة " وتتمثل
القوة في أخلاق الأشراف الكرام الأحرار ، وتنتفي من أخلاق اللئام
الضعفاء .

هكذا كانت أخلاق العربي محاطة بسياج متين من القوة والحماسة
والاندفاع .

حتى إن العربي كان يفخر بتهوره ، ويرى ذلك شجاعة وأقداما ،
فلم تكن الشجاعة لديه وسطا بين الجبن والتهور .

إلا أننا نجد توازنا في هذا المجال عند بعض الشعراء الفرسان
وفي طليعتهم " عنتره " الذي يقول :

(١)
شجاع إذا ما أمكنتني فرصة ولا تكن لي فرصة فجبان

وإذا كانت أخلاق العرب في الجاهلية رمز القوة فإن الشجاعة هي القوة ،
أوهي الرداء الذي تجلب به . ونستطيع أن نجزم أن الغالبية من العرب
كانوا بمكان مجيد من الشجاعة والاقدام ، وأما اشتهاار عدد محدود منهم
بذلك فقد كان للحظ أشرفي نباهتهم . (٢)

يقول " ابن قتيبة " (٣) : (وأما الشجاعة فإن العرب في الجاهلية
كانوا أعز الأمم أنفسا وأعزها حرييا ، وأحماها أنوفا ، وأخشنها جانبا ،
وكانت تغير في جناب فارس وتظرقها حتى تحتاج الملوك الى مداراتها
وأخذ الرهن منها) .

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١٦٣/١ وانظر التعليق على هذا

البيت ص ٢٧٨ من هذا البحث .

(٢) انظر الحيوان للجاحظ ١٠٣/٢ .

(٣) كتاب العرب / لابن قتيبة ٢٨٩ من مجموعة رسائل البلغاء / جمعها

محمد كرد علي / طبعة دار الكتب العربية / مصر ١٣٣١هـ / ١٩١٣م
الطبعة الثانية .

وكانت الشجاعة على مراتب ف: (ان الرجل اذا قاتل في الحرب
ولم يحجم فهو الشجاع فان زاد فهو البطل ، فان زاد قالوا : بهمة ،
فان زاد قالوا : أليس)-(١)

وكانوا يتمدحون بالاغارة و بعد المغزى ، يقول " الحارث بن
يزيد " (٢) :

لا لا أعق ولا أحو ب ولا أغير على مضر
لكنما غزوى اذا ضج المطى من الدبر

وكانت الشجاعة ومآثر الأُخلاق الحميدة أهم ما يعتدح به العرب ويفاخرون
ف (العرب لم تفخر قط بذهب يجمع ، ولا نخرير فع ، ولا قصر يبنى ،
ولا غرس يبنى ، انما فخرها عدو يغلب ، وثناء يجلب ، وجزر تنحر ،
وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بحسب الطاقة .

فلقد ذهب الذهب ، وفني النشب ، وتمزقت الأثواب ، وهلكت
الخيال العرب ، وكل الذى فوق التراب تراب ، وبقيت المحاسن تروى وتنقل ،
والأعراض تجلى وتصل (٣) .

ونخلص مما سبق الى أن حياة العرب وأخلاقهم كانت قائمة على
القوة والحماسة والشدة ، وكانت الحرب والشجاعة والذود عن القوم

(١) الحيوان / للجاحظ ١ / ٢٩١ .

(٢) المصدر نفسه ٣ / ٧٧ والحارث هو جد الأحمير السعدى .

(٣) الحديقة / جمع محب الدين الخطيب ص ٩٤ المطبعة السلفية

القاهرة ١٣٤١ هـ .

ولعل ذلك ما دعا أبا تمام الى ان يسمى مختاراته باسم "الحماسة"
فأكبر الظن أنه نظر الى هذه الزاوية من حياة العرب فوجد أن الحماسة
لا تقتصر عندهم على الحرب والضرب، أو على شيء بعينه وإنما وجدها حافلة
بشئ مظاهر الحماسة والفخر والهجاء والتوعد بالانتقام، ولوعة الشكوى وحنين
المفارق، وتلهف الحبيب لحبيبته والنشوة بالكرم، والانشراح في المفاكيات
والمجالس والنوادي الى غير ذلك مما يطول سرده .

وشيء آخر فإن القصيدة الجاهلية الموسومة بالحماسة والفخر لا تتكى
على هذا الموضوع وحده، ولكنها تزخر بتعدد الأغراض والموضوعات، ونكاد
لا نجد الا قصائد تعد على الأصابع في شعر الجاهلية اقتضت على
موضوع بذاته لا تحيد عنه، ووعد عنك المقطعات التي لا تزيد على
البيتين أو الثلاثة أو لاتصل الى مستوى القصيدة .

وعلى هذا فالشاعر الجاهلي عندما ينشيء قصيدته لا يجعل نصب
عينه موضوعا بذاته يشبعه كلاما وإنما ينطلق على سجيته معتمدا على شئونه
وشجونه ومناخره ونزعاته دون تكلف أو تنميق أو ترتيب .

وإنما استطردت في الحديث على هذا النسق لكي أصل الى نتيجة
فحواها : أن الشعر الجاهلي كله حماسي لافرق بين فخره وغزله، وهجائه ورثائه
وزهوه بكائه، فإن كان العربي على قدر كبير من الشدة والحماسة فإن ما
تجيش به خواطره وأحاسيسه من باب أولى .

على أن (الحماسة) إذا كان قد ذكرها في الحرب فلأن
الحرب أشد ما واجهه العربي في حياته المليئة بالشدائد من قحط وجدب
، وظمأ وحر وقر، ورمال مشتعلة وجبال شاهقة، إلا أن الشدة أظهر ما تكون
في الحرب لأنها مواجهة الموت عيانا، ولا أنهم أطلقوا على الحرب صفات

كريمة كثيرة جماعها الشر، ولذلك نجد كتب التعاجم تركز في تفسيرها للحماسة بقولها " حمص الشر : اذا اشتد " .

وقد يكون في صنيع " أبي تمام " ومدته بالهجا ما يوكد أن الحماسة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالفخر وأغراض الشعر الأخرى .

فالحماسة لها زوايا متعددة من شجاعة وقوة قلب ، وإقدام ونخوة ، وكرم وعواطف جياشة بالحب والحزن والفرح و . . الخ .

وبعد أن بسطت الحماسة ومفهومها عند الأديب ومفهومها الذي حاولت سبر غوره ومعرفة كنهه من خلال كتاب " الحماسة لأبي تمام " أراني في حاجة ماسة الى الاجابة عن السؤال الذي صدرت به هذا الموضوع وهو : " اذا كانت هذه هي الحماسة اللغوية فما الحماسة الأدبية ؟ "

ويادى ذى بدء لا بد من معاودة القول الى أن الأدب هو صورة حية متحركة لاى أمة من الأمم يمثل شمائلها وأخلاقها وأعرافها ، وهو مرآة صافية لطبيعة حياتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل انه روح الأمة وكيانها المعبر .

والعرب في جاهليتهم لم تخل حياتهم قط من الحماسة ، وقد عبروا عنها أصدق تعبير من خلال ما وصلنا من شعرهم ونثرهم وآثارهم ولا نملك أن نقول عن أدب العرب الا أنه أدب حماسي لأمة عاشت الحماسة .

اذا فالحماسة بمفهومها الأدبي للشعر الجاهلي تنطلق من خلال هذا التصور ، ولا تقتصر على جزء معين أو غرض معين من أدبهم .

ونحن بهذا نساير المفهوم اللغوي للحماسة وهو المفهوم ذاته الذي فهمه به العرب الذين هم أصل اللغة وأبناء بجدتها .

أما مفهوم المتأخرين من المتأدبين للحماسة وأنها تتعلق بالحرب والفخر وما شابهها فان العلاقة بين مفهومها اللغوي والأدبي تتبدى فسي مواطن وتتوارى في مواطن أخرى ، فهما يتدانيان من بعضهما حتى يصبحا مزيجاً من شي واحد - ويبتعدان أحياناً وتكبر الشقة بينهما .

فمن مواطن التقاء مفهومي الحماسة في اللغة والأدب ، الحسب والشجاعة ، والانفعال الشديد ، والافتتال وهذه المعاني اتفقت فيها المدلولات الأدبية واللغوية للحماسة .

أما مواطن الافتراق بينهما ، ففي الحرمة ، والوقوع في الضلال والهلكة ، والتشدد والورع في الدين وهي معان لغوية للحماسة بعيدة كل البعد عن مفهومها لدى المتأدبين ، فلم نجد مثلاً من يذكر أن الأعراس جزء من الحماسة ، أو أن الضلال والهلاك حماسة ، ولم أعثر فيما وقفت عليه على ناقد أدبي حكم على شعر ديني ينم عن التعصب والتشدد بأنه شعر حماسي .

ونختتم هذه الكلمات بسطور نبين فيها أن المعاني اللغوية التي استخلصتها من المعاجم وكتب اللغة للحماسة على تعددها تتصل بحياة العربي في بيئته ومقوماته في معيشته ، وكأنما حياته التي كان ينبض بها تستمد خفقاتها من مظاهر تلك الحماسة ومجالاتها . . حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من العرب ان كانت تسمى وتوسم بها .

وإذا كان الموضوع يتمحز للمنصفات في الشهر الجاهلي " فانه ليس غريباً أن تقوم الوشائج بين " الحماسة " و " المنصفات " فالشاعر الجاهلي الذي يضرب صفحا عن الذوبان في قبيلته ثم يعلو صوته ليشير الى مكانة قبيلة أخرى في الحرب أو الضرب كان شاعراً ذا دور خلاق أشبه ما يكون بانبثاقه ضوء في الدياجير والظلمات .

الفصل الثاني

و علاج الحمى والظرب

الحماسة والحرب

١ - للحماسة دور كبير وتأثير مهم في سيرة حياة العرب في الجاهلية ، فقد كانت واضحة في أخلاقهم وتصرفاتهم ، ان كان المثل الأعلى للعربي أن يكون ، كما يقول لقيط بن يعمر الايادي (١) :

لا مُتْرَفًا ان رَحَى العيشِ ساعده ولا اذا حَلَّ مكرهه به خَشَعَا
لا يطعمُ النومَ الا رِيثَ يبعثه همَّ يكادُ حشاهُ ينقَطِعَا
مَسَّهْدُ النومِ تَعْنِيهِ اُمُورُكُمْ يرومُ فيها على الاُعداءِ مَطَّلَعَا
ما اَنْفَكَ يَحْلِبُ هذا الدَّهْرَ اَشْطُرُهُ يكونُ مَتْبَعًا طوراَ و مَتْبَعَا
مُسْتَنْجِدًا يتحدَّى الناسَ كلَّهمم لو صارعوه جميعاَ في الوغى صَرَعاَ

وقد أدت الحماسة دورها ووظيفتها في الشعر الجاهلي ، ان كان أهم مهامها التغني ببطولات القوم وشجاعتهم ، ولا يبخل الشاعر على نفسه فيختصها بالفخر والبطولات .

(١) ديوان لقيط بن يعمر الايادي ص ٤٨ تحقيق عبد المعين خان ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان (١٣٩١هـ / ١٩٧١م)
ولقيط هو ابن يعمر بن خارجة ، شاعر جاهلي فحل ، من أهل
الحيرة ، كان يحسن الفارسية ، كان من كتاب " كسرى - سابور
ذي الأكتاف " والمطلعين على أسرار دولته ، ومن مقدمي تراجمته ،
وقعت قصيدته التي أنذريها قومه جيش كسرى في يد أوصلتها اليه
فقطع لسانه وقتله .
انظر ترجمته في ديوانه ورغبة الأمل ٩٩/٥ والمؤء تلف ١٧٥ والأعلام
٢٤٤/٥ .
يحلِبُ الدَّهْرَ اَشْطُرُهُ :: جرب أموره خيرها وشرها .
مستنجدا : جريئا .

وفي الموقعة كان للحماسة وللشعر الحماسي مسلكان يعبران عن

سيرها ، يتمثلان فيما يلي :

أ - في حالة النصر والظفر :

١ - يصف الشعر الحماسي المعارك التي خاضها القوم ويشيد بهم .

٢ - يصور مصارع الأعداء ، وتساقط أبطالهم ويذكر هزيمة الأعداء

واندحارهم ، ويتعقب بالوصف فلولهم العولية .

٣ - التفتني بأمجاد القوم وآثارهم .

الى غير ذلك من السبل التي تكفل للقوم هيبتهم ، وتبرز قوتهم

وشكيمتهم ورفيع أخلاقهم .

ب - في الهزيمة :

وأما اذا وقع المكروه ، وانهمز القوم ، واستحالت نشوة النصر الحلوة هزيمة

مريرة ، فان الشعر الحماسي لا يخذل القوم بل يقف بجانبهم مؤازرا وساندا ،

متخذاً في ذلك عدة سبل لرفع الروح المعنوية وشد العزائم منها :

١ - أن ينسب الهزيمة للحظ وحده ، الذي وقف في وجوه القوم حائلاً دونهم

والفوز المؤكد ، في مثل قول " خداش بن زهير " في حرب بين قيس

وقريش :

وكانت قريش يفلق الصخر جدها اذا أوهن الناس الجدود العواثر

(١) نسبته في المصليبات ٣٦٦ لعوف بن الأحمـوص

والضحاح نسبته لخداش بن زهير وانظر شعره

ص ٥٦٧ من مجلة كلية اللغة العربية / جامعة الامام محمد بن سعود

الاسلامية / الرياض ١٤٠٤ هـ .

وخداش من بني عامر بن صعصعة من هوازن وكنيته أبو زهير ، شاعر جاهلي

مشهور من شعراء قيس المجددين سجل الكثير من وقائع حرب الفجار

٢ - أو يصور الهزيمة وكأنها نصر مو^١ زرمخيا للعناد والمكابرة الزمام ،
فيذكر أن القوم خرجوا من الموقعة بعد أن أبلوا بلاء^١ عظيما
وخلفوا وراءهم جثثا وهاما . (١)

٣ - أو يعترف - ضمنا - بالهزيمة متوعدا ومزجرا بأن الأيام كفياسة
بأن يردوا الصاع بمثله . (٢)

٤ - واما أن يعترف - صراحة - بالهزيمة متعللا بالدهر وأحواله ، تميل
كفته عليهم حيناً وترجح حيناً ، فان هزموا في موقعة فليست آخر
الدنيا ، ولكن الأيام دول ، انتصارات وهزائم ، يقول " فروة بن مسيك
المرادي " (٣) :

ان نَهَزِمَ فَنَهْزَامُونَ قَدِمًا وان نَهَزِمَ فَنَهْزَامُونَ قَدِمًا
وَأَنْ نَهْزِمَ فَفَيْرٌ مَهْزَمِينًا

كذاك الدهرُ دولته سَجَالٌ مَنَايَا ودولةٍ آخِرِينَا

والعربي يكافح وينافح في سبيل عزة ومجد قبيلته وشرفها ، وميزان الشرف
عندهم في القوة والقدم والكثرة ، والفرسان والحكام والأجواد والشعراء ،

=== في شعره . قال عنه " أبو عمرو بن العلاء " هو أشعر من لبيد في

عظم الشعر . انظر طبقات ابن سلام ٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، والاشتقاق

٢٩٥ ، والأما ملي ٦٦/٢ والبيان والتبيين ١٨/٣ .

(١) انظر لذلك مثلا قصيدة " عبد المسيح بن عسلة في الفضليات ٣٠٤

وديوان سلامة بن جندل ١٦٠ وما بعدها .

(٢) انظر لذلك مثلا قصيدة " عامر بن الطفيل " يوم فيف الرياح ^{بوانه} ص ٦١

دار صادر بيروت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

(٣) الوحشيات / لأبي تمام ص ٢٨ تحقيق عبد العزيز الميعني .

وفروة شاعر مخضرم من الولاة ، وهو من اليمن كان في الجاهلية ماليا

لملوك كندة ، وقال هذه الأبيات في حرب كانت بين قبيلته مراد و

همدان وأثختن همدان في قبيلته ، وبقي الى خلافة عمر .

انظر ترجمته في طبقات ابن سلام ، والاصابة ٢٠٠/٣ ورغبة الآمل ١٠/٤ .

وكثرة السادة في العشائر والروء ساء في القبائل. (١)

ولما كانت الحماسة تعني الشدة ، افتخر العربي بمواجهة الشدائد ،
وتغلبه على الأهوال ، فان صبر على حر الصحراء ورمالها الملتهبة ، ومفاوزها
المهلكة فهو على غير أصبر ، على نحو ما يقول " سويد بن أبي كاهل
اليشكري " (٢) :

كَمْ قَطَعْنَا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهَا نَازِحَ الْغُورِ إِذَا الْآلُ لَمَعُ
فِي حَرُورٍ يَنْضَجُ اللَّحْمُ بِهَا يَأْخُذُ السَّائِرُ فِيهَا كَالصَّقَعِ

وكل شدة تهون سوى الموت والحرب ، اذ ان الحرب ميدان الموت ،
والأشعار الحماسية وقود الحرب توهجها يقول " عمرو بن كلثوم " (٣) :

مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمِ رِحَانَا يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلَهْوَتُهَا قُضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا

(١) انظر البيان والتبيين ١/٣٥٧ .

(٢) المفضليات ١٩٣ وسويد بن بني جشم من بكر بن وائل شاعر مخضرم
قرنه ابن سلام بعنتره . انظر طبقات ابن سلام ١٥٢ ، ١٥٣ وحماسة

الخالديين ١/١٣ ، ٢/١٧٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ .

المهمه : القفر . نازح : بعيد . الغور : معظم بعده .
الآل : السراب ، حرور : ريح حارة تكون بالنهار . الصقع :
حرارة تصيب الرأس .

(٣) شرح المعلمات للزوزي ١٧٣ ، والثفال : خرقه أو جلدة توضع تحت

الرحى ليقع الدقيق عليها . واللمهوه : قبضة من الحب تلقى في نم

الرحى . وعمرو بن كلثوم هو شاعر جاهلي معروف ، فاتك قاتل

عمرو بن هند ، ساد قومه فتى وعمر طويلا . ومات بالجزيرة الفراتية .

انظر ترجمته في المحبر ٢٠٢ والمرزباني ٢٠٢ وسمط اللالي ٦٣٥

والاغاني (كتب) ١١/٥٢ .

والشعر الحماسي يساير الجيش منذ خروجه الى حين عودته ظافرا
أو منهزما ، مصورا حركته وقوته وسرعته ، واقدامه على الموت لا تعرفه
رهبة أو خوف منه ، في مشهد يثير الفزع في قلوب الأعداء ويزرع الذعر
بينهم .

يقول " قيس بن الخطيم " (١) في قومه وتلبيتهم النداء واسراعهم
في الزحف :

رَجَالٌ مَتَى يُدْعَوُا إِلَى الْمَوْتِ يَرْقُلُوا

إِلَيْهِ كَأَرْقَالِ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ

ويقول جابر بن حنى التغلبي " (٢) يذكر كثرة قومه وشجاعتهم وهيبة
الأعداء لهم :

وَكَانَ مُعَادِينَا تَهْرُكَلَابُهُ مَخَافَةَ جَيْشِ ذِي زُهَاءٍ عَرْمَرَمِ

(١) ديوانه ٣٩ والارقال : الاسراع في السير ، والمصاعب : جمع

" مصعب " وهو الفحل من الابل يعنى من الركوب .

(٢) المفضليات ٢١٢ . هو من بني حارثة بن عمرو ، شاعر جاهلي قديم ،

كان مع امرئ القيس لما لبس الحلة المسمومة التي يعثها له قيصر

وكان جابر يحمله ، وفيه يقول امرؤ القيس :

فاما تريني في رحالة جابر على حرج كالقر تخفق أكفاني

انظر ترجمته في الكامل لابن الاثير ٢٣١/٢ والبيان والتبيين ٢٢٤/٣

والحيوان ٣٢٧/١ ، ٣٧٨/٦ ، وخرزانة الأدب ١٨٢/٤ ، ٤٠٩ .

بهر : من الهرير وهو صوت الكلب دون النباح .

زهاء : قدر . عرمرم : كثير .

وفي المجاهرة بالشريقول " بشر بن أبي خازم " (١) :

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا بشهباء لا يمسي الضراء رقيبها

وفي الكثرة والضخامة يقول " الجميح الأسدي " (٢) :

هَجَرَ يَغْضُ الْفَضَاءُ لَه سَيْفٌ يَمُورُ عَجَاجُهُ فَنَمُ

ويترجم العربي حماسته الى أفعال طموسة فلا يفر من الموطن ولا يصبر على

الضيم والظلم ويرى ذلك عجزا وجبنا وتخاذلا الموت خير له منه ، فالموت

آت لا محالة وانا كان الأمر كذلك فليكن يشرف وعزة ولتكن الحياة بمعبدة

عن الذلة والهوان ، يقول " المتلمس الضبعي " (٣) :

أَعَاذُ أَنْ الْعَرَاءَ رَهْنٌ مَنِيَّةٍ صَرِيحٌ لِعَافِي الطَّيْرِ أَوْ سَوْفَ يَرْمِسُ

فَلَا تَقْبَلَنَّ ضَيْمًا مَخَافَةَ مَيْتَنَةٍ وَمُوتَنَ بِهَا حَرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ

وما الناس الا ما رأوا وتحدثوا وما العجز إلا أن يضافوا فيجلسوا

(١) ديوانه ١٥ أي عطفنا لهم بمكروه وشر ، والضروس : الناقة السيئة

الخلق ، وهي هنا الحرب الشديدة ، والملا : الصحراء .

الشهباء : الكتيبة التي علتها ألوان الحديد . الضراء : ما وارك

من شجر ، يقلبها : ناظرها .

(٢) المفضليات ٣٦٧ . والجميح هو منقذ بن الطماح يرجع نسبه الى نزار

ابن معد بن عدنان ، أحد شعراء وفرسان الجاهلية يوم " شعب

جبله " وبه قتل أغار على ابل للنعمان بن ماء السماء ، انظر ترجمته

في المفضليات ٣٤ وخزانة الأدب ٢٩٦/٤ والاعلام ١٣٦/٢ .

(٣) ديوانه ١١٠ ومابعدها . عافي الظير : هو ما يطلب قوته بأكل

الجيف . يرمس : يدفن وتسوى عليه الأرض . والرمس هو القبر .

وجلدك أملس : أي لم يتعلق به دم .

ويحلو للعربي أن يباليخ في وصف حماسة قومه ويشبههم بالجن ، يقول
" لبيد بن ربيعة " (١) :

وَكثيرةٌ غُرَباًوُهُها مَجْهولةٌ تُزجِي نوافِلها وَيُخشى نَاصِها
غُلبٌ تَشذُرُ بِالذُحولِ كَأَنَّها جِنُّ البَدِيِّ رَواصِيا أَقْدامِها

ويمكن من خلال دراسة الحماسة ووجوه اثارها ووسائلها تقسيمها الى قسمين:

- ١ - حماسة ايجابية ، أو تحميس ايجابي .
- ٢ - حماسة سلبية ، أو تحميس سلبي .

والقسم الاول يتمثل في :

- أ - تحفيز الهمم وشحن العزائم .
 - ب - رفع الروح المعنوية ، حتى في حالة المهزيمة .
 - ج - الأناشيد الحماسية ، وخاصة من النساء لبث الغيرة في نفوس الرجال .
- وانالم تجد هذه الحماسة وهذه الوسائل نفعاً ، لجأ الشاعر الى وسائل أخرى تكون أنجح وأنجع وهذا هو القسم الثاني - الحماسة السلبية أو التحميس السلبي - ويتمثل في :

- أ - هجاء القوم بضعف الكلمة وفرقة الصف وبغيتهم على بعض . (٢)

- (١) ديوانه ص ٣١٧ النوافل : الغنيمة والظفر فيها .
وغلب : غلاظ الأُعناق ، تشذر : تهدد وتتوعد ، الذحول :
الأحقاء ، والبدى : واد لبني عامر .
- (٢) انظر لذلك مثلاً قصيدة "دى الأصبغ العدواني" في الاصمعيات
ص ٧٢ ، الحماسة بشرح المرزوقي ٢٣/١ وما بعدها .

ب - تعبير القوم بعدم التصرة نتيجة لضعفهم وهوانهم على غيرهم ، ومن ذلك أن بني زهل^(١) انتزعوا من " قريط بن أنيفا " وسلبوه ثلاثين بعيرا ، ولم يهب قومهم لنجدته ، فاستنجد " بيني مازن " الذين هجموا على " بني زهل " واستاقوا منهم مائة بعير ودفعوها لقريط ، فقال مشيدا بهم ويلمز قومه :

(٢)

لو كنت من مازن لم تستيح ابلي بنو اللقيطة من زهل بن شيبانا

ولم يكن الشاعر الحماسي يقتصر في تحميسه على القول فقط ، بل انه غالبا ما يشارك في المواقع بقوله وفعله ، واذا اقتربت الأقال الحماسية بالشجاعة كان صاحبها بطلا مجيدا .^(٣)

والشجاع عندهم على مراتب فان (الرجل اذا قاتل في الحرب ولم يحجم فهو الشجاع ، فان زاد فهو البطل ، فان زاد قالوا : بهمة ، فان زاد قالوا : أليس)^(٤) .

وكان العرب - في جمهورهم - على قدر كبير من الفروسية والبطولة ، وربما كان للحظ أثره في نباهة بعض الفرسان وشيوع ذكرهم وتواري قدر كبير منهم^(٥) .

(١) هم بطن من شيبان .

(٢) انظر القصيدة بتمامها في الحماسة بشرح المرزوقي ٢٣/١ وما بعدها وانفرد أبو عبيدة برواية هذا الخبر عنه .

(٣) انظر أقسام الشجاعة في نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٩٨ الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م بتحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة الكليات الازهرية / القاهرة .

(٤) الحيوان للجاحظ ٢٩١/١ .

(٥) انظر في ذلك الحيوان للجاحظ ١٠٣/٢ والبيان والتبيين ٢٠/١ .

وقد أفرزت الأيام والوقائع فرسانا ضربوا الأمثلة في الفروسية والبطولة (١)
والتقدم بشجاعة وجرأة على مواقف القتال ، ديدنهم قول الحصين بن الحمام
المرى * :

(٢)
فلسنا على الأعقاب تَدَمَى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدماء

ومن مغاويرهم ومشاهيرهم عمرو بن معديكرب الذي يقول :

(٣)
هم يندرون دمي وَأَنْتَ نَذْرٌ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدًّا

ولفرسان الحماسة مبادئ وأخلاق تليق بفروسيتهم ومكانتهم ، يقول زييد
الخيال الطائي (٤)
x

-
- (١) انظر فرسان العرب في العمدة لابن رشيق ١٩٢/٢ .
(٢) الحماسة / بشرح المرزوقي ١٩٨ وهذا البيت لم يذكر في المفضلية
رقم ١٢ صفحة ١١٤ مع انها على الروى والبحرذاته والبيت الثالث
في الحماسة هو نفسه في المفضلية باختلاف يسير .
(٣) ديوانه ص ٦٥ .
(٤) ديوانه ٥٥ - ٥٦ . هو زييد بن مهلهل الطائي كنيته أبو " مكنف "
لقب " زييد الخيل " لكثرة خيله كان طويلا جسيما من أجل الناس ،
شاعر محسن خطيب لسن ، كريم وقد على النبي صلى الله عليه
وسلم سنة ٩ هـ فأسلم وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم " زييد الخير "
توفي بعد سبعة أيام من اسلامه متأثرا بحمص شديدة ، وهو عائد الى
نجد موطنه في مكان يقال له " فردة " جمع الدكتور نوري القيسي ما تبقى
من شعره في ديوان مطبوع .
انظر ترجمته في ديوانه وشارالقلوب ٧٨ وخزانة البغدادى ٤٤٨/٢ .
والأعلام ٦١/٣ .

فلست اذا ما لاموت حُونِرَ وَرَدَهُ وَأُتْرِعَ حَوْضَاهُ وَجَمَحَ نَاطِرَهُ
بِقَافَةِ يَخْشَى الحُتُوفَ تَهَيَّبًا يباعدني عنها مِنَ القَبْرِ ضَامِرُهُ
ولكنني أغشى الحتوف بصعدتي مُجَاهِرَةً ان الكريم يُجَاهِرُهُ

فهو يترفع عن الغدر ويواجه عدوه مجاهرة .

و خليق بنا أن ننوه ههنا الى أن العربي في خضم حماسته و عنفوان
انفعاله ، كانت تبرق من خلال زمجرة رعوته ومضات انصاف .

٢ - وأما فيما يتعلق بالحرب فمعروف أن الصراع الأزلي بين بنى
البشر كان ولا يزال محتدما منذ فجر خليقتهم ، وأول نزاع في تاريخ البشر
كان بين ابني آدم عليه السلام ان تقبل الله قربان أحدهما ولم يتقبل من
الآخر فقال لأخيه * لا أقتلنك * (١) .

وقد ترجم تهديده الى حقيقة بقطوع له نفسه قتل أخيه فقتله ،
فأصبح من الخاسرين * (٢) .

ومنذ ذلك الوقت والصراع لا يزال مستمرا والدماء المسفوكة هنا أو هناك
على وجه البسيطة من آيات ذلك الصراع .

ويكاد الناظر الى تاريخ الحروب الانسانية يجزم بأنها جزء من طبيعة
الانسان المتأصلة ، ألم يقل الله سبحانه وتعالى : * ولو شاء ربك لجعل
الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) .
(٣)
والمتتبع لتاريخ هذه الحروب يرى أن كلا من الطرفين المتحاربين يريد

(١) سورة المائدة ٢٩ .

(٢) سورة المائدة ٣١ .

(٣) سورة هود ١٦٨ ، ١١٩ .

الفك بالآخر ، ويقطع بأن الحق معه لا يجاوزه الى الاخرين . وما ذلك الا اتباع للأثرة المغروسة في النفس البشرية حتى أصبحت جبله من جباله ، لا يقيم للحق والعدل وزنا في سبيل تحقيق مآربها .

ويكفينا أن نتأمل الآية الكريمة * وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم ما لا تعلمون * (١) .

ونزولا على ما تتقاضاه تلك الطبيعة في الانسان ، كان العرب ينشئون أولادهم على حب الفروسية والفتوة ان ما يكاد الناشئ فيهم يفتح عينه على الدنيا ، حتى يرى غبار المعارك ويسمع صليل السيوف ، وصهيل الخيل وأنات الجرحى والموتورين ، وتهلل المنتصرين ، فتصبح الحرب وعقابيلها جزءا من كيانه وشخصيته .

ويمكننا أن نطلق على المجتمع العربي الجاهلي من هذه الزاوية "المجتمع المحارب" وهي صفة تنطبق عليه تماما فأرضهم وسماؤهم وجبالهم وصحراؤهم وحرهم وقرهم وأخلاقهم جعلت منهم شعبا يقاوم المصاعب ويناوى الشدائد .

وكانت الحرب في الجاهلية سمة من سمات الحياة وضرورة من ضروريات معاش العرب ، بل انها قد تصل الى حد الضرورة القسوى للبقاء .

ويبين مدى التصاق العربي بالحرب ، ومعايشته لها أنهم يذكرون لها ولما تحتويه من فنون ، أسماء عديدة (٢) . وكانت القصص في نوادي العرب ،

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٢) انظر مثلا كتاب " كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ص ٢٠ لابي اسحاق

الأجدى الطبعة الاولى ١٣٢٣هـ المطبعة الخيرية القاهرة .

ومجتمعاتهم تدور أكثر ما تدور حول الأيام والوقائع والأبطال وأخبار انتصار القبائل، والاشادة بها، وانهزام قبائل أخرى وتعييرها .

وفي أيام السلم وعند المفاخرة، وعند أبواب الملوك كان القوم يتذاكرون أيامهم ويخطون برماحهم وقسيهم خطوطاً على الأرض تصويراً لسير المعارك يقول لبيد بن ربيعة :

نُشِينُ صِحَاحَ الْبَيْدِ كُلِّ عَشِيَةٍ
يَعُوجِ السَّرَاةِ عِنْدَ بَابِ مُحَجِّبٍ (١)

ولشدة اندماج العربي في الحرب كان يجعل له كنية خاصة في الحرب، فقد (كانت كنية عامرين الطفيل في الحرب غير كنيته في السلم، كان يكنى في الحرب "بأبي عقيل" وفي السلم "بأبي علي") (٢)

ولم يكن العرب يكرهون البنات ويريدون الأولاد إلا لمقامهم في الحرب (٣)

وكانت الوقائع والأيام هي مصدر فخر العربي، فإذا ما خاض حرباً أو شارك في قتال وضع نصب عينيه نصرته قومه وأن هذا مهمته ومجد قبيلته، ولم يكن العربي يهجو بشيء أقسى عليه من الهزيمة (٤)

-
- (١) ديوانه ص ١٩ بتحقيق د . احسان عباس الطبعة الثانية ١٩٨٤ م حكومة الكويت مصورة وانظر البيان والتبيين ٣٧١/١ نشين صحاح البيد :
أى تخط بأطراف قسينا، وهي عوج السراة . وباب محجب : أى الملك .
- (٢) البيان والتبيين ٣٤٢/١ .
- (٢) انظر مثلاً الحماسة بشرح العرزوقي ١٨٥١ ، والبيان والتبيين ١٨٥/١ .
- (٤) من ذلك قصة هجاء حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم لقريش . وكان هجاء حسان وكعب لهم وتعييرهم بالهزائم والقدح في أنسابهم أشد عليهم من هجاء ابن رواحة لهم بالكفر، قبل أن يسلموا، فلما أسلموا هان عليهم هجاء حسان وكعب وصعب هجاء ابن رواحة .

لذلك كان اليوم طويلا على المهزوم قصيرا على المنتصر . يقول زهير بن أبي

سلى :

(١) فظَلَّ قَصِيْرًا عَلَى صَحْبِيْهِ وَظَلَّ عَلَى الْقَوْمِ يَوْمًا طَوِيْلًا

ويقول " علقمة بن عبدة " (٢) :

فلم أريوما كان أكثر باكيا وأكثر مغبوطا يُجَلُّ وغابطا

ويعد العربي الحرب والثبات فيها مكرمة من مكارمه يفتخر بها في سياق

اعتداده بغضائه وشمائه الأخرى يقول " مالك بن أبي كعب الأوسي " (٣) :

معاذ الرهي أن تقول حليلتى ألا فرّعتي مالك بن أبي كعب

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا وأنجو اذا غم الجبان من الكرب

علق لجاري ما حبيت زمامة وأعرف حق الرفيق على الصّحب

ولا أسمع الندمان شيئا يُرئيه اذا الكاس دارت بالمدام على الشرب

وكان أبي في المحل يطعم ضيفه ويروى نداه و يضير في الحرب

ويمنع مولاة ويدرك تبلّاه وان كان ذاك التبل في مطلب صعب

وان ما منعت المال منكم لضنة فلا يهننى مالي ، ولا ينملي كسي

(١) ديوانه ص ٢٠٥ .

(٢) ديوانه ص ١٢٦ تحقيق لطفي الصقال ، درية الخطيب ، دار الكتب

العربية / حلب ، الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

(٣) الأشباه والنظائر / للخالدين ١٧/١ . ومالك هذا على ما أظن مخضرم ،

وهو قائل البيت المشهور في قصيدته هذه :

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا وأنجو اذا غم الجبان من الكرب

ويظهر من أبياته أنه قالها في الجاهلية ، وسماه البحترى في حماسه

مالك بن أبي كعب الأنصاري . انظر الخالدين ١٧/١ وحماسة

البحترى ٤٢ وسقط اللال .

والحرب عند العرب كان ينتظمها بعض الأعراف والتقاليد المرعية
تضفي عليها بعض التنظيم ونستطيع ايجاز اعراف العرب الهامة وتقاليدهم
في الغزو والحرب بما يلي :

- ١ - القبائل المتحالفة أو المتهادنة أو المتآخية والمجاورة لا يجوز
غزوها بعضها بعضا .
 - ٢ - القبيلة الظافرة تستاق ذراري ونساء وفرسان ومواشي القبيلة
المفلوبة .
 - ٣ - يصبح الأسير عبدا لآسره ان لم يفقد نفسه .
 - ٤ - قد يطلق الأسير ان كان شريفا بغير فداء ، وتجز ناصيته اكراما
له أو طمعا في نواله .
 - ٥ - الفداء معادل للدية ، ما لم يكن الأسير موفورا الثراء فيغالى في
فدائه وقد تصل الفدية الى ألف من الابل .
 - ٦ - عدم جواز القتال في الأشهر الحرم والاماكن المحرمة .
- وكما كانت لهم أعراف في الحرب فلهم أعراف وتقاليد في السلم نوجز
أهمها فيما يلي :
- ١ - المصاهرة بين القبائل ، فلم تكن علاقاتها ببعض تقتصر على الحرب
فقط .
 - ٢ - اكرام الضيف دون النظر الى أصله أو قبيلته ، أو عداوته وصداقته .
 - ٣ - اجارة من استجار بالقبيلة ، خوفا من بطش العدو وليأمن على نفسه
وماله وعياله .
 - ٤ - عقد أحلاف الجوار والمهادنة والمواخاة .
 - ٥ - اقامة الأسواق والمواسم ، حيث يفادى الأسرى وتؤخذ فديتهم ،
وكانت الأسواق ميدانا للتجارة والمفاخرة والمنافرة ، وانشاد الشعر .

ولم تكن حروب العرب في مجملها كما قد يتبادر الى الذهن خبط
عشوا ، فقد عرفوا نظام الكتائب والجيوش (١) ، والميمنة والميسرة ، يقول " عمرو
ابن كلثوم " في يوم " خزازى " (٢) :

(٣)
وكنا الأيمنين إذ التقينا وكان الأيسرين بنو أبنينا

ومن خططهم الحربية " الكمين " (٤) والريثة وهو الذى يستطلع أخبار
العدو ، يقول " ربيعة بن مقروم الضبي " (٥) :

ومرأة أوفيت حنح أصيلة عليها كما أوفى القطامي مرقبا

وكانت الكتائب تقف على أهبة الاستعداد انتظارا لأمر الرئيس بالقتال ، يقول
" مالك بن نويرة " (٦) :

(٧)
فقال الرئيس الحوفزان تبينوا بنى الحصن قد شارفتم ثم حردوا

-
- (١) انظر مثلا ترتيب العساكر في فقه اللغة / للثعالبي ٢١٩ - ٢٢٠ .
(٢) انظر خبر هذا اليوم والابيات في النقااض ٨٨٧/٢ .
(٣) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٨٢ .
(٤) انظر البيان والتبيين ٢٣/٣ .
(٥) شعر ربيعة بن مقروم الضبي / للدكتور نوري حمودى القيسى ص ١٢
مطبعة الحكومة / بغداد ١٩٦٨ م . وتالمفضليات ٣٧٧ .
(٦) هو أبو حنظلة ، شاعر فارس من أرداف الملوك في الجاهلية يقال له
(فارس ذى الخمار) والخمار فرسه كانت فيه خيلاء أدرك الاسلام
فأسلم وقيل ارتد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .
انظر خزانة البغدادى ٢٣٦/١ وشرح العيون ٤٤ ، والمحبر ١٢٦ ،
والنقااض ٢٤٧ وما بعدها .
(٧) العقد الفريد ٤٩/٦ . شارفتم : قاربتم . حردوا : تنحوا .

ويقول " زهير بن أبي سلمى " :

ينظر فرسانهم أمر الرئيس وقد
شَدَّ السُّرُجَ على أثابِجها الحُزْمِ (١)

ومن أساليبهم وتكتيكاتهم العسكرية " التضليل " وقد نجح العرب فـي
استخدامه ، إذ أن القوم المقصودين بالحرب أو الغارة ، إذا لم يجدوا فـي
أنفسهم القدرة على مقامة العدو رحلوا عن منازلهم ليلا ليـجيء العدو ، فلا
يجد سوى صفير الرياح وهدوء الصحراء . (٢)

ومن ذلك التظاهر بالفرار وسحب العدو الى مأزق ليفاجأ بكمين
أعد له باحكام ، فيؤخذ على حين غرة أو التحصن في واد مدخله ضيق
واستدراج العدو اليه وقطع خط الرجعة عليه والفتك به . (٣)

أما الغارة وهي مفاجأة القوم في دارهم فكانوا يحكمون خططها في
المسير الى من يقصدونهم بالغارة . وفي ذلك يقول زيد الخيل الطاشي :

بتنا نـزجـي نحوهم ضُمـرا
معرفة الأنساب من هـنـسـر
حتى صبحناهم بها غـدوة
نقتلهم قسرا على الضمـر (٤)

ولاختيارهم الصباح الباكر وقتله للغارة أسباب منها :

١ - أخذ القوم على حين غرة ، يقول " عنتر بن شداد " :

(١) ديوانه ١٥٩ .

(٢) ومن أمثلة ذلك يوم " الفروق " انظر خبره في أيام العرب في الجاهلية ٢٦٧ .

(٣) ومن أمثلة ذلك يوم " شعب جبلة " انظر خبره في أيام العرب في الجاهلية

٣٤٩ وما بعدها .

(٤) الأغاني (ثقافة) ١٧٤/١٧٤ وهذا البيت ما ليس في ديوان زيد الخيل

الذي جمعه الدكتور نوري حمودي القيسي .

نزجى : نسوق . ضمرا : هي الابل الهزيلة قليلة اللحم .

وما نذروا حتى غشينا بيوتهم
بغيبية موت مسبل الودق مزعفاً (١)

ويقول العرقش الأكبر :

فما شعر العري حتى رأوا
بياض القوانص فوق الغرر (٢)

٢ - سهولة اقتياد المواشي والأنعام بعد أن أخذت قسطها الكافي

من النوم والراحة ، وهي المقصودة) بالفارة غالباً .

بالإضافة الى أسباب أخرى لا أرى داعياً للاسترسال فيها (٣) . وكانت

غاية العزى من ذلك أن يشفى عليه بالثأر أو الدخول في منافسة القبائل .

وقد يكون من أهمها (الخصب الذي يدعو الى طلب الطوائل ، وغزو

الجيران والى أن يأكل القوى من هو أضعف منه) (٤) .

(يقول الشاعر :

ان الذئاب قد اخضرت برائتها
والناس كلهم بكر إذا شبعوا

يريد أن الناس اذا شبعوا هاجت صفائهم وطلبوا الطوائل والترات فسي

أعدائهم فكانوا لهم ككربين وائل لبني تميم) (٥) .

(١) ديوانه ١٠٦ تحقيق عبد المنعم شلبي ، المكتبة التجارية القاهرة .

(٢) الفضليات ٢٣٥ . والعرقش الأكبر هو عمرو بن سعد من ضبيعة

من بكر بن وائل من العتيمين الشجعان وكان يحسن الكتابة ولسد

باليمن ونشأ بالعراق واتصل بالحارث الغساني ومدحه ، وهو عم

العرقش الأصغر والأصغر هم طرفة بن العبد .

انظر ترجمته في الاغانى (دار) ١٢٧/٦ والمرزباني ٢٠٦ وخزانة

البغدادى ٥١٥/٣ .

القوانص : أعلى البيض بيض الحديد . الغرر : الوجوه ، أو أراة

السادة من الرجال .

(٣) انظر كتاب شعر الحرب في العصر الجاهلي ٨١ وما بعده .

(٤) البيان والتبيين ١٦١/٢ وانظر ايضاً ١٠٦/٣ وانظر مقدمة هذه الدراسة .

(٥) التنبيه على الأمالي / ١٨ .

وفي مجتمع لا يوء من الا بالقوة ، كانت الحروب والايام أهم الوسائل
لابراز هذه القوة ولردع من تسول له نفسه المساس بشرف القبيلة والقوم .
وليظهر للاخرين انه قادر على الهجوم غير عاجز عن الدفاع ، والظلم سبيل
لردع الظالم ، يقول زهير بن أبي سلى :

(١)
ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

لذلك كان الضعفاء عرضة لوقوع الظلم عليهم وطمع القبائل بهم ، اما القبيلة
التي كانت تبرهن على قوتها في المواطن فانها كانت مهابة لا يجروء
أحد على التعرض لها ، يقول النابغة الذبياني :

(٢)
تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى مريض المستنفر الحامي

قد تكون هذه الاسباب وما مثلها أسبابا ظاهرة . ولكن الغوص في أعماق
العربي من خلال دراسة النصوص التي وصلتنا تتيح لنا مجالا أرحب لسنعرف
أسباب الحرب عند العربي .

ولعل أهم أسباب الحروب تكمن في نفسية العرب المجبولة على الحرية
والاعتزاز بالذات ، اذ وجد الصحراء فسيحة أمامه مترامية الأطراف ، ورأى
الطير والوحش يسرح ويمرح في حرية تامة ، فكان لذلك اثره الكبير في ذاته
ونفسه ، وأنه أحق بالحرية وأجدر من سائر الكائنات بها ، فحشها وسرت
في دمه ، وتغلغل في كيانه وكره الذل وفضل الموت عليه .

(١) ديوانه ص ٣٠ .

(٢) ديوانه ص ٢٤٥ والمريض : مأوى الكلب وغيره من الدواب .

المستنفر : المستعد المتأهب . والحامي : المدافع .

ويمكن أن تضيف الى ذلك الكره المتبادل بين البدو والحضر، والاختلاف التاريخي بين عنصرى العرب، القحطانيين والعدنانيين، وعدم وجود سطة مركزية تحكم القبائل، فكل قبيلة ترى أنها هي الخصم والحكم .

وسواءً صغرت الحروب أم كبرت فإنها من المنظور النفسي تعتمد على الأسباب ذاتها، وما الفرق بين الحروب الصغيرة والكبيرة الا في الدرجة فقط . لذلك نجد العربي يصور شجارا بين عدة أفراد تستخدم فيه العصى والأحجار وكأنه ملحمة عظيمة .

وكان السلاح للعربي حصنا في مواجهة الأخطار المحيطة به .

وكانت أهم أدواتهم في الحرب السيف والرمح، ومطاياهم الخيل والابل والأقدام و () انما غلب على قتال العرب بالسيف والرمح لأنهما أدخل في السجد وأبعد من الفرار، وأدل على الصبر^(١) .

وربما استخدموا السوط والعصا والحجارة في حروبهم^(٢) .

وفي اعتزاز العربي بخيله وسلاحه يقول " أمية بن أبي الصلت"^(٣):

وأرصدنا لرُيب الدهر جُرْدًا لَهَا مِيعَاوِمًا نِزِيًّا حَصِينَا
وَخَطِيًّا كَأَشْطَانِ الرَّكَايَا وَأَسِيَا فَا يُقْمَنَ وَيَنْحِنِينَا

(١) كتاب العرب لابن قتيبة ٢٨٩ .

(٢) انظر البيان والتبيين ١٥/٣ .

(٣) ديوانه ٥٠٧ . وأمّية شاعر جاهلي مشهور، ثقفى حكيم من أهل الطائف . ومن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية ونبذ عبادة الأوثان كان مطلعاً على الكتب القديمة . منعه عن الاسلام مقتل ابني خال له في بدر ويقال أنه كان يطمع في النبوة .

انظر ترجمته في ديوانه وخزانة الأدب ١١٩/١ ، وسمط اللالى

ويقول " صخرالغي الهذلي " يذكر أبا المثلث الذي قتل صخر جاره فحرض قومه على الأخذ بدمه :

(١) ذلك بَزَى فلن أفرطَه
أخاف أن ينجزوا الذي وعدوا

وقد أُلِّفَ العربى الحرب والفتنة، حتى إنه لا يكاد يستمرى السلم - يقول الأُسعر الجعفي :

(٢) وإذا رأيت محارباً ومسالماً
فليبغني عند المحارب من بغي

وان لم يجد من يحارب كان درعا ومدافعا عن جنى جناية أو استجار به نفسه لا تهدأ الا اذا عارك أو عورك .

====
والاعلام ٢٣/٢ . لهامينا : عددا كثيرا . وماذا : دروعا لينه .
وخطيا : الرماح الخطية . أشطان الركايا : حبال البئر التي يدلى بها .

(١) شرح أشعار الهذليين ٢٥٩ . وانظر في ايثار الخيل وغناءها في الحرب : البيان والتبيين ٣/٣١٦ .

وصخرالغي هو ابن عبدالله الخيشي ، شاعر جاهلي لقب بصخر الغي لخلاصه وشدة بأسه وكثرة شره قتل في غارة له على بني المصطلق من خزاعة . انظر الاغاني (دار) ٢٢/٣٤٤ - ٣٥٠ . وشرح أشعار الهذليين للمسكري ٢٥٩ وديوان الهذليين ٢/٦١ .

(٢) الأسمعيات ١٤٢ . والأُسعر الجعفي هو مرثد بن أبي عمران الجعفي شاعر جاهلي لقب بالأُسعر لبيت قاله وهو صاحب المقصورة فـي الأسمعيات والوحشيات .

انظر ترجمته في الموء تلفا ٤٧ والسمط ٩٤ والاشتقاق ٢٤٣ والمزهر ٢ : ٣٤٨ والوحشيات ٤٣ والأسمعيات ١٤٠ ، واللسان والتاج (سعر) .
والاعلام ٢٠١/٧

والحرب موطن القتل وازهاق الأرواح ، وكان العرب يكرهون الموت
على الفراش ، ويعدون ذلك خمولا في الشرف وضعة في المحتد ، وكان
القتل في ساحات القتال وميادين الشرف مصدر فخار العربي واعتزازه يقول
عمرو بن شأس :

(١) لَسْنَا نَمُوتُ عَلَى مَضَاجِعِنَا
يَا لَيْلُ بَلْ أَدَاوْنَا الْقَتْلُ

ويقول " السموءل بن عادياء " :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَيْتَةً
إِذَا مَا رَأَتْهُ عَائِمٌ وَسَلُولُ
يَقْرَبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَانَا لَنَا
وَتَكْرَهُهُ أَجَالَهُمْ فَتَطُولُ
(٢) وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَّى حَتَفَ أَنْفَهُ
وَلَا طَلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

ويقول " دريد بن الصمة " :

(٣) أَبِي الْقَتْلُ إِلَّا آلَ صِئَمَةَ إِنَّهُمْ
أَبَاوَا غَيْرِهِ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ

(١) الأمازي ٢٦٩/١ . وعمرو بن شأس من بني أسد ، وكنيته أبو عرار
شاعر مخضرم أدرك الاسلام وأسلم عده ابن سلام من الطبقة العاشرة
من فحول الجاهلية كان ذا قدر وشرف في قومه ، انظر ترجمته في الأغاني
(ساسي) ٦٠/١ والمرزباني ٢١٢ وطبقات ابن سلام ١٦٤-١٦٨ .
والأعلام ٧٩/٥ .

(٢) ديوانه ص ٩١ والأمازي ٢٦٩/١ مع تقديم وتأخير في الرواية والأبيات
والسموئل هو ابن عريض بن عادياء ، مضرب المثل في الوفاء في قصة طويلة
مشهورة وهو صاحب الأبلق الفرد حصنه في تيماء ، شاعر جاهلي حكيم
انظر ترجمته في الجمحي ٢٣٥ والمرزوقي ١١٠/١ والأصمعيات
٨٢ والمحرر ٣٤٩ وسمط اللالي ٤٩٥ وخزانة الأدب ٥٦٥/٣ .
له ديوان شعر صغير مطبوع .

(٣) ديوانه ص ٦٤ ودريد هو الشاعر الجاهلي المشهور ، من الشجعان

وللعربي نظرتة الخاصة الى الحياة والموت فهو يعلم يقينا أن الاقدام
قتال ورغم ذلك يعتز ويفتخر بشيعة الاقدام حتى وهو وجود بنفسه ، يقول
" مالك بن حطان " وهو يحتضر في أرض المعركة (١) :

لعمري لقد أقدمت مقدم حارد ولكن أقران الظهور مقاتل
فهو يرى الحرب ميدانا لتساقى كتوس الحمام يشرب منها الطرفان ، وما اقدمه
على الموت الا طلب للمجد حيث سيان عنده الموت والحياة ، وقد وضع روحه
على كفه ، يقول مفروق بن عمرو الأصبم :

(٢) فَلَاطِبُيْنِ الْمَجْدِ غَيْرُ مَقْصَرٍ
إِنْ مِتُّ مِتُّ وَإِنْ حَيِّتُ حَيِّتُ

====
الأبطال المعمرين ، غزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها ،
ادرك الاسلام ولم يسلم وقتل يوم حنين ، قتله ربيعة بن ربيع
السلمي .

انظر ترجمته في الاغانى (كتب) ٤٠-٣/١٠ والمحبر ٢٩٨-٢٩٩
والخزانة ٤/٤٤٦٠ .

(١) انظر خبر يوم (قشادة) في النقااض ١ / ١٩ والابيات ص ٢٢ وأيام
العرب في الجاهلية ٢٠٤ .

ومالك بن حطان من بني عبيد بن ثعلبة بن يربوع ، فارس شاعر
جاهلي يقال له " ابن الجرمية " وهي أمه جرحه بسطام بن قيس الشيباني
يوم قشادة فعاشر سنة ومات . وقيل مات في أرض المعركة .

انظر ترجمته في النقااض ١٩ وما بعدها ، الموء تلف ٩٠ ومعجم الشعراء
للعرزياني ٣٦٣ والاعلام ٥ / ٢٦٠ .

وحارد : قاصد ثابت للقتال ، الظهور : النصر .

(٢) الموء تلف والمختلف ٤٣ / ٠٤٣ ومفروق فارس شاعر جاهلي ، وأبو شاعر ،
ومفروق أشعر ، كان من أغار على السواد بعد مقتل النعمان بن المنذر

====

ويقول "أمية بن أبي الصلت" :

(١) وَفَتِيَانًا يِروُنَ القَتْلَ مَجْدًا وَشَيْبَا فِي الحُرُوبِ مَجْرَبِينَا

وان لم تأته منيته في ميادين المجد ، فلا بد أن تأتبه يوما ، فالموت آت لا محالة ، وليكن في ساحات الحرب أشرف موتة ، لا أن يعيش حياة الموت خيره منها ، ولنتأهل قول "عدى بن الرعلاء الغساني" :

ليس من مات فاستراح يَمِيتِي إِنَّمَا المِيتُ مِيتُ الأَحْيَاءِ
(٢) إِنَّمَا المِيتُ من يعيش ذليلاً سَيِّئًا بِالهُ قليلَ الرَّجَاءِ

وقول مالك بن نويرة اليربوعي :

ولقد علمت لا محالة أننى للحادثات فهل تَرِينِي أجزع
أَفْنِينَ عادًا ثم آلَ مَحَرَّقِ فتركَنَهُمُ بُلْدًا وما قد جَمَعُوا
ولهن كان الحارثان كلاهما ولهن كان أخو المصانع تُبَّعِ
فعددت آباي إلى عِرْقِ الثرى ودعوتهم وعلمت أن لن يسمعوا
(٣)

==== أدرك الاسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم قتل يوم "الاياد"

ودفن في ثنية عرفت فيما بعد بثنية مفروق .

انظر ترجمته في الموء تلف ٤٢ ، ٤٣ ، والمرزباني ٤٧١ والنقائص

٥٨١ - ٥٨٢

(٢) ديوانه ٥٠٧

(٢) الاصمعيات ١٥٢ وعدى بن الرعلاء ، غساني والرعلاء أمه ، شاعر

جاهلي حكيم انظر ترجمته في الاصمعيات ١٥٢ وخزانة الأدب

١٨٨/٤ والمرزباني ٢٥٢ والاشتقاق ٢٨٦

(٣) حماسة البحتري ٨٥

ولا يأمن الدهر وتقلبته الا من غرته نفسه ، يقول " عدى بن زيد " (١) :

أَيُّهَا الشَّامُتُ المَعْيِرُ بِالْـ مدهر أنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من ال أيام بل أنت جاهل مفرور

ويقول " عنتره بن شداد " :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الحُتُوفَ كَأَنفِي أصبحت عن غرض الحُتُوفِ بِمَعْرَلِ
فَأَجِبْتُهَا إِنْ العِنِيَةَ مِنْهَلِّ لا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ المِنْهَلِّ (٢)

وقد قسم العرب دهرهم شطرين على حد قول " سلامة بن جندل السعدي " :

يومانِ يَوْمِ مَقَامَاتٍ وَأُنْدِيَّةٍ وَيَوْمِ سَيْرٍ إِلَى الأَعْدَاءِ تَأْوِيْبِ (٣)

فلا ينتهون من حرب حتى يستعدوا لغيرها ، يقول " دريد بن الصمة " :

يُفَارُ عَلَيْنَا وَاتْرَيْنَ فَيُشْتَفَى بِنَا إِنْ أُصْبْنَا أَوْ نُغَيَّرَ عَلَى وَتَرِ
بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً فَمَا يَنْقُضِي إِلاَّ وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ (٤)

(١) ديوانه ٩١ وانظر حماسة البحري ٨٦ .

وعدى بن زيد العبادي التميمي ، شاعر من دهاة الجاهليين ، من أهل الحيرة أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى ، تزوج هند ابنة النعمان وأوقع بينهما فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة . له ديوان شهر مطبوع ، انظر ترجمته في الخزانة ١٨٤/١-١٨٦ والاغانى (دار الكتب) ٩٧/٢ وشعراء التصرانى ٤٣٩ ورغبة الآمل ٣٩/٢ و ٤٠ والمرزباني ٢٤٩ .

(٢) ديوانه ١٢٠ .

(٣) ديوانه ٩٤ وتأويب : سير يوم الى الليل .

(٤) ديوانه ص ٦٥ .

ولا تقف معتقداتهم الدينية حائلا بينهم والاندفاع للقتال ، يقول عوف
ابن عطية * :

نوم البلاد لحب اللقا . ولا نتقي طائرا حيث طارا
سنيحا ولا بارحا ان جرى ونرجو هناك بهن اليسارا (١)

واذا لم يجدوا من يحاربون الا اقرباء هم وذوي رحمهم لم يتورعوا عن
حربهم (٢)

وكان الرجل يمتدح بأنه كذلك الذي قاله " أعشى باهله " في
رثائه أخاه لأنه " المنتشر بين وهب " وهو يعدد مناقبه في حياته :
لا يأمن الناس مساء ومصبحه من كل فج اذا لم يغز ينتظر (٣)

ولم تكن الحرب مجرد انطلاقة ترويحوية يقوم العربي على ظهر خيله ، وانما
اصطلى بنارها ، واكتوى بحرها ، واشتكى من وطأتها عليه و على فكره وجسده
ومشاعره ، يقول " عمرو بن معديكرب " :

أشاب الرأس أيام طُوال وهم ما تبلغه الضلوع
وسوق كتيبة دلفت لاخرى كأن زهاءها رأس صليع

ومنها قوله :

واسناد السنة نحو نحري وهز المشرفية والوقوع (٤)

- (١) المفضليات ٤١٥ والسنج عند أهل الحجاز: ما أتى من اليمين والباح :
ما أتى من اليسار وعكس ذلك عند أهل نجد .
(٢) وأمثلة ذلك كثيرة وأهمها حرب دا حن والغبراء ، وحرب البسوس ،
وحروب الأوس والخزرج .
(٣) الأصمعيات ٩١ .
(٤) ديوانه ١٤٩ ، ١٤٢ ورأس صليع : جبل لا نبت عليه ، والوقوع :
المواقعة والقتال .

ولا ينجي من الغمرات الا الثبات والجلد ، ولا يفرج كربتها الا الصبر ،
(*)

يقول " نهشل بن حرى بن ضمرة " يصف يوما عصيبا :

ويومٍ كأنَّ المصْطَلينَ بحسْرِهِ وإنَّ لم تكنْ نارَ قيامٍ على الجَمْرِ
صبرنا له حتَّى يَبُوحَ وإنما تفرَّجُ أيامُ الكَرْهيةِ بالصَّبْرِ (١)

ويقول " بشر بن أبي خازم الأسدي " :

ولا يُنجي مِنَ الغَمَرَاتِ إِلَّا بُرَاكًا الْقِتَالِ أَوْ الفِرَارِ (٢)

وقد اشتكى كثير من الشعراء الجاهليين وذكروا أهوال الحرب ومخاطرها

ووطأة ثقلها عليهم ، ولحظات القتل وشررها ، ونارها ، وخطرها وكربتها ،
(٣)

واقشعرار الأبدان فيها ، ولذلك لقب " ذو الرقيبة البكري المرى "

بالمقشعر (لأنه كان اذا حضر حربا اقشعر) .
(٤)

(*) وهو شاعر دارمي مخضرم من خير بيوت دارم ، وهو شاعر وأبوه شاعر وجده
شاعر يتوالى شرفه الى جده السادس . انظر ترجمته في الشعر والشعراء
٦١٩ وتنويه ابن سلام به وبأسرته في طبقاته ٥٨٣ / ٥٨٤ والا اعلام ٤٩ / ٨ .

(١) الحرب والفروسية من عيون الاخبار لابن قتيبة / ٧٣ - ٧٤ .

هوشق بكسر الشين بن ضمرة بن جابر النهشلي ، سماه النعمان
ابن المنذر (ضمرة) اعجابا به وكان فارسا شريفا سيدا شجاعا
فصيحا ، وهو صاحب يوم " ذات الشقوق " انظر ترجمته في النقاغص
١٣٩ وسمط اللالي ٤٣٥ ، ٥٠٣ ، ٩٢٢ والمبداني ٣٣ / ١ وبلغ
الأرب ٢٩٧ / ١ - ٣٠١ .

ويبوخ : أى يسكن ويفتر .

(٢) ديوانه ٧٩ والغمرات : الشدائد ، وبراكاء - بفتح الباء وضمها

أن يثبت في القتال ولا يبرح .

(٣) انظر لذلك مثلا : ديوان قيس بن أبي الاسلت ٧٨ ومابعدها وديوان

عترة ١٢١ ، ١٥٢ والعقد الفريد ١٦ / ٦ وأيام العرب ٢٦١ والحرب

والفروسية ٧٢ ومابعدها ، وديوان عمرو بن معديكرب ٥٢ ومابعدها

وديوان دريد بن الصمة ٤٨ والمفضليات ٧١ والتنبيه على الأمالي

٤٠ والموء تلف والمختلف ١٨٤ .

(٤) معجم الشعراء للمرزباني ٤٩٦ .

وقد تعارف العرب على تسمية هذه الحروب والوقائع بينهم بالأيام ،
وبهذه الأيام مضى العرب يفتخرون وينافرون ويتذكرون في الأسواق والنوادي
والمجتمعات ، وربما كان ذلك ما لفت نظرهم رخي الحياة العربية في الجاهلية
الى الاعتماد عليها في تصوير مشاعر العرب وعواطفهم ، لما أودعه العرب فيها ،
فكانت بذلك مصدرا ثرا لمعرفة حياتهم .

وأيام العرب كثيرة يقول " حاجي خليفة " ، صاحب كشف الظنون : إن
" ابا عبدة كتب كتباين عن الايام احدهما صغير وفيه خمسة وسبعون يوما
والاخر كبير فيه الف ومائتا يوم وإن أبا الفرج الأصفهاني كتب كتابا يحتوى
على ألف وسبعمائة يوم (١) .

وهذه الأيام يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام :

- أ - ما نتج عن نزاعات وخصومات وتارات وتراث ، فيتهياً كل طرف للقاء
الآخر ويستعد للحرب وهذا هو الغالب على أيام الجاهليين .
- ب - ما كان مفاجأة وهو ما يعرف بـ " الغارة " .
- ج - أيام بسيطة كانت عبارة عن خصومات ومناوشات فردية لا تنتهي الى
حرب .

(١) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ٢٠٤ / ١ لحاجي خليفة / دار

الفكر ١٤٠٢ هـ / ٢٠١٩ م

دوافع الحماسة

وانما تطرقت ببعض التفصيل الى ذكر الحروب والأيام عند العرب لأنها كانت أبرز مظاهر حياة العرب ، وأكثر دوران شعرهم عليها ، ولأنها لصيقة بالحماسة التي ضوأت أبعادها .

وانا كانت الحماسة كما تقدم تشمل معاني كثيرة فان أظهر معانيها وأكثرها تبادرا الى الذهن الشجاعة والاقدام في الحرب ، ومن الأهمية - في تقديري - أن أتطرق الى الحماسة عند العربي في جاهليته ، فذلك فوق أنه يميز تفردة عن غيره من الأمم الأخرى ، يكشف عن طغيان الحماسة على شخصيته ، حتى كانت تصبغ سلوكه وتعامله مع الآخرين من محيط قبيلته أو غيرها .

وكان مما أوج الحماسة في نفس العربي الجاهلي ، وأذكى نارها بين جنياته معان ارتبطت في حياته بحسن الأحدثة والذكر كما ارتبطت بقبيلته التي يدور في فلكها ، ولعل من الأوفق - هنا - أن نشير الى تلك الدوافع في تحديد أدق وأن نبرزها فيما يأتي :

١ - منظر الجيوش الزاحفة الى ميدان القتال ، يقول " النابغة الذبياني ":

مستحقي حلق الماذي يقدمهم	شم العرانيين ضرابون للهام
لهم لواء بكفي ماجد بطل	لا يقطع الخرق الا طرفه سام
يهدى كئيب خضرا ليس يعصمها	الا ابتدار الى موت بالجام (١)

(١) ديوانه ٨٣ ، ٨٤ .

مستحقي حلق الماذي : حاملين في حقائبهم ، والماذي : الدروع اللينة . شم العرانيين : أعزة كرام . طرفه سام : أي ليس بكليل البصر . الخرق : الأثر الواسعة التي تنخرق فيها الرياح . الخضر : السود من كثرة السلاح . يعصمها : يمنعها .

٢ - منظر النساء وهن يمشين خلف الصفوف ييثثن الحماسة في قلوبهم ،
ولا تفترا سنتهن عن الحدو والنشيد الحماسي ، يقول " بشر بسن
عمرو بن مرشد " : (١)

بل هل ترى طُعناً غيرَ مَقْفِيَةٍ لها تَوَالٍ وحادٍ غيرَ مُسْبوقٍ
يأخذن من مُعْظَمِ فِجَاءِ بِمَسْهَلَةٍ لِيْزْهُوهِ من أَعَالِي البُسْرِ زَحْلُوقِ
حَارِبِينَ فِيهَا مَعَدًّا وَاَعْتَصَمْنَ بِهَا اذ أَصْبَحَ الدِّينُ دِينًا غَيْرَ مَوْثُوقِ

٣ - قتل شريف من سادة القوم ، ففي يوم " بطن عاقل " قتل " خالد بن جعفر
ابن كلاب " ثارا لزهير بن جذيمة العبسي - فقال عبدالله بن جمعة :
(٢)

فلنقتلن بخالدي سرواتكم ولنجعلن للظالمين نكالا
فاذا رأيتم عارضا متلببا منا فانا لا نحاول مالا

- (١) المفضليات ٢٧٥ . وبشر هذا من بني ضبيعة بن قيس من بكر بن
وائل من نزار ، شاعر جاهلي قديم . انظر ترجمته في المفضليات ٢٧٤
وحماسة البحتري ١٨١ .
- تحدي : تساق ، مقفية : مولية ، توال : توابع ، معظم : مكان بعينه
فجا : طريقا ، المسهلة : النخل التي أسهلت ألوان بسرها من أحمر
وأصفر . الزهو : البسر الملون . زحلوق : تساقط . الدين : العادة أو واحد
أديان أو الطساعة .
- (٢) أيام العرب في الجاهلية ٢٤٤ ومن ذلك حرب البسوس التي كانت
ببصحب مقتل " كليب " واشترك الحارث بن عباد فيها وكان معتزلا
لها بعد مقتل ابنه بجير وعبدالله بن جمعة من بني كلاب لم أجد
له ترجمة ولا ذكر سوى خير عنه في الكامل لابن الأثير ١/٣٣٨ .

٤ - حال العدو والبائسة بعد الموقعة ، ان كانت نشوة النصر قماملاً
العربي حماسة ، فيباهي بقومه وما صنعوه بأعدائهم وأنهم تركوهم جنباً
هامة جزراً للسباع والنسور ، وأنهم طحنوهم كما تطحن الرحى الحب ،
الى غير ذلك من الأوصاف التي تنبئ عن التشفي بهم .

٥ - الدعوة الى الأخذ بثأر القتيل ، ان أخذ القوم الدية عنه ، وأن روح
القتيل تظل تطلب الماء ، ولا يهدأ لها بال حتى تأخذ بثأرها ، من ذلك
قول " كيشة " أخت عمرو بن معد يكرب :

وأرسل عبدالله ان حان يومه الى قومه لا تعقلوا لهم دي
ولا تأخذوا منهم أفالاً وأبكاراً وأترك في بيت بصعدة مظلم (١)

٦ - فشل الغارة لانكشاف سرها ، ويعبر عن هذه المرارة والأسى " عامرين
الطفيل " لما فشلت غارته على " خثعم " ان أذرتهم " سلول " في أبيات
له (٢) :

(١) الأمازي للقالبي ٢٢٦/٢ وانظر النوادر ١٩٠ وكيشة شاعرة صحابية
مخضرمة ، وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم مع ابنتها معاوية
ابن جريح " الصحابي المعروف ، وهي عممة الأشعث بين قيس
انظر ترجمتها في الحماسة للمرزوقي ٢١٧ وسمط اللالي ٨٤٨ ،
والاصابة كتاب النساء ترجمة ٩١٩ والامالي ٢٢٦/٢ ، والبحترى
٠٢٨

وأفال : جمع افيل وهو الصغير من الابل والغنم ، وصعدة : مدينة
باليمن .

(٢) ديوانه ٩٨ ، ٩٩٠ .

يا لهني على ما ضلَّ سعيي وسيرى في المهاجر ما أقيئلُ
فإن الحيَّ خثعمُ أحرزتهمُ رماحهمُ وتُنذرهمُ سلولُ
بمُخرَجنا فلا تخفى عليهم ويأتيهمُ بمورتنا الدليلُ
ولو أني أطعتُ لكان منِّي لعدركِ أكلبِ يومَ طويلُ
ولكني عصيتُ وكان جهلاً بهم ألا يبألوا ما أقول
يلومني الذين تركت خلفي ويعصيني الذين بهم أصولُ
(١)
(٢)

٧ - والاساءة دافع من دوافع الحماسة ، وكانت الاساءة الى الحليف تعتبر اساءة مباشرة الى القوم وقد اجتمعت هاتان الاساءتان لما ترك " النابغة الذبياني " اشارة " زرة بن عمرو " عليه بترك " حلف بني أسد " وأبى النابغة الغدر ، فتوعده زرة وهدده ، فقال النابغة من أبيات له :
(٣)

نبئتُ زرةً والسفاهةُ كاسمها يُهدى الى غرائب الأشعارِ
فحلفتُ يا زرعُ بن عمرو أنني ما يشقُّ على العدوِ ضرارى
... الخ

٨ - تعالي المنتصر على المهزوم / صبرا ويبدأ بالتهديد والوعيد بيوم ينسى المتفطرس سالف أيامه .

- (١) أحرز : منع .
(٢) أصول : أحارب .
(٣) ديوانه ٤٥ هـ غرائب الأشعار : أى ليس من أهل الشعر ،
والضرار : الدنو واللصوق .

ومن هذا القبيل قول " عامر بن الطفيل " في يوم " الرقم " يرفع

من شأن قومه المنهزمين ويفخر بشجاعته وفروسيته ، ويتوعد الأعداء : (١)

وَلتَسْأَلُنَ أَسْمَاءَ وَهِيَ حَفِيَّةٌ نَصَحَاءَ هَا أَطْرَدْتُ أُمَ لِمَ أَطْرَدُ
قالوا لها : أَنَا طَرَدْنَا خَيْلَهُ قَلِحَ الْكِلَابِ ، وَكُنْتُ غَيْرَ مَطْرَدٍ
فَلَا يَفِينُكُمْ الْمَلَأَ وَعَوَارِضًا وَلَا يُرِدُنَّ الْخَيْلَ لَابَةَ ضَرْغَدٍ

٩ - الصراع مع القرن ولحظات الاقتتال والفتك ، وعن لحظات المقارعة

والظفر بالقرن يقول " عنتر بن شداد " :

وَقَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ لَدَى مَكْرٍ عَلَيْهِ سَبَائِيَا كَالأُرْجُوَانِ (٢)

وقد تصيب الطعنة العدو ، فلا يدري أقتله أم انه لا يزال به رفق ، ولا تخلو

إشارته من لمحة انصاف يقول : " يزيد بن سنان بن أبي حارثة المرى " في

أبيات له :

فَلَمْ أَنْكُلْ وَلَمْ أَجِينْ وَلَكِنْ يَمْتُ بِهَا أبا صخر بن عمرو

ومنها : فَنَ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفُثْ عَلَيْهِ وَأَنْ يَهْلِكَ فَذَلِكَ كَانَ قَدْرِي (٣)

(١) ديوانه ٥٦،٥٥ ، ٥٧ . أسماء : بنت قدامة بن سكين الفزاري .

حفية : بارة مشفقة . القلح : صفة تعلوا الأسنان ، وقلح الكلاب
ذم لبني فزارة . الملا ، وعوارض ، ولا بة ضرغد : مواضع .

(٢) ديوانه ١٢٩ .

(٣) المفضليات ٧١ ، ويزيد هو " أبو ضمرة " وهو المقشعر ، فارس

" وجزة " من السادات في الجاهلية ، ورئيس " بني مرة بن عوف "

في حروبهم مع بني " تيم بن عبد مناة " وحلفائهم ، وهو أخو

" هرم بن سنان " ومدوح زهير بن أبي سلمى . شاعر جاهلي

١٠ - وإذا مني القوم بهزيمة ، فإنها دافع من دوافع حماسة العربي وعناده ومكابرتة ، ويتمثل ذلك في المواقف التي يتخذها حال الهزيمة ويمكن تلخيص بعضها فيما يلي :

- أ - عدم القبول بالهزيمة ، ورفض الاعتراف بها وانكارها . (١)
- ب - الاعتراف - الضمني - بها والتهوين من شأنها . (٢)
- ج - تهديد الأعداء وتوعددهم بالثأر والانتقام . (٣)
- د - تسويقها والتنصل منها لوقوف عدة ظروف دونهم والفوز ، ومنها : كثرة العدو (٤) أو نفار الحصان واعتلال الفرس (٥) وغير ذلك .
ومن الطريف الذي يتذرع به قول " سلامة بن جندل السعدي " (٦)

عجلتم علينا حجّتين عليكم^(٧) وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

=== قديم عاصر النابغة الذبياني الذي قال فيه :

- جمع محاشك يا يزيد فأنني أعددت يربوعا لكم وتميما
انظر ترجمته في المفضليات والنقائض ١٠٦٨ وأنسب الخيل لابن
الكلبي ٦٩ طبعة دار الكتب ١٩٤٦ .
شككت : طعنت وقطعت . مجامع الأوصال : مواضع اتصالها .
نافذة : صفة الطعنة . أنفت عليه : أرقبه .
- (١) انظر قصيدة عامر بن الطفيل يوم " فيف الريح " في ديوانه ٦١ .
 - (٢) وكذلك قصيدة عامر بن الطفيل في ديوانه ٧١ .
 - (٣) وأيضا قصيدة عامر بن الطفيل " يوم الرقم ديوانه ٥٥ .
 - (٤) انظر ديوان عامر بن الطفيل " ٦٥ .
 - (٥) انظر الحاشية بشح المرزوقي ٦٢٠ وحماسة البحترى ٤٤ .
 - (٦) ديوانه ١٨٤ وما بعدها .
 - (٧) حجّتين : يذكرهم بالهزيمة يومي ملزق والمروت .

هو الكاسر العظم الامين وما يشأ من الأمر يجمع بينه ويفرق
هو المدخل الضمان بيتاً سماؤه نحو الفيول بعد بيت مسردق
وبعد مصاب العزن كان يسوسه ومال معد بعد مال محرق
له فخمة ذفراء تنفى عدوه كئكب ضاح من عماية مشرق (١)

هـ - تواكل القوم وتخاذلهم ، واقدام الأعداء وتصميمهم على الظفر ،
يقول " مالك بن حطان التغلبي " : (٢)

وما ذنبنا أنا لقينا قبيلة اذا واكلت فرساننا لا تواكل

و - انصاف المنتصرين ، وحماسة مقاومتهم ، في مثل قول " ولة بن الحارث

الجرمي " يوم الكلاب الثاني :

ولما رأيت الخيل تترى أثناعباً أيقنت بأن اليوم أحسن فاجر (٣)

(١) مسردق : له سرادق وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط .

ومصاب العزن : المحل الذي ينزل فيه المطر ، فخمة : كتيبة ،

ذفراء : سهكة من ربح الحديد ، ضاح : ما برز للشمس ،

وعماية : جبل .

(٢) أيام العرب في الجاهلية ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) المفضليات ١٦٤ . وتسير قصيدته في المفضليات لابنه الحارث بن

ولة والصحيح نسبتها له ، وهو الذي حضر وقعة يوم الكلاب الثاني

كما في النقائص . وولة وابنه من سادات قضاة وفسانها وأنجادهما

وأعلامها وشعرائها . انظر ترجمة ولة في المفضليات ١٦٤ والنقائص

١٥١ ، ١٥٥ والمؤتلف والمختلف ١٩٦ .

وتتري : متواترة ، أثناعب : جماعات ، أحسن : شديد القتال .

وفاجر : يركب فيه الفجور .

١١ - وتفرق القوم وتشتتهم ، وتناحر أفراد القبيلة الواحدة يثير مشاعر

العربي فيلجأ الى :

أ - البكاء عليهم ، والندم على ما آلوا اليه ، يقول " جابر بن جني التغلبي "

في أبيات له :

لتغلب أبكي إذ أثارت رماحها غوائل شرب بينها مثلهم (١)

ب - وإذا انثلم انجاد القوم وتباطأت عشائر منهم وتقاست عن المشاركة

في حرب القبيلة ، ينبرى الشاعر داعيا المتخاذلين منهم الى الحرب ،

ملقيا باللائمة عليهم ، ومعيرا لهم ، يقول " سعد بن مالك البكري "

في الحارث بن عباد البكري " وقومه لما اعتزلوا حرب بكر

وتغلب :

يا بوء من للحرب التي وضعت أراهاط فاستراحوا

والحرب لا يُبقى لجا حمها التخيل والمراح

الا النفس الصبار في النَّ جدات والفرس الوقاح (٢)

(١) المفضليات ٢١٠ .

(٢) النقائض ٧٧٣ .

وسعد بن مالك من بني ثعلبة من بكر بن وائل من سراة بكر وفرسانها
المعدودين . شاعر مجيد جد طرفة بن العبد ، قتل في حرب
اليسوس .

انظر ترجمته في خزنة الأدب ١/٢٢٣ - ٢٢٦ وطبقات ابن سلام

٣٤ وشعراء النصرانية ٢٦٤ .

ج - نصح القوم وتحذيرهم عاقبة ما هم فيه من العناد والمكابرة واتباعهم لفئة متهورة منهم ، يقول " النابغة الذبياني " (١) :

د - لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن ترعهم في كل أصفار
تذكيرهم بالماضي والفخر به ، وبما كانوا عليه من عزة ومنعة وتماسك
يقول " ذوالأصبع العدواني " (٢) :

عذير الحي من عدوا ن كانوا نواحيّة الأ رض
يقى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض

(١) ديوانه ٧٥ .
أقر : موضع ، ترعهم : حلولهم ، أصفار : اما جمع صفر أو حين ينصرف الماء ويتفطر الشجر بآخر الصيف .

(٢) الأصمعيات ٧٢ .
وذوالأصبع هو حرثان بن الحارث من بني ربيعة بن عمرو بن يشكر ابن عدوان من نزار سماه في الاصمعيات (حرثان بن السموأل) شاعر جاهلي قديم ، حكيم له وقائع كثيرة مشهورة عمردها طويلا ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه أسيدا بوصية حكيمة أقرأها في الاغاني ٦/٣-٧ ولقب بذى الأصبع لأن حية نهشت أصبع قدمه ، وقيل كانت له أصبع زائدة .

انظر ترجمته في الاغاني (دار) ٨٩/٣ والسمط ٢٨٩ والموتلفا ١١٨ والمفضليات ١٥٣ وخزانة الأدب ٤٠٨/٢ .

عذير : هات من يعذر ، أو هات عذرا . حية الأرض : أى أشدا
يحذرهم الناس . يرعوا : يبقوا . القرض : ما يتجازى به الناس
احسان واساءة . حكم يقضى : أى عامر بن الظرب العدواني .

هـ - دعوة القوم الى عدم التنافس في الشهرة فهم أبناء قبيلة واحدة ،
وعلى هذا تدور معلقة " الحارث بن حلزة اليشكري " (١) .

و - وان لم يفد النصح والتحذير نفعا ، كانت هناك وسيلة أنجع للحث
على التماسك والترابط وهي " الهجاء " على حد قول " عقيل بن
علفة " لما سئل : (أتتهجؤ قومك ؟ قال : الغنم اذا لم يصفر
بها لم تشرب) (٢) .

١٢ - وان حدث من الفارس سلوك يعاب عليه ، لجأ الى تسويغه ليثبت
أحقيته بالفروسية والاقدام ، ويضفي على ذاته مسحة من البطولة .

ومن ذلك اعتذار " الكلبة العربي " عن اللحاق بخزيمة بن طارق
متعللا بأن فرسه أجهدت بعد أن شربت ماء كثيرا .

يقول " الكلبة العربي " في افلات " خزيمة بن طارق " من أسره ،
وأسره غيره ، في أبيات له :

فأدرك ابقاء العرادة ظلُّعها وقد جعلتني من خزيمة أضبعًا (٣)

(١) شرح المعلقات للزوزني ٢١٦ وما بعدها . والحارث بن حلزة من بني

يشكر بن وائل شاعر جاهلي ، من أهل بادية العراق من أصحاب
المعلقات . كان أبرص فخورا ضرب المثل بفخره له ديوان شعر

مطبوع . انظر ترجمته في الاغاني (كتب) ٤٢/١١ والمؤلف

٩٠ وخزانة الأدب ١٥٨/١ .

(٢) البيان والتبيين ٦٨/٢ .

(٣) المفضليات ٣٢ .

الكلبة هو بن عبدالله بن عبد مناف ابن عمر بن التميمي اليربوعي

ومن هذا القبيل اعتذار " قبيلة النصراني " بتلكو فرسه وتخاذله
واحجامه عن الاقدام ، ولم يكن له حيلة في ذلك ، لأنه في شوق السي
اللقاء ، حرمه منه فرسه الذي نال عقابه : (١)

ألم تر أن الورد عرّد صدره وجاد عن الداعي وضوء البوارق
وأخرجني من فتية لم أرد لهم فراقا وهم في مأزق متضايق
فقلت له لما بلوت بلاءه وأنى تتعّ من خليل مفارق
وعضّ على فأس اللجام وعزّني على أمره انرد أهل الحقائق
أخبر من لاقيت يوماً بلاءه وهم يحسبون أنني غير صادق

أما " رقاء " بن زهير " فيلقى باللائمة على الحديد والدرع السابغة التي
كانت تغطى " خالد وأنها حالت دون تأثير ضربة سيفه في رأسه ،
فيقول :

====
أحد فرسان بني تميم وساداتها ، وهو فارس العرادة ، جاور في بني
" بلى " القضاعيين وأبلى في الدفاع عنهم ضد بني جشم " حيث
أغاروا عليه ، والصحيح نسبه الى عرينه بفتح العين .
انظر ترجمته في المفضليات ٣١ ورغبة الآمل ٩/١ - ١٠ والموت تلف
١٢٣ ، والاعلام ٧٦/٨ .

(١) الحماسة بشرح المرزوقي ٦٢٠/٢ وما بعدها .
وقبيلة أحد شعراء بني جرم من طى ، زعموا أنه أبو اياس بن
قبيلة آخر ملوك الحيرة وكان قبيلة سيذا شهما مطاع الكلمة في قومه ،
حضر حرب الفساد بين الغوث وجديلة من طى ، وذكرها في شعره
توفي سنة ٣٠ ق . هـ وقد ضاع أكثر شعره .
انظر ترجمته في الحماسة بشرح المرزوقي ٦٢٠ وموسوعة الشعر العربي
٠٢٤٩/٣

فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبَ خَالِدًا وَيَمْنَعُنِي مِنْهُ الْحَدِيدُ الْمَظَاهِرُ (١)

ولا تخلو أعدار الفرسان من الطرافة ، في مثل قول " ابن زبابة " يذكر أن العيب في السيف لا الذي يضرب به :

طَعْنَةٌ مَا طَعَنْتُ فِي عَلَمِ اللَّيْلِ زَهِيرًا وَقَدْ تَوَافَى الْخُصُومُ

خَانَنِي السِّيفُ إِذْ ضَرَبْتَ زَهِيرًا وَهُوَ سِيفٌ مُضَلَّلٌ مَشُومٌ (٢)

وأطرف منها ، قول " طرفة بن العبد " في أبيات مطلعها :

لَقَيْتُ بِأَسْطَلِّ ذِي جَاشِمٍ حَنَانَةً كَالْجَمَلِ الْاُورِقِ

(١) المقدم الفريد ٥/٦ وانظر حماسة البحترى ٤٤ .

وورقاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسي سيد هوازن التي انتفضت على سيادته بسبب سلوكه وتجبره عليها وقتله خالد بن جعفر الكلابي يوم النفروات " وفيها قال " وورقاء " أبياتة هذه . وورقاء شاعر جاهلي فارس . انظر أخباره في العقدة الفريد ٥/٦ وابن الأثير ٣٣٨/١ وبلوغ الأرب ١١٢/١ .

(٢) حماسة البحترى ٤٥ .

وابن زبابة هو عمرو بن الحارث بن همام من بني تميم الله بن ثعلبة اختلف في اسمه ، وقيل هو فارس " مجلز " شاعر جاهلي فارس .

انظر ترجمته في معجم الشعراء ٢٠٨ وحماسة بشرح المرزوقي وخزانة الأدب ٣٣٣/٢ وحماسة البحترى ٤٥ وهو فيه التيميمي . وسقط اللالي ٥٠٤ .

(٣) ديوانه ١٨١ تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال .

وسلب رجلاً سيفه وضربه به فلم يصب منه مقتلاً ، معللاً أن السيف لا يقتل صاحبه ، فيقول :

فساورته واستلبت الخشيبَ وأعجله ثنيه رقيقى
فلما ابتدرنا ، كبا محير وكنت على البعد ذا مصدق
فلو كان سيفي لغادرتك صريعاً على الجنب والعرفق
ولكنه سيفكم فاتقنى محارمكم والمنايا تققى

١٣ - وتشتعل نفس العربي حماسة وغضبا وأسفا وندما لفرار قوميه وتخاذلهم ولا يملك الا أن يقول بقول " عمرو بن معديكرب " :

(١)
فلو أن قومي انطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

١٤ - وهكذا اشترك فرع من القبيلة في حرب ضد نفر من عشيرتهم ، يقول " الحصين بن الحام المرى " :

جزى الله أفتاء العشيرة كلها بدارة موضوع عقوقاً ومأثماً (٢)

١٥ - وأيضا كان خذلان الأعوان دافعا من دوافع الحماسة .

يقول " عمرو بن معديكرب " في " جرم " لما تخاذلت في لقاء قومه وبني " نهيد " (٣) :

لحا الله جرماً كلما نر شارق وجوه كلاب هارشت فازبارت

(١) ديوانه ٥٦ . أجرت : قطعت لساني عن مدحهم لفرارهم .

(٢) المفضليات ٦٤ . الأفتاء : القوم من ها هنا وها هنا لا يدري من أى قبيل هم .

(٣) ديوانه ٥٥ . لحا الله : أهلك ، نر شارق : طلعت الشمس ، هارشت : من المهارشة وهي تقاتل الكلاب ، وازبارت : انتفشت وتجمعت للوثب .

ويقول "امروء القيس" في "بني حنظلة" الذين قعدوا عن نصره
عه "شرحبيل" في "يوم الكلاب الأول" :

(١)
أحنظلُ لو حاميتُمُ وصبرتُمُ
لاثنيتُ خيرا صالحا ولا رضاني

١٦ - ومن مشيرات الشعر الحماسي ، الهجاء ، وأقسى ما يكون الهجاء بالهزيمة ،
وهنا ينطلق الشعر الحماسي رادا كيد المهاجين والمعيرين في نحوهم :

يقول " عامر بن الطفيل " يرد على " مرة بن عوف الذبياني " وافتخاره
بفتكه بقوم عامر وهزيمتهم " يوم الرقم " (٢) :

أفرحت أن غدر الزمان بفارس
قلح الكلاب و كنت غير مقلب
يا مرقد كلب الزمان عليكم
ونكأت جرحكم ولما أنكب

١٧ - وقد يبدو والشعر الحماسي وكأنه اجابة عن سوء ال سائل ، في مثل
قصيدة " عبيد الأبرص " التي ملاءها حماسة ونفرا ومباهاة ، يبدو ها
بقوله (٣) :

يا أيها السائل عن مجدنا
إنك عن مسعاتنا جاهل

١٢٢، ٤١٧، ٤٥٣

(١) ديوانه ٣٩٧ وانظر أيضا عتابه لهم في الصفحات / من ديوانه .

(٢) ديوانه ١٥ .

(٣) وعبيد بن الأبرص شاعر جاهلي مشهور له ديوان مطبوع من بني أسد

من مصر ، من دهاة الجاهلية وحكائها أحد أصحاب المجمعرات
عده ابن سلام في الطبقة الرابعة ، عاصر امرأ القيس وله معه
مناقضات ، وشهد مقتل والده حجر ، عمر طويلا حتى قتله النعمان بن
المنذر في يوم بؤسه نحو ٢٥ ق . هـ .

انظر ترجمته في طبقات ابن سلام ١١٥ ، ١١٦ ، والاغاني (ساس) ١٩ : ٨٤

والسمط ٤٣٩ / ١ والموء تلف ٥٠ ورغبة الامل ٦٢ / ٢ ، والخزانة

٣٢٣ / ١ والأعلام ٤ / ١٨٨ .

١٨ - وقد يتخذ الشاعر من اعراض الحبيبة عنه لمظهره غير اللائق دافعا له للحماسة فيذكر أن غبار الحرب وصولات القتال واقتحام الأهوال ومواجهة الموت ، قد أثر في سحنته وغير لونه ، يقول " أبو قيس بن الأسلت " (١) :

قالت ولم تقصِدِ لِقِيلِ الحَنَّا مهلاً فقد أبْلَغْتَ أَسْمَاعِي
أنكرته حين توسمتيه والحربُ غولُ ذاتِ أوجاعِ
من يذُقُ الحربَ يجدُ طعمها مرّاً وتحبسه بجمجاعِ

ونظيره قول " عنترة بن شداد " في أبيات له (٢) :

عجبت عبيلة من فتى متبذل عارى الأشجاع شاحب كالمنصل

ويثبت رغم هذه المخاطر والأهوال أنه لم ينس حبيبته ، تدنعه عاطفته

المشبوبة الى قوله (٣) :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق شفرع المتبسم

١٩ - ولتذكر أيام الشباب والفتوة والفروسية أثرني اذكاء الحماسة في

نفس الشاعر فيتغنى بأمجاده وسالف أيامه ، ونضارة شبابه ، على حد قول

" سلامة بن جندل السعدي " (٤) :

أودى الشباب الذى مجدّ عواقبه فيه تلذُّ ولا لذات للشيبِ

(١) ديوانه ٧٨ . الغول : ما اغتال الأشياء فذهب بها .

الجمجاع : المحبص في المكان الغليظ أو الضيق .

(٢) ديوانه ١٢٠ ، عارى الأشجاع : قليل اللحم ، المنصل : السيف .

(٣) ديوانه ١٥٠ .

(٤) ديوانه ٩٣ .

٢٠ - وعموماً فإن الغالب على الشعر الحماسي والدافع الأساسي له هو التفني بأمجاد القوم الحربية ومفاخرهم ، والدفاع عن أحسابهم وأنسابهم وعلى هذا وحوله يدور الشعر الحماسي ، وإن كانت هناك دوافع أخرى غير التي ذكرناها ، كالرد على كلمة نابية أو كالفخر بهكرمة ، أو التنزه عن مذمة فإن استقصاءها لا يعنيننا ، وإنما ذكرتها على سبيل الاجمال .

وإن مما يلي يجلي الحديث عن الحماسة الانعطاف إلى مظاهرها عند الجاهليين وهذا ما سنطالعه في الفصل التالي إن شاء الله .

الفصل الثالث

بحال الحكماء وغاياتها

العرب أمة تقدر البيان وتجله ، يخلب البيان لبها ، ويخالط شفاف
قلوبها ، ولم تعظم شيئاً بعد النسب وشرف المحتد مثل البيان ، وفخرها
بعد الأصل الكريم والمجد الرفيع هو البيان ، فالعرب (أشد فخراً
ببيانها وطول ألسنتها) (١) .

يقول " قيس بن عاصم المنقري " (يذكر ما في بني منقر من الخطابة :

انسي امروء لا يعترى خُلقي دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ وَلَا أَفْنٌ
من مُنْقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرَمَةٍ وَالْأُصْلُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُصْنُ
خطباءً حين يقوم قائلهم بيض الوجوه مَصَاقِعُ لُسُنُ
لَا يَفْطِنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحَفِظِ جَوَارِهِمْ فَطُنُ (٢)

وكان للبيان وقع السحر في نفوسهم ، ولعجبهم العالي بالبيان احتاجوا
الى كلام يكون (الحفظ اليه أسرع والاذان لسماعه أنشط) (٣) فكان الشعر

(١) البيان والتبيين ٣/٣٦٦ .

(٢) البيان والتبيين ١/٢١٨-٢١٩ . وقيس بن عاصم من بني منقر بن

سعد من تميم شاعر فارس شجاع مخضرم ، أحد سادات العرب في
الجاهلية والاسلام وفي رثائه يقول عبدة بن الطبيب :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
ويقال أنه أول من وأد البنات ، وفيه يقول الأحنف : ما تعلمت الحلم
الا من قيس .

انظر ترجمته في الاغاني (تقدم) ١٢/١٤٣-١٥١ ، وعيون

الاخبار ١/٢٨٦ والنقائض ١٠٢٣ والمرزباني ٣٢٤ وغيرها .

الأفن : ضعيف الرأي والعقل .

(٣) البيان والتبيين ١/٢٨٧ .

الذي احتل في قلوبهم المكانة الأولى بخرده وحفظه وتناقلته الألسن ،
لذلك يقولون (ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من
جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره) (١)
(وقد كان ضد النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به
هو أهل بيته) (٢) .

وكان الشعر سجل مآثر العرب و (ديوان علمهم ومنتهم حكمهم به
يأخذون واليه يصيرون) (٣) .

وكانوا يهابونه لصيرورته فيهم (٤) ، على حد قول " أبي تمام " :
وطلعة الشعر أقل في عيونهم وفي صدورهم من طلعة الأسد (٥)

وما هيبتهم للشعر إلا خوفا من بيت سائر تحدى به الأبل أو لفظة شاردة
يضرب بها المثل (٦) .

وكان العرب يدركون أنهم سيزولون ويبقى الشعر أثرهم الذي
يذكرون به ، ومجدهم الذي يخلدهم ، ولذلك أطلقوا عليه : الكلام المأثور ،
فكان من حكمهم وأمثالهم : (اياك والكلام المأثور) (٧) .

-
- (١) البيان والتبيين ٢٨٧/١ ، والعمدة لابن رشيق ٢٠
 - (٢) طبقات ابن سلام ٠٢٥/١
 - (٣) طبقات ابن سلام ٢٤/١ وفي العمدة ٣٠/١ وكان ابن عباس رضي
الله عنه يقول : " الشعر ديوان العرب " .
 - (٤) انظر قصة بكاء سيد بني مازن " مخارق بن شهاب " حين أضاء
محرز بن المكعب الضبي يستنجده ، في البيان والتبيين ٠٢٤/٤
 - (٥) البيان والتبيين ٣١٢/٣ وانظر ديوان أبي تمام - بيروت ١٣٢٣ هـ ص
٤٩٢ - ٤٩٣
 - (٦) انظر العمدة ٠٤٨/١
 - (٧) الحيوان للجاحظ ٢٩٤/٥ ، ٢٩٥ ، وانظر البيان والتبيين ١٥٦/١ وما بعدها .

وكانت وظيفة الشاعر في القبيلة هي حماية العشيرة والذب عنها ،
وتخليد مآثرها ، وكان لسان القبيلة الناطق باسمها في المحافل والمجتمعات
والمناظرات والمجالات العامة ، وكان صوتها والذائد الحامي عن الذمار ،
والمدافع عن اشرافها وأنسابها ، والناطق بالحجة .

وكان الشاعر يفخر بولائه لقبيلته وأداؤه واجبه نحوها ، لذلك علت
منزلة الشاعر في القبيلة وعظم قدره فيها .

وما كان الشاعر بمنزلة تلك في القبيلة وسموها الا (لفرط حاجتهم
الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم
ومن غزاهم ويهيب من فرساتهم ويخوف من كثرة عدوهم ، ويهابهم شاعر
غيرهم فيراقب شاعرهم) (١) .

وهذه الوظيفة أو المهمة الأساسية التي اسندت للشاعر كان يقوم
بها خير قيام ويراهها واجبا محتما من واجباته القبلية ويمارسها طواعية
وحبا وتعصبا للقبيلة .

وكان الشاعر الذي يوقف شعره على قبيلته مقدما على الخطيب
(فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا الى السوق وتسرعوا
الى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر) (٢) .

ونظرا لما كان للشعر من الأهمية والمنزلة العظيمة ، فاننا نستطيع
القول بأن الشعر أهم نتاج حياة العرب الحماسية التي دفعتهم اليها
عواطفهم الثائرة . والتفاخر بالاثار والأحساب والأنساب ، ولون هبنا

(١) البيان والتبيين ١/٢٤١ .

(٢) البيان والتبيين ١/٢٤١ .

نستقصي الشعر الذي يدور في هذا المجال لاستفرقنا الشعر الجاهلي
كله فمعظمه يدور حول الأيام والوقائع .

وفي الحرب يظهر مدى تعصب الشاعر لقبيلته و منافحته عنها ، منتصرة
أو مهزومة ، ففي النصر يجعل منها الدرع الحصين الذي لا يقتحم ، والقوة
التي لا تقهر ، وفي المهزيمة يحولها الى نصر مجيد (١) ، ومن ذلك قصيدة
" سلامة بن جندل السعدي " التي مطلعها :

(٢)
لمن طلل مثل الكتاب المنق خلا عهده بين الصليب فمطرق

قالها في يوم " الفروق " والذي منى فيه قومه بهزيمة نكراء ، ومع ذلك ملاً
قصيدته ضجيجا وصراخا وفخرا وجعل جوالقصيدة يوحي بأن قومه قد
حققوا انتصارا مجيدا ، وفيها يقول :

(٣)
ألا هل أتت أنباؤنا أهل مأرب أم هل أتت أهل الدبا والخورنق

ولكننا نجد بعض الشعراء درجوا على الانصاف ، فان تقاعص القوم وتخاذلوا
في موطن القتال ، لم يكابروا ويعاندوا الأحداث ، بل يعترفون صراحة أن قومهم
قصروا ولم يقوموا بأعمال بطولية تطلق ألسنتهم في مدحهم فهذا " عمرو بن
معديكرب () لا يتصور أن يقول :

(٤)
فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

(١) انظر مثلا قصيدة " المسيح بن عسلة " في المفضليات ص ٢٨٠ .

(٢) ديوانه ١٥٥ والصليب ومطرق : موضعان .

(٣) ديوانه ١٦٠ .

(٤) ديوانه ٥٦ أجزت : منعت .

وكما كان الشعر سلاحاً في العنافة والمفاخرة فلا بد أن تواءمه الفعالي العظيمة ، والقوم الذين يتهاونون في ميادين القتال والشرف يجر دون الشعر من سلاحه ، يقول "الشميدز الحارثي" :

بِني عَمَّا لَا تَذْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَ مَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ الْقَوَافِيَا

يقول لهم : دعوا التفاخر بالشعر فانكم قصرتم بصحراء الغمير * ولم تبلوا فيها فتطلق ألسنتكم لدى المساجلة ، وتستجيب قوافي الشعر لكم اذا أردتم نظمها وانشادها عند العنافة والمحاكمة ، لأنكم أمتم قوافي الشعر ودفنتموها. (١)

هذا مدخل أردت من وراءه أن أقرر أن شعر الحماسة والحرب ضد الجاهليين كان الوتر المرنان الذي كان يعنيه أن يسمعوا أصداً ، جنبات الحياة وكافة القبائل ، ولعل ذلك ما استرعى انتباهي على ما سيأتي القول فيه انشاء الله .

مجالى الحماسة في الشعر الجاهلي * :

ويبدو لمن يتلمى الشعر الجاهلي وينعم النظر فيه أن الحماسة لا تعد وأن تكون كما يأتي :

١ - حماسة في القول : وهي الأبيات والقائد الشعرية المعبرة عن

انفعالات و عما تحيثره الخواطر من شعر ونثر

وحكم ، وسأكتفي في ذلك بالشعر .

٢ - حماسة في الفعل : وهي ترجمة هذه الانفعالات الى وقائع

لموسة مثل الثأر والاغارة والغزو .

وهذا التقسيم يرتكز اول ما يرتكز على تتبع مظاهر الحماسة في القول أو الفعل ،

وقد تحدث واقعة يجتمع فيها القول الحماسي ، والفعل الحماسي ، وليس هناك

ما يمنع من تسمية ذلك اللون : الحماسة القولية الفعلية .

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ١٢٤/١ والشميدز من بني الحارث بن كعب ،

فارس شاعر لم أجد له ترجمة ولا ذكراً سوى في الموء تلفاً والمختلف

١٤٠ و أبياته التي في الحماسة .

أولا : مظاهر الحماسة القولية في الشعر :

من نافلة القول أن أشير الى أن الحماسة لم تقتصر على الشعر فقد أُنفاها عند العرب في الخطب المجلجلة قبل بداية القتال وأنشيد الحماسة ، والتفاف القوم حول رئيسهم للتشاور في أمورهم وتدبير الخطط الحربية .
ومن خطب الرو " سا " قبل بداية القتال خطبة " هاني " بن مسعود الشيباني " المشهورة في " يوم نى قار " حين قال لقومه وهو يحرضهم : (يا قوم مهلك مقدور خير من منجى مفرور ، ان الجزع لا يرد القدر وان الصبر من أسباب الظفر ، المنية خير من الدنية ، واستقبال الموت خير من استدياره ، فالجد الجد فما من الموت بد) . (١)
وسأقتصر هنا على الشعر الجاهلي مكتفيا في ذلك بذكر بعض النماذج منه .

فمن مظاهر الحماسة القولية في بابه عند العرب :

١ - أناشيد النساء الحماسية ، ومن أناشيد هن في يوم " نى قار " :

ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق
(٢)

لذلك كان الرجال يثبتون في القتال حتى لا يفروا عن عرضهم وحرماتهم ، يقول " يزيد بن حنظلة الشيباني " :

(١) العقد الفريد ٦ / ٩٨ .

(٢) النقائص ٢ / ٦٤١ .

(١) من فرمنكم فر عن حريمه وجاره وفر عن نديمه

٢ - تصوير شدة اندفاع القوم وجموحهم الى الحرب ، يقول " الحصين ابن الحمام المرى " :

(٢) وحتى يروا قوما تَضَبُّ لِثَاتِهِمْ يَهْتَوْنَ أَرْمَاحًا وَجِيْشًا عَرْمَرْمَا

٣ - تصوير مقارعة القرن ومشهد العراك ، يقول " مقاس العائذي " :

لما رأني في مجال ضَنْكِ والخيل تردى بِالْأَسْوَدِ الْمَعَكِ

(٣) أبدى الثنايا آقساً من تركي كأنه يضحك وهو يبكي

(١) النقائض ٢/٦٤٣ .

ويزيد بن حنظلة من بني عجل ، يلقب بالمكسر ، راجز جاهلي ، من الفرسان ، شهد ذى قار وارتجز فيه هذه الأبيات ، وقتل " الاضجم الضراري " قبل التحام الجيشين في ذلك اليوم .

انظر ترجمته في النقائض ٦٤٣ ، ٦٤٨ ، وتاج العروس (مكسر) كحدث والاعلام ١٨١/٨ - ١٨٢ .

(٢) المفضليات ٦٧ . تضب : تسيل من حب الغنيمة وشهوة الحرب .

(٣) الأشباه والنظائر / للخالديين ١/١٥١ .

ومقاس : لقبه ، واسمه مسهر بن النعمان من بني غالب بن فهر من قريش ، وهو من عائدة قريش ، كان يكنى " أبو جلدة " وعرف بمقاس لقول رجل فيه : انه يمقس الشعر - أى يقوله - كيف شاء ، نصيبن دريد على انه جاهلي وأفاد المرزباني بأنه مخضرم ، وفي النقائض ما يدل على أنه أدرك الاسلام .

انظر ترجمته في النقائض ١٠٢٠ والموتلف ٧٩ والمرزباني ٤٠٤ ،

والاشتقاق ٦٧ ، والجمهرة " م ق س " ، والاعلام ٢٢٥/٧ .

٤ - التعبير عن الاخلاص والولاء للقبيلة والاستعداد للدفاع عنها

يقول الجعفي :

أحوطُ عَشِيرَتِي مِنْ كُلِّ أَمْرٍ تَعَابُ بِهِ الْعَشِيرَةُ أَوْ تَكْذَمُ
وَأَضْرِبُ دُونَهَا فِي كُلِّ حَرْبٍ بِأَبْيَضٍ لَيْسَ يَبْرَأُ مِنْهُ كَلِمٌ (١)

٥ - الفخر بالأيام والمناقب وتعدادها والتنويه بها (٢)

٦ - الفخر بالفارة وأنها ضرب من ضروب البرهنة على القوة ، ومن ذلك

" قصيدة عامر بن الطفيل " التي مطلعها :

لِللَّهِ غَارَتْنَا وَالْمَحَلُّ قَدْ شَجِيَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ فَصَارَ الْإِقْفُ عَرِيَانًا (٣)

٧ - الفخر بشجاعة القوم وشرفهم ونبلمهم وكريم محتدهم ، يقول " عبيد

ابن الأبرص " منوها بياس قومه :

وَفَتِيَّةٌ كَلِيوْتِ الْغَابِ مِنْ أَسَدٍ مَا لِلذَّرَى عَنْهُمْ نَزْحٌ وَلَا شَحَطٌ (٤)

ويقول المرقش الأكبر :

يَا ذَاتَ أَجْوَارِنَا قَوْمِي فَحَيِّينَا وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا

وَإِنْ دَعَوْتِ إِلَى جُلُوِّ وَمَكْرَمَةٍ يَوْمًا سَرَاةً خِيَارِ النَّاسِ فَادْعِينَا (٥)

(١) لم ينسبه الخالدياني في الأشباه والنظائر ١/٢ .

(٢) في المفضليات مثلا ١٧٩ قصيدة لربيعة بن مرقوم الضبي ملاحظها

فخرا بأيام قومه ووقائعهم وانظر شعر ربيعة بن مرقوم / للقيس ص

(٣) ديوانه ١٣٧ .

(٤) ديوانه ٩٤ .

(٥) المفضليات ٤٣١ .

ويقول "أبو الطحان القيني":

واني من القوم الذي عرفتهم اذا فات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سما كلما غاب كوكب بدا كوكب تهادى اليه كواكبه

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نطم الجزع ثاقبه (١)

٨ - الفخر بالنفس والتغني بالبطولة والاقدام ، وعراقة النسب ومكارم
الأخلاق ، يقول "عوف بن عطية" :

(٢)
لعمرك اني لأخو حفاظ وفي يوم الكريهة غير غمير

فكان الفارس يفخر بأنه يجمع الى القوة في الخلق القوة في الخلق .

٩ - الفخر بادراك الثأر ، وأن دم القاتل لم يضع هباء ، ويذكر اسم
المثأور منه زيادة في النكاية يقول "عتبة بن الحارث" :

(٣)
أبلغ بني شيبان مألكة أنى أبأت بعبدالله بسطاماً

(١) الحماسة بشرح المرزوقي ١٥٩٨/٢ باختلاف يسير في الرواية عن

الأشباه والنظائر {١٥٧}

أبو الطحان كنيته غلبت على اسمه وفي اسمه خلاف وقيل اسمه
حنظلة بن شرقي من بني القين من قضاة ، شاعر مخزوم ، فارس معمر ،
كان صعلوكاً سارقاً للابل .

انظر ترجمته في الحماسة بشرح المرزوقي/ وحماسة عسيلان ٢٨/٢ ،
والاشتقاق ٥٤٢ والمؤلف ١٤٩ ، ١٥٠٠ / (كتب) ١٤٣/١٣

وسمط اللالي ٣٣٢ - والجزع : ضرب عن العقيق .

(٢) المفضليات ٣٢٨ والقمر : الذي لم يجرب الأمور .

(٣) العقد الفريد ٤٨/٦ . وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، فارس تميم في

الجاهلية ، أسر بسطام بن قيس الشيباني يوم الغبيط ، وكان يقال له

١٠- النداء في الغارة " يا صباحاه " أو " واصباحاه " وفي الثارات
" يا لثارات فلان " وفي المعركة " يالفلان " يقول عبد الشارق
ابن عبد العزى :

(١)
فنادوا يا لثهته ان رأونا فقلنا أحسنى ملا جهيننا

١١- التداوي عند القتال ، يقول " عوف بن الأحوص " :

(٢)
وما برحت بكرتثوب وتدعي ويلحق منهم أدلون وآخر

ويقول : " أنيف بن حكم النبهاني " :

فلما أتينا السفح من بطن حائلٍ بحيث تلاقى طلحها وسيالها
دعوا لنزار وانتمينا لطسى كأسد الشرى إقدامها ونزالها
(٣)

=== " صياد الفوارس " و " سم الفرسان " وبفروسيته يضرب المثل .

انظر ترجمته في الأغاني (تقدم) ٢٧/١٤ ، والعقد الفريد ٤٨/٦

والموء تلف ١٥٥ ورغبة الآمل ١٥٥/٢ ، ٩٢/٦ .

مألثة : رسالة .

(١) وفي رواية " ضربا " بدل " ملا " .

لم أجد لعبد الشارق هذا ترجمة ولا ذكرا سوى ما يفهم من ذكر

ابن جني له في المبهج ٣٢ انه جاهلي .

وانظر الحماسة بشرح المرزوقي ٤٤٢ وحماسة صيلان ٢٤٧/١ .

(٢) المفضليات ٣٦٥ . وهي في شعر خداس بن زهير ص ٥٦٧

(٣) الحماسة بشرح المرزوقي ١٦٩ وفي التبريزي والمبهج " أنيف

ابن زيان النبهاني " ولم أعر له على ترجمة .

١٢- ذكر عدة الحرب وأدوات القتال ، يقول حسيل بن سحيم الضبي

يذكر خوضه الحرب :

بمطردٍ لدنٍ صحاحٍ كعوبه وذي رونقٍ عضبٍ يقُد القوانسا
وبيضا من نسج داود نثرةٍ تخيَّرتُها يوم التُّلقاء المَلأ يسا
وحِرمية منسوبةٍ وسلاجِم خفافٍ ترى عن حدِّها السَّم قالساً (١)

١٣- المهجاء ، وإنما كان حماسة لأنه :

أ - اضعاف لروح العدو المعنوية ، يقول عميد بن الابرض يخاطب
"امراً القيس" مشبطاً من عزيمته :

وانت امروءُ الهاك دَفُّ وقينةٍ فتصبح مخموراً وتمسى كذلك (٢)

ب - رد الكيد في نحور المعتدين ، يقول "أوس بن غلفاء الهجيمي"
يهجو "يزيد بن الصعق الكلابي" :

وجدنا من يقود يزيد منهم ضعافاً لا مرغيرَ ذوى نظام
فأجر يزيد مذموماً وأنزع على عُلبٍ بأنفك كالخطام (٣)

(١) الحماسة بشرح المرزوقي ٥٦٩ ، ٥٧٠ ولم أعثر له على ترجمة وأغلب الظن أنه جاهلي . القوانس : جمع قونس وهو أعلى البيضة ، وحرمية : قوس متخذة من شجر الحرم ، السلاجم : الطوال ، قالساً : القلس : القي .

(٢) ديوانه ١٠٢ .

(٣) المفضليات ٣٨٨ وأوس بن غلفاء من بني الهجين بن عمرو بن تميم شاعر جاهلي لم أجد له ترجمة مفصلة وانظر المفضليات ٣٨٧ والشعراء لابن قتيبة ٤٠٤ .

العلب : أن تؤخذ حديدة أو نحوها فيقشر بها الأنفا حتى يبدو العظم .

ويقول سلمة بن الخرشب الأنعاري " في بني عامر الذين غزوا قومه
فانهزموا " يوم الرقم " :

إذا ما غدوتم عامدين لا أرضنا بني عامر فاستظفروا بالهراثر
فان بني ذبيان حيث عهدتكم بجزع البئيل بين بادٍ وحاضر
يسدون أبواب القباب بصيمر إلى عنن مستوثقات الأواصر (١)

١٤ - والرثاء في الحرب أقرب إلى الفخر منه إلى البكاء ، وهو تعداد لمناقب

المقتول وتغن بشجاعته ويسالته في حياته ، ومن هذا القبيل مرثية
عبدالله بن عنمة الضبي " لبطام بن قيس " سيد بني شيبان
وفارسهم ، ومطلعها :

لا أمّ إلا أرضٍ ويل ما أجنّت غداة أضرب بالحسن السبيل (٢)

ولا يخفى أن الحماسة ميدان واسع لا أستطيع هنا أن أستقصيه في
الشعر الجاهلي ، وإذا كان الربيع يختصر ببعض الزهر ، فحسبي من ذلك
ما أورده غفلا عن التعليق الذي قد أتجرد له في الجانب التحليلي النقدي ،
من هذه الدراسة بمشيئة الله .

(١) المفضليات ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) الأسمعيات ٣٦ وانظر البيان والتبيين ٢ / ٣٢٠ - ٣٢١ ففيه كلام

مفيد في هذا الموضوع .

ثانيا - مظاهر الحماسة " الفعلية " في الشعر :

وقد يقوم العربي بفعل ينبيء عن حماسه وشدته ، واستعداده لخوض غمار الحروب للدفاع عن قومه ، ولا يقتصر على التفاخر وتعداد المناقب +
ومن مظاهر الحماسة العملية عند العرب ما يلي :

١ - الاعتناء بالسلاح وأدوات الحرب واعدادها اعدادا جيدا

يقول " أبو قيس بن الأُسَلْت " :

أعددت للحرب مَوْضُونَةً فضاضةً كالنَّهْيِ بِالْقَاعِ
أَحْفَزُهَا عَنِّي بِيَدِي رَوْنَقِ مُهَنْدٍ كَالْمِلْحِ قَطَّاعِ . (١)

وانما اعتنوا بالسلاح وأدوات القتال لأنها كما يقول " عامر بن الطفيل " :

يوم لا مال للمحارب في الحرب سوى نصل أسمر عسسال

ولجام في رأس أجرد كالجنذ ع طوال وأبيض قصسال (٢)
ودلاص كالنهي ذات فضول ذاك في حلبة الحوادث مالمسى
٢ - العناية بالخيل لغنائها في الحرب ، ولا نها في الموقعة تتلقى

الطعنات في صدرها ولا تنحرف عابسة ولا تبج الميدان ، ولا تشتكي ، فكانوا :

أ - يصنعون لها النعال ، يقول (زهير بن أبي سلمى) :
تَحْطُو عَلَى رِجْدَاتٍ غَيْرِ فَائِرَةٍ تُحْدَى وَتُعْقَدُ فِي أَرْسَائِهَا الْخَدْمُ (٣)

(١) ديوانه ٧٩ موضونة : درع نسجت حلقتين حلقتين ، النهي : الغدير ،

أحفزها : أدفعها والرونق : ما السيف .

(٢) ديوانه ١٠٢ طبع دارصادر وداربيروت / الجذع : ساق النخلة ،

القصال : القطاع ، دلاص : درع ملساء لينة ، ذات فضول : طويلة

الحلبة : الدفعة من الخيل في الرهان خاصة . وحلبة الحوادث :

اجتماعها .

(٣) ديوانه ١٠٧

ب - اجراؤها صباحا ومساء في اليوم الذي لا تعمل فيه زيادة في العناية بها .

يقول : مزرد - أخوالشماخ - وقيل انها لجزء بن ضرار :

وَقَلَّقَتْهُ حَتَّى كَانُ ضُلُوعَهُ سَقِيفًا حَصِيرًا فَرَجَّتْهُ الرُّوَامِلُ
(١)

يرى الشد والتقريب نذرا اذا عدا وقد لحقت بالصلب منه الشواكل

ج - حفظها بجوار البيوت دون سائر الانعام التي تذهب بعيدا للعرض ،

يقول (ربيعة بن مقروم الضبي) :

وَجُرْدًا يَقْرَبِينَ دُونَ الْعِيَالِ خِلَالَ الْبُيُوتِ يَلْكُنُ الشُّكِيمَا
(٢)

د - سقيها اللبن واطعامها في زمن القحط والجذب ، صيفا أو شتاء ،

يقول " فضالة بن شريك الاسدي " في فرسه " ناصح " :

أَنَا صَحُّ شَمْرٍ لِلرَّهَانِ فَانْهَابَا غَدَاةَ حِفَاظٍ جَمَعَتْهَا الْحَلَاثِبُ

أَتَذَكُرُ الْبَاسِيكَ فِي كُلِّ شِتْوَةٍ رِدَائِي وَإِطْعَامِيكَ وَالْبَطْنَ سَاغِبًا
(٣)

هـ - تقديمها على الأولاد في العناية ، وظهرها بالمظهر الحسن ، يقول

" زيد الخيل " في فرسه " الهطال " :

أَقْرَبُ مَرْبِطِ الْهَطَالِ إِنِّي أَرَى حَرِيًّا تَلْقَحُ عَنْ حِيَالِ

(١) المفضليات ٩٦ .

قلقلته : أجرته حتى أذهبت لحمه ، والروامل : اللواتي ينسجن الحصير .

(٢) شعره ٤٥ والجرد : الخيل القصيرة الشعر ، يلكن : يمضغ ،

الشكيم : لسان اللجام .

(٣) أسماء الخيل للغندجاني ص ١٦ وانظر طرفا من عناية العرب بالخيل

وأنسابها وتفضيلها على انفسهم وأولادهم ، الصفحات ١٥ ، ١٦ ، ٣٢ ،

٣٥ ، ١٠٤ ، ١٧٥ ، ٢٠٧ ، ٢٤٧ . وانظر انساب الخيل ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٦ ،

وحلية الفرسان ١٥٩ . والعمدة لابن رشيقي ٢٣٤/٢ - ٢٣٦ ، ٢٩٦ .

وديوان طفيل الغنوي ٢٠/٢١ .

أَسْوَيْهِ بِمِكَفٍ إِذْ شَتَوْنَا وَأَوْثَرُهُ عَلَى جُلِّ الْعِيَالِ (١)

ويقول (عوف بن عطية) في العناية بها:

كَمِيتَا كَحَاشِيَةِ الْأُتْحَمِيِّ لَمْ يَدْعِ الصَّنْعَ فِيهَا عَوَارًا (٢)

و - الافتخار بأصلها النجيب والاهتمام بنسبها . يقول النابغة الذبياني :

(٣) فيهم بنات العسجدى ولاحق ورقا مراكلها من المضممار

٣ - ولم يكن اهتمام/بالأبل يقل عن اعتناؤه واهتمامه بالخيول ، ان

أن الأبل كانت مال العربي وغيمته في الحرب يقول " طفيل الغنوى ":

(٤) غمناها ثم أحرز نسلهم ضراباً العدى بالمشرقي المصمم

ومن فرط عنايتهم بها حذر الشعراء قومهم من أن تلهيهم أبلهم

ورعايتها عن الحرب ، يقول " لقيط بن يعمر الأيادي) :

=== وفضاله هذا مخضرم تنسب إليه أبيات في رثاء يزيد بن معاوية وهجاء

ابن الزبير رضي الله عنهم انظر معجم الشعراء للمرزباني ٣٠٨ والموشح

٥٠ والاعلام ٥/١٤٦٠

(٢) ديوانه ٨٩ .

(٢) الفضليات ٤١٤ . الأتحصى : ضرب من البرود اليمنية ، الصنع :

الرداء الذي تضر به ، عوارا : عيبا .

(٣) ديوانه ٥٩ المسجدى ولاحق : فرسان نجيبان ، ورقا : أى لونها

يضرب الى السواد .

(٤) ديوانه ٧٩ وانظر أيضا ص ٩٣ .

وطفيل هو ابن عوف بن كعب الغنوى ، شاعر جاهلي قديم وليس في

قيس فحل أقدم منه أحد وصاف الخيل المبدعين ولذلك سمي " طفيل

الخيول " ولتحسينه شعره سمي " المحبر " عاصر النابغة الجعدي

وزهير بن أبي سلمى ، ومات بعد مقتل هرم بن سنان وكان معاوية يعجب

===

بشعره .

(١) لا تُتْلِيَهُمْ إِبِلٌ لَيْسَتْ لَكُمْ إِبِلٌ ۚ إِنَّ الْعَدُوَّ يَعْظِمُ مِنْكُمْ قَرَعًا

وكانت تدفع ديات القتلى ، وفدية للأسرى ، ولذلك قالوا (لولم يكن في الإبل إلا أنها رقوة الدم) (٢) ، أي لكفاها ذلك فضلا ، يقول زهير بن أبي سلمى :

تَعَفَى الْكَلُومُ بِالْمَثِينِ فَأَصْبَحَتْ يُنَجِّمُهَا مِنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ (٣)

إضافة إلى فوائد الكثرة الأخرى ، من أكل لحمها وشرب لبنها والانتفاع بجلودها وأعضائها .

٤ - المحافظة على العرض في السلم والحرب ، وإنما كانت الحروب

تدار وقطب رحاها المحافظة على الشرف والحرمة .

٥ - في الحرب يضعون العرض وكبار السن والحيوانات في أماكن

مخصصة لا يوصل إليها إلا على جثثهم (٤) .

٦ - وكانت النساء يقمن بمساعدة الرجال في القتال والأجهزة على

الجرحى من الأعداء (٥) .

==== انظر ترجمته في المؤلف تلف ١٤٧ ، ١٨٤٠ والتبريزي ١٤٦/١ ورغبة

الامل ١٤٦/٢ وسمط اللالي ٢١٠ والخزانة ٦٤٣/٣ .

(١) ديوانه ٥٤ .

(٢) البيان والتبيين ٢١٣/٣ .

(٣) ديوانه ١٧ .

(٤) انظر خبر يوم شعب جبلة في أيام العرب في الجاهلية ٣٤٩ وما بعدها

والنقائض ١١٥/٢ .

(٥) كما في يوم (تحلاف اللم) انظر أيام العرب في الجاهلية ١٦٢ ، ١٦٣ .

٧ - القيام بالثأر ، وكان الموتور يلتزم بعادات قاسية على نفسه حتى يثأر لها ، ولا يفرق من الثأر بين قريب وغريب فقد ثأر " هجرس بن كليب " لأبيه ، من خاله " جساس بن مرة " وكان له مثل أبيه .^(١)
يقول " العباس بن مرداس السلمي " :

وَأُنْبِئْتُ أَنْ قَدْ حَرَّمَ الْغَسَلَ عَامِرًا وَأَنْتَ لِرَاضٍ عَنكَ مَا لَمْ تَرَجِّلِ^(٢)

٨ - الاخلاص في التفاني في حب القبيلة ، وانذارها بالعدو ، حتى ولو كان في أسرا أعداء ، يقول " عميرة بن طارق " وكان أسيرا في بني شيبان " فحذر قومه وأنذرهم من غزوهم وقال :

فَلَا تَأْمُرْنِي يَا أَبْنَ أَسْمَاءَ بِالْتِي تَجَرُّ الْفَتَى ذَا الطَّعْمِ أَنْ يَتَكَلَّمَ
بِأَنْ تَخْتَرُوا قَوْمِي وَأَقْعِدْ فِيكُمْ وَأَجْعَلْ عَلَيَّ ظَنًّا غَيْبٍ مُرَجَّمًا^(٣)

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٤٢١/٦ ، ٤٢٢٠ .

(٢) مما ليس في ديوانه وانظر حماسة البحترى ٢٨ .

والعباس بن مرداس من بني سليم بن مضر ابو الهيثم ويقال (أبو الفضل) شاعر فارس مخضرم أسلم قبيل فتح مكة ، يدعى فارس " العبيد " بالتصغير ، وهو فرسه ، كان بدويا تحافلم يسكن المدن ، وكان ممن ذم الخمرة وحرمها على نفسه في الجاهلية ، توفي فسي خلافة عمر ، له ديوان مطبوع .

انظر ترجمته في ديوانه ، والمحبر ٢٣٧ ، ٤٧٣ ، والمرزباني ٢٦٢

ورغبة الامل ١٢٦/٦ والاعلام ٢٦٧/٣ .

(٣) النقائص ٧٨٥/٢ وانظر يوم الصرائم في أيام العرب في الجاهلية . وعميرة بن طارق ، من بني يربوع كان متزوجا في بني عجل بن لجيم ونازلا فيهم وهو شاعر جاهلي فارس ، لم أعثر له على ترجمة سوى خبره هذا في النقائص في يوم ذي طلوح وكان لبني يربوع قومه على بكر من ربيعة .

وكان لقيط بن يعمر الايادي كاتباً لدى كسرى ، ولكن حبه وولاءه .
لقومه لم يثنه عن انذارهم واخبارهم بمقدم جيش كسرى والاستعداد له ،
ولو أدى ذلك الى أن يقتل وهذا ما حدث (١) .

٩ - اثبات أحقية الفارس بـمميزات الفروسية ، وإظهاره في أفعال
ملموسة في ميادين الحرب ، فهذا " غنرة بن شداد " يعرض عن نسبه
بإبراز بطولقه في القتال والبرهنة على شجاعته وأنها خير من النسب . فيقول :
اني امرؤ من خير عيّن منصباً شطري ، وأحمى سائري بالمنصل (٢)
١- المحافظة على سمعته وسمعة القبيلة ، يقول سنان بن أبي حارثة

المرى :

ولا أجي بسوء ات أعيرها حتى يوءب من القبر ابن ميا (٣)
ويقول عوف بن عطية :
وإذا هوازن جمعوا فتناشدوا جنباتهم الفيتني لم أنشد (٤)

- (١) انظر ديوانه ٣٦ .
(٢) ديوانه ١١٩ . المنصب : الأصل والحسب ، شطري : يقول انا شريف
من قبل أبي فأحمى بحربي شطري من قبل أبي .
(٣) المفضليات ٣٥١ .
وسنان من بني مرة ، من غطفان من قيس عيلان بن مضر شاعر جاهلي
فارس شريف أحد أجواد العرب ، له مواقف مشهودة في يوم داحس
والغبراء ، وابنه هرم بن سنان مدوح زهير ، وسنان صهر الحارث بن
ظالم المرى ، وكان من القضاة المحكمين وقد لأمه قومه على جوده فركب
ناقته ولم يرجع ، فسمى ضالة غطفان ، ثم وجدوه ميتاً فرثاه زهير بن
أبي سلس .
أنظر ترجمته في المفضليات ٣٤٨ والاغاني (نقد) ١٤٤/٩ ، ١٤٥ ،
والمحبر ١٣٥ ، ١٩٥ ، ومجمع الأمثال للميداني ١/٢٨٨ .
وابن ميا : رجل من عذرة .
(٤) الأضعيات ١٧١ .

١١- ومن الحماسة المفاخرة بالأعمال المجيدة والمآثر التي يبقى

ذكرها على الأيام ، فقد كانت لقريش مفاخر تعتزبها منها : السقايسة
والرفادة ، وفصل الخصومات وحلف الفضول . (١)

١٢- العفة عند المغنم ، خلق أصيل من أخلاق الفروسية ، يقول " عنتره

ابن شداد " يخاطب حبيبته :

(٢)
يخبرك من حضر الوقعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

١٣- كان الشجاع يسم نفسه بسمة في الحرب يعرف بها اعتزازا بنفسه

وتحديا لغيره ، يقول " طريف بن مالك العنبري " :

(٣)
فتوسموني إنني أنا ذاكمُ شكٍ سلاحي في الحوادث معلّم

١٤- التدليل على القوة والمنعة ، ولو كان بأمر خارج عن العادة ، ومن

ذلك حماية " أبي حارثة بن مرة " للجراد الساقط بقرب بيته وتحريم
صيده ، واجارته له ، وبذلك فخريه قومه فقالوا :

(٤)
ومنا ابنُ مرٍّ أبو حنبلٍ أجار من الناس رجل الجراد

١٥- الهدوء ليلة القتال ، فقد كانوا يببتون ليلة القتال لا يعتريهم

خوف ولا توجس ، وكانهم مقبلون على يوم يبرزون فيه مهاراتهم بالسحاب
رياضية .

(١) انظر المحبر لابن حبيب ١٣٠ والمنق ٢١٧ .

(٢) ديوانه ١٥٠ .

(٣) الأسمعيات ١٢٨ .

(٤) انظر خبره في كتاب العرب لابن قتيبة ٢٨٢ .

يقول " المعتر بن حمار البارقى " :

(١) وباتوا لنا ضيفا وتنا بنعمة
لنا سمعات بالدُفوفِ وسامرٍ

ويقول " عمرو بن كلثوم " :

(٢) كأن سيوفنا منا ومنهم
مخاريقُ بأيدي لاعيننا

ويقول " قيس بن الخطيم " :

(٣) أجالدهم يوم الحديقة حاسرا
كأن يدي بالسيفِ مخراقٍ لأعب

١٦ - تفضيل الموت على الوقوع بين يدي العدو ، ففي " يوم الرقم "

قتل " الحكم بن الطفيل " أخو " عامر بن الطفيل " نفسه خوفا من لحاق

أعدائه به ، فعيرهم عروة بن الورد " بقوله :

(٤) عجبت لهم يخنفون نفوسهم
ومقتلهم تحت الوغى كان أعذرا

(١) قصائد جاهلية نادرة ٠١١٠

واسمه " عمرو بن سفيان " من بني الحارث بن أوس ، وبارق من الأزد ،

شاعر يمني جاهلي مجيد مقل من فرسان قومه في الجاهلية ، كان حليف

بني نمير بن عامر ، وشهد يوم " جيلة " وهو صاحب البيت المشهور :

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعينا بالاياب المسافر

وعمي في أواخر عمره ، وسمى معقرا لبيت قاله :

انظر ترجمته في النقااض ٦٥٩ ، ٦٧٥ - ٦٧٧ والموء تلف ٩٢ ، ١٣٤ ،

والمرزباني ٢٠٤ والسمط ٤٨٣ - ٤٨٤ والخزانة ٢٩٠ / ٢ ، ٢٩١ ،

(٢) شرح المعلقات السبع / للوزني ٠١٧٦

(٣) ديوانه ٠٤٢

(٤) ديوانه ٨٢ بتحقيق عبد المعين الملوحي .

وعروة بن الورد من بني عيس من غطفان من قيس عيلان ، من شعراء

الجاهلية ، وفرسانها وصعاليكها الأجواد ، كان يسمى " عروة الصعاليك "

١٧ - الالباء بالنفس واکرامها بالأ يستأسر الشريف الا لمن يماثله
في الشرف ، ففي يوم " شعب جيلة " رفض " حاجب بن زارة " أن يستأسر
للزهدمين العبسيين ، واستأسر " لمالك ذى الرقيبة العامري " (١) .

١٨ - اطلاق الأُسير دون فداء - منا عليه - كما في يوم " الوقيط " .
ان جز " بنو اللات " ناصية ضرار بن القعقاع " وخلصوا سبيله وسبيل " عمرو
ابن قيس " منا عليه . (٢)

وقد يطلق الأُسير وفاء لعهد وانجازا لوعده ، فقد أطلق " الحارث
ابن عباد " في يوم " تحلاق اللحم " سراح " المهلهل " واسمه " عدى " .
بعد أن سأله عن المهلهل " ولم يكن يعرفه ، فقال له : ان دللتك عليه
أطلقني ؟ قال : نعم ، قال : أنا عدى ، فخلص سبيله . (٣)

(٤)
١٩ - الطاعة العمياء ، للرئيس في القتال ، ولو خالف الرأي الشخصي .

٢٠ - تتبع فلول الأعداء المنهزمين ، وملاحقة الأشراف منهم ، ومحاولة

أسرهم لعظم فديتهم ووقع أسرهم في نفوس قومهم ، ورفع شأن أسريه .

==== يقول عنه عبد الملك بن مروان حينما أنشد بيته :

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسوقراح الماء والماء بارد

" من قال ان حاتما أسمح الناس ، فقد ظلم عروة بن الورد ، له ديوان
شعر مطبوع .

انظر ترجمته في ديوانه والاغاني (تقدم) ١٨٤/٢ - ١٩٠ ، والموشح

٨٠ والتنبية ١١٢ ورغبة الامل ٥ : ٣٠ .

(١) انظر النقائص ٦٦٩/٢ .

(٢) انظر النقائص ٣٠٧/١ .

(٣) انظر أيام العرب في الجاهلية ١٦٤ . والخزانة ١٧٢/٢ .

(٤) انظر قصة دريد بن الصمة وأخيه عبدالله في يوم " اللوى " في أيام العرب
في الجاهلية ٢٩٤ .

لذلك كان المنهزمون في يوم " الكلاب الثاني " اذا قيل للرجل
منهم ممن أنت ؟ يدعى أنه من " بني رعبل " (١) يزهدهم في أسره . (٢)

٢١ - خلق جوالحرب والحماسة بايقاد النار ، ومن امثالهم
(" نار الحرب أسعر " وكانت العرب اذا أرادت حربا أوقدت نارا لتصير
اعلاما للناهضين فيها ، قال الله عز وجل * كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها
الله *) (٣)

٢٢ - أما أكبر مظاهر حماستهم الفعلية ، أولب الحماسة ، فالطعان
والمسايقة والكروالفر وجميع فنون القتال ، والدربة فيها ، وثبات الجأش والجنان
، والشدة في الدفاع والهجوم على العدو ، وهو ما يطول سرده ، ان هو الأصل
في الحماسة وما سبق انما هو مظهر لها وتهيوء للموقف .

(١) " بنو رعبل " قوم أنذال .

(٢) انظر يوم الكلاب الثاني في ايام العرب في الجاهلية ١٢٤ وما يليها .

(٣) مجمع الأمثال للميداني ٣٤٦/٢ والاية الكريمة من سورة المائدة آية ٦٤ .

أغراض الشعر الحربي والحماسي

وفي ضوء هذه النظرة التي انبثقت من واقع العربي ، ونطق بها شعره ، نستطيع ايجازاً أهم أغراض الشعر الحماسي والحربي فيما يأتي :

- ١ - التمدح بشجاعة الأبطال وظفرهم في الحرب .
 - ٢ - وصف المعارك وأحوالها .
 - ٣ - وصف القتال وأدواته وأسلحته .
 - ٤ - وصف الأسرى وذليهم .
 - ٥ - رثاء القتلى ، وذكر مناقبهم ، والدعوة للأخذ بثأرهم .
- والشعر الحربي الجاهلي بحق صورة حية متحركة للأيام والوقائع يجسد دقائقها في الحركات والسكنات ، وفي أخلاقياتها ومثالياتها ، وذلك عندما تتأجج العواطف في ساحة القتال ، وحين تشتجر الرماح ويختلف الطعن ، ويسعى كل من الفريقين لآبادة الآخر ، فلا يجد العربي وسيلة للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه في هذه المواقف الخطيرة أفضل من الشعر فسجل مراحل القتال مرحلة مرحلة ، ولحظة بلحظة .

وأهمية الشعر الحماسي تتمثل في التالي :

- أ - الفتى عضد العدو : بتصوير شجاعة القوم ، وذكر الفرسان والأبطال ، وتذكير العدو بوقائع القوم وأيامهم ومفاخرهم وانتصاراتهم ، وأنهم ينتظرون لقاءه ، ويتطلعون إليه بكل شوق ولهفة ، ليضيفوا إلى سجل انتصاراتهم يوماً جديداً ، وإلى صحائف مجدهم صفحة جديدة .
- ب - الدفاع عن القوم إذا حاقت بهم الهزيمة وتعليل ذلك بسوء الحظ أو كثرة العدو ، وأن الهزيمة لم تصب القوم بخسائر كبيرة ، والتهديد بالانتقام ، هذا إن لم يقلب الهزيمة الماحقة إلى نصر مبین .

ومن الملاحظ في الحرب أن الشعر في يد الشاعر كالطينة يلونها كيف يشاء ، ويجعل لها من الصور والأخيلة والأشكال ما يحلوه ، يقلب الحق باطلا ، والباطل حقا .

وقد لاحظنا أن وصف الشعر للحرب يسلك السبل الآتية :

- ١ - الفخر : بذكر شدة القوم وشجاعتهم وثباتهم في الحرب ، وأنهم أهل لها خلقت لهم وخلقوا لها .
- ٢ - المهجاء : بتعمير الفريق المقابل بقلة الصبر على رمضاء الحرب ، والفرار ، والفرار ، وأنهم أضعف من أن يواجهوهم ، وباختصار فالمهجاء هو الصورة العكسية للفخر .
- وأحيانا لا يتورع المهجاء عن الخوض في أعز ما يحافظ عليه العربي ويحامي ، وهو الشرف . وكان أقسى ما يمكن أن يوصف به هو الجبن والخرع اذا ما انتهكت الحرمات .
- ٣ - التهديد : بالردع لكل من تسول له نفسه المسامحة بحرمة القبيلة ، وأن من يجروا على ذلك يلحق بمن سبقوه الذين اندحروا وقتلوا ومزقوا كل ممزق ، ولا يخلو المهجاء من الفخر .
- ٤ - الصلح والانصاف : يوصف الحرب بأبشع الأوصاف ، وأن الظافر فيها خاسر ، وفي مجال الانصاف لا يغمط الفريق الآخر حقه في القوة والشجاعة .

والحرب من المواطن التي تطفى فيها شخصية القبيلة على شخصية

الشاعر ، ومنها المفخرة والوفادة ، كما في قصة وفادة " عمرو بن كلثوم " و " الحارث بن حلزة اليشكري " على عمرو بن هند وتنافرهما عنده (١) .

وكانت الأشعار التي يوقفها الشاعر على القبيلة تجد عند القوم قبولا
منقطع النظير ، اذ نجد معلقة " عمرو بن كلثوم " التي شحنتها حماسا وافتخارا
، بلغت من عجب " بني تغلب " حداً أثار أحد شعرائهم فقال : (١)

ألهي بني تغلبٍ عن كل مكرمة قصيدةً قالها عمرو بن كلثوم
يفخرون بها مذ كان أولهم يا للرجالٍ لفخر غير مستثوم
ان القديم اذا ما ضاع آخره كساعدي فله الأيام محطوم (٢)

والملاحظ أن التأثير متبادل بين الحرب والشعر ، فاذا كان الشعر هو
الوقود الذي يشعل الحروب ويؤججها فان الحروب تقذف حممها وبراكينها
أشعارا ، وكانت الحروب من دواعي الشعر ، ولذلك قل الشعراء عند
الأوس والخزرج ، وقريش . (٣)

وكان الشعر هو الشرارة التي تشعل فتيل الحرب ، فغالبا ما
تبدأ الحروب بالتهديد والوعيد ، يقابله تهديد ووعيد مماثل من الطرف
الآخر ، وهنا تنور الحرب .

عرف ديكتاتوريا
للطائف وحماس
وقرشي

- (١) ذكر في الاغاني ١٧٦/٩ مطبعة التقدم أنه بعض شعراء بكر بن
وائل ، وفي الاشتقاق ٢٠٤ ، ٣٣٩ ، انه شاعر من بني جشم
قوم عمرو بن كلثوم ، وفي الموء تلف ١٨٧ أنه " العوج التغلبي "
واسمه قيس بن زمان بن سلمة من بني مالك بن بكر ، ولم ينسب
في البيان والتبيين ٤ / ٤١ .
- (٢) اختيار من كتاب " الممتع " في علم الشعر وعمله / لعبد الكريم
النميشي القيرواني ص ٧٤ تقديم وتحقيق د . منجي الكعبي .
الدار العربية للكتاب / ليبيا / تونس ١٣٩٧ هـ ٢٠١٩ م
- (٣) انظر تحليل ابن سلام في طبقاته ١ / ٢٦٠ لقلة الشعر عند الأوس
والخزرج وقريش والطائف .

(١)

ومن أمثلة التهديد والوعيد والرد عليهما قول " ذى الكفا الأشل "

(في توعده " بني حنيفة " :

حنيفة مهلا تنذرون دماءنا على أن تقيلانا قتيلا بني أسد

ونحن مصادير الطعان اذا دعا ضبيعة داعيها أستنتها قصد

اذا الخيل خامت وأقشعرت جلودها بسير فيغشاها الأسنة بالقصد

(٢)

سيمع أخرى الحق منكم فوارس اذا فزعوا لم يشدوا حزم البرد

وعادة ما يكون رد الطرف الاخر بأن ميدان الحرب خير مصداق للأقوال
والتهديدات التي لا تعدو أن تكون سلاح العاجز ، يقول " مالك بن عمرو
ابن النضيري " :

انبئت حيا ينذرون دمي وذاك من قلة الأحلام والخرق

مهلا وعيدي لا أبا لكم ان الوعيد سلاح العاجز الحق

كيلا ينالكم كيدي ومقدرتي فقد يحاذر مني زلة الغلق

وقد يشعل الشعر المهجائي / ان التهاجي بين الشعراء يثير

العداوة والبغضاء ، وقد يوءى الى وقائع دامية .

(١) اسمه عمرو بن عبدالله بن حنيف بن ثعلبة ، ويكنى " أبا جلان " فارس

شاعر جاهلي ولم أجد له ترجمة سوى ما ذكره المرزباني ٢٠٧ .

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ٢٠٧-٢٠٨ . مصادير الطعان : مقدميه

وشجعانه ، خامت : جينت ونكصت .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ٣٦١ ، ولم أقف لمالك هذا على ترجمة .

والغلق : الرهن الذي لم يقدر راهته على تخليصه من يد المرتهن

بشرطه فصار ملكا له .

ولذا همت قریش بقطع لسان "ابن الزيمرى" لهجاء بني قصى ،
وهذا الهجاء بمثابة البارود الذى يوضع بين قبيلتين فيفجر الصراع بينهما .
ومن ذلك أن "زيد الخيل" أخذ "بجير بن زهير بن أبى سلمى"
فلما علم أنه ابن زهير ، رده إليه مكرماً ، فجازاه زهير على معروفه بأن منحه
فرس "كعب" ابنه ، فلما علم كعب بهذا غضب (فقال كعب شعرا يريد
أن يلقى بين "بني ملقط" وبين رهط زيد الخيل شراً ، فعرف "زهير"
حين سمع الشعر ما أراد به ، وعرف ذلك "زيد الخيل" و "بنو ملقط"
فأرسلت إليه "بنو ملقط" بفرس نحو فرسه) . (١)

والحرب تهيج مشاعر الشخص العادى وتبلغ به الذروة في التأجج
والانفعال ، فكيف بعواطف الشاعر المرفه الأَحاسيس ؟؟!

ومنذ بداية الاشتياك بين اثنين في تاريخ البشر ، كانت العاطفة
تتحكم فيها ، فكل منهما يريد القضاء على الآخر قبل أن يقضى عليه .

وليست الحروب مهما كبرت الا قتالا بين اثنين ، فكل فرد من الجيش
الكثيف يلاقي فرداً من الفريق الآخر فاما موت واما حياة .

والشاعر الفارس في ساحات القتال يعبر عن أحاسيسه الفردية
والجماعية فهو يتحدث عن صولاته وجولاته متباهياً مفتخراً ، وهذا هو التعبير
الشخصي بحكم انسانيته .

ولكن الشاعر يدرك أنه جزء لا يتجزأ من كيان قبيلته فتطفئ عليه
عصبته ، ويغلب على شعره الطابع الجماعي ، وهذا النوع من الشعر بالذات
هو الوقود الذى أشعل نار التنافس بين القبائل ، فانبى كل شاعر يدافع
عن قبيلته وقومه بكل ما أوتي من فصاحة وبيان .

الحث على الحرب وانذار القوم بالعدو

وكان العربي بطبعه سريع الانفعال مندفعاً للحرب شديد الحماسة لها يضع نفسه وماله في خدمة قبيلته والدفاع عنها ، لذلك لا نجد الحث على الحرب في الشعر الجاهلي الا في النادر اليسير ، وهذا لا يكون الا بأسباب يراها الشاعر وجيهاً للدخول في حرب مع الأعداء ، أو شدا للعزائم أثناء القتال .

ومن النماذج القليلة للحث على الحرب " يوم ندى قار " ولعل السبب هو تلك الهيبة التي كانت لملوك العجم في نفوس العرب لما يملكوه من عدد هائلة وجيوش ضخمة ، وأيضاً لاجتماع عدة بطون وقبائل في الحرب ، فكل قبيلة تريد أن تبرز شجاعتها وصولاتها في ميادين القتال .

ومن هذا القبيل قول " عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكري في هذا اليوم :

يا قوم لا تَغْرُرْكُمْ هَذِي الْخِرْقُ ولا وَيِيصُ الْبَيْضِ فِي الشَّمْعِ بَرَقُ
من لم يقاتلْ منكمْ هَذَا الْعَنْقُ فجنبوه الرّاحَ واسقوه الْمَرْقُ (١)

وقد لاحظت أن شعر التحريض والحث على الحرب هو من باب الاثارة وشحن النفوس وشد العزائم وتهيئتها للحرب لا أكثر ، إذ أن العربي لا يتوانى عن الدفاع عن قبيلته ان نزل بها مكروه ولا يتقاعس عن نصره القوم .

يقول " حنظلة بن شعلبة " يشد من أزرقومه يوم " ندى قار " :
يا قوم طيبوا بالقتال نفسا أجدر يوم أن تفلوا الفرسا (٢)

-
- (١) معجم الشعراء / للمرزباني ٢٢٥ وعمرو شاعر جاهلي لم أجد له ذكرا سوى هذا الخبر .
(٢) النقااض ٦٤٢ وحنظلة ويزيد ابنة راجزان مجيدان ، ولم أجد له أخبارا أخرى سوى خبره هذا في النقااض .

وقد يلجأ الشاعر الى حث قومه على الحرب لاسباب يراها وجيهة
كقول " بشامة بن الغدير " يحرض قومه بني سهم بن مرة على أن لا يخذلوا
حلفاءهم الحرقة " (١)

ولا تقعدوا وبكم مننة
كفى بالحوادث للمرء غولا
وحشوا الحروب اذا أوقدت
رماحا طوالا وخيلا فحولاً
ومن نسج داود موضونة
ترى للقواضب فيها صليلاً (٢)

وفي الانذار بالعدو ، يظهر جليا عطف الشاعر على قومه وشفقته عليهم ،
فيلجأ الى تهويل العدو والمغير وتعظيمه ، وينذر القوم ان لم يقتلوا
العدو قتلهم ، يقول المتلمس الضبي :

القوم أتوكم بأرعن جحفل
حنقين إلا تفرسوهم تفرسوا (٣)

ومن ذلك انذار لقيط بن يعمر الايادي " لقومه غزو كسرى ، وكان كاتباً لديه ،
يقول لقيط في أبيات منها :

سلام في الصحيفة من لقيط
الى من بالجزيرة من ايكاد
بأن الليث كسرى قد أتاكم
فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهم ستون ألفا
يزجون الكتائب كالجراد
على حنق أتيناكم فهذا
أوان هلاككم كهلاك عاد (٤)

- (١) هم " بنو حميس بن عامر " من جهينة .
(٢) المفضليات ٥٩ منة : قوة ، قولاً : الغول ما غال بالشيء فذهب به ،
حش : أوقد . من نسج داود : الدروع . موضونة : نسجها مضاعف .
(٣) ديوانه ٢١٦ تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
أرعن : يعني جيشاً كأنه رعن جبل وهو أنفه المقدم ، والجحفل :
الجيش العظيم . تفرسوا : تقتلوا ، من فرس الأسد فريسته : قتلها .
(٤) ديوانه ٣٦ وقد مر بنا قصة انذار " عمير بن طارق اليربوعي " وهو
في أسر " بني شيبان " .

المبالغة في تصوير المعاني الحماسية

كان العربي بطبعه سريع الغضب ، قاصر الخيال ، محدود التفكير
كثير المبالغة ، نزاعاً للحماسة والشدة ، ولهذا لا غرابة في انعقاد الصلوة
الوثيقة بين الحماسة والمبالغة .

وانا كانت الحماسة هي الشدة في أي أمر من الأمور ، فان المبالغة
تصوير لعواطف العربي الشديدة المتهاجة ، والتي تنفعل لا مورناها
بمنظورنا لا تستحق كل هذا الاهتمام ، ولكنها عنده من الأهمية بحيث
يبذل مهجته في سبيلها .

وما كانت وقائعهم بالقياس الى الحروب الحالية الا مجرد مناقشات
خفيفة ولكنهم صوروها في صورة الملاحم العظيمة وهي كذلك في نظرهم .
وقد أدرك هذا دارسو الشعر الجاهلي الاوائل ، يقول " ابن سلام"
في طبقاته ، عن " المهلهل بن ربيعة " :

(وكان المهلهل يدعى في شعره ، ويتكرر في قوله بأكثر من فعله) (١)

(١) طبقات ابن سلام ٤٠ / ١ ، والموشح ٧٤ والخزانة ٣٠٠ / ١ والمزهر

٠٤٧٦ / ٢

واختلف في اسم المهلهل ، والاكثر على أنه عدى بن ربيعة من بني جشم
من تغلب ، شاعر من أبطال العرب ، خال امرى * القيس الشاعر ، لقب
بالمهلهل لأنه أول من هلهل الشعر ، أو لبيت قاله ، كان صبيح
الوجه فصيح اللسان ، قضى صباه في الشراب واللهو ولما قتل أخوه
انقطع عن ذلك وآلى أن يثأر لأخيه فكانت وقائع بكر وتغلب وله فيها
العجائب والأخبار الكثيرة .

انظر بعضاً من ترجمته في ابن سلام ٢٩٧ - ٢٩٩ وخزانة البغدادى
٣٠٠ / ١ - ٣٠٤ وسح العيون ٤٩ والاشتقاق ٦١ وشرح الحماسة
للعرزوقي وغيرها .

ومن الأبيات التي بالغ فيها " المهلهل " وكانت المبالغة فيها واضحة
قوله في " يوم عترة " :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور (١)

ولعل المبالغة ظاهرة في قوله أيضا :

أكثرت قتل بني بكر بربرهم حتى بكيت وما يبكي لهم أحد
آليت بالله لا أرض بقتلهم حتى أبهرج بكرًا أينما وجدوا (٢)

والحماسة تدفع العربي إلى تهويل الحرب وتضخيمها فيعمد إلى :

- ١ - تخميم شأن قومه وزرع هيبتهم في قلوب الأعداء .
- ٢ - التهويل على العدو والغزى .
- ٣ - الإهابة بالفرسان .
- ٤ - وفي انذار القوم بالعدو يخوفهم بكثرة عدته وعدده .

*

- ومن المبالغة في وصف قوة الجيش وكثرته وأن الأرض ترجف بسببه
قول " سلامة بن جندل السعدي " :

تكاله الأرض من رزّه اذا سارت ترجف أركانها (٣)
فهذا الجيش العظيم الذي ملأ الفضاء بعجيجه ، وأطت الأرض من
ثقله ، وسد الأفق بكثرته ، قد لا يتجاوز مئتي رجل .

(١) الأسمعيات ١٥٥ وانظر التعليق عليه في الأمانى ١٣٤/٢ والعمدة

٥٩/٢ حجر : مدينة باليمامة . الذكور : أجود السيوف .
(٢) خزائن الأدب ١٧١/٢
ربهم : يعني كليبا أخاه . أبهرج : اقتل .

(٣) ديوانه ٢٥٦ .

- وهذا "الأشعر البلوى" ينذر قومه غارة "بني عذرة" عليهم
وأنهم قد جاءوا بحيش كثيف ملاً الأودية حتى ضاقت به، فيا
ترى كم كان عدد الجيش الغازي؟!
يقول "الأشعر البلوى":

هم ملئوا المسيلَ مسيلَ نجدٍ وُغِصَ مضيقه بهم طويلاً
وعدى العلمُ أن القومَ زادوا على مائتين أو نقصوا قليلاً
فان يك ذوالشليلِ نجا صحيحاً فلا تحمد له إلا الشليلُ (١)

فهذا جيش عدته مائتا رجل يوصف بهذه الضخامة والعظمة . ولعل الشاعر
حين ذكر عدد أفراده أراد أن يزيد في تهويله على قومه فجعلهم "مائتين"
ولكننا بالنظرة الفاحصة الى نزعة المبالغة الواضحة في شعره جعلنا نكاد
نقطع بأن عدد الغازين لم يكن يتجاوز المائة، ألا ترى الى قوله :
* أو نقصوا قليلاً * !!

- ومن هذا القبيل قول "مالك بن نويرة" يصف كثرة قومه وأنهم
لكثرتهم تخالهم بحراً هادراً متلاطم الأمواج، مع أنهم يعدون على أصابع
اليد :

(٢) فما فِتَتْوا حتى رأونا كأننا
مع الصبح آذَى من البحرِ مزبدي

والحروب الجاهلية لا تعد وأن تكون صورة مصغرة جداً للحرب بمفهومها
لدينا، ولكن الفرق في الدرجة فقط.

(١) الموءتلف والمختلف / للامدى ٤٧ . والأشعر البلوى ثم الهربي من

بني هرم من قضاة، ولم اعثر له على ترجمة .

(٢) الاصمعيات ١٩٣ والآذَى : الموج .

ونفس العربي كانت مشاعرها تحتدم وتتلظى لمشاجرة بسيطة
ونزاع صغير ، وينفعل ويتأثر اكثر مما تتأثر الجنود النظامية في الحروب
العظيمة .

وقد أولى العربي الأيام اهتماما كبيرا ، فاعتبر مجرد المناوشات
والمشاجات والمشاحنات الخفيفة أياما يفتخر بها ، وما غالب أيام الأوس والخزرج
الا من هذا القبيل .

وحتى تستبين الصورة واضحة المعالم نلاحظ أن من أدوات حروبهم
التي جعلوها تبدو وكأنها ملاحم عظيمة : المعصي والحجارة ، يقول
الجاحظ : (والعصا قد تكون سوطا وسلاحا) (١) .

ويقول أيضا : (وانما كان جل قتالهم بالعصي . ولذلك فخر
الأعشى على سائر العرب فقال :

لسنا نقاتل بالعِصِ ي ولا نرامي بالحِجَارَةِ
الأُغْلَالَةَ أَوْ بَدَا هَةَ قَارِحٍ نَهْدِ الْجِزَارَةِ

وقال آخر :

فان تمنعوا منا السلاحَ فعندنا سلاحٌ لنا لا يشتري بالدرهم
جناريلُ أملاءٍ الأَكْفِ كَأَنَّهُمْ رهوسُ رجالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ (٢)

(١) البيان والتبيين ٣/٦٩٠

(٢) البيان والتبيين ٣/١٤-١٥ وأبيات الاعشى في ديوانه ١٥٩ مع
اختلاف في الترتيب ان أن البيت الأول برقم ٥٤ والثاني برقم ٤٩
والبداهة : اول جرى الفرس وبعده غلالة ، والقارح : الفرس في
السنة الخامسة والنهد : المرتفع ، والجزارة : اليدان والرجلان
والعنق .

ونظرا للحساسية المفرطة ، وسرعة الانفعال والغيرة الشديدة للشرف والكرامة التي جبل عليها العربي مع المبالغة في العار والخجل ، إضافة الى البعد عن الدقة في تسجيل الحوادث والوقائع فان ذلك كان له الأثر الواضح في طغيان المبالغة والتهويل على وصف العربي للأيام والحوادث. ومن هنا كانت القبائل تتنافس في نسبة الانتصارات اليها ، كما في يوم " خزازي " الذي اشتركت فيه عديد من القبائل والبطون ، وقد اختص عمرو بن كلثوم " قومه بالنصر في هذا اليوم فقال :

ونحن غداة أُوقِدَ في خَزَازِي رَدْنَا فوقَ رَدِّ الرَّافِدِينَا (١)

وكما كان العربي البسيط بفطرته يببالغ ، كان الرواة والقصاصون أيضا يببالغون ، ولعل من مبالغتهم أن يذكروا أن " عصمة بن حدرة الرياحي " قتل في يوم " الصرائم " سبعين رجلا من " بني عبس " ثارا بابن عم له ، وقال لما قتلهم :

الله قد أمكنني من عبسٍ ساغ شرابي وشفيت نفسي
وكنت لا أقرب طُهرَ عرسٍ ولا أشدُّ بالوخافِ رأسي
ولم أشرب صَفْوَا الكأسِ (٢)

فهذه حروب " بكر وتغلب " و " عبس وذيبيان " التي استمرت سنين طويلا ، وكادت القبائل تتفانى فيها ، كان عدد القتلى فيها بسيطا .

(١) شرح المعلقات للزوزني ١٨٢ .

(٢) النقائض ٢٤٨ ، ٣٣٦ .

ولم يكن العربي يبالغ في زهوه وظفره ويطولة قومه ، ومسالمة الأشاوس
منهم ، الذين حققوا النصر فحسب ، فيصوم مصارع أعدائه تشمئطا بهم ونكايمة
بقومهم (١) ، ويفخر بقومه وما أنجزوه من ظفر ، وإنما صاحبه نزعتـه
للمبالغة حتى وقوه يئنون تحت وطأة الهزيمة فيصورهم في صورة المنتصرين
الذين اكتسحوا أعداءهم وتطايرت أنبا انتصاراتهم في نواحي الجزيرة .
وما ذلك إلا اباة نفس العربي وكبرياؤه التي لا تعترف بالهزيمة
ولا تقبل بها . (٢)

-
- (١) اعظم مثلا لذلك قصيدة " عوف بن عطية " في المفضليات ٣٢٧ وديوان
بشر بن أبي خازم ٩٣ وديوان عامر بن الطفيل ١٠٩ وما بعدها .
(٢) من ذلك مثلا قصيدة " سلامة بن جندل " في ديوانه ص ١٥٥ وما
بعدها في يوم " الفروق " الذي هزم فيه قومه هزيمة منكرة .

المصنفات

تمهيد

الباب الثاني :

المنصف في الشعر والجمال

تمهيد

- الفصل الأول : الانصاف في الحرب
الفصل الثاني : الانصاف الاجتماعى
الفصل الثالث : الانصاف السياسى

المنصفات من وجهة النظر اللغوية

- المنصفات - بسكون النون وكسر الصاد . أو المنصفات - بفتح النون
وتشديد الصاد - هو ما نأخذ - الآن - في بيانه وفقا لما جاء في معاجم
اللغة .

ولنبداً بالمنصفات - بسكون النون وكسر الصاد - وبالعودة الى أصلها
اللغوي نجد أنها من باب " نصف " . وتصريفاته متعددة مثل : (النصف ،
الانتصاف ، والانصاف ، نصفه ينصفه ، وينصفه نصفاً ونصافة ، ونصافاً ،
ونصافاً ، وأنصفه وتنصفه كله) (١) .

الى غير ذلك من الاشتقاقات والتصريفات التي تفرعت عن الأصل اللغوي
لل فعل " نصف " .

أما معانيه فسأجعلها فيما يلي :

(*)
في لسان العرب (٢) : (النصف - بالكسر - الانتصاف : وقد انصفه
خصمه ينصفه انصافاً) .

وفيه أيضاً (٣) .. (النصف - بالكسر أيضاً - الانصاف ، قال الفرزدق :

ولكن نصفاً لوسبيت وسيني بنوعيد شمس من مناف وهاشم)

وفي تهذيب اللغة (٤) : (النصف - بالفتح - الانصاف) .

ويعلق " ابن قتيبة " في كتابه " المعاني الكبير " (٥) على

قول القطامي :

(فاسأل نزاراً فقد كانت تنازلني بالنصف من بين أسخان وأبراد)

- بقوله - والنصف : الانصاف) .

(١) لسان العرب ٩/٩٣٢ .

(٢) لسان العرب ٩/٩٣٢ .

(٣) لسان العرب ٩/٩٣٢ وانظرتاج العروس ٦/٢٥٥ والصاح ٤/١٤٣٣

والمسلسل في غريب اللغة ٢٨٠ .

(٤) تهذيب اللغة ١٢/٢٠٥ .

(٥) المعاني الكبير / لابن قتيبة ٢/٨٠٥ .

(*) ومنه العثل المشهور (قد أنصف القارة من رامها) والقارة : قبيلة من

كنانة هم أرض العرب ، فدعتم قبيلة الى العرامة . فقليل قد انصف القارة من

رامها . انظر الفاخر لابن سلمة ١٤٠ .

وفي جمهرة اللغة^(١) : (وأنصف الرجل : أى عدل ، ويقال : أنصفه من

نفسه وانتصفت أنا منه وتناصفوا أى أنصف بعضهم بعضا

من نفسه ، وفي حديث عمر مع زنباع بن روح :

متى ألق زنباع بن روح ببلدة لى النصف منها يقرع السن من ندم)

ويلاحظ أن النصف - مثلث النون - يعنى الانصاف ، وفي خطبة

علي رضي الله عنه في الأ^١ نبار قوله فيمن ترك الجهاد : (ومنع النصف -

بالسكون والتحرك)^(٢) أى : الانصاف .

وفي شجرة الدر^(٣) : (النصف ! العدل والانصاف) .

وفي القاموس المحيط^(٤) : (والانصاف : العدل ، والاسم : النصف والنصفة

- محركتين) .

والعدل الذى تعنيه كلمة النصف هو اعطاء الحق وبذلك وأخذ الحق

أيضا ، ففي لسان العرب :

(*)

(النصف والنصفة والانصاف : اعطاء الحق ، وقد انتصف منه وأنصف

الرجل صاحبه انصافا ، وقد أعطاه النصفة)^(٥) .

(١) جمهرة اللغة ٨٢/٣ وانظر لسان العرب ٩٣٢/٩ ، والصحاح ١٤٣٣/٤

وأساس البلاغة ٠٦٣٦

(٢) خطبته في البيان والتبيين ٠٥٣/٢

(٣) شجرة الدر / لأبي الطيب اللغوى / ٢١٥ ، تحقيق محمد عبد

الجواد ، دار المعارف / مصر ١٩٥٧م .

(٤) القاموس المحيط ٠٢٠٠/٣

(*) يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن " يوم ذى قار " : (اليوم أول يوم

انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصر وا) .

(٥) لسان العرب ٩٣٢/٩ وانظر تهذيب اللغة ٢٠٣/١٢ وأسما

البلاغة ٠٦٣٦

ومنه قول "معن بن أوس" (١) :

وإن أدعهُ للنصفِ يَأْبُ ويعصني ويدعُو لحكمٍ جائرٍ غيره الحكمُ

وقول "مالك المزموم" (٢) :

طيروني من اليلارِ وَقَالُوا مَالِكَ النِّصْفُ من بني حُكَّامٍ

وفي كتاب الأفعال لابن القطاع (٣) : (وأنصفت فلانا من فلان أخذت له

حقه ، وأيضاً : عدل ونصف ، وأنصف من نفسه لا غير) .

والتنصف ، والاستنصاف ، هو طلب العدل ، ففي لسان العرب (٤) (وتنصفت

السلطان : أي سألته أن ينصفي كاستنصفه) .

يقول "أمية بن أبي الصلت" (٥) :

ينتابه المتنصفون يسحرة في ألف ألفٍ من ملائِكَ تحشِدُ

وقول "منقذ الهلالي" (٦) :

فحسبك بالتنصيفِ ذلُّ حرِّ وحسبك بالمذلةِ سوءُ حالِ

(١) ديوانه ٤١ جمعه د . نوري القيسي وحاتم الضامن ، دار الجاحظ

بغداد ، ١٩٧٧ م الطبعة الأولى وفيه (عصره الحكم) ولعل

الصحيح ما ذكرته .

(٢) معجم الشعراء / للمرزباني ٣٦٣ .

(٣) ٢٢٠ / ٣ .

(٤) لسان العرب ٩ / ٣٢٩ وانظرتاج العروس ٦ / ٢٥٧ ، والقاموس

المحيط ٣ / ٢٠٠ وتهذيب اللغة ١٢ / ٢٠٥ والتكملة ٤ / ٥٧٠ .

(٥) ديوانه ص ٣٦٢ والمتنصفون : واحد هم متنصف ، وهو الذي يسأل

السلطان أن ينصفه .

(٦) حماسة البحتري / ١٤٩ .

(١)

وقول الآ خر :
وتعجب أن حاولت منك تنصفاً وأعجب منه ما تحاول من ظلمي

ولو ذهبنا نستقصي جميع المعاني اللغوية التي يدل عليها الفعل " نصف " أصل كلمة " المنصفت - بسكون الفون وكسر الصاد - لوجدناها تدور حول العدل والحق والانصاف ، وما شاكل ذلك .

أما المنصفت - بفتح النون وتشديد الصاد بالفتح أو الكسر -

فهي أيضا من باب " نصف " الذي يعني التنصيف وقسمة الشيء نصفين على حد قول امرى القيس : (٢)

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنت مهما تأمرى القلب يفعل
(وأنت قسمت الفؤاد فنصفه قتيل ، ونصف في حديد مكبل)

(٣)

و (تنصيف الشيء جعله نصفين) .

(٤)

و (نصف الشيء نصفاً وانصفه ، وتنصفه ، ونصفه ، أخذ نصفه أو بلغ نصفه) . ومعانيه تدور حول النصف والجزء ووسط الشيء ، ف (النصف : أحد شقي الشيء ، والجمع أنصاف والنصف ، والنصف ، والتنصيف ، والنصف : أحد جزأى الكمال) (٥)

(١) لم ينسبه الجاحظ في البيان والتبيين ٢/٣٥٢ .

(٢) ديوانه ص ١٣ والبيت الثاني بين القوسين ليس في ديوانه ، وهو في

جمهرة أشعار العرب ١/٢٥٣ تحقيق د . محمد علي الهاشمي . من مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية / لجنة البحوث والتأليف ولترجمة والنشر / الرياض .

(٣) لسان العرب ٩/٩٣٢ .

(٤) لسان العرب ٩/٩٣١ ومجمل اللغة ٤/٤٠٦ .

(٥) لسان العرب ٩/٩٣٠ وانظر الصحاح ٤/١٤٣٢ والقاموس المحيط

٣/٢٠٠ وتاج العروس ٦/٢٥٥ وتهذيب اللغة ١٢/٢٠٣ وجمهرة

اللغة ٣/٨٢ .

و (النصف : الشطر ، قال العتبي :

(١)
فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرَهُ مَالَ فِي شَطْرِي

وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بِنِي يَشْطُرُهُ

وفي النوادر " لا أبي مسحل " : (يقال : جئت حين وسط النهار ونصف

وأُصِفُ وانتصف) (٢) .

(قال المسيب بن علس يصف غواصا :

(٣)
وَشَرِيكَ بِالْغَيْبِ مَا يَكْدُرِي

نَصَفَ النَّهَارَ وَالْمَاءَ غَامِسُهُ

وقال أبو جندب الهذلي : (٤)

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِعُضُوفَةٍ
أَشْمَرُ حَتَّى يَنْصِفَ السَّاقَ مِثْرِي

وقال الشنغري :

(٥)
وَتَأْتِي الْعِدَى بَارِزًا نِصْفَ سَاقِهَا تَجُولُ كَعَيْرِ الْعَانَةِ الْمُتَلَفِيتِ

ويقال :

(٦)
(انا نصفان وقصعة نصفى اذا كان الطعام والشراب الى أنصافهما)

و (نصف الماء الشجرة بلغ نصفها ، ونصف الماء القدح كذلك . وانصف

الشيء بلغ نصفه ، وكذلك النهار) . (٧)

-
- (١) المسلسل في غريب اللغة ٢٨٢ والبيت في ديوان الحماسة ١/٤٤٤ .
(٢) النوادر / لابي مسحل الاعرابي ١/٩٦ ، ١٢٥ ، ١٨٤ ، وانظر تهذيب
اللغة ١٢/٢٠٣ والصحاح ٤/١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ،
والتكلمة ٤/٥٧٠ .
(٣) جمهرة اللغة ٣/٨٢ وانظر تاج العروس ٦/٢٥٥ - ٢٥٦ وفي الصحاح
٤/١٤٣٢ (النصف نصف الشيء) .
(٤) ديوان الهذليين ٣/٩٢ .
(٥) أحالها العيني في ديوانه ضمن مجموعة الطرائف الادبية الى المفضليات ص ١١١ .
(٦) النوادر في اللغة / لابي زيد الأنصاري ٢٤١ وانظر مجمل اللغة ٤/٤٠٦
وتاج العروس ٦/٢٥٧ والمسلسل في غريب اللغة ٢٧٧ .
(٧) كتاب الأفعال / لابن القطاع ٣/٢٢٠ .

قال الراجز " صحير بن عمير " (١) :

وقبلها عام ارتبَعْنَا الْجَعَلَةَ

مِثْلَ الْأَتَانِ نَصْفًا جَنْعَدَلَةَ

وعن تصريفاته يقول محقق تهذيب الصحاح (٢) : (النصف - بفتح النون -

لغة في - النصف بكسرها - والنصف بالضم عن ابن الأعرابي ، والفعل

منه ، نصف ينصف ، من باب ضرب يضرب ، ونصر ينصر ، ونصفت الشيء *

إذا بلغت نصفه ، ونصفت فلانا أخذت منه النصف كما يقال : عشرته من باب

نصر ينصر ، وأنصفت الشيء انصافا : أخذت نصفه ، وأنصف : إذا سار

نصف النهار) .
وليس هناك تباين في المدلول اللغوي لكل من المنصِفات والمنصِفات .

ويبدو بالتأمل والتدبر والتمعن أن هناك روابط وثيقة تجمعها ،

(٣)

فاذا قلنا : أنصف فلان فهذا المعنى أنه (أخذ الحق وأعطى الحق) .

فكأنه جعل الحق نصفين بينه وبين خصمه فأخذ ما له وترك ما

ليس له .

و (النصفة : اسم الانصاف ، وتفسيره : أن تعطى من نفسك

(٤)

النصف ، أي تعطيه من الحق كالذي تستحق لنفسك) .

(ويقال : انتصفت من فلان : أخذت حقي كلاً حتى صرت أنا وهو

(٥)

على النصف سواً) .

(١) الأُصمعيات ٢٣٥ ونصفا : المرأة بين المسنة والشابة أو التي بلغت

خمساً وأربعين سنة . وفي الأُمالي ٢٨٤/٢ ينسب هذا الرجل لخلف

الأحمر وفي السمط ٩٣٠ ينسب للأُصمعي .

(٢) تهذيب الصحاح (حاشية) ٥٥٧/٢ .

(٣) انظر لسان العرب ٩٣٢/٩ وتاج العروس ٢٥٦/٦ وتهذيب اللغة ٢٠٣/١٢ .

(٤) انظر لسان العرب ٩٣٢/٩ ، والصحاح ١٤٣٢/٤ وتهذيب اللغة ٢٠٤/١٢ .

(٥) انظر لسان العرب ٩٣٢/٩ وتهذيب اللغة ٢٠٤/١٢ وحاشية التكملة ٥٧١/٤ .

وقد حاول "ابن فارس" الجمع بينهما في قوله : (والانصاف في
المعاملة : معروف كأنه - والله أعلم - الرضا بالنصف) . (١)

فالمنصفات - بسكون النون - تعنى العدل والحق ، والمنصفات -
بتشديد الصاد بالفتح أو الكسر - تعنى تقسيم الشيء الى جزئين أو
شطرين ، وكأن الحق - في الأولى - قابل للتجزئة يعطى كل من الخصمين
ما يستحق منه ، وإذا فلا تباين ولا تضارب بينهما .

ولعل أسجل هنا أن كل من تكلم عن المنصفات أبحث عنها
من دارجي الأديب قديماً أو حديثاً لم يستسيغوا " المنصفات - بتشديد
الصاد بالفتح أو الكسر - " لذلك نجدهم يبرزون اللفظ الآخر لها ،
ويغفلون ذكر ثانيها ، كأنهم يرون أن الأفضل اطلاق " المنصفات -
بسكون النون - على هذا اللون من الشعر .

وقد رأينا في استقصائنا لمعناهما اللغوي والجمع بينهما أن اطلاقهما
عليه سواء بسواء يؤدى الغرض ذاته والمعنى نفسه .

وإذا كانت (المنصفات) كذلك في بطون المعاجم فإن الذى يستري
الانتباه هو أننا - في مجال الأديب - لا نكاد نعرش على تعريف واضح
يتفق عليه الأديباء لهذا اللون المهم والنادر في الشعر الجاهلي ، اللهم
إلا ما أورده صاحب الخزانة ، نقلاً عن الطبرسي ، وتابعه عليه كل من قرأ
المنصفات أو قرأ عنها ، يقول " الطبرسي " بعد أن شرح أبياتاً للعباس
ابن مرداس السلمي " من قصيدته " المنصفة " : (وهو من باب التناصف ،
وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم وصدقوا عنهم وعن أنفسهم
فيما اصطلسوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم في أمحاض الأخاء ، قد
سموها " المنصفات ") . (٢)

(١) مجمل اللغة ٤/٤٠٦ .

(٢) خزانة الأديب ٣/٥٢٠ - ٥٢١ .

وعلى هذا التعريف اتكأ المحققان الفاضلان " عبد السلام محمد هارون " و " محمود شاكر " . ففي التعليق على ورود " الأ شعار المنصفة " في عبارات الجاحظ ، يقول الشيخ " عبد السلام هارون " : (والأ شعار المنصفة هي القصائد ... وسرد تعريف الطبرسي لها) (١) .

أما شيخنا الفاضل " محمود شاكر " فقد صاغ التعريف بعبارة أخرى ، ولكن المعنى لا يختلف كثيرا عن تعريف " الطبرسي " لها فيقول معلقا على قصيدة " خدش بن زهير " المنصفة :

(المنصفة : هي القصيدة التي يمدح فيها الشاعر أعداءه ، ويذكر ما أوقعوا بقومه ، وما أوقع قومه بهم انصافا وعدلا) . (٢)

أما الدكتور " نوري حمودى القيسي " فيزيد على تعريف " الطبرسي " العبارات التالية :

(وفيما وصفوه من أحوالهم دون مبالغة أو مغالاة ، فذكروا بطولاتهم الى جانب بطولة خصومهم ، انصافا لهؤلاء الأبطال ، وتأيدا لهم في ثباتهم) (٣)
أماهم) .

ولم يزد الدكتور " عفيف عبد الرحمن " شيئا في هذا المجال سوى (٥)
قصرها على الفرسان (٤) وكذلك فعل الدكتور " عبد المعين الملوحى " .

-
- (١) البيان والتبيين (حاشية) ٦١/٣ و ٢٣/٤ .
(٢) طبقات ابن سلام " حاشية " ١٤٥/١ .
(٣) الفروسية في الشعر الجاهلي " حاشية " ٨٣ .
(٤) الشعر وأيام العرب ٣٠٢ وما بعدها .
(٥) المنصفات (المقدمة) هـ .

فهو " لا " هم الذين استطعت العثور على " تعريف " المنصفات

عندهم ، ولا يخفى أن هذا التعريف بالرغم من اجتهادهم ليس بجامع ولا شامل ، ومعنى آخر لا ينطبق عليه مفهوم الدقة والوضوح . فقول الطبرسي :
(وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها فيها أعداءهم) (١) ، فيه تحديدها بـ " قصائد " وذلك ينافي ما ذكره الجاحظ في " البيان والتبيين " من حيث الظاهر ان يقول :

(وقد أدركت رواة المسجديين والمريديين ، ومن لم يروا أشعار المجانين ، ولصوص الأعراب ، ونسيب الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفة ، فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة .) (٢)

فانه لم يقل " القصائد المنصفة " ، وانما قال " الأشعار المنصفة "

بدليل أنه تابع كلامه وقال : (ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الحديث والقصائد ، والفقر والنتف من كل شي *) (٣)

ولا يخفى أن " الطبرسي " من رجال القرن السادس ، بينما " الجاحظ " من مخزومي القرنين الثاني والثالث ، إضافة الى طول باع الجاحظ ومقدرته الاعجازية في الأدب ، فأيهما نسطفي ونتبع ؟!

ولعلنى أجد له عذرا ، فربما كان يقصد تحديد القصيدة بما جاوز الثلاثة أبيات ، وما لنا نذهب بعيدا ، فهذا ابن السكيت ، يعلق على أربعة أبيات " للنابغة الذبياني " (يرثي بها النعمان بن الحارث) فيقول :-
ويقال إنه رثى بهذه القصيدة ، أسد بن ناغصة التنوخي . (٤)

(١) خزانة الأدب ٣ / ٥٢٠ .

(٢) البيان والتبيين ٤ / ٢٣ .

(٣) نفسه ٤ / ٢٣ .

(٤) ديوان النابغة ١٦٥ .

وعموما هناك قصائد وأشعار والبيت والبيتان ، أو ما تتبعته من مقطوعات تدخل في اطار المنصفات ، ويدل على أن البيت يدخل ضمن " الأشعار المنصفة " قولهم : (ويروى أن أول من أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة " حيث قال :

كأنا غدوةٌ وبني أبينا بجنب " عنيزة " رَحِيًا مَدِيرًا (١)

وهو بيت مفرد " أنصف فيه وتجاهل في باقي القصيدة .

وشمة شيء آخر ، فبالرغم من أن " الطبرسي " وهو المعول عليه في تعريف " المنصفات " لدى الباحثين يذكر أنها قصائد في (امحاض الاخاء) (٢) .

فالذي يبدو أن ما استقر في أذهان الباحثين ولاطبها ، أن " المنصفات " هي تلك القصائد التي قيلت في الحرب ، وأنصف بها الأعداء ، ولم يعيروا الانصاف في الاخاء وما شابهه كبير اهتمام .

والأهم من ذلك كله أن هذا التعريف لا يشمل " المنصفات " بتشديد الصاد بالفتح أو الكسر - وقد وردت بهذا اللفظ في احدى النسخ المخطوطة لطبقات ابن سلام ، والنسخة الخطية الأخرى للأشبه والنظائر للخالدين . (٣)

وقد حاولت أن آتي بتعريف جامع مانع لهذا اللون من الشعر ، ولا أدعى أنني فقت فيه من قبلي - انما هو مجرد اجتهاد لعل أفتح بابا بذلك لمن بعدى رجاء أن يقفوا على هذا بمزيد من الملاحظات .

(١) خزانة الأدب ٣ / ٥٢٠ .

(٢) خزانة الأدب ٣ / ٥٢٠ على حد قول معن بن أوس :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدت على طرف الهجران ان كنت تعقل (٣) انظر طبقات ابن سلام (حاشية) ١ / ١٤٥ والأشبه والنظائر (حاشية)

فالمنصفات أو المنصفات ، كمايلي : هي الأشعار التي توخّس

قائلوها فيها الصدق والنصفة في شتى أغراض الشعر ومناحي الحياة .

ولعل " المنصفات " - بتشديد الصاد بالفتح والكسر - جاءت من

أن الشاعر كان يضع الأمر نصفين بينه وبين أعدائه ، ومن التعبيرات المألوفة في هذا " قتلا بتقتيل " وماشابهه ، ومنه قول " أبي قيس بن الأسلت " (١) :

لا نألم القتلَ ونجزى به الـ أعداءَ كَيْلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ

وقول " النابغة الذبياني " (٢) يخاطب " بني بغيض " في غدرهم بزدوى

قرباهم وقد اشتفى " بنو ذبيان " منهم مثلا بمثل :

صبرا بغيضَ بن ريثٍ إنَّها رحمُ حُبِّمُ بها فأنَاختكمُ بِجَعَجَاعِ

فما أساءتَ عِدِّيَ ان هُم قَتَلُوا بني أُسَيْدٍ بقتلي آلِ زَنْبَاعِ

لقد جَرَزْتكمُ بنو ذبيانَ ضاحيةً بما فعلتم ككَيْلِ الصَّاعِ بالصَّاعِ

جزاً يَجَزُّ وقْتلاً مِثْلَ قَتْلِكُمْ مهلاً حَمِيضٌ فلا يَسْعَى بِهَا السَّاعِ

(١) ديوانه ٠٨١

(٢) ديوانه ١٩٢ والحبوب : الاثم ، والجعجاع : الأرض الغليظة الصلبة

وحميص : يعني حميضة بن عمرو بن جابر .

ومعروف أن (المنصفت) تلتصق بالعدل وتتأى جهدها عن
الظلم ، وليع من شك في أن العدل والظلم كانا معروفين عند العرب ،
فقد كانت العرب تضرب المثل بجور " كليب بن وائل " وظلمه (١) كما
كانت تضرب المثل بانصاف " أنوشروان " وعدله بين رعيته . (٢)

(وفي مدح الانصاف ، وزم الشغب - يقول ليبيد :-

(٣)
ولقد بلوتك وابتليت خليقتي ولقد كفاك معلّي تعليمي)

وعن ظلم وجور " كليب وائل " الذي تسبب في حرب " البسوس " تحدث
الشعراء العرب داعين الى الاعتاض بما جرى . وأن عاقبة الظلم وخيمة .

يقول " يزيد بن حنيفة التميمي " (٤) :

وزعمت أن الظلم يشري للفتى والظلم يوقع في الشنان ويحرب

شقيت بهم يوم " القصبية " وائل بكر محلقة الجمام وتغلب

ويقول " طرفة بن العبد " (٥) :

والظلم فرق بين حبي وائل بكر تساقبها المنايا تغلب

قد يورد الظلم العبين آجنا ملحا يخالط بالذعاف ويقشب

(١) انظر ثمار القلوب / للشعالبي / ٩٩ .

(٢) انظر المرجع نفسه ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٣) ديوانه ١١٠ وانظر البيان والتبيين ٢٦٧/١ و ١٧٠/٢ .

(٤) (حماسة البحترى ١١٢ ووردت (يشترى) في البيت الأول هكذا .

ولعل الصحيح يشري " ليستقيم الوزن ولم أجد ليزيد بن حنيفة ما

أترجم له به .

(٥) ديوانه ١٢٦ . حبي وائل : هما بكر وتغلب ، والعبين : الواضح ،

آجنا : متغير الطعم واللون ، والذعاف : سم . يقشب : يخلط أى يجر

الظلم الى المعادة .

ويقول " عمرو بن الأَهمتم التميمي " (١) :

ان كليباً كان يظلم وائلاً فأدركه مثل الذي تريان

ولما حشاهُ الرمحُ كفَّ ابنَ عمِّه تذكر ظلمَ الأصلِ أيَّ أوانٍ ؟

ويطول بنا المقام لو ذهبنا نستقصي الشعر الذي تحدث عن ظلم "كليب" لقومه ، ومن هذا القبيل ، حديث الشعر عن حرب " داحس والغبراء " وتظالم الأُقارب فيها .

وحسبنا قول " كعب بن مالك الأنصاري " (٢) :

اياكم أن تظلموا أو تناصروا على الظلم ان الظلم يزيد ويهلك

لوى ببني عيس وأحيا وائل وكم من دم بالظلم أصبح يسفك

ويقول " عمرو بن الأَهمتم " (٣) :

فله ساع بالمظالم بعدها يرى كيف يأتي الظالمون ويسمع

سعى لبني عيس بقدوة داحس على آل بدر والرماح تززع

(١) حماسة البحتري ١١٤ .

(٢) المرجع نفسه ١١٤ .

وكعب بن مالك - رضي الله عنه - من بني القين ، أنصاري سلمي من أكابر الشعراء من أهل المدينة اشتهر في الجاهلية وكان في الاسلام من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم وعاش إلى سنة ٥٠ هـ . وعي في أواخر عمره ، وهو صاحب أشجع بيت وصف به رجل قومه ، وله ديوان شعر مطبوع .

انظر ترجمته في الاغاني ٢٩/١٥ ، وطبقات ابن سلام ١٨٣-١٨٥ ورغبة الامل ٧٣/٢ والمرزباني ٣٤٢ والأعلام ٥/٢٢٨ .

(٣) حماسة البحتري ١١٤ .

وهو عمرو بن سنان من بني منقر من تميم ولقب أبوه بالأَهمتم لأن ثنيته

وعن ظلم " حمل بن بدر الفزاري " في سياق " داحس والغبراء " وما جره
(١)
من حروب وويلات كان " حمل " أحد ضحاياها ، يقول " قيس بن زهير " :

ولولا ظلمه ما زلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجوم

ولكن الفتى " حمل بن بدر " بغى والبغي مرتعه وخيم

ويجب أن نكون عادلين في نظرتنا الى مفهوم الحرب عند العرب ، فلم تكن
الحرب أبدا مطلبا للعربي ولا غاية له ، وان تشدق بحبه لها ومراسه فيها
فانما هو من قبيل ما يمكن أن نطلق عليه " الحرب النفسية " التي لها الاثر
الأكبر في سير الحرب الحقيقية .

====
هتمت يوم الكلاب . وكان عمرو سيذا من سادات الجاهلية وشعرائها
وخطبائها ، ولجماله لقب بالمكحل ، وكان يقال لشعره " الحلل المنشرة " .
وكان أخطب أهل زمانه وأبلغهم ، وهو الذي قال فيه الرسول صلى
الله عليه وسلم لما وفد اليه : " ان من البيان لسحرا " وهو صاحب
البيت المشهور :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

ولكن أخلاق الرجال تضيق

انظر ترجمته في الاصابة ت ٥٧٧٢ والبيان والتبيين ١/ ٢٧ ، ٥٣ ،
والشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٠٢ وسح العيون ٧٧ والمرزباني
٢١٢ ولهاج الاداب ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(١) حماسة البحتري ٠٩٩٤ .

وقيس بن زهير العبسي شاعر جاهلي مجيد مشهور أمير عيس وداهيتها
كان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه ، وكنيته " أبو هند " ووقائعه في
حروبه مع بني فزارة وذيبيان مشهورة ، تميز شعره بالحكمة والجسودة
وكذلك خطبه ، زهد في أواخر عمره ، ويدهائه يضرب المثل .
انظر ترجمته في خزانة الأدب ٣/ ٥٣٦ والكامل ١/ ٢٠٤ والمرزباني
٣٢٢ وسمط اللالي ٥٨٢ و٨٢٣ وغيرها .

" عوف بن عطية " لقرة بن هبيرة :

يا قرة بن هبيرة بن أقيشر
يا سيّد السّلمات انك تظلم^(١)

والعربي لا يقبل خطة أو حلا يكون الظلم فيها واقعا عليه وعلى قومه ، فلا يرضى بالظلم ويطلب النصف والحق ، يقول " الأ فوه الأ ودى " :

يا بني هاجر ساءت خطة
أن تروموا النصف منا ونجار^(٢)

ولا يمتنع عن الظلم الا الأ قويا ، ذوو العدد والعدة ، أما الضعفاء الذين لاناصر لهم فان الظلم يقع عليهم ولا يستطيعون له دفعا ، يقول " الأ جرد الثقي " :

من كان ذا عضدٍ يدرك ظلامته
ان الدليل النعائست له عضد
تنبو يدها اذا ما قل ناصره
ويأنف الضيم ان أشرى له عدد^(٣)

والعربي كان يتوخى النصف في معاملته لغيره ، اذا لم يواجه بما يكره ، فهو سهل لين المعشر ، أما ان ظلم فانه ينقلب الى أسد ضار يدمر كل ما حوله . يقول " عنتر بن شداد " :

أثني عليّ بما علمت فإنني
سهل مخالفتي اذا لم أظلم
فاذا ظلمت فان ظلمي باسل
مر مذاقتك كطعم العلقم^(٤)

(١) طبقات ابن سلام ١٦٦/١ والسلمات : بنو قشير .

(٢) ديوانه ١٢ من مجموعة الطرائف الأدبية .

(٣) انظر البيان والتبيين ٣/٣٢٥ والشعر والشعراء لابن قتيبة ٧١٢ ، ولم أقف للأ جرد على ترجمة .

(٤) ديوانه ١٤٨ . واسل : كربه ، والعلقم : الحنظل وفي رواية

(سمح مخالطتي) .

ويقول الأُسود بن يعفر " :

(١)
واني لشهم حين تُبغى شهيمتي وصعب قيادي لم تُرضني المقانِعُ

وهو وان كان منصفا في معاملته لغيره وتخلقه بأخلاق النصفة الا أنه لا يصبر
اذا تمادى من ينصفه ويراعيه في الظلم والبهني على حد قول " عنترة بن
شداذ " :

(٢)
ما زلت أنصف خصمي وهو يظلمني حتى غدا من حسامي غير منتصف

فرد النصف وعدم قبوله ظلم ، الا أنه في مواضع يكون هو عين الانصاف ،
يقول " العباس بن عبد المطلب " رضي الله عنه ، يخاطب أبا طالب :

أبا طالب لا تقبل النصف منهم وان أنصفوا حتى تعق وتظلمنا
(٣)
أبي قومنا ان ينصفونا فأنصفت قواطع في أيماننا تقطر الدما

ولم تكن حكومة ذوى العقل والرجاحة أو كبير القوم تفصل الأمور دائما
وترد الحق الى نصابه فاذا أحس أحد الطرفين بالظلم ، ورأى ان الحكومة
لم تنصفه ، رد على الظلم بظلم مثله ، ورأى في ذلك انصافا لنفسه وانتصافا لها ،

(١) ديوانه ٤٦ جمعه د . نوري حمودي القيسي / سلسلة كتب التراث
بغداد .

(٢) ديوانه ١٠٨ .

(٣) حماسة البحترى ٤٧ والعباس رضي الله عنه من أكابر قريش في الجاهلية
والاسلام وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، وكان ممن
ثبت يوم حنين وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " أجود قريش
كفا وأوصلها ، هذا بقية آبائي ، انظر ترجمته في أسد الغابة
والاصابة وطبقات ابن سعد والعرزباني ٢٦٢ والمحبر ٦٣ .
والعباس بن عبد المطلب ، لصابر عبده ابراهيم .

يقول " زهير بن أبي سلمى " :

جرى متى يُظلم يعاقبُ بظلمه
سريعا والا يُبَدَّ بالظلم يظلم (١)

وحقيقة فان هناك أنواعا من الظلم لا يمكن تجاهلها والسكوت عنها ، ومن
الانصاف والعدل الرد على الظلم بظلم مثله ، يقول " يزيد بن عبد المدان "
في بني عمه الذين لجوا في ظلمه :

وكنتم بني عم اذا ما ظلمتم
غفرنا وان نظلمكم تتظلم
فلما رأينا أن هذا لاجاجة
وطالت علينا غمة لم تبرم
كفأنا اليكم حدنا وحديدنا
وكننا متى ما نطلب الوتر نقم (٢)

ويقول " الحارث بن زهير العبسي " :

وأشوس ظالم أوجبت عني
فأبصر قصده بعد اعوجاج
ويقول " أبو الأ سود الكناني " (٤) :

اذا كنت مظلوما فلا تك راضيا
عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب

وكان العربي يعتز بانتمائه الى قوم ينصرونه دون سواه انه ان كان الحق له
أو عليه ويؤازرونه ويحمونه ، يقول " النابغة الذبياني " (٥) :

حديت علي بطون ضنة كلها
ان ظالما فيهم وان مظلوما

(١) ديوانه ٠٢٤

(٢) حماسة البحترى ١٧٠ لاجاجة : من لج في الأمر أي لازمه ولم ينصرف عنه .

(٣) نفسه ١٦٩ ونسبه في الموء تلفا والمختلف ١٨٠ الى " المتمرس بن

عبد الرحمن الصحاري " ولم اعثر للحارث على ترجمة . وأشوس : أي شجاع

جرى صعب .

(٤) حماسة البحترى ١٦٩ ولم أقف لأبي الأ سود على ترجمة .

(٥) ديوانه ٠١٠٣

وهذا يظهر مدى تشبث العربي بالحق ومعرفته لقدره ، ولذلك كانوا يولون ذوى الرأى ورجاحة العقل فيهم مقاليد أمورهم ، لأنهم أهدى وأعرف بطرق الحق من ذوى النزق والطيش وأبعد عن السفه والظلم ، يقول "كنانة بن أبي الحقيق " :

فلو أن قومي أطاعوا الحليد م لم يتعدوا ولم يظلم
ولكن قومي أطاعوا الغوا ة حتى يلفظ أهل الدم
فأودى السفيه برأى الحليد م وانتشر الأمر لم يبترم (١)

ونزعة الانصاف تتجلى عند العربي في أنه اذا كان يفتخر بأن أحدا لا يستطيع ظلمه لقوته وسطوته فانه كان يعتز بأن قوته لا تدعوه الى ظلم الغير ، يقول " خفاف بن مالك بن عبد يغوث المازني " :

ولا عزنا يعدي على ظلم غيرنا و ليس علينا للظلمة مذهب
نريح فضول الحليم وسط بيوتنا اذا الحلماء عنهم الحلم أعزبوا (٢)

وعسوما فان الظلم والجور صفة من صفات البشر وجيلة من جبايلهم ، يقول تعالى/الانسان عن
: * انه كان ظلوما جهولا * (٣)

غير أن النفوس القويمة التي ملئت بحب الخير وكراهة الشر تكبت هذه النزعة فيها وتحاربها فالظلم مهما تغيرت أشكاله واختلفت صورته وتبدل جلده هو الظلم .

(١) معجم الشعراء / للمرزياني ٠٣٥٢

(٢) الموء تلف والمختلف / للامدى ١٠٨ ويعدى : يجاوز والعادية :

الظلم والشر .

(٣) سورة الاحزاب آية ٠٧٢

ولا يزال الظلم متفشيا في البشر، ولولا ظلمهم ما احتاجوا الى حكام وقضاة
(١)
ليفصلوا بينهم ، قال الشاعر :

ومن ينصف الاقوام لا يأت قاضيا وكلُّ امرئٍ لا ينصفِ الناسَ جائرٌ

*

والمجتمع العربي الجاهلي ، كأى مجتمع في كل زمان ومكان لا بد
أن تحدث فيه خصومات ومشاجرات فكانوا يفتزعون الى ذوى الرأى والخبرة
فيهم فيما يستعصي عليهم من مشكلات .

ومن خلال استقراء النصوص في الحكومة عند الجاهليين نجد أنهم
بلغوا شأوا كبيرا في الانصاف واصابة الحق . حين يخف المتخاصمون اليها
ان في الخلافات أو المنازعات .

ففي الخلافات كان المحكمون يتوخون العدل فيما يصدرونه من
أحكام ، ديدنهم قول " النابغة الذبياني " (٢) :

احكم كحكم فتاة الحي ان نظرت الى حمامٍ شرَّاعٍ وِاردِ الشَّمَدِ
يحفه جانباً نيقٍ وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمدِ
قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها وأسرت حسبة في ذلك العدد

(١) هو عبدالله بن محارق ، كما في الحماسة للبحترى ١١٥ ولم أجد له ترجمة
الا أن هناك " نابغة بني شيبان " وهو عبدالله بن المخارق ، وهو
شاعر بدوى أموى مات في أيام الوليد بن يزيد ، له ديوان شعر
مطبوع .

(٢) ديوانه ٢٣ . الشراع : القاصدة الماء ، والشمد : الماء القليل ،
والنيق : الجبل .

ومن خلال أقوال حكمائهم وأهل الدربة والخبرة عندهم نلمس مدى
عنايتهم باصدار الأحكام وتقديرهم للحكومة والمحكم .

وحسبنا هنا أن نورد للدلالة على ذلك قصيدة " سلمة بن الخرشب
الأنماري " التي أرسلها الى " سبيع التغلبي " في شأن الرهن التي
وضعت على يديه في قتال عيس وذيبيان ، والتي يقول فيها (١) :

أبلغ سُبَيْعاً وَأَنْتَ سَيِّدُنَا	قَدْ مَا وَأَوْفَى رَجَالِنَا نِمَمَا
أَنْ يَغِيضًا وَأَنَّ اخْوَتَهَا	ذَبِيانَ قَدْ أَضْرَمُوا الَّذِي أَضْطَرَّمَا
نَبِئْتُ أَنْ حَكْمُوكَ بَيْنَهُمْ	فَلَا يَقُولُنَّ بَعْسُ مَا حَكَمَمَا
أَنْ كُنْتَ ذَا خَبْرَةٍ بِشَأْنَهُمْ	تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَمَا
وَتَنْزَلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ	حَكْمًا وَعِلْمًا وَتَحْضِرُ الْفَهْمَمَا
وَلَا تَبَالِي مِنَ الْمُحِقِّ وَلَا الْعَبِ	طُلَّ لَا إِلَهَ وَلَا نِمَمَا
فَأَحْكَمْ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ	لَنْ يِعْدَمُوا الْحَكْمَ ثَابِتًا صَتَمَا
وَاصْدَعْ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ	عَلَى رِضَا مِنْ رِضَى وَمِنْ رَغِمَمَا
أَنْ كَانَ مَالًا فَقَضِ عِدَّتَهُ	مَالًا بِمَالٍ وَإِنْ دَمًا فِدَمَمَا
حَتَّى تَرَى ظَاهِرَ الْحُكُومَةِ مِثْ	لِ الصَّبْحِ جَلَى نَهَارِهِ الظُّلَمَمَا
هَذَا وَإِنْ لَمْ تَطُقْ حُكُومَتَهُمْ	فَأَنْيِدْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمَمَا

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢٣٩/١ وانظر أيضا ٣١٣/٣ ، ٣١٤ ،

وسلمة هو ابن عمرو من بني بغيض بن ريث من غطفان من مضر ،
والخرشب لقب أبيه ، شاعر جاهلي مقل له قصيدتان في المفضليات
٣٦ ، ٣٩ وانظر شرح المفضليات للأبنباري ٢٩ .

يقول "سهل بن هارون" لما أنشده الجاحظ هذه الأبيات :
(والله لكانه سمع رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى الأشعري في سياسة
القضاء وتدبير الحكم) (١).

وهذا "عوف بن الأحوص" يطلب العدل في التحكيم ويندد
بالاشتطاط فيه ، وفي سبيل الوصول الى الحق لا يثوانى أن يعرض ابنه
"دأبا" ليحكموا فيه بما يشاءون ، يقول "عوف بن الأحوص" (٢) :

أقربحكمم ، ما دمت حيا وألزمه ، وان بلغ الفناء
فلا تتعوجوا في الحكم عمدا كما يتعوج العود السرا
ولا آتى لكم من دون حق فأبطله ، كما بطل الحجاء
فانك والحكومة يا ابن كلب على ، وأن تكفنتى سوا
خذوا دأبا بما أثنيت فيكم فليس لكم على دأب علاء

ولنعلم مدى دقة العربي في اصدار الأحكام وقوانين الحكومة وتفصيلها
يكفي أن نقرأ قول "زهير بن أبي سلع" :

(٣)
فان الحق مقطعه ثلاث يمين أنفارا أو جلاء

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يردد هذا البيت متعجبا من علمه
بالحقوق وتفصيله بينها واقامته أقسامها . (٤)

- (١) البيان والتبيين ١/ ٢٣٨ - ٢٣٩ .
(٢) الفضليات ١٧٤ ، وانظر تفصيل القصة والتحكيم في النقائص ٤٣٢ - ٥٣٥
ودأب : ابن الشاعر ، أثبت x أفست .
(٣) ديوانه ٧٥ والنفار : أن يتنافروا الى حكم يحكم بينهم . والجلاء : أن
ينكشف الأمر وينجلي .
(٤) انظر البيان والتبيين ١/ ٢٤٠ .

(وسمى زهير "قاضي الشعراء" بهذا البيت ، يقول : لا يقطع
(١)

الحق الا الأداة أو النفار وهو الحكومة ، أو الجلاء وهو العذر الواضح) .

وإذا كان الحق مطلوباً وضرورياً في الفصل بين الخصومات ، فهو أشد

ضرورة والحاحاً في الحكم بين المتنافرين ، ذلك أن "المنافرة" لها من

الأهمية عند العربي ما للحرب .

وإذا عرفنا أن الحرب دفاع عن القبيلة والقوم وعن الشرف والأحساب

والأنساب وأنها احتكام إلى السيف للفصل بين القبائل .

وأنها كانت ضرباً من التعبير عن السيادة والقوة والبطش وفرض الهيبة ،

فإننا نجد أن "المنافرات" لا تختلف عنها كثيراً ، لأن المنافرة حرب

"باردة" بين اثنين يحاول كل منهما اثبات أهليته وأحقية للسيادة والفخر ،

وأثبات نبل الأصل وشرف المحتد وعزة القوم ، لذلك جاء اسمها من قولهم

* أينا أعز نفراً * .

وفي المنافرة لا يلجأ - غالباً - إلى الاحتكام للسيف وإنما يلجأ

إلى طرف ثالث يرتضيه الطرفان لثقتهم في بعد نظره وصدق حكمه ورجاحة

عقله .

وكثيراً ما أثارت المنافرات حزازات ومنافسات لا تلبث أن تنقلب

إلى "حرب مستعرة" .

وفي رأيي أن " النقااض " (١) بين الشعراء الجاهليين شكل من أشكال العنافة لم يحتكم فيه الطرفان الى أحد ، ويترك الحكم فيه لكل من يروى هذا الشعر والميل مع من رجحت كفته في الفخر وضرب الأمثلة بالأيام والوقائع على العزة والمنعة .

ولهي " المناقضات " يرد الشاعر - عادة - على من يناقضه بقصيدة على الروى والقافية ذاتها وقد يتدخل طرف ثالث متبرعا للإصلاح بينهما .

من ذلك ، لما عسير " معقل بن خويلد الهذلي " خالد بن زهير الهذلي مخالته بين امرأة وابنتها في الجاهلية بقوله :

(أنا نبي ولم أشعربه أن خالدا يعطف أباكراً على أمهاتها
يعطف طولها سناماً وحراركا ومثلك أعنت طلها عن بناتها

فأجابه " خالد " بأبيات يحذره فيها نفسه منها :

ولا تبعث الأفعى تدور برأسها ودعها اذا ما غيبت سقاتها

فبلغ ذلك أبا ذؤيب الهذلي " فقال يصلح بينهما :

لا تذكرن اختنا إن اختنا يعز علينا هونها وشكاتها
فأطفي ولا توقد ولا تك محضاً لِنار الأعدى أن يطير شذاتها

(٢) فانك ان تقبل فانك سالم وان تفعل الأخرى تصيبك أذاتها

(١) النقااض الجاهلية كثيرة وانظر لهرفا منها في معجم الشعراء ٢٠٨ ،

٢١١ ، ٢٢٣ ، ٣٨٢ ، ٣٩٢ ، ٤٠٥ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ونقااض امرى

القيس وعبيد بن الابرص في ديوانيهما ، وديوان أمية بن أبي الصلت ٤١٣ ،

ونقااض حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم في ديوانيهما . والأصمعيات

١٤٤-١٤٥ وكعب بن زهير وزيد الخيل في ديوانيهما . وطبقات ابن

سلام ١١١/١-١١٢ . والتنبيه ١١٢ وغيرها من المراجع .

(*) المحض هو العود الذى تنفخ به النار لتلتهب ، وشذاتها : جمرتها .

(٢) معجم الشعراء ٣٧١ .

أما المنافرات فلا بد أن يتنافروا الى حاكم يحكم بينهم (١) ، وقد تكون المنافرة في السيادة والرئاسة والقوة والمنعة أو الشعر (٢) ، وكان " النابغة الذبياتي " يحكم بين الشعراء في سوق " عكاظ " وكان " حسان ابن ثابت رضي الله عنه " يقول : (اذا نافتنا العرب فأردنا أن نخرج الحيرت من شعرائنا ، أتينا بشعر قيس بن الخطيم) . (٣)

(٤)
والمنافرة نوع من أنواع المفاخرة بل هي المفاخرة الفردية والجماعية . وكان الداخل في منافرة يشعر بأنه يدخل حربا حقيقية ، يقول " عمرو بن قنعاس " :

وناراً وقَدْتُ من غير زندي أثرت جحيمها ثم اصطليتُ
أثبتُ باطلاً فيكونُ حقاً وحقاً غير ذِي شبه لو يئسُ (٥)

ولا بد أن يكون الحكم في المنافرة على قدر كبير من الحلم والدهاء وثقب النظر ورياسة العقل ، لذلك نجد ذوى الرأى والخبرة ، يصدرن أحكامهم فيها بحذر شديد .

- (١) انظر البيان والتبيين (حاشية) ١ / ٢٤٠ .
- (٢) انظر مثلاً في الحكومة في الشعر ، الحكومة بين شعري النجاشي الحارثي والحطيئة والزرقان وتميم بن أبي مقبل في البيان والتبيين ١ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
- والعمدة لابن رشيقي ١ / ٢٧ وأمالي ثعلب ١٨٠ - ١٨١ وزهر الاداب ١٩ / ١ وانظر المنافرة في القوة والمنعة بين خالد بن مالك النهشلي ، والقعقاع بن معبد بن زرارة في البيان والتبيين ٢ / ٢٧٢ .
- (٣) معجم الشعراء * ٣٢١ - ٣٢٢ .
- (٤) انظر مفاخرة وفود ربيعة ومضر بن نزار عن النعمان بن المنذر في العمدة ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ ومنافرة ومفاخرة علقمة بن عبدة ، وامرى القيس الى امراته في ديوان امرى القيس ص ٤٠ .
- (٥) يعلق الشيخ الفاضل المحقق عبد العزيز الميمني عليها بقوله : " يريد نار حرب بل احتدام الخصومة في محل المنافرة " انظر الطرائف الاذبية ٧٤ . ولم أعثر لعمرو بن قنعاس او قنعاس على ترجمة .

وأشهر منافرة في الجاهلية ، منافرة " علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل " الى " هرم بن قطبة " فلم يحكم لأحدهما على الآخر ، وقال : (أنتما كركبتي البعير الأدم تقعان إلى الأرض معا) . (١)

ويحكى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رآه (ملتفا في بت في ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقلته ، وعرف تقديم العرب له في الحكم والعلم ، فأحب أن يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرايت لوتنافر اليك اليوم أيهما كنت تنفر ؟ يعني علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل ، فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لهذا العقل تحاكت العرب اليك) . (٢)

أما الأعمى والحطيئة وهما من هما في التكسب بالشعر فقد قدم كل منهما مصلحته في تنفير عامر أو علقمة ، وكانت " لعامر بن الطفيل " يد عند الأعمى فقال :

علقم لا لست الى عامر الناقي الا وتار والواتر
سدت بني الا حوص لم تعدهم وعامر ساد بني عامر
حكمتوني فقضى بينكم أبلج مثل القمر الباهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسر

فرواه الناس ، وافترقوا ، وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعمى في شعره وكان في رأى هرم - على قول أكثر الناس - خلاف ذلك) . (٣)

(١) الاغاني ٥١/١٤ (طبعة التقدم) و ٢٢٢/١٦ (ثمافة)

(٢) البيان والتبيين ١/٢٣٧ .

(٣) العمدة ١/٥٣ - ٥٤ ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن

رواية هذا الشعر لاثارته الحزازات - وانظر خبير منافرة علقمة وعامر في

الاغاني (مطبعة التقدم) ١٣٢٣هـ / ١٥/٥٠ - ٥٥ .

(٣) ديوان الاعشى ١٤١ تحقيق د . محمد محمد حسين (المطبعة النموذجية)

وانظر الابيات في العمدة ١/٥٣ - ٥٤ بتغيير طفيف .

ولا أهمية "المنافرة" كان السادة والأشراف يتهيّبون الحكم فيها
لما يترتب على هذا الحكم من نزاع وخصومات قد تؤدى الى عواقب وخيمة
(يقول " مروان بن سراقه العامري " في تحاكم علقمة بن علاثة وعامر بن
الطفيل في منافرتهم الى " أبي سفيان بن حرب " فلم يقل لهما شيئا ، فأتيا
" أبا جهل بن هشام " فأبى أن يقضي بينهما ، يقول مروان في ذلك :

يَالْ قَرِيْشَ بَيْنُو الْكَلَامَا اِنَا رَضِيْنَا مِنْكُمْ اَحْكَامَا
فَبِينُو اِذْ كُنْتُمْ حَكَامَا (١)

وكان المحكمون (يحكمون بالأسجاع ، كقوله : " والأرض والسما " ، والعقاب
(٢)
والصقعا ، وواقعة ببقعا ، لقد نفر المجد بنى العشراء ، للمجد والسنا) .

ولا يخفى أن ذلك السجع يضيف المهابة والرهبية على الأحكام التي
يصدرونها ، وحتى يكون الحكم منصفا خاليا من أية شوائب يجب أن تكون
مكانة المحكم ومركزه فوق الشبهات وألا يتعرض لضغط خارجي ، يقول
(العبسي في ذلك :

ان المحكم ما لم يرتقب حسبا أو يرهب السيف أوحداً القناجفاً
من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجباً موتاً على عجل أو عاش منتصفاً (٣)

-----*

- (١) انظر معجم الشعراء / للمرزباني ٣٩٦ .
ومروان بن سراقه بن قتادة بن عمرو بن الأحموس العامري شاعر جاهلي
مات قبيل الاسلام ، انظر المرزباني ٣٩٥ والأعلام ٢٠٨ / ٧ .
- (٢) البيان والتبيين ١ / ٢٩٠ والصقعا : التي في وسط رأسها بياض ،
والبقعا : من الأرض المعزاة ذات الحصى الصغير ، ونفرهم : حكم
لهم بالقلبة على غيرهم . ونو العشراء : من بني مازن بن فزارة بن
ذبيان .
- (٣) البيان والتبيين ١ / ٣١١ ولم ينسب الجاحظ هذا العبسي . وجنفا : جار .

لذلك نجد قبائل وحكاما اشتهروا باصابتهم في الحكومة والنفورات منهم " بنو الكوا " (١) ومن (قريش أربعة يتحاكم الناس اليهم فـ في المنافرات : عقيل ، ومخرمة ، وحويطب ، وأبو الجهم ، وكان عقيل يعد المساوي ، فمن كانت مساويه اكثر ينفر صاحبه عليه ، وكان الثلاثة يعدون المحاسن فمن كانت محاسنه أكثر ينفره على صاحبه) (٢) .

وكثيرون غيرهم من قبائل العرب اشتهروا بالحصافة والحكمة وسداد الرأي (٣) .

حاولت قدر طاقتي المتواضعة أن ابرز بعض محاسن العرب ، متمثلة في " المنصنات " وحقيقة كان الأمر في بدايته شاقا ، ولكني بعد دراسة متأنية وجدت " الانصاف " فاشيا في معاملات العرب وأيامهم وسلمهم وجوارهم وشعرهم واخائهم ، يمثل جانبا كبيرا - بدون مغالاة - في شعرهم . وقد راعيت أن " الانصاف " لم يكن مجرد خلق ثانوي لا يهم العربي ، فقد كان صفة محمودة - لدى بعضهم - يتباهى بها ويفتخر ويوليه من العناية ما يوليه للحفاظ على عرضه وحرماته ، ويسعى لأن يتميز بها ، فهي مكرمة من مكارم أخلاقهم التي يقول فيها " معن بن أوس " :

(١) البيان والتبيين ١/٣٥١ .

(٢) الاصابة ٥٦٢٢ مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ . ونكت الهيمن

للصفي القاهرة ١٩١٠ م . ص ٢٠٠ والمنق ٤٨٣ و ٤٨٤ .

(٣) انظر المنق لابن حبيب ٤٨٣ ، ٤٨٤ والمحبر / " حكام

العرب " ١٣٢ وما بعدها .

(من كان جوادا لم يعدم الشرف ، ومن كان ذا وفا لم يعدم
العفة ^(١) ، ومن كان صدوقا لم يعدم القبول ، ومن كان شكورا لم يعدم
الزيادة ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السوء ^{دد} ، ومن كان منصفاً
لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعا لم يعدم الكرامة ^(٢) .

وبلغ من قيمة الانصاف عند العرب أن اشتهر شعراء منهم بالانصاف ،
ومنهم " المعجب " وهو يزيد بن عبدالله بن سفيان الضبي " كان يقال
له " المنصف " ^(٣) .

ومن شعره المنصف قوله :

كأني والكميت أجر رمحي بأكثبة القصيم على دوار
كان جماجم الأبطال منّا ومنهم بيننا فلق المحار ^(٤)

ولم يكن الانصاف في حد ذاته وسيلة بل كان غاية وهدفا ، فها هو " حلف
الفضول " تعقده قريش لنصرة المظلوم وأخذ الحق له من ظالمه ، وألا يبقى
بمكة أحد مظلوما ، وفيه يقول " الزبير بن عبد المطلب " :

حلفت لنعقدن حلفاً عليهم وان كنا جميعاً أهلاً دار ^(٥)
وأسمى أنواع " الانصاف " هو : أخذ الحق من القوى واعطاءه الضعيف ^(٦) ،

(١) العفة : الحب .

(٢) الأما لي ٢ / ٣٧ .

(٣) معجم الشعراء ٤٩٥ ويزيد هذا لم أجد له ما أترجم به .

(٤) نفسه ٤٩٥ والمحار : الصدف .

(٥) انظر خبير الحلف في المنق لابن حبيب ٢١٧ وما بعدها وأسواق العرب

للأفغاني ١٨١ ومروج الذهب للمسعودي ١٦٨ / ٢ وسيرة ابن هشام

١١٦ / ١ .

(٦) افراد البخري في حماسه بابا بهذا المضمون ص ١٥٥ وما بعدها .

وهذا انصاف يدخل في باب الانسانية قبل أن يكون من باب المعاملة .
وهناك نماذج كثيرة/ على النبل الانساني والشفافية التي كانت عليها
نفس العربي التي هويت الانصاف وجعلته في مقدمة اهدافها السامية ، التي
تحارب الظلم والسيطرة وترد الحق الى نصابه للمستضعفين .

يقول "أوس بن تميم" - :

واني لا أعطي النصف من لو ظلمتُه أقرَّ وطابتُ نفسُه لي بالظلمِ
وأخطمُ أقوامًا اذا ما تعظَّمُوا فيمسونَ رُسلًا في عِراصِهِمُ وسُمي

ويقول "يزيد بن أنس الحارثي" :

(١) واني أمروءُ أُعطي حقيقي حقه فلستُ بمظلومٍ ولستُ بظالمِ

وهذا النوع من الانصاف يسمو على غيره لأنه جاء من مصدر قوة وقدرة ولهذا
قيل : (المنصف : من لم يكن انصافه لضعف يده وقوة خصمه) . (٢)

ولم تكن المنصفات " شيئا غير ذي بال وانما كانت لها أهمية خاصة

ومنزلة كبيرة ، فقد أشار الى أهميتها الجاحظ في كلمات مضت . (٣)

(١) حماسة البحتري ١٥٦ - ١٥٧ .

وأوس هذا لم أعرله على ترجمة أما يزيد فقد وجدت في الموء تلف
١٩٨ شاعرا يقال له يزيد بن مخرم الحارثي ، وكذلك في معجم الشعراء ٢٩٤
وذكر المرزباني أنه جاهلي كثير الشعر وبينه وبين مالك بن حريم الهمداني
مناقضات وفي الحماسة بشرح العرزوقي ١٧٥٦ وحماسة الاعلم حرف الدال
باب المديح قطعة تنسب ليزيد الحارثي .

(٢) مجلة الأمة / ص ٢٠ العدد ٦٠ السنة الخامسة ذوالحجة ١٤٠٥ هـ

تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر .

(٣) البيان والتبيين ٢٣/٤ .

أما من سبق الجاحظ أو تلاه فلم يعيروها كبير اهتمام وإنما يكتفون
بالإشارة إلى قصيدة من المنصفات ونسبتها إلى الانصاف في سياق الكلام ،
أو الاجتهاد في ذكر عدد المنصفات وأصحابها (٢) وتعريفها وأنواعها . (٣)

ولكننا نجد وجهها آخر للاهتمام بالمنصفات مبعثرا في بطون كتب
الأدب ، يمثل ذلك في الحكم على قصيدة أوبيت ما في الانصاف ، وكثيرا ما
ترد عبارة " أنصف بيت قالته العرب " !

وقد اختلفت وجهات النظر عند الأدباء في هذا المجال اختلافا
كبيراً ، وحسبنا أن نورد نماذج لذلك .

فقد سأل المأمون " النضر بن شميل المازني " أن ينشده أنصف بيت
قالته العرب ، فقال (ابن غزوية المدني حيث يقول :

اني وان كان ابن عمي عاتبا	لمزاحم من دونه وورائيه
وميدته نصري وان كان امراً	متزحزحاً في أرضه وسمائيه
وأكون والى سره فأصونكه	حتى يحين علي وقت أدائيه
وانذا الحوادث أجذفت بسوامه	قرنت صحيفتنا إلى جربائيه
وانذا دعا بأسني لفركب مركبا	صعباً قعدت له على سيئائيه
وانذا رأيت له رداً ناضراً	لم يلفني متمنياً لردائيه (٤)

-
- (١) انظر مثلاً طبقات ابن سلام ١٤٥/١ .
(٢) انظر مثلاً الاشباه والنظائر ١٤٩/١ .
(٣) انظر مثلاً خزانة الأدب ٥٢٠/٣ - ٥٢١ .
(٤) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١١/١ مكتبة القدسي ١٣٥٢ هـ
القاهرة . وهي في الاشباه والنظائر ٩/١ للعطش الضبي .
وفي مجموعة المعاني ٦٣ لأبي عروبة المدني . وفي الاغاني ٢٠/١٥ لطريف
العنبري ، وفي درة الغواص ١٥١ لأبي عروة المدني .
وفي ذيل القالي ٨٤ و ذيل اللالي ١٤١ . وفي معجم الشعراء ٢٢٥ عمرو
ابن النبيت الطائي البحتري ، وفي حماسة البحتري ٢٤٧ لسماك بن خالد
الطائي . وفي نهج البلاغة ٤٠/٤ . وتتراوح نسبتها في المصادر جدا
كما تختلف روايتها اختلافاً يسيراً . . . !

وفي قوله تعالى * والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم
الخاسرون * (١)

يورد العالم المدقق " محب الدين أفندي " قول " حسان بن ثابت "
رضي الله عنه يخاطب " أبا سفيان بن الحارث " :

هجوته محمدا برا حنيفا أمين الله شيمته الوفاء
أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء (٢)

ويعلق عليها بقوله : " (فان هذا الكلام ورد مورد الانصاف ، كقوله تعالى
* وانا أو اياكم لعلى هدك أو في ضلال ميين * قيل : لما أنشد هذا
البيت قال من حضر : " هذا أنصف بيت قالته العرب " (٣)

ويبدو أن هذا الحكم صدر من منظور اسلامي ديني بحت ، بعد
أن تغفل الایمان في القلوب وطمس منها ذاكرة الحروب الجاهلية ، فالحكم
اذا لا يخضع للمعايير والمقاييس الا دبية .

وحسبنا من هذا الذي ذكرناه في الاحتكام الى " أنصف بيت قالته
العرب " أن نتيقن مدى ما كان يوليه الرواة والمهتمون بالأدب من رعاية
وعناية بالمنصات ومذاكرتها .

ونخلص من هذا الى القول بأن العرب في ظلمهم لبعضهم البعض
قد استوفوا حقهم من الدراسة والبحث أما انصافهم فقد تراكم عليه غبار

(١) سورة العنكبوت من الآية ٥٢ .

(٢) الابيات في ديوانه ٧٦ هكذا :

هجوته محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ... الخ .

(٣) تنزيل الآيات على شواهد الابيات ٣١٧/٤ - ٣١٨ بآخر كتاب الكشاف
للزمخشري . وانظر امالي المرتضى ١/٦٣٢ تحقيق " أبو الفضل ابراهيم " .
والآية الكريمة من سورة سبأ ٢٤

النسيان في صومعة التاريخ الأدبي المهجورة، وهذا ما اشتكى منه الجاحظ قبل اثني عشر قرناً من الزمان .

وبعد هذه القرون الطويلة نحاول بعث هذه الحركة الأدبية المنسية ، وأرى أن هذا واجبٌ علينا فمن حق العرب أن ننصفهم بالبحث عن جميل طباعهم وحميد أخلاقهم ومعاملاتهم وروائع انصافهم ، وبعبارة أخرى فمن الانصاف دراسة الانصاف في الشعر العربي الجاهلي والحياة الجاهلية . ولطالما أروع العرب بالانصاف في شعرهم وحريرهم وسلمهم وتحاكمهم ، فمن انصافهم في الشعر الصدق في التعبير عما تكنه نفوسهم ، والصدق في ذكر الوقائع والأحداث والعواطف ، فالصدق أظهر سمسة من سيماء المنصفات أو هولبها .

ولا غرابة إذا أن يقول " حسان بن ثابت " رضي الله عنه :

(١)

وَإِنْ أَشْعَرِ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أُشْدَّتْهُ : صَدَقَا

فالانصاف باللسان لا يقل أبداً عن الانصاف باللسان ألا ترى الى قول

" غنتره " :

(٢)

ما زلت أنصف خصمي وهو يظلمني حتى غدا من حسامي غير منتصفاً

فإذا كان الشعر سلاحاً على حد قول " النابغة الذبياني " :

(٣)

فَلتَأْتِيَنَّكَ قِصَائِدٌ وَلِيُدْفَعَنَّ جيشاً اليك قوادم الأكوار

فانه أيضاً سلاح الحق والصدق والانصاف .

وحتى في الحرب ، لم يجانب العرب الانصاف : ان يحاربون القوم

(٤)

بما يستطيعون مواجهتهم به ومن أمثالهم : (قد أنصف القارة من رامها) .

(١) ديوانه ٢٧٧ وانظر التعليق عليه في العمدة ١ / ١١٤ و ص من هذا البحث .

(٢) ديوانه ١٠٨ .

(٣) ديوانه ٥٥ والقوادم : جمع قادم بمنزلة القربوس من السرج ، الأكوار : الرحال .

(٤) الميداني ٢ / ١٠٠ والفاخر ١٤٠ .

الفصل الأول

للانصاف في الطب

يحمل الشعر الجاهلي أنماطاً من الانصاف تدل دلالة أكيدة على مدى ما اتصف به شعراء المنصفات من نفوس أذعن للحق، وتطامنت له كما تكشف تلك الأنماط كذلك عن جوهر تلك النفوس التي لم تضرها حميا العصبية القبلية، ولم تحملها على الغلواء وركوب متن الشطط ازااء الأعداء .

ومن أمارات ذلك ودلائله أن منصفاتهم لم تكن حكرا على ميدان الكروالفر والنصر فحسب وبل لقد جهد شعراؤهم أن يوصلوا الأبواب أمام أشباح الحرب الضروس، مما جعلهم يتنادون بالانصاف في أطر ترغيب في السلم وتحض عليه استجابة لصوت العقل الهادي والضمير الواعي، وأفضى بهم ذلك الى التنفير من لاء الحروب وقسوتها، فاذا استجابات القبيلة المعادية كانت نصفتهم تلك نصفة صادفت موقعها وأصابته هدفها، واذا كانت الأخرى فان شعراؤهم لم يكفوا عن الانصاف، فهذه صورة من صور الانصاف يسجل فيها الظافر المنتصر قوة شكيمة العدو، واصطباره على المجادلة، وتلك صورة أخرى ينعطف فيها المهزم الى شتات نفسه فيعترف للمنتصر ببطولاته الخارقة التي أحرزها متساميا على نزعات نفسه، على أن " النصفه " قد تبلغ مداها اذا ألفينا ذلك في لحظات وجود فيها المهزم بنفسه اثره زيمته دون عدوه، وقد حاولت - ما وسعتني المحاولة - أن أقوم في ذلك الفصل بتعداد أنماط " الانصاف " التي جاء بعضها اهابة بالقبائل المعادية أن تعدل عين موقفها من التصميم على النزال، وكأننا حرص الشاعر الجاهلي منذ البداية على حقن الدماء، كما جاء بعضها الاخر متفاوتا في كنهه ومظهره، وهذا التفاوت في حد ذاته يكاد يقطع بأن المنصفات لم تدخر وسعا في سبيل رأب الصدع وتلمس السبل المتعددة، والوسائل المتباينة، أملا في اختفاء نذر الحرب وأهوالها، وسأتناول فيما يأتي بمشيئة الله :

أنماط الانصاف التي سرت في الشعر الجاهلي ، وفيها ما يمكن أن يكون مبادرة نبيلة من الشاعر تقوم على الصدق والبعد عن مخالطة الأعداء ومخادعتهم .

*

(أ) الدعوة للسلم ونبذ الحرب

لم تكن الحرب غاية العربي دائما فإذا ما وجد منفذا للسلم أسرع إليه ، ولا شك أنه كان هناك عقلاء وحكماء اتسمت تصرفاتهم بالحكمة والرزانة وبعد النظر ، يحاولون قدر استطاعتهم كبح جماح التهورين الى الحرب وتهديئة خواطرهم (١) . ومن أمثالهم المأثورة وحكمهم (إذا نزل بك الشر فاقعد) (٢) . ومن ثم فان دعوة الطرف الآخر للصلح وتفيؤ ظلال السلم انصاف وانتصاف ، والعربي بطبعه يقابل من يبادله ودا بؤد وعداوة بعداوة ، على حد قول " عبدالله بن سلمة الغامدي " :

(٣) ولقد أَلِينُ لِكُلِّ بَاغِي نَعْمَةً
ولقد أَجَازِي كُلَّ أَهْلِ حَوَيْسِ

وقد يحكم مشاعره ، ويصفح عن عدوه اما حبا للسلم وكرها لسفك الدماء واما شكرا ليد وحفظا لعهد ، واما انصافا واعترافا بالبأس واعجابا بالفروسية ، وقد مر بنا خير مثال على ذلك قصة " دريد بن الصمة " و " ربيعة بن مكرم " .

(١) انظر مثلا خبر تنازع " سبيع بن الحارث " و " ميثم بن شوب " ، واصلاح

" مرثد الخير بينهما ، في الأُمالي ٩٢/١ - ٩٣ .

(٢) الأُمالي ٧٧/٢ .

(٣) المفضليات ١٠٧ . وعبدالله بن سلمة أو سلمية أو سليم على

اختلاف في اسم أبيه من بني الحرث بن عوف بن ثعلبة ينتهي نسبه الى يعرب بن قحطان والغامدي نسبة الى جده الأعلى عمرو بن كعب . وانظر ترجمته في المفضليات ١٠٢ . حويس : عداوة ومضارة .

(٤) انظر ص ٢٢٨ من هذا البحث .

والعفو عند المقدرة شيمة يتسابق اليها النبلاء ، لذا لم يكونوا
البادئين بالاساءة ، وان جبهوا بها دعهم مروا بهم الى الصفح والعفو ،
وبخاصة ان جاءت من تربطهم بهم صلة رحم أو حلف أو قرابة .

فهذا " الفند الزماني " يذكر أن قومه صفحوا عن " بني زهل " ^(١)
وأغضوا عن هفواتهم رجاء أن تردهم الأيام الى أحسن ما كانوا عليه من
قبل ، ولما بدا العدوان منهم ظاهرا غير مستور وتركوا الأخذ بالانصاف
والمعدلة الى استعمال الظلم ورفع الحشمة كان لا بد من مجازاة العدوان
بمثله .

وقال :

صفحنا عن " بني زهل " وقلنا القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجعنا من قوما كالذي كانوا
فلما صرح الشمر ر فأسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا ن ، دنأهم كما دانوا

وانصافا لأصدقائه وأحلافه قد يمتنع العربي عن الدخول مع قومه نسي
حرب ضدهم ، يقول " زيان بن سيار المري " يخاطب قومه " بني منولة "

(١) انظر شرح المرزوقي للحماسة ٣٣ وما بعدها . واسم الفند " شهل "

ابن شيبان بن ربيعة الحنفي من بني بكر ، شاعر فارس جاهلي
كان سيد بكر وقائدها في زمانه ، وهو من أهل اليمامة شهد حرب
بكر وتغلب وقد قارب المئة . وسمى الفند لعظم خلقتة
والفند : القطعة من الجبل .

انظر ترجمته المبهج ١٤ وسمط اللالي ٥٢٩ والحماسة بشرح

المرزوقي ٣٣ والخزانة ٢/٥٨ .

الفزاريين :

(١) أبني منولة قد أطعت سرّاتكم لو كان عن حرب الصديق سبيلي
والتوادة والتروى قبل الدخول في حرب مع الأعداء وبذل كافة الجهد
لارضائهم ودعوتهم للسلم، والكف عنهم ما لم يكونوا هم البادئين بالعدوان
انصاف وترك المجال نسيحا لتحكيم العقول قبل السيوف .

من ذلك قول " بشر بن أبي خازم " يخاطب " بني سعد "

ومواليهم ودعوتهم لهم الى الاعتصام بالصلح :

نسومكم الرشاد ونحن قومٌ لتاركٌ ودنا في الحرب ذامٌ

فإن صفت عيباً الود منكم ولم يك بيننا فيها ذمامٌ

(٢) فان الجزع جزع عرييناتٍ وبرقة غيهلٍ منكم حرام

فالصلح والرضا به هو الرشاد ، واذ ما رأى العربي حرباً مقبلة أو فتنة تطل
برأسها بادر الى التحذير من مغبتها وشرها ودعا الى التريث قبل الدخول
في أتونها ، وربما صدر ذلك عنه في لهجة قاسية : " في الانذار

(١) المفضليات ٣٥٢ .

وزيان بن سيار فزاري ، شاعر جاهلي من أهل المنافرات . كان معاصراً
للنابغة والحادرة وكانت بينه وبين النعمان بن المنذر مودة ومصافاة
وأبوه سيار هو الذي رهن قوسه بألفي عمير ضمنها لملك من ملوك اليمن .
انظر ترجمته في طبقات ابن سلام ١١٢ والمفضليات ٣٥١ والاشتقاق
١٧٢ والوحشيات ٢٤٢ والشعر والشعراء ١٦٧ والاغاني (تقدم)

٣ : ٧٩ - ٨٠ .

(٢) ديوانه ٢٠٧ .

ولا بدع فالعصبية القبلية تحكم الشاعر في هذا الموقف ، في مثل قول "أعشى
بني أسد " :

أبلغ بني الطُّرْمَاحِ ان لاقيتهم كلمات موعظةٍ وهُبنَ قِصَّارٍ
لا أعرفنُ سيوفنا ورماحنا غُدوا كأنكم لهن دُوارٌ (١)

ويحاول في مواطن أخرى أن يخفف من حدة لهجته مثل قول " قراد
السدوسي " :

فمن مبلغ شيبان أن سيوفنا حدادٌ وان عادوا فهن حدائد (٢)

وقد يلبس الانذار والدعوة الى الصلح ثوب العتاب الرقيق ، وخير مثال لذلك
منصفة " حكمة بن قيس الكنانى " ومطلعها :

نهيت أبا عمرو عن الحرب لو يرى برأى رشيد أو يئول الى حزم (٣)

(١) الموء تلفا والمختلف ١٨ .

وأعشى بني أسد هو قيس بن بجرة بن قيس وقيل بن منقذ ومنقذ
بن طريف بن عمرو بن قعين جد عبدالله بن الزبير بن الأشيم
وجد مطير بن الأشم الشاعر الاسدى .

والأعشى شاعر جاهلي كان معروفا ومذكورا .

انظر ترجمته في الموء تلفا للامدى ١٧ ، ١٨ ومعجم الشعراء

للمرزياني ٣٢٦ .

(٢) معجم الشعراء ٣٢٨ وذكر المرزياني ان قرادا من شعراء البحرين .

(٣) دراسات في الشعر الجاهلي ١١٦ د . نوري حمودي القيسي /

جامعة بغداد ١٩٧٢ م وذكر القيسي أن ابن حمدون في تذكرته

نص على أن القصيدة منصفة ولم اجد لحكمة ما أترجم له به .

وقول " عبدالله بن عنمة الضبي " يخاطب " بني السيد " (١) :

ان تسألوا الحق نعط الحق سائله والدرع محقبة والسيف مقروب

وان أبيتم فانا معشر صبر^ر لا نطعم الذل ، ان السم مشروب (٢)

وقد يحيل الى الأحداث ويضرب الأمثال بها ويمن غووا وسلوكوا سبيل الشر ،

يقول " مالك بن نويرة " :

(٣)

وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى سويد ويسطام عن الشر مقعد

ولما غزا " بنوعامر " " بني نهدي " قوم الشاعر " عبدالله بن العجلان " بعد

أن أوهموهم أنهم أحبوا لقاءهم ويريدون زيارتهم ، فرحب بهم " بنونهدي "

وأكرمهم عن طيب خاطر ، وذلوا وسعهم لرعايتهم وحمائيتهم غير أن هناك

- فيما يهدو - شخصا ما تسبب في اضرار نارالفتنة بينهم لعله " أبو الحجاج "

الذي يتهدده الشاعر ويتهمه باثارة الحرب ومنع السلم ، يقول عبدالله

ابن العجلان :

ألم يأت هنذا كيفما صنع قومها " بني عامر " ان جاء يسعى نذيرها

فقالوا لنا : انا نحب لقاءكم وانا نحس أرضكم ونزورها

(١) هم قوم من بني ضبة بن أد بن طابخة .

(٢) المفضليات ٣٨٢ والاصمعيات ٢٢٨ وانظر حماسة البحتري ٢٥ ، ٢٦٠ .

ومقروب : أى في قرابه .

(٣) الاصمعيات ١٩٥ .

فقلنا : اذن لاننكل الدهر عنكم بصم القنا الا لاني الدماء تميرها
فلا غرو ان الخيل تنحط في القنا تطر من تحت العوالي ذكورها

وفيها يقول :

فأبلغ أبا الحجاج مني رسالة مغلقة لا يفلتلك بسورها

(١) فتأنت منعت السلم يوم لقيتنا بكفك تسدى غية وتنيرها

وكثيرا ما نجد العربي يلعن الحرب ويذم أثارها كما يقول * قيس بن زهير

العبسي * :

(٢) لحا الله قوما أرشوا الحرب بيننا سقونا بها هرا من الشرب آجنا

وللا بتعاد عن خطرها وشررها يقول * زهير بن جناب الكلبي * :

(٣) أيا قومنا ان تقبلوا الحق فانتهاوا والا فأنياب من الحرب تحسرق

(١) الأغاني "ثقافة" ٢٢/٢٤٩ - ٢٥٠.

وعبدالله بن العجلان النهدي من قضاة شاعر جاهلي من العشاق
المتيمين ، وسيد من سادات قومه في شعره عدوية وطلاوة ، كان
يحب زوجته هندا فأجبره أبوه على طلاقها فطلقها فندم عليها ومات
مدنفا أسفا عليها .

انظر ترجمته في التبريزي ٣/١٢٩ والعبيد ٥٥ وسمط اللالي ٧٣٨

ومصارع العشاق ٢٣٣ وتزيين الأسواق ١/٨٥ .

صم القنا : الرماح الشديدة القاسية . تميرها : تمتزج بها .

لا غرو : لا عجب . تطر : تفر . العوالي : الرماح .

شدتهم وقوتهم .

(٢) النقائض ١٠٠ .

(٣) الاغاني "ثقافة" ١٨/٣١١ وقد حرف صاحب شعراء النصرانية النص

===

ومسخه انظر ص ٢٠٧ .

ويضربون المثل لمن يثير الحرب ويجني على نفسه بما (يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد ذبحها ولم يكن معه شيء يذبحها به فبينما هو يفكر في ذلك وأى شيء يصنع إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض فأبرزت عن سكين كانت مدفنة في التراب فذبحها بها) (٢)

قال " بلعاء " بن قيس الكناني :

وكنتم مثل شاة السوء ظَلَلْتُمْ
تُثِيرُ بِظُلْفِهَا ذَكَرًا حَسَامًا (٢)

وهكذا نرى العربي الذي يرضى بمبدأ السلامة ويدعو أعداءه إليه قد أخذ من الانصاف بطرف كما يقول " مالك بن الحارث النخعي " :

=== وزهير بن جناب بن هبل ينتهي نسبه الى قضاة شاعر فارس جاهلي ، وكان خطيب قضاة وبطلها ووافدها الى الملوك وكان سيد بني كليب وقائدهم في حروبهم ويدعى الكاهن لسداد رأيه ، من المعمرين ومل عمره فبشرب الخمر صرفا حتى قتله . انظر ترجمته في طبقات ابن سلام ٣٥ ، ٣٦ ، والمعمر ٣١ ، ٣٩ ، والشعر والشعراء ٣٩١ / ١ ، والموتى ١٣٠ ، والاغاني (كتب) ١٩ / ١٥ - ٣٩ .

(١) حماسة البحتري ١٢٩ .

(٢) المرجع نفسه ١٢٩ .

وبلعاء بن قيس من كنانة بن خزيمه شاعر جاهلي قال في كل فن أشعارا جيادا ، وكان رأس بني كنانة في اكثر حروبهم وكان كثير الفارات على العرب ، له أخبار في حروب الفجار وفيها مات ، انظر ترجمته في الموتى ١٠٦ ، ومعجم الشعراء ٣٥٢ ، والقاب الشعراء ٣٠٠ ، والحيوان ١٦٧ / ٥ ، والاشتقاق ١٢١ .

(١)

لا تطلبوا الحرب ما دتم على طرف من السلامة واخشوا صولة الحقب

والانصاف في ذلك يتمثل في محاولة الوصول الى حل مرض للطرفين .

يقول " زهير بن أبي سلمى " :

(٢)

أرونا سنة لا عيب فيها يسوى بيننا فيها السَّوَاءُ

لذلك يروى أنهم كانوا عندما يتقابل الجيشان يعرضون الزجاج أولا اشارة

الى تحكيم العقل والمنطق ، و دعوة الى السلم ، فان أبوا ، أداروا الرماح

واستعملوا السنة بالطعن ، يقول زهير بن أبي سلمى " :

(٣)

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

(١) حماسة البحترى ١٤٨ .

ومالك بن الحارث هو الاشر النخعي ، شاعر فارس مخضرم أدرك

الجاهلية ، وكان من ذوى النصر والحمية لعلي بن أبي طالب كرم الله

وجبه ، ضربه رجل من ايام يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة

قيحا الى عينه فشترتها ، ولاء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مصر

فمات في الطريق اليها سنة ٣٧ هـ .

انظر ترجمته في البيان والتبيين ٧٨/٢ والمؤتلف ٢٨ والمرزباني

٣٦٢ والاصابة ت ٨٣٣٥ . والحقب : الحمار الوحشى الذى في بطنه

بياض .

(٢) ديوانه ٨٤ .

(٣) ديوانه ٣١ . والزجاج : الحديد المركب في أسفل الرمح .

(ب) التقرير بأن الحرب تعيب الطرفين

ومن الانصاف ذكر بلاء الحروب وأن الفريقين يصطليان بنارها سواء بسواء ، الظافرينها والمنهزم ولطالما بكى المنتصرون قتلاهم ، وفرسانهم الذين فقدوهم في ساحات الوغى ، مثلهم في ذلك مثل المنهزمين ففي يوم "عين أباغ" الذي كان للحارث "الأعرج" بن جبلة ملك العرب بالشام على المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة يقول "عدى بن الرعلاء الضبابي الفساني" يصف الحرب :

ربما ضربةً بسيفٍ صقيلٍ دونُ بضرى وطعنةٍ نجلاءٍ

وغموسٍ تَضِلُّ فيها يد الآسى ، ويعيا طبيبها بالدواء

(١) رفَعوا رايةَ الضَّرَابِ وآلوا لِيَذُودَنَّ سامرَ الملحَا

(٢) فصبرنَ النفوسَ للطعنِ حتى جرتِ الخيلُ بيننا في الدَّماءِ

وفي اليوم ذاته ، قُتِلَ "المنذر بن ماء السماء" ^{قتله} شمر بن عمرو السحيمي " من بني حنيفة" (٣) ، فقالت ابنته ترثيه : (٤)

بعين أباغ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خير القسيم

وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذلك الرَّمحُ يكلفُ بالكريم

ولا غرو في ذلك فالجرب تحرق بنارها من يصطليها ، ولا يسلم منها أحد ، كما تقول الخنساء :

(١) الملحاه : موضع ، أو هي كتيبة لال المنذر . وذلك هو الراجح .

(٢) الاصمعيات ١٥٢ .

(٣) معجم ما استعجم للبكري ١ / ٩٥ .

(٤) لسان العرب ١٠ / ٢٩٨ وتروى هذه الابيات لفروة بنته قيس بن مسعود

ابن عامر ترثي أباه . ويكلف : يولع .

ومن ظنَّ ممن يلاقى الحُرو بَ بِأَنَّ لَا يُصَابُ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا (١)
أقول " سعد بن مالك بن ضبيعة ":

والحربُ لَا يُبْقَى لِجَبَا حِمِّهَا التَّخِيلُ وَالْمِـرَاحُ (٢)

ولا يقف العربي موقف المكابر المعاند أمام هذه الحقيقة المرة التي عايشها
واكتوى بناها ، يقول " دريد بن الصمة ":

فَإِنَّا لِلْحَمِّ السَّيْفِ غَيْرُ نَكِيرَةٍ وَنُلْحِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِذِي نُكْرٍ
يُفَارِعَلِينَا وَاتْرِينَ فَيَشْتَفِي بِنَا إِنْ أُصْبْنَا أَوْ نُغَيَّرَ عَلَى وَتَرٍ (٣)

بل ان الموت في ساحات الحروب وميادين البطولة فخر وشرف عند العربي ،
يقول السموءل بن عاد ياء ":

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيْدٌ حَتَّى أَنْفِهِ وَلَا طَلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَاتِ نَفُوسَنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَاتِ تَسِيلُ (٥)

ولذلك اشتد ألم " امرئ القيس " لمقتل أبيه وسادة قومه في " ديار بني
مرينا " في غير حرب فلو قتلوا في المعركة لهان الأمر ، وهذا سر
حسرتة وندمه .

(١) ديوانها ٠٦٦

(٢) × الاشباه والنظائر للخالديين ١/١٥٥ .

(٣) ديوانه ٠٦٤

(٤) يرى الشيخ أحمد شاکر وعبد السلام هارون أن النسبة كذلك الى جده

واسم أبيه (العريض) طالع ترجمة أخيه سعيد في الاصحيات ٠٨٢ .

(٥) ديوانه ٩١ والطبات : طرف السيف وحده .

يقول " امرؤ القيس " يبكيهم أمر البكا :

ألا يا عين بكى لي شنيئا وبكى لي الملوكَ الذاهيننا
ملوكاً من بني حجر بن عمرو يساقون العشيّة يُقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
فلم تغسل جماجمهم بغسلٍ ولكن بالدماء مرّطيننا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيوننا (١)

وقد أترع الشعر الجاهلي بالنماذج الكثيرة التي تستهدف هذا المعنى
الذي يوه كد أن الحرب تصيب الطرفين ولا ينجو منها أحد ما يدل
على رسوخ المعنى عند شعراء المنصفات .

(١) ديوانه ٢٠٠ . شنيئا : صبا .

(ج) امحاض العداوة

ان اظهار العداوة وامحاضها للخصوم انصاف لهم حتى يكونوا في بينة
من أمرهم ويتخذوا حذرهم فلا يوءتوا على حين غرة .

وكان العربي في سائر شئون حياته يقوم بما يقوم به زماما على حد
قول الشاعر :

(لم أمش فيما أتيتُه خَمِراً لكني أتيتُه زَمَماً
أى : أفعل الشيء مواجهة لك ولا أساترك فيه) (١)

والعربي ان أبغض كان بغضه شديدا ، وان أحب وود أخلص وتفانى
وتلك ميزة نبيلة تحسب في خلق العربي من حيث المكاشفة ، والابتعاد عن
مخالطة عدوه .

فهذا " امرؤ القيس بن كلاب بن رازم العقيلي " يعلن غيظه وحقده
على " سواده بن كلاب " ويكره أن يحين أجله قبل أن يشفى غليله منه
ويقول :

ولقد رأيت مَخِيلَةً فَتَبِعْتُهَا مَطَرَتْ عَلَيَّ بِحَاصِبٍ وَتَرَابٍ
انى لا كُرُهُ أن تجيَ منيَّتي حتى أَغِيْظُ سوادهَ بنِ كِلابٍ (٢)
أما " طريف العنبري " فلا يخفى عداوته لكل " بكرى " ولا " بي ربيعة " (٣)

ويقول :

ولكلِّ بكرىٍ لدىَّ عداوةٌ وأبوربيعةَ شأنيُّ ومحلِّمٍ (٤)

(١) انظر الفاخر لابن سلمة ١٤٠ .

(٢) الموءتلف والمختلف / ليلامدى ١٢ وامرؤ القيس بن كلاب لم أقف له على
ترجمة .

(٣) يقصد " القبيلة التي رئيسها هاني " بن مسعود المشيباني .

(٤) الأسمعيات ١٢٨ .

والعداء الفردي قد يجر الى العداء الجماعي ، وحينئذ لا يخفي الطرفان ما يكنه كل منهما للآخر من بغض وعداوة .

يقول " بشر بن أبي خازم " يصف العداء المستحکم بين قومه ،
وبين " باهلة بن يعصر " وما جره على الطرفين من مصائب وويلات :

انا وباهلة بن يعصر بيننا دا الضائر بغضة وتقافى
من يثقفوا منا فليس بمفلس أبداً وقتل بني قتيبة شافى
بلت " قتيبة " في النوا بفارس لا طائش رعي ولا وقاف (١)

والانصاف في الاخاء كالانصاف في البغضاء ، وحتى الأقارب قد تحدث بينهم مشاحنات وبغضاء ، ولا يخفى البغض والقطيعة التي كانت بين " قيس بن مكشوح المرادى " وخاله " عمرو بن معد يكرب الزبيدي " وفي تهديده لعمرو يقول قيس :

ولولا قيتني لاقيت قرناً وودعت الحباب بالسّلام
لعلك موعدي " بيني زبيد " وما جمعت من نوكى لئام (٢)

(١) ديوانه ١٦٠ . بلت : بليت به .

(٢) معجم الشعراء ٣٢٣ .

وقيس بن المكشوح هو ابن هبيرة بن عبد يغوث ، بجلي ، وكان حليفاً لمراد وعداده فهم ، وهو من الشجعان الأبطال الشعراء ، كان سيد بجيلة في الجاهلية وفارسها ، كنيته " أبوشداد " وله مواقف في فتوحات الاسلام زمن عمرو وعثمان . وقتل في إحدى معارك صفين مع علي كرم الله وجهه ، وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب وكان يناقضه في الجاهلية .

انظر ترجمته في المرزباني ٣٢٣ والاستيعاب ٣ / ٢٣٥ وذييل

وفي انصاف عمرو لقيس ، ومداراته له يقول :

أريدُ حياتهُ ويريدُ قتلِي
عذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ (١)

وحسبك من الانصاف في " امحاض العداة " والمجاهرة به ، قول امرئ القيس "

يخاطب أعداءه :

بأيِّ علا قَتِينا ترغيبون
أعن دم عمرو على مرثد
فإن تدفنوا الداء لا نخفه
وإن تبعثوا الحرب لا نفعد
وإن تقتلونا نقتلكم
وإن تقصدوا الدم نقصد (٢)

(١) ديوانه ٠٦٥ . عذيرك : من يعذرك ولا يلومك .

(٢) ديوانه ٠١٨٦ .

(د) التكافؤ

ذكرت أن الانصاف يتخذ أشكالا عديدة ، حاولت قدر استطاعتي أن
ألم شتاتها وأبوابها حتى تبدو في صورة منظمة مرتبة لائقة .

ووجدت أن " الجاحظ " و " ابن سلام " و " الخالدين " و " ابن
حمدون " و " ابن المبارك " وغيرهم من الأدياء القدماء وذوى الدربة
والعناية بهذا اللون من الشعر الجاهلي يطلقون على القصيدة حكم
" الانصاف " من خلال منظور واحد متوارث يمكن تلخيصه فيما يلي :

أولا : انتفاء صفة المبالغة الغالبة على الشعر الحربي الجاهلي .
ثانيا : الصدق والواقعية في الحكم على مجريات الأحداث .
ثالثا : عدم الاقتصار على ذكر ووصف القوم وقوتهم وعددهم وإنما
يشرك في ذلك الطرف الآخر .

رابعا : الحكمة والرزانة التي تتضح من خلال القصيدة .
خامسا : وهي الفقرة المهمة والأساسية - ذكر بلا الطرفين وتكافئهما
ويعنى آخر انجلاء الموقف عن فريقين أنهكا قتالا وسببا
وجراحا وتعادلا فلا منتصر ولا مهزوم .

وهذا هو الانصاف ، أوليه كما ارتأوه وحكموا عليه ، فالتكافؤ في
كل شي " انصاف " ولعلمهم هنا انتكأوا على " المنصفات " - بتشديد
الصاد فتحا أو كسرا -

ولنأخذ على ذلك أمثلة من خلال القصائد " المنصفة في الشعر
الجاهلي .

فهذا " العباس بن مرداس السلمي " يذكر غزاه " مرادا " على
رأس قومه ، والتقاءهم " بتثليث " من أرض اليمن ، واقتتالهم اقتتالا

شديدا ، ويقول في قصيدته " المنصفة " - سالكا سبيل التنصيف والتكافؤ :-

فلم أر مثل الحيِّ حيا مصِّحاً ولا مثلنا لما التقينا فوارسنا
أكرُّ وأحسُّ للحقيقة منهم وأضربُ منا بالسيوفِ القوانسنا (١)

ويقول :

فان يقتلوا منا كريهاً فانننا أبأ نابه قتلاً يُذِلُّ المعاطسنا (٢)

وذلك " الشارق بن عبد العزى الجهني " (٣) (لا يكاد يذكر شيئاً من صفات
أهله حتى يبادر فيذكر مثله من صفات عدوه) (٤)

(وإذا كنا ذكرنا أن بعض الرواة قد سموا هذه القصائد " المنصفات "

كما في النسخة المغربية من الأُشباه والنظائر ، ورأوا أنها سميت كذلك ، لأن
القصيدة جعلت نصفين بين القائل وعدوه : شطربشطر ، وبيت بيت ،

وموقف بموقف ، فلعل خير ما يدل على صحة هذه التسمية قصيدة " عبـد
(٥)

الشارق " دون سواه ، فلا نكاد نجد بيتاً واحداً ليس فيه نصف وانتصاف) .

(١) ديوانه ٦٩ وانظر الابيات في الأُصمعيات ٢٠٥ . والحقيقة : ما يحق

على المرء أن يحميه .

(٢) ديوانه ٧١ وانظر البيت في الأُصمعيات ٢٠٦ . المعاطس : الأنوف .

(٣) وقصيدته في حماسة أبي تمام ٤٤٢ ومابعدها وفي البحترى ٤٧

منسوبة لسلمة بن الحجاج الجهني " . وفي الأُشباه والنظائر

للخالديين ١٥٣/١ لعبد الشارق بن عبد العزيز الجهني * وعبد

العزيز تورع عن نسبة العبودية للعزى " الصنم الذي كانوا يعبدونه

في الجاهلية ، يقول تعالى * أفرايتم اللات والعزى * سورة النجم

آية ١٩ .

(٤) المنصفات للملوحى ٣٥ .

(٥) المرجع نفسه ٣٥ .

ومن أمثلة ذلك قوله ، يصف اقبال الفريقين ومواجهتهم وتداعيمهم :

فجاءوا عارضاً برداً وجئنا
كمثل السيل نركباً وازعيننا
تنادوا: يا لبهثة ان رأونا
فقلنا: أحسن ضرباً جهيننا (١)

ويصف التحام الصفيين وتنقلهم في درجات القتال ، ومصارع الفرسان :

ولما لم ندع قوساً وسهماً
مشينا نحوهم ومشوا إلينا
تلا لواء مزنة برقت لاخرى
إذا حجلوا بأسياف رديننا
فمن يرنا يقل : سيل أتى
نكر عليهم ، وهم علينا
شددنا شدة فقتل منهم
ثلاثة فتية وقتل قيننا
وشدوا شدة أخرى فجرؤا
بأرجل مثلهم ورموا جويننا (٢)

ويختم قصيدته ببيتين في غاية الانصاف والتنصيف ، فيذكر التعب والانهاك ،
والجراح المشخنة التي أصابت الفريقين ، وتكسر الرماح وانحناء السيوف
فيقول :

فأبوا بالرماح مكسرات
وأبنا بالسيوف قد انحنينا
وباتوا بالصعيد لهم أحاح
ولو خفت لنا الكلى سريننا (٣)

(١) القصيدة في الحماسة بشرح المرزوقي ٤٤٢ وما بعدها وهي في

الأشباه والنظائر ١/١٢٣ وهو ما اعتمدت روايته .

والعرض : السحاب .

(٢) الأشباه والنظائر ١/١٥٣ .

(٣) المرجع نفسه ١/١٥٣ .

وفي منصفة "خداش بن زهير" ما يدل على اقتضائه هذا النمط
حيث يذكر يوم "شعطة" من أيام الفجار الذي انهزمت فيه قريش وكنانة
أمام قومه من "هوازن" و"سليم" ويصف استعداد الفريقين للحرب
قالا :

(١) وَبِتْنَا نَعْقِدُ السَّيْهَى وَبَاتُوا وَقَالُوا: صَبِّحِ الْأُنْسَ الْحَدِيدَا

وفي اقبالهم واقدامهم الى الحرب يمضى على النمط المؤلف فيقول :

(٢) فَجَاءُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ فِي الْغَابِ الْوَقُودَا

وعن احتدام القتال والعراك والثبات في الموطن يقول :

فَقَالُوا: يَا لَ عَمْرٍو لَا تَفِرُّوا فَقَلْنَا: لَا فِرَارَ وَلَا صُدُودَا

(٣) فَعَارَكُنَا الْكَمَاةَ وَعَارَكُونَا عَرَاكَ النَّمْرِ وَاجْهَتِ الْأَسُودَا

ويستمر على هذه الشاكلة في الانصاف حتى والقوم منهزمون فيقول :

(٤) فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُمْ هُزِمُوا وَفَلُّوا وَلَا كَذِبًا دَنَا عُنُقًا نَجُودَا

ولخداش قصيدة منصفة غير هذه سلكت سبيلا آخر غير التنصيف والتكافؤ وهو
الاعتراف بالهزيمة اعترافا صريحا وتقدير شجاعة " بكر من كنانة " فسي

(١) شعر "خداش بن زهير العامري" جمع وتحقيق د. رضوان محمد النجار

٥٥٥ عن مجلة كلية اللغة العربية / جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

العددان ١٣، ١٤، و١٤٠٣هـ، ١٤٠٤هـ، مطابع الجامعة . وقد ذكر

ابن سلام بعضها في طبقاته ١٤٥/١ - ١٤٦ .

(٢) المرجع نفسه ٥٥٥ .

(٣) المرجع نفسه ٥٥٥ .

(٤) المرجع نفسه ٥٥٦ . فلوا : ضعفوا وانهزموا ، زيادنا : دفاعنا ،

عنقنا : جماعة من الناس .

اليوم الرابع من الفجار الثاني والذي هزمت فيه قيس ، ومطلع القصيدة :

(١) أتتنا قريش حائلين بجمعهم وكان لها قدما من الله ناصر
ويقول " حاجزين عوف الأزدى " يذكر اقبال جموع " خثعم " و " زبيد " و " مذحج " و " صدا " و " دعى " و " بني سعد " وغيرهم ومجيئها لاجتثاق قومه ، وتزاحف الفريقين وتحمسهما للقتال والثبات :

فجاءت خثعم وبنوزبيد	ومذحج كلها وأبنا صغار
وجمع من صدا قد أتانا	ودعوى وجمع بني شعار
فلم نشعربهم حتى أتونا	كحيمر إذ أناخت بالجمار
فقام مؤذن منا ومنهم	لدى أبيتنا سورى سوار
كأننا بالمضيق وقد شرونا	لدى طرف الأصحير ضوء نار
فقالوا : يا لعبس نازعوهم	سجال الموت بالأسل الجرار
فقلنا : يبال يرني ما صعوهم	فرار اليوم فاضحة الذمار (٢)

(١) شعر خداس بن زهير العامري " جمع وتحقيق د . رضوان محمد النجار ٥٦٦ . وهي في المفضليات ٣٦٤ منسوبة لعوف بن الأحوص ، وكذلك في شرح التبريزي للمفضليات وقال : وتروى لخداس بن زهير ، وتنسب في الأصمعيات لعوف أيضا وفي الاغاني (ثقافة) ٧٦/٢٢ لخداس ابن زهير ، وتنسب أبيات في ثنايا القصيدة لخداس بن زهير في شرح المفضليات للأنباري ٧١٥ - ٧١٧ ، وكتاب ربيع الابرار للزمخشري ٥٤٩/١

(٢) قصائد جاهلية نادرة ٧٦ ، ٧٧ للدكتور يحيى الجبوري / مؤسسه الرسالة بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م وحاجزين عوف بن مفرج من الأزد ، شاعر جاهلي مقل من أغربة العرب ،

أما " عمرو بن البراقة الهمداني " فيذكر يوم الحيار (١) ، ويصف أهوال الحرب وما تلقاه الفريقان من طعن وضرب في صورة للحرب مهيلة ، وقد نص الأصمعي على أن قصيدته التي سنقتطف منها الأبيات التالية من المنصات (٢) .

يقول " عمرو بن البراقة " :

وقام مُصَوَّبٌ منا ومنهم — وكلُّ يَنْتَحِسِ حَنْقًا وَبَيْئًا (٣)

ويعترف بانتهزام قومه في المعركة ويقول منصفًا أعداءه :

فلما أن هَبَطْنَا القَاعَ رَدُّوا — غَوَاشِينَا فَأَدْبَرْنَا جُفُـولًا (٣)

ويصف " معقر بن حمار البارقي " مصارع الأبطال من الفريقين وتناثر الجماجم ، ومحاماة الأتوام عن أحسابهم فيقول في قصيدته التي أنشأها عن يوم " شعب جبلة " :

كَأَنَّ جِمامَ الأبطالِ لما — تلاقينا ضحى حَدَجٍ نَقِيْفُ
وَحامى كُلُّ قومٍ عن أبيهم — وصارت كالمخاريقِ السُّيوفِ (٤)

====
وعدائهم له في ذلك أخبار وغرائب .

انظر ترجمته في النوادر لأبي مسحل ٢٢٤ والاشتقاق ٥١٤

والأغاني (ثقافة ٢١١/١٣) .

(١) يوم الحيار : من أيام العرب ، والحيار : مدينة بالشام لبني عيس .

(٢) قصائد نادرة ١٠٢ .

(٣) المرجع نفسه ١٠٣ . حفولا : مجتمعين ومحتدشين .

(٤) المرجع نفسه ١١٣ وانظر مذكرة ابن حمدون ٦١/٥ ونصه على نصفه

هذه الأبيات . والمخاريق : مناديل تلف ليضرب بها .

ويصف " حكمة بن قيس الكناني " نتائج الحرب وعقابيلها فيذكر
أن قومه وأعداءهم اصطلوا بناهارها وفقدوا فيها أعزتهم وبكوا عليهم أمر البكاء
، فيقول :

فبتنا على لحمٍ من القومِ عودرتُ أسنتنا فيه وياتوا على لحمِ
وأصبح يبكي من بنينٍ وإخوةٍ حسانُ الوجوهِ طيبِي الجسمِ والنَّسَمِ
ونحنُ نُبكي إخوةً وبينهم وليسَ سوى قتلِ بِحَقِّ على ظلمِ (١)

ويقول " المسور بن زيادة " في انصاف الأقرباء وبلائهم في الحرب :

وكنا بني عمٍ جرى الجهلُ بيننا فكلُّ يوفى حقه غيرَ وادِعِ
قتلنا من الآباءِ شيباً ، وكلُّنا الى حَسَبِ في قومه غيرِ واضحِ (٢)

هذا لون من القصائد المنصفة " أو " المنصفة " قد أفصح عن الدلالة
على تكافؤ الفريقين وتعادلتهما في الحرب -

ولكن نجد هناك مقطعات قد لا تزيد على البيت أو البيتين ، نلمح
فيها الانصاف الظاهر للأعداء في خضم القصيدة المشحونة بالحماسة ، يعرج
الشاعر فيها الى الاعتراف بما نال الأعداء من قومه ، ثم يعود سيره الأول
في الفخر والحماسة . (٣)

(١) دراسات في الشعر الجاهلي ١١٦ .

(٢) المرجع نفسه ١١٦ .

(٣) ذكر " عبد المعين الملوحى " في كتابه " المنصفات " طائفة من هذه

المقطوعات من الصفحة ١٢٧ وحتى الصفحة ١٤٣ ، لم يقتصر فيها
على الشعر الجاهلي ، وإنما شابه بمقطوعات اسلامية . وأنا ذاكرها هنا
مقطوعات جاهلية وليست هي كل ما عثرت عليه ، وإنما سئأوردتها حسب
ما يقتضيه الحال .

فمن دوران الرحسى وطحنها لفريقي الحرب يقول " مالك بن زرعة الباهلي ":

فثارت إليهم من قتيبة عصابة
ومن وائل في الحرب يحس نفيها
فدارت رحانا ساعة ورحا هم نثلّم من أركانها ونديرها (١)

وعن تكافى الفريقين في القتلى والسبايا والجرحى ، يقول " طفيل الغنوى ":

قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم
وبالموثق المكلوب منا مكلوب
وبالنعم المأخوذ مثل زهائه
وبالسبي سبي والمحارب محرب (٢)

وهذا شبيه بالبيت التالي الذي أورده " ابن قتيبة " في كتابه " ديوان المعاني "

وذيله وجلى معناه :

(مشينا فسوينا القبور بعاقل
فقد حسنت بعد القبوح قبورها)

يقول قد كان قتلوا منا اكثر مما قتلنا منهم حتى استوينا وهم فقد حسن
أمرنا بعد أن كان قبيحا (٣)

ويقول " راجز بني مالك " لما طعن " ثعلبة بن الحارث " (٤)

" الصمة الجشمي " بأوا " بالجعد بن الشماخ " (٥) فأثقله ، في يوم

" عاقل " ، فيذكر تكافؤهما :

(١) قصائد نادرة ١٦٤ ومالك بن زرعة شاعر جاهلي لا نعترف غير اسمه

والنفير : مقدمة القوم .

(٢) ديوانه ٤٦ .

(٣) ديوان المعاني ١٠١٨/٢ ولم ينسب قائل هذا البيت والظاهر أن

قائله من " بني حنظلة " من تميم ، لأن يوم " عاقل " كان لهم على

" جشم من ربيعة " وعاقل : واد بنجد وانظر خبر هذا اليوم في النقائض ١٠١٩ .

(٤) هو أبو مرحب ، من بني مالك بن حنظلة .

(٥) وهذا أيضا من بني مالك بن حنظلة .

(١) نحن أبانا مِصْعَبًا بِالصَّمَةِ كِلَاهِمَا شَيْخٌ قَلِيلُ اللَّمَّةِ

وهذا النوع من التكافؤ سائر في شعر الجاهليين ، إذ كانوا يثأرون للشريف والسيد بمن يوازيه ويكافئه في الشرف والسيادة ، أو هم كذلك يرونه على حد قول " حاجز بن عوف الأزدى " يخاطب " ضمرة بن معز " سيد بني هلال :

يا ضمر هل نلناكم يد مائنا أم هل خذونا نفلكم بيثال
تبكى لقتلي من فقيم قتلوا فاليوم تبكى صادقاً ليملال
ولقد شفاني أن رأيت نساءكم يبكين مردفة على الأكفال

(٢) يا ضمراً إن الحرب أضحت بيننا لقتحت على الدكاك بعد حيال

ونكتفى بهذين المثالين ، مع الإشارة إلى ان الشعراء في وصفهم للحروب وخاصة إذا كانت ناتجة عن ثأر أو اشتفاء من حرب سابقة كانوا يذكرون مصابهم الجلل الذي بكت له نساءهم وشققن الجيوب ، وأنهم كانوا أعداءهم بابكاء نساءهم وتخمشهن الوجوه .

ومن هذا القبيل ما جاء عن القالي في كتابه " الأملالي " عند البيت

التالي :

(٣) رفعنا الخُموشَ عن وجوه نساءنا إلى نسوةٍ منهم فأبدَيْنَ مَجَلداً

(١) النقائض ١٠١٩ ومصعب هذا هو " ابن أبي الخير " الذي قال لما

خاف نشوب القتال حين طعن " الصمة " وهو في جوار الحارث بن

بيبة المجاشعي : " يا بني مالك هذه يدي بجااركم فهي لكم وفا " .

(٢) الأغانى ٢١٧/١٣ دار الثقافة (ولقتحت) : حملت . والدكاك :

التزاحم ، الحيال : التي لم تلد .

(٣) الأملالي ١٢٥/١ وانظر التنبيه ٤٨ .

ويذكر تفسير أحمد بن يحيى له بقوله :: (هذا رجل قتل من قومه
قتلى فكان نساؤه يخمشن وجوههن عليه فأصابوا بعد ذلك منهم قتلى
، فصار نساء الآخرين يخمشن وجوههن عليهم ، يقول : لما قتلنا منهم
قتلى بعد القتلى الذين قتلوا منا خولت الخמוש من وجوه نساءنا الى وجوه
(١)
نساءهم) .

ولا يقتصر دور النساء في الحرب على التحميس وتضميد الجرحى وسقا
العطشى فانهن كن اذا قتل من القوم ^{قتل} بكينه وندبته حتى يوه خذ بشأره
، ويعبرن عن حزنهن وعظم مصابهن بالعمويل والصياح وتخمش الوجوه ،
وهذه الظاهرة أى - بكاء النساء وابكاؤهن - ظاهرة تسترعي الانتباه .
وعندما يذكر الشاعر بكاء نساء قومه على قتلاهم فذلك اعتراف صريح منه
بالهزيمة وانصاف لاعدائه فلا غرابة اذا ان يورد " البحتري " في حماسه
قول " عمرو بن معد يكرب " :

عَجَّتْ نِسَاءُ بَنِي زَيْدٍ عَجَّةً كَعَجِيحِ نِسْوَتِنَا غَدَاةَ الْاَرْنَبِ (٢)

في بابہ الذی عقده لما قيل في الانصاف في الحرب " (٣)

وقصة هذا البيت باختصار أن " جرما " ونهدا " كانتا في " بني
الحارث " مجاورتين ، فقتلت جرم رجلا من اشراف بني الحارث يقال له :
" معاذ بن يزيد " فارتحلوا الى " بني زيد " قوم عمرو بن معد يكرب "
فخرجت بنو الحارث يطلبون بدمهم ومعهم جيرانهم بنونهد " فزعموا أن جرما

(١) الامالي ١٢٥ / ١ ، ١٢٦ ، وانظر التنبيه ٤٨ وتعليق البكري على

القالى .

(٢) البيت في ديوانه ٣١ وحماسة البحتري ٤٨ .

(٣) حماسة البحتري ٤٧ ، ٤٨ .

كرهت دماء " بني نهد " فانهزمت وفتل يومئذ زييد ، ثم ان " عمرا " قزا " بني الحارث " فأصاب فيهم وانتصف منهم وقال ... (١)

وشبيه بهذا قول " عبدالله بن جدل الطغان " في يوم " برزة " لما قتل " مالك بن خالد بن صخر بن الشريد وأخاه " هنداء " ثأرا لربيعة بن مكدم :

قد
فان تك نسواني يكين فقد بكت كما بكت أم لكرز ومالك (٢)
وكذلك قول " القتال السكوني " في غزوة غزاها " بكر بن وائل " :
سأبكي بما أبكى عميرة نسوة لهن عويل حين ينقلب الركب
يظن يشققن الجيوب نواحا نهارا ولم يرقطن إلا على نصب
وانا لنقضى الوتر فضلا رماحا ولسنا بأنكاس إذا توعد الحرب (٣)

وذكر التكافؤ في القتلى ودوران رعى الحرب وبكاء النساء كثير الورد في الشعر الجاهلي وحسبي هنا أن أذكر مقطوعات من الشعر الجاهلي دلالتها واضحة على الانصاف وتكافؤ الفريقين في الحرب ، وانا كانت هذه الأبيات قد وردت خلال قصائد لم تتمحض للانصاف ، فانها دليل على النزعة المركوزة في نفس الفرسان الجاهليين ، اذ ان الانصاف سمة وخلق من سمات الشعراء الفرسان ، وقد ترد المقطوعة منفردة خالصة للانصاف .

(١) من التنبيه ٤٨ - ٤٩ بتصرف .

(٢) المعقد الفريد ٣٣/٦ .

وعبدالله هو أخوريطة التي كانت طعينة " ربيعة بن مكدم " فحماها من فوارس دريد بن الصمة وقتل ثلاثة منهم وتقديرا لبأسه أكرمته دريد . ولم أقف على ترجمة لعبدالله هذا .

(٣) الموء تلف والمختلف ١٦٧-١٦٨ وفي البيت الثاني اقوا . والقتال

السكوني شاعر فارس جاهلي لم أقف له على ترجمة . وعصلا : أى قوية لم تتقف أو تقوم .

ذ " مفروق بن عمرو الأضم " يحرص على انصاف خصومه ولا يبخل عليهم يذكر بطولتهم ومجاہبتهم لقومه وتساقيتهم كأس المنايا ، وأنه كثيرا ما رزى* بعزیز علیه في الحرب فيقول :

وَلِرَبِّ أَيْطَالٍ لَقِيْتُ بِمِثْلِهِمْ فَسَقَيْتُهُمْ كَأْسَ الرَّدَى وَسَقَيْتُ
وَأَخٍ يَجِيبُ الْمُسْتَضَافَ إِذَا دَعَا وَالخَيْلُ تُعَثِّرُ فِي الْغِبَارِ - رُزِيَتْ (١)

وتظهر نزعة الانصاف واضحة عند " الأجدع بن مالك الهمداني " ان يذكر عراك الطرفين وتوثبهم على أعنة الخيول ، وتسايوهم في الدفاع والهجوم والقتلى ، فيقول :

حَيَّانٍ مِنْ قَوْمِي وَمِنْ أَعْدَائِهِمْ خَفَضُوا أَسِنَّتَهُمْ فَكَلَّ نَاعِي
وَالخَيْلُ تَنْزَوُ فِي الْأَعِنَّةِ بَيْنَهُمْ نَزَوَ الطُّبَّاءُ تَحَوَّشَتْ بِالْقَاعِ (٢)
وَكَانَ قَتْلَاهَا كِعَابٍ مُقَامِرٍ ضَرَبَتْ عَلَى شَزَنِ فَهَنَّ شَوَاعِ (٣) (٤) (٥)

وعروين كلثوم في معلقته المفعمة بالحماسة والفخر ، يومض بريق الانصاف لديه ايماضا خاطفا فيذكر بيتين فقط مجالدة أعدائه ومهارتهم

(١) الموء تلف والمختلف ٤٣ .

(٢) تحوشت : من حوش الصيد وهو الاحداق به للتمكن من صيده .

(٣) الشزن : الغليظ من الأرض .

(٤) شواع : جمع شاعية : متفرقة .

(٥) الأصمعيات ٦٩ .

والأجدع بن مالك فارس شاعر جاهلي من سادات همدان أدرك الاسلام وبقي الى خلافة عمر رضي الله عنه ووفد عليه فسماه " عبدالرحمن " انظر الاصمعيات ٦٨ والموء تلف والمختلف ٤٩ والاشتقاق ٢٥٣ والسمط ١٠٩ والأعلام ١/٨٤ .

في القتال واستواء الفريقين في مجريات الحرب فيقول :

كَأَنَّ سَيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا
كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضَيْنَ بِأَرْجَوَانٍ أَوْ طَلِينَا (١)

وتتضح نزعة الانصاف اكثر ما تتضح في قول " قيس بن زهير العبسي " حين يذكر ان كلا الفريقين ثبت في القتال وجد فيه ، الا أن الدائرة كادت تحقق بقوم

" قيس " وهذا تنويه بياس الفريق المقابل وحسن بلائه ، يقول :

فثَارُوا وَثَرْنَا وَالْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا وَهَاجَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتْ
وَأَحْمُوا حِمِّيَ مَا يَمْنَعُونَ فَأَصْبَحْتُ لَنَا طَعْنٌ كَانَتْ وَقُوفًا فَحَلَّتْ (٢)

ومن هذا القبيل قول " عمير بن الأهم العبدى " :

إِذْ دَنَوْنَا وَدَنَوْا حَتَّى إِذَا أَمَكَنَ الطَّعْنُ وَمَنْ شَاءَ ضَرَبَ
رَكَدَتْ فِينَا وَفِيهِمْ سَاعَةٌ سَمَّهْرِيَّاتٍ وَبَيْضٌ كَالشُّهُبِ (٣)

وكثيرا ما كانت المعارك سجالا بين قبائل العرب فيوم هنا ويوم هناك وقوم ينتصرون وآخرون ينهزمون والمنتصر يذوق حلاوة الفوز والظفر ويتجرع

(١) شرح المعلقات السبع / للزوزني ١٧٦٠

(٢) السيرة لابن هشام ٢٨٧/١ وانظر دراسات في الشعر الجاهلي ١٢١٠

(٣) الأشباه والنظائر / للخالديين ١٤٨/١ - ١٤٩ وعيرين الأهم لعله أخو عمرو بن الأهم ولكن ذاك منقري وهذا عبدى ؟! وقد وجدت في المرزباني ٢٤٥ شاعرا آخر اسمه " عمير بن الأهم التغلبي النصراني " وأرجح أنه غيره ولم أصل الى ما يزيح الغموض عن شخصية الشاعر .

المهزوم مرارة الهزيمة ثم ما يلبث الحال أن ينقلب ، فمنتصر الأُمن ، مهزوم اليوم ، وهكذا دواليك ، وعن هذا يحدثنا " مالك بن خالد الخناعي الهذلي " يذكر يومي " عكاظ " و " العرج " و " واشتفا " قومه من أعدائهم ، وتكافئهم في القتل والسبي والنهب ، فيقول :

أَبَانَا بِيَوْمِ الْعَرَجِ يَوْمًا بِمِثْلِهِ غَدَاةً " عكاظ " بِالْخَلِيطِ الْمَسْرُوقِ
فَقَتَلَا بِقَتْلَانَا وَسَبِيًّا سَبِينَا وَمَا لِأَبْمَالِ عَاهِنٍ لَمْ يُفَرِّقِ (١)

وانما ابتدأت بذكر " التكافؤ " في " المنصفات في الحرب " لأن التكافؤ هو المعنى الحقيقي للمنصفات أو المنصفات ، فاذا كان المعنى اللغوي لها يعني تساوى الفريقين في أخذ الحق كل بما يستحقه ، فإن التكافؤ هو أظهر هذه المعاني .

ولعل استشهادهم بقول " المهلهل " في يوم " الذنائب " :

كَأَنَّا غُدْوَةٌ وَبَنِي أَبِينَا بَجَنْبِ عَنِيْزَةٍ رَحِيًّا مَدِينِ (٢)

على أنه أول " انصاف " قيل في الشعر الجاهلي يعبر عن هذه النظرة ، على الرغم من أن هناك قصائد وأبياتا في الانصاف سبقته .

(١) شرح أشعار الهذليين ٣٧١ . وانشد الاصمعي للجاحظ بيتا

للمهلهل في هذا المعنى وهو :

فقتلا بتقتيل وعقرا بعقركم جزاء العطاس لا يموت من اتأر

أنظر البيهقي والتبيين ٣ / ٣٢٠ .

ومالك بن خالد من بني خناعة بن سعد من هذيل لم أقف له على

ترجمة سوى ما ورد عنه في شرح أشعار الهذليين ٤٧٠ وما يليها .

وعاهن : أي حاضر ثابت .

(٢) الأَصْمَعِيَّاتُ ١٥٥ وانظر خزانة الادب ٣ / ٥٢٠ - ٥٢١ .

وظاهرة التكانؤ في القتال والدماء ، لم يكن العربي يكتمها فلا
يفصح عنها ، بل يظهرها لأنها دليل عزة ومنعة وقوة فالقوى القادر لا
يحارب الا الاقويا ، ولا يسقط في ساحات القتال الا الابطال ، على
حد قول " دريد بن الصمة " الماضي .

(١) فَأَنَا لِلْحَمِّ السَّيْفِ غَيْرُ نَكِيرَةٍ
وَنَلْحِمِهِ حِينًا وَلَيْسَ بِيذِي نَكْرٍ

وحتى في الغدر كان الرد عليه بمثله انصافا ومكافاة ، يقول عمرو بن

معديكرب :

(٢) غَدَرْتُ غَدْرَةً وَغَدَرْتُ أُخْرَى
فَمَا إِنْ بُنِينًا أَبَدًا يَعْطِطِ

(١) ديوانه ٦٤ وانظر ص ١٩٣ من هذه الدراسة .
(٢) ديوانه ١٢٧ ويعاط : كلمة يندربها الرقيب قومه اذا رأى جيشا

(هـ) انصاف الأقرباء

إذا كان العر بي مضرب المثل في التعصب لقبيلته فإنه كان أشد تعصبا لأقربائه الأدينين . وما العصبية القبلية الا قائمة على رابطة الدم ، فكلما قربت وشائج النسب اشتدت واستحكمت ولكن قد تحدث خصومات ومنازعات بين الأقارب وقد تصل الى الاقتتال ، وهذا القتال والعراك له ظروف وملابسات معينة ، ويتخذ أشكالا مغايرة عن القتال التقليدي بين القبائل ، وكأنما الطرفان المتعاركان يشعران بفداحة ما يقومان به .

ولطالما اشتكى الشعراء من ظلم الأقارب وغطهم الحق وما يؤدى اليه من تشتت وانقسام وذلة ، يقول " حيان بن جرير الذهلي " :

ولم أرمثل الحق أنكره امرؤ ولا الضيم أعطاه امرؤ وهو طائع
متى ما يكن مولاك خصمك جاهدا تذل ويضرك الذين تصارع (١)
فالأهل والعشيرة هم المأوى والملاذ عند الشدائد ، كما يقول " حليس بن مشمت بن المخبل " :

فقل لبني ذهل عمو حيث كنتم صباحا ولا يبعُد مزارطاتها
فأنتم مجنى دون من كنت أتقى وأنتم يدي إن طالبت بقراتها (٢)

- (١) الموء تلف والمختلف / للامدى ٩٧ وهي في الوحشيات للكعيت بن معروف الأسدى ص ١٧ وحيان هو ابن حيان بن جرير الذهلي من ذهل بن ثعلبة بن عكاية من بكر بن وائل ، ولم أشر له فيما تحت يدي من مراجع على ترجمة .
- (٢) المرجع نفسه ٨٧ ، وحليس بن مشمت من ربيعة بن نزار شاعر فارس جاهلي .

فاذا انقلب الأهل الذين هم الوقاية والدرع ، أعداء فتلك العداوة

التي لا تتقي ، ولا تؤمن من عواقبها وذلك هو البلاء بعينه ، يقول

” زر بن اربد ” :

قَبِحَ لِلَّهِ عِدَاوَةٌ لَا تَنْتَفِي وَقَرَابَةٌ يُدْلَى بِهَا لَا تَنْفَعُ (١)

وفي القتال لا تنفع القرابة ، فهو موطن يذهل فيه المرء عن نفسه وبنيه واخوته ،

يقول ” جبار بن مالك بن حمار الفزاري ” :

وَيْلٌ أُمَّ قَوْمٍ صَبَحْنَاَهُمْ مُسَوِّمَةً بَيْنَ الْأُبَارِقِ مِنْ شَيْبَانَ وَلَا كُمْ
الْأَقْرَبِينَ فَلَمْ تَنْفَعْ قَرَابَتَهُمْ وَالْمَوْجِعِينَ فَلَمْ يَشْكُوا مِنَ الْأَلَمِ (٢)

وقتل الأقارب وتباغضهم انقلاب لموازن العصبية ، وما أصعب أن يجاهر

الأخوان بالعداوة والكره ، فمن ذلك أن (مخلص بن لقيط السعدي ” كان

له ثلاثة أخوة فمات أحدهم وكان به بارا فأظهر الأخوان عداوته ، فقال :

أَبَقْتُ لِي الْأَيَّامُ بَعْدَكَ مُدْرِكًا وَوَمْرَةً ، وَالدُّنْيَا كَرِيهَةٌ عِتَابُهَا
فَرِيقَيْنِ كَالذِّئْبَيْنِ يَبْتَدِرَانِي وَشَرَّ صَحَابَاتِ الرِّجَالِ ذُنَابُهَا
إِذَا رَأَيْتَ لِي غَرَّةً أَغْرَابُهَا أَعَادِيَّ وَالْأَعْدَاءُ تَعْوَى كَلَابُهَا
وَإِنْ رَأَيْتَ لِي قَدْ نَجَوْتُ تَلَمَّسًا لِرِجْلِي مِعْوَةً هَيَامًا تَرَابُهَا
وَأَعْرَضْتُ أَسْتَبِقِيهِمَا ثُمَّ لَا أَرَى حُلُومَهُمَا إِلَّا وَشِيكًا ذَهَابُهَا

(١) الموء تلف والمختلف / للامدى ١٣٢ .

وزر بن اربد بن معد بن نسي كلاب وأخوريعة لأنه ، فهو عم لبيد

الشاعر . انظر الموء تلف ١٣٢ .

(٢) المرجع نفسه ٩٣ ولم أتف لجبار على ترجمة .

(١) فقد جعلت نفسى تطيب لضغمة أعضها ما يقرع العظم نابها
وتقوم المحاولات لرأب الصدع بين المتباغضين ، للوصول الى الحق ، ولو عن
طريق العتاب الرقيق الذى يستل الضغائن ، في مثل قول (بعض ولد
طسى * ، وكان يفضل جنديها أحد ولد ولده عليهم ويقدمه في الزاد وغيره
على فرسان ولده ، فقال * أحدهم لآخر منهم يسمى عمرا :

(٢) يَا عَمْرُ خَيْرِنِي وَلَسْتَ يَكَاذِبُ وَأَخُوكَ يَصُدُّكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
أَمِنَ الْقَضِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَفْنَيْتُمْ وَأَمِنْتُمْ فَأَنَا الْبَعِيدُ الْأَجْرَبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُّ الْحَيْسُ يَدْعَى جَنْدَبُ (٣)

وان لم يفد العتاب الرقيق ومحاولات الصلح فان مفارقة الأهل والعشيرة
على صعوبتها وألمها أهون الشرين ، كما يقول " مقيس بن صباية الكناني :
وَدَعْتُ سَهْمًا غَيْرَ رَاجِعٍ رَحْلِهَا أَبَدًا وَإِنْ أَقَيْتُ يَكُلُّ أَفْسُقُ (٤)

ولما استمرأ فراق أخواله من " بني سهم " من قريش قال مهددا لهم :

أَبْلَغُ قَرِيشًا بَنِي فِهْرٍ مَغْلُغَلَةٌ أَنْ الضَّغَائِنَ يَنْفِي رِيْقَهَا اللَّحْمُ
أَقُولُ وَالْمَوْتُ يَفْشَاهُمْ سَمَادِرُهُ لَا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرِ إِذَا ظَلَمُوا (٤)

(١) معجم الشعراء* للمرزباني ٣٩٠-٣٩١ .

ومغلس بن لقيط بن حبيب بن خالد بن نضلة الأسدي شاعر جاهلي ،

كان كريما حليفا شريفا ، ويقال انه سعدى لا أسدى .

انظر خزائن الأدب ٢ / ٤١٥ - ٤٢٠ والمرزباني ٣٩٠ .

والضغم : هو العنق الشديد بمل* الفم .

(٢) لعلها (يا عمرو) .

(٣) معجم الشعراء* للمرزباني ٢١٥ وتروى الابيات لعمر بن الحارث بن عبد

مناة بن كنانة وهو الاحمر - جاهلي - وتروى أيضا " لهني بن أحمر الكناني " .

(٤) معجم الشعراء* ٤٦٧ - ٤٦٨ . ومقيس بن صباية من كنانة قرشي شاعر

هذا الجانب العتشد في أخذ الحق من الأُقارب والمطالبة به والتهديد بالعداوة
والمحاربة لم يكن مثالا سائرا ، فاننا نجد بعض التعقل والانصاف في قول
"الأفوه الأودي " :

حَانَ الرَّحِيلُ إِلَى قَوْمٍ وَإِنْ بَعُدُوا فِيهِمْ صَلاَحٌ لِمُرْتَابٍ وَإِرشَادُ
فَسَوْفَ أَجْعَلُ بَعْدَ الْأَرْضِ دُونَكُمْ وَإِنْ دَنَتْ رَحِمٌ مِنْكُمْ وَمِئَلَادُ
إِنْ النَّجَاءُ إِذَا مَا كُنْتُ ذَا بَصَرٍ مِنْ أَجَّةِ الْغَيِّ إِبْعَادٌ فَأَبْعَادُ (١)

====
اشتهر في الجاهلية وعداؤه في بني سهم ، وكانت اقامته في مكة
وهو ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية ، شهد بدرا مشركا
وأسلم أخوه فقتله أنصاري خطأ فأمره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بإخراج ديته فقبضها مقياس بعد أن أظهر اسلامه
، وترقب لقاتل أخيه فقتله ثم فرمردا ولحق بقريش فأهدر
النبي صلى الله عليه وسلم دمه فرآه المسلمون بين الصفا والمروة
فقتلوه بأسيا فمهم .

انظر ترجمته في الحبر ٢٤٠ وحماسة الشجرى ٣٩ - ٤٠ والمرزباني
٤٦٧ ، وسيرة ابن هشام (حلي) ٥٢ / ٤ - ٥٣ والاعلام
٠٢٨٣ / ٧

(١) ديوانه ١٠ . وأجئة الغي : من أجيح النار ، استعارها .

والتنازل عن الحق والتغاضي عن اساءة القوم انصاف لهم ، فلما قتل قوم
" الحارث بن ولة الذهلي " أخاه ، كان في غاية التعقل والرزانة والبعد
عن الانفعال في قوله :

فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي	قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِيمَ أَخِي
وَلَعْنُ سَطَوْتُ لَا وَهْنُ عَظْمِي	فَلَيْتُ عَفَوْتُ لَا عَفُونَ جَلَلًا
وَبَدَأْتَهُم بِالشَّمِّ وَالرَّغْمِ	لَا تَأْمَنَنَّ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ
وَالْقَوْلَ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْبِي	أَنْ يَأْبُرُوا نَحْلًا لِيُغَيِّرَهُمْ
إِنَّ الْعَصَا قِرَعَتْ لِيذِي الْجِلْمِ	وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا
وَطَاءَ الْعَقِيدِ نَابِتِ الْهَرَمِ	وَوَطِئْتَنَا وَطْئًا عَلَى حَنْقِي
(١) لَوْ كُنْتُ تَسْتَيْقِي مِنَ اللَّحْمِ	وَتَرَكْتَنَا لِحْمًا عَلَى وَضْمِي

وقدم لا عرابي (٢) ، أخاه ليقناد منه بابه الذي قتله فألقى السيف من يده
وهو يقول :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَّةً	إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُسِرِدْ
كِلَاهِمَا خَلْفًا مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ	هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

- (١) الحماسة بشرح المرزوقي ٢٠٤ وما بعدها والامالي ٢٦٣/٩ والابيات
فيه للحارث بن ولة الجرمي ، ولعل هناك اختلاط لمجاورة الحارث
الذهلي لبني جرم - والاختلاف يسير في الرواية . وانظر الموءء تلف ١٩٧
والعرياني ٢٠٩ والسمط ٥٨٥ والهرم : ضرب من الحمض فيه ملحوظة
وهو أذله وأشدده انيساطا على الأرض . والوضم : ما يوضع عليه اللحم
من فراش وحصير يوقى به الأرض .
- (٢) الامالي ٢٦٣/١ ولم ينسبه القالي وكذلك في الحماسة بشرح المرزوقي
٢٠٧ وهو في الحماسة البصرية ٤٠/١ وفيات الايمان ٥٥/٦ منسوب
للعريان بن سهلة النبهاني وهو شاعر جاهلي . انظر الخزائن ٥٢٢/٢
ومن نسب الى أمه ٠٨٧

والعفو عن ذوى القرابة وصلتهم والتفاضي عن زلاتهم كان ديدن المنصفين

منهم ، على حد قول " خالد بن غراب السكوني " :

(١) وَسَلِّكَ أَرْجُولَا الْعَدَاوَةِ إِنَّمَا أَبُوكَ أَبِي وَإِنَّمَا صُفْنَا مَعًا

فلعل الصفح عنهم يلين قلوبهم ، فأحق الناس بحسن العشرة والتصافي هم

الأهل والعشيرة ، كما يقول " غراب البين الفزاري " :

أَلَيْسَ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يَتَصَافِيَا وَأَلَّا يَمَلَّ عِشْرَةَ أَخِي وَأَنْ

(٢) إِذَا أَمْتَعْنَا مِنَ الرِّجَالِ فَمَهْلُهُمَا مِنْ الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ مَمْتَعَانِ

فالأقارب جسد واحد تأتي عليه العداوة عضوا عضوا ، كما يقول " العتلمس

الضبعي " :

وَلَوْ غَيْرَ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينِ مَيْسَمَا

وفيها : وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ يَكْفِي لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمَا

(٣) فَلَمَّا اسْتَقَانَ الْكُفَّ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْ لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ تَبَيَّنَا فَأَحْجَمَا

(٤) ولما اقتتل فريقان من " بني أسد " على بثر ادعاها كل منهم ، قال رجل منهم ،

داعيا الى الصلح ، ومهدئا للشاعر :

كَلَّا أَخَوِينَا إِنْ يَرُغْ يَدْعُ قَوْمَهُ ذَوِي جَامِلٍ دَثْرٍ وَجَمْعٍ عَرْمَرَمٍ

كَلَّا أَخَوِينَا ذُو رِجَالٍ كَأَنَّهُمْ أَسْوَدُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ ضَيْفَمٍ

(٥) فَمَا الرُّشْدُ فِي أَنْ تَبْتَفُوا بِتَعْمِيمِكُمْ بَعْيسًا وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِالْدَمِ

(١) الموء تلف والمختلف ١٦٣ .

(٢) المرجع نفسه ١٦٣ .

(٣) ديوانه ٢٩ وما بعدها وانظر الأبيات في الأصمعيات (٢٤٥ وما يليها)

والبيت الأول منها (فلو) .

(٤) لم أقف على اسمه .

(٥) الحماسة بشرح المرزوقي ٢٥٤ . والجمال : الأبل ، والدثر : الكثير .

وفي نزاع "خفاف بن عمير" والعباس بن مرداس السلمي "وكلاهما من بني سليم"
يقول "مالك بن عوف النصرى":

سَلِيمُ بِنِ مَنْصُورٍ دَعَا الْحَرْبَ إِنَّمَا هِيَ الْهَلَكُ لِلْأَقْصَيْنِ أَوْ لِلْأَقْرَبِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ وَاثِلٍ وَحَرْبِ مُرَادٍ، أَوْ لَوْ يَبْنِ غَالِبِ (١)

وعداوة الأخوان والأهل عاقبتها الندم دائما، فلما اختلف "شرحبيل وسلمة"
ابنا الحارث بن عمرو الكندي "في الملك تواعدا "الكلاب" فكانت موقعة "الكلاب"
الأول "وجعل سلمة في رأس أخيه مائة من الابل، فلما قتل ووضع رأسه بين يديه
ثار الدم في وجهه وقال:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا حَنْشٍ رَسُولًا فَمَا لَكَ لَا تَجِيءُ إِلَى الثَّوَابِ
تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُورًا قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكَلَابِ
تَدَاعَتْ حَوْلَهُ جُشْمُ بَنِ بَكْرِ وَأَسْلَمَهُ جَعَاسِيْنُ الرَّبَابِ
قَتِيلٌ مَا قَتَيْكَ يَا ابْنَ سَلْمَى تَضْرِبُهُ صَدِيْقَكَ أَوْ تَحَابِسِي (٢)

(١) الاغاني (ثقافة) ٢٦/١٨ .

(٢) أيام العرب ٤٨ والأبيات الثلاثة الأولى في العقد الفريد ٦٨/٦

لسلمة أيضا والاغاني (ثقافة) ٢١٠/١٢ والبيتان الأولان لسلمة أيضا
في معجم الشعراء للمريزاني ٢٧٤ وذكر أنها تروى لأخيه معديكرب وكان
صاحب سلامة معتزلا حرب أخويه . وبيرويه أيضا في ٢٠٦ لعمر بن
الحارث بن عمرو الملك أبو شرحبيل الكندي، ولم أقف على ابن للحارث
يدعى (عمر) فأبناؤه أربعة هم : حجر وشرحبيل، ومعديكرب، وسلمة
وذكر المريزاني أن "شرحبيل" قتله تغلب، مع أن أكثر النصوص تعين
قاتله، وهو "أبو حنش - عصيم بن مالك الجشمي" وقيل "عصيم بن
النعمان بن مالك" وقيل هو واحد "بني ثعلبة بن بكر".
وعموما فالراجح لدى أن الأبيات لمعديكرب بن الحارث، وهو مارجه

وهذا "شبييل الفزاري" يحارب بني أخيه ويقتلهم، ولكنه يندم على فعلته
تلك ويقول منصفا لهم ومشيدا بشجاعتهم:

أَيَا لَهْفِي عَلَى مَنْ كُنْتُ أَدْعُو فَيَكْفِينِي وَسَاعِدُهُ الشَّدِيدُ
وَمَا مِنْ ذِلَّةٍ غُلِبُوا وَلَكِنَّ كَذَاكَ الْأَسَدُ تَفَرَّسَهَا الْأَسْوَدُ
فَلَوْلَا أَنَّهُمْ سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ سَوَابِقُ نَبِلْنَا وَهُمْ بَعِينُ
لَحَاسُونًا حِيَاضَ الْمَوْتِ حَتَّى تَطَايِرَ مِنْ جَوَانِبِنَا شَرِيدُ (١)

ونظير ذلك قول "الشميدز الحارثي" يخاطب بني عمه:

وَقَدْ سَاءَ نَبِي مَا جَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا بَنِي عَمَّنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مَدَانِيَا
فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقَاضِيَا (٢)

ومن انصاف الأقارب في الحرب والتي نص عليها ابن حمدون في تذكرته، قول
"المسور بن زيادة":

وَكُنَّا بَنِي عَمِّ جَرَى الْجَهْلُ بَيْنَنَا فَكَلَّ يُوفِي حَقَّهُ غَيْرُ وَادِعِ
قَتَلْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْبًا وَكُنَّا إِلَى حَسْبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ
فَلَمَّا بَلَّغْنَا الْأُمَهَاتِ وَجَدْتُمْ بَنِي هَمِكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْمُضَاجِعِ
فَمَا لَهُمْ عِنْدِي وَلَا لِي عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَكْثَرَ الْمَغْرُورِ وَشَيْ التَّتَابِعِ (٣)

(١) الحماسة بشرح المرزوقي ٦٨٠ . ولم أوقف على ترجمة الشاعر

(٢) الحماسة ١٢٤ وانظر الموءتلف والمختلف ١٤٠ .

(٣) التذكرة الجزء الثالث الورقة ١٢١ من المخطوطة . والمسور بن زيادة

شعر اسلامي عاشر من معاوية وانما أوردت منصفته هنا للاستغناس

بأن هناك انصافاً للأقارب في الحرب، وله قصيدة أخرى في الحماسة

تمت إلى الانصاف بصفة . انظر ص ٢٤٧ الحماسة بشرح المرزوقي .

والدخول في حرب الأُقارب يكون اضطرارا بعد طرح كل الحلول الأخرى ،
فان لم يكن سوى الحرب حلا فلا مجال الا دخولها ، وكلا الطرفين في
الحرب يشعر أنه يفقد فيها جزءا عزيزا من جسمه أو أخا شقيقا من أهله ، يقول
" الحصين بن الحمام المرى " يحاطب " بنى صرمة " ويدعوهم إلى
ترك جيرانهم من قضاة أن يذهبوا ، ولا يتعننوا في موقفهم حتى لا تثور حرب
يكرهون عليها :

يَا أَخَوَيْنَا مِنْ أُبَيْنَا وَأَمَّنَا ذُرُّوا مَوْلَيْنَا مِنْ قُضَاعَةَ يَذْهَبَا
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَفْعَلُوا لَا أَبَا لَكُمْ فَلَا تَعْلِقُونَا مَا كَرِهْنَا فَنَفْضِبَا
وَنَحْنُ بُنُو سَهْمٍ بَيْنِ صُرَّةٍ لَمْ نَجِدْ لَنَا نَسَبًا عَنْهُمْ وَلَا مُتَنَسِبًا
مَنْ نَنْتَسِبُ تَلَقَّوْا أَيَانَا أَبَاكُمْ وَلَنْ تَجِدُونَا لِلْفَوَاحِشِ أَقْرَبَا (١)

فلما لم يصيخوا لداعي العقل والصلح ، ولم يستجيبوا لندائه ، أعلن الحرب
عليهم وقال :

وَلَمَّا رَأَيْتَ الصَّبْرَ لَيْسَ بِنَافِعِي وَأَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْهَبَا
شَدَدْنَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ بِالْجَوْشَدَةِ فَلَا لَكُمْ أُمَّ دَعَوْنَا وَلَا أَبَا (١)

وتسير قصيدته على هذا النمط .

وفي قصيدة أخرى مشابهة يقول ناعيا عليهم اثارتهم الحرب التي جنوها على
أنفسهم : (٢)

(١) المفضليات ٣١٧ وانظر قصته بالتفصيل مع قومه في الفاخر لابن سلمة
ص ١٢٧ ، ١٢٨ وقد ذكر عدة روايات لها .
لا تعلقونا : لا تنوطوا بنا ما كرهنا . وأشهبنا : صعبا . والجو : موضع .
(٢) المفضليات ٦٥ .

ولما رأيت الودَّ ليس بنافعي
وَأَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَظْلَمَا
صَبْرَنَا وَكَانَ الصَّبْرُ فِينَا سَجِيَّةً
بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَمَا
يُفْلِقْنَ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعِزَّةٍ
عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
وَجُوهٌ عَدُوٍّ وَالصُّدُورُ حُدَيْثَةٌ
بُودٍ فَأُودَى كُلُّ وَدٍّ فَأَنْعَمَا (١)

ونظير ذلك قول " قيس بن الخطيم " يخاطب بني جحجبي ويقول انه
عدوهم يقتلهم وعدو عدوهم يدافع عنهم :

أَبْلَغُ بَنِي جَحْجَبِي وَقَوْمِهِمْ
خَطْمَةٌ أَنَا وَرَاءَهُمْ أَنُفُفُ
وَأَنَّا دُونَ مَا يَسُومُهُمُ الْأَعْدَاءُ
عَدَاؤُ مِنْ ضَمِيمٍ خِطْمٌ نَكْفُفُ
نَفْلِي بِحَدِّ الصَّفِيحِ هَامَهُمْ
وَفَلِينَا هَامَهُمْ بِهَا عُنُفُفُ (٢)

ويأسف لما جرته الحرب بينهم ، ولا يعترف بما أحرزه وقومه من نصر عليهم فهم
جسد واحد لا يتجزأ :

قال لنا الناس : معشر ظفروا قلنا : فأنى بقومنا خلافا (٣)

وانا كان العربي يميل - أحيانا - الى الصلح ، فانه في الحروب والمنازعات
التي تنشأ بين أبناء القبيلة الواحدة يثابروا في الدعوة اليه ، ويحث
قومه على الاستجابة لداعي العقل والتؤدة ، وحينما يلتقي الطرفان في
ساحة القتال وتلتقي الوجوه بالوجوه تشركوا من العودة والعصبية لذوى
القربى ويكف الفريقان عن الحرب ، يقول " قيس بن الخطيم " مصورا هذا
الموقف :

لَمَّا بَدَتْ قُدُوءَ جِبَاهِهِمْ
حَنَّتْ إِلَيْنَا الْأَرْحَامُ وَالصُّحُفُ (٤)

- (١) المفضليات ٦٥ . أودى : ذهب . فأنعما : بالغ في زهاب الود .
(٢) ديوانه ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .
(٣) ديوانه ٦٥ .
(٤) ديوانه ٦٤ .

وكذلك قول "المفضل النكري" في منصفته :

فَلَمَّا اسْتَيْقَنُوا بِالصَّبْرِ مَنَسَا تَذَكَّرَتِ الْعَشَائِرُ وَالْحَزِيئَةُ (١)

ولأن حرب الأقباط اتخذت طابعاً متميزاً نجد أن كلا الطرفين لا يجد فضاضة
في رثاء قتلى الطرف الآخر ، كما فعل "قيس بن زهير" لما قتل حذيفة بن

بدر الفزاري " يوم "الهباءة" وذلك حيث يقول :

كَمْ فَارِسٍ يُدْعَى وَلَيْسَ بِفَارِسٍ وَعَلَى الْهَبَاءَةِ فَارِسٌ ذُو مِصْدَقِ
فَابِكُوا حَذِيفَةَ لَنْ تَرْتَوْا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قِبَائِلُ لَمْ تَخْلُقِ (٢)

(١) الأُصمعيات ٢٠٣ .

(٢) السيرة لابن هشام القسم الاول ٢٨٧ تحقيق مصطفى السقا وآخرون

الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م (الحلبي) .

(و) انصاف القرن

أولا : امتداح شجاعته وبطولته وسيادته :

تميز العربي الجاهلي بأنه جمع الى الدرية والحنكة في أساليب القتال ومهاراته ، النبيل والسمو في اخلاقياتهِ وتعامله مع غيره من الفرسان أعداء كانوا أم أصدقاء ، ممثلا في ذلك الصورة الرائعة المثلى لممارسات " الفروسية الحقة " . وعادة ما كان الفارس العربي الجاهلي الشهم يضيء على خصمه صفات البطولة والجرأة والاقدام ولا ينتقصه حقه في الفروسية ، يجمع ذلك كله في اطلاق " القرن " على منازله .

والقرن : هو الكفا والنظير والنماثل ، اذ ان الفارس كان يربأ بنفسه أن ينازل ويصاول الا من يساويه في القدر والشرف .

وكان الفارس المشهور يعلم نفسه بعلامة في الحرب امعانا في التحدى واعتدادا بالنفس وليعرفه بها خصومه فيقصدوه .

حتى اذا احتدم القتال قصد هذا الفارس فارسا مثله ، فتبارزا فأيهما ظفر بصاحبه نال بمقتله شرفا وأى شرف وقد قتل فارسا معلما .

يقول معاوية بن أوس بن خلف اليربوعي " يصف هذا الموقف

معتزا ومفتخرا :

(١) وجمع يَعْضُلُ مِنْهُ الْفَضَاءُ
شَهِدْتُ عَلَى صَمِّ صَلْدَمِ (٢) (٣)
وخيلٍ شَهِدْتُ عَلَى مِعْوَلٍ
تَبَادَرُ مِثْلَ الْقَطَا الْأَنْمِ (٤)

- (١) يعضل : يضيق .
(٢) صم : الدواب القوية .
(٣) صلدم : صلبة قوية الحافر .
(٤) كذا ولعله (الاوام) .

فلما تَدَاعَوْا لَا تُقْرَأِيهِمْ دُعِيْتُ إِلَى الْفَارِسِ الْمَعْلَمِ
فَرَوَيْتُ مِنْهُ شُرَاعِيَّةً وَأَبَتْ إِلَى الْقَوْمِ لَمْ أَكَلِّمْ
(٢) نَخَالِحُ أَنْفُسَنَا بَيْنَنَا بِكُلِّ حَدِيدٍ الشَّبَابَ لَهُمْ نَذْمٌ (٣)

وهكذا فالحرب ميدان الأبطال والشجعان لا يخوض غمراتها الا الكماة، وكلا الطرفين المتحاربين لا يخلو من الأبطال الأشاوس، يقول "عنتر بن شداد" معبرا عن ذلك :

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحي إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
في حومة الحرب التي لا تشتكي غمراتها الأبطال غير تغمغم (٤)

ويقول "الحادرة" يصف أعداءه، بالبطولة :

إذا هي شك السمهرى نحوورها وخامت عن الأبطال أقحمها القد (٥)

فلا ينزل ساحات القتال ويثبت فيها الا من كان له قلب صامد، ولا يقف في وجه السيوف الحادة المصلتة الا الشجعان المغاوير، يقول "أبو قلابة الطابخي" :

إذا لا يقارع أطراف الرماح إذا أس تحوقدن، إلا كماة غير أجبان (٦)

-
- (١) شرعية : سنان ينسب الى رجل اسمه شرع .
(٢) نخالج : نتجاذب ونتدافع .
(٣) معجم الشعراء ٣٩٣ ذكر المرزباني أن معاوية هو ابن أبي حارثة المري لأنه فهو اذا شاعر جاهلي فارس .
(٤) ديوانه ١٥٢ . القلوص : التشفيج والقصر . ووضح الفم : الاسنان ، حومة الحرب : معظمها . غمراتها : شدائدها . تغمغم : صياح ولجب غير مفهوم .
(٥) ديوانه ٧٦ . القد : السوط .
(٦) شرح أشعار الهذليين ٧١٢/٢ . وأبو قلابة : أخو بني لحيان ،

ويقول العباس بن مرداس السلمي :

القائلون اذا لقوا أقرانهم
إنَّ العنایا قَصْدٌ من لم يُقتل
فيما نيقوا الأبطال في حمص الوغى تحت الأسننة والقَتَامِ الأَطْحَلِ (١)

وهكذا فان الفارس العربي الجاهلي يرى في خصومه أبطالا وفي أقرانه شجعانا ، وكثيرا ما يخلع على خصمه صفات البطولة والفروسية ، محتذيا في ذلك سبيل النصفة وتقدير الخصوم فهذا "مرو" القيس بن حجر الكندي "يمدح خصه بجراته وشدته ، فيقول :

وَأَنزَلُ البطلَ الكريهَ سَهَامُهُ
وَإِذَا أَنَا نُضِلُّ لَا تَطِيشُ سِهَامِي (٢)
كما يصف "عنترة بن شداد" قرنه الذي قتله بالبطولة والقوة والجسامة فيقول :

بطلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ
يُحْدِي نِعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ (٣)
ويفخر "علقمة بن عبدة" بغلبته لقرنه ، فيقول :

وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى قَرْنِي يُشِيْعُنِي
مَا ضِ أَخُو ثِقَةٍ بِالْخَيْرِ مَوْسُومٍ (٤)

==== وهو عم المتنخل الهذلي ، وكان سيد بني لحيان ، وينو لحيان شوكة هذيل ، ويقول المرزباني أن اسمه (عويبر بن الحارث) أو الحارث بن صعصعة ، وهو جاهلي قديم حجازي ولد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل ابنته أميمة ويقال لها "قلاية بنت أبي قلاية" .

انظر معجم الشعراء للمرزباني ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(١) ديوانه . الأطحل : مالونه الى الطحلة .

(٢) ديوانه ١١٨ .

(٣) ديوانه ١٥٢ . والسرحة : الشجرة العظيمة . ويحدي نعال السبت :

تستوعبه رجلاه ، ليس بتوأم : لم تحمل أمه معه غيره . يعني تمام خلقه ورضاعته . ويقصد بالبيت ، أنه بطل "طويل القامة مستوى الخلق" .

(٤) ديوانه ٧١ .

ولا غرواذا ، انه أنصف الفارس العربي الجاهلي خصه ، مشيدا بجسارته
ورباطة جأشه ففي يوم " شعب جبلة " تبارز " زهدم العبسي " و " حاجب
ابن ززارة " وكان النصر في هذا اليوم للعبسيين ، الا أن " معقرين أوس
البارقي " - حليف العامريين والعبسيين - وصف هذه المبارزة وهذا العراك
وصفا تتجلى فيه النصفة واليعد عن التحيز ، فقال :

هوى زهدم تحت الغبار لحاجب كما انقض أقتى ذو جناحين ماهر
هما بطلان يعثران كلاهما أرادا رثاس السيف والسيف نادر
فلا فضل إلا أن تكون جراءة وذو بدنين والرووس حواسر (١)

ولا يعرف قدر الفارس الا فارس مثله تشبع بنبل الفروسية وعراقتها وأخلاقها
، ولما حاول " أبو كبير الهذلي " - زوج أم تأبط شرا - أن يقتله مرارا فلم
يستطع لم يجد سوى التسليم بيأسه ونجاته فيقول :

ولقد سريت من الظلام بمغشم جلد من الفتيان غير مثقل
يمن حملن به وهن موقيد حيك النطاق فشب غير مهبل (٢)

-
- (١) النقائص ٦٧٧ وانظر قصائد نادرة ١١٠ .
أقتى : عقاب ، فاتر : ضعيف منكسر ، رثاس السيف : مقبضه .
(٢) الحماسة بشرح العرزوقي ٨٤ - ٨٥ .
وأبو كبير هو عامر بن ثابت بن عبد شمس الهذلي شاعر مخضرم
انظر كنى الشعراء ٢٨٢ وشرح ديوان الهذليين ١٠٦٩ والشعر
والشعراء ٦٧٠ والسمط ٣٨٧ والخزانة ٤٧٣ .
مغشم : مفعل من الغشم وهو الظلم .

ويبلغ الفارس العربي في الاعجاب بخصمه ونداه مبلغاً عجيباً ، يبدو في موقف " دريد بن الصمة " وقد خرج يريد غزواً في فوارس من قومه ، ورفعت له " ظعينة " بواد لبني كنانة ومعها رجل يحرسها ، فأرسل اليه " دريد " فارساً من فرسانه لينتزع الظعينة منه فأرداه قتيلاً ، فبعث فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبه ، فحمل عليه فصرعه ، فلما أبطأ على " دريد " بعث فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبه ، فطعنه برمحه فصرعه وألحقه بهما ، فانكسر رمحه .

(ولما أبطأ عن دريد ارتاب ، وظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق بهم فوجد " ربيعة بن مكرم " لا رمح معه ، وقد دنا ممن الحى ، ووجد أصحابه قد قتلوا ، فقال له دريد : أيها الفارس ان مثلك لا يقتل ، وان الخيل ثائرة بأصحابها ، ولا أرى معك رمحاً ، وارك حديث السن ، فدونك هذا الرمح ، فاني راجع الى أصحابي فمشطهم عنك وأتى " دريد " أصحابه ، فقال : ان فارس الظعينة قد حماها ، وقتل فرسانكم ، وانتزع رمحي ، ولا طمع لكم فيه ، فانصرف القوم وقال دريد : (١)

ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثلِهِ	حامي الظعينةِ فارساً لم يقتلِ
أردى فوارس لم يكونوا نهزةً	ثم أستمَرَ كأنه لم يفعلِ
متهللاً تبدو أسرّة وجهِهِ	مثل الحسامِ جلته كفا الصيقلِ
يُزجي ظعينته ويسحب ذيلَهُ	متوجّهاً يمناه نحو المنزِلِ
وترى الفوارس من مخافة رُمحِهِ	مثل البغايا خشين وقع الأجدلِ
يا ليت شعري من أبوه وأمه	يا صاح من يك مثله لا يُجهلِ

(١) انظر قصته في يوم " الكسديّ في العقد الفريد ٣٠ / ٦ والامالي للقالبي ٢٧١ / ٢ والابيات في ديوانه ٩٥ باختلاف يسير عن روايتي العقد والامالي .

فأى انصاف بعد هذا ، يوتر بثلاثة من خيار فرسانه ولا يكتفي بتأمينه على نفسه وانما يعطيه رحما جديدة غير التي انكسرت في أوداج قوارسه .

والانصاف الحقيقي أن يجعل من فروسيته هو موضعا للشك حين يخبر أصحابه أن " ربيعة " قد انتزع رحمه منه ، ويزيد على ذلك بمدحه والاعجاب بشجاعته .

وتلك صورة أخرى من صور انصاف الفرسان لا أقرانهم ، ففي يوم " الرقم " انهزم " عامرين الطفيل " وقومه أمام " غطفان " قوم " سلمة ابن الخرشب الأثماري " ومع هذا لم يجد " سلمة " غضاضة في الاشادة بعامر وفروسيته وشجاعته وكرمه وجوده ، وتلك عادة الفرسان العرب الذين لا يغطون أقرانهم صفاتهم الحسنة منتصرين كانوا أم منهزمين ، يقول " سلمة بن الخرشب الأثماري " :

فِدَى لِي بِي أَسْمَاءُ كُلُّ مَقْصَرٍ مِّنَ الْقَوْمِ مِنْ سَاعِ بَوْتَرٍ وَوَاتِرٍ
بِذَلَّتِ الْمَخَاضَ الْهَزْلُ ثُمَّ عَشَارَهَا وَلَمْ تَنْهَ مِنْهَا عَن صُفوفٍ مَّظَائِرِ
مَقْرَنَ أَفْرَاسٍ لَهُ بِرَوَاحِلِ فَفَاوَلَتْهُمْ مُسْتَقِيلَاتِ الْهَوَاجِرِ (١)

ولما احتال " عمرو بن الاطنابة " للتخلص من بين برائن " الحارث بن ظالم " بعد أن كاد يقتله فتعلل في أثناء العراك بأنه قد كبروسن وأن النعاص يعتريه فيسقط الرمح من يده ، استمهل الحارث بن ظالم الى غد فأملطه ، وطلب منه الحارث أخذ رحمه الذي سقط ، فأخذ عليه المواثيق والعهود ألا يقتله حتى يتناول الرمح ، فأعطاه عهده ، ولكن " عمرا " امتنع عن أخذ

(١) المفضليات ٣٧ ، ٣٨ . والمخاض : الابل الحوامل ، البيزل : ما استكمل ثمان سنين . والعشار : ما أتى على حملها عشرة أشهر . الصفوف : الناقة الغزيرة الحليب . المظائر : التي عطف على ولد غيرها . فاوالتهم : سابقتهم ، المهاجرة : نصف النهار .

الرمح ، وهكذا نجا من موت محقق بفضل حيلته ودهائه ، ومع ذلك يشيد به الحارث وشجاعته ، فيقول في أبيات له :

فَهَمْنَا بِقَتْلِهِ إِذْ بَرَزْنَا وَوَجَدْنَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَيْسًا (١)

ومن أمثلة تقدير الفارس لخصومه ، هذا الموقف الذي يحكيه "أبو الفضل الكناني" عن رجل قد أنهكه العدو في القتال ، ومع ذلك يركب فرسا ضعيفة لا تقوى على النجاء بنفسها ولا تستطيع الفرار بصاحبها ، فيقف أبو الفضل حائلا بينه وبين قومه ويحميه منهم تقديرا لجرأته وطولته ، يقول "أبو الفضل الكناني" :

وَمُسْتَلِحِمٍ يَخْشَى اللَّحَاقَ وَقَدْ تَلَا بِهِ مِيطِيٍّ قَدْ مَنَّهُ الْجَرِيُّ فَاتِرُ
ضَعِيفُ الْقُوَى رَخْوُ الْعِظَامِ كَأَنَّهَا حِبَالٌ نَضَّتْهُ مِيطَاتٌ مَحَامِرُ
فَنَهْنَهتْ عَنْهُ الْقَوْمَ حَتَّى كَأَنَّ مَا حَبَا دُونَهُ لَيْتَ بِخَفَانٍ هَادِرٍ (٢)

ولا يتأبى الشاعر أن رأى فضلا وشجاعة وجودا في سيد من غير قبيلته أن ينوه بمكارمه وفروسيته ويمدحه انصافا له ، وأمثلة ذلك كثيرة ، منها قصيدة "المسيب بن علس" المشهورة في مدحه "القعقاع بن معبد بن زرارة" وهي من أقدم شعر المديح ، منها قوله يمدحه بالشجاعة والاقدام :

(١) الكامل لابن الأثير ١/٣٤٢ .

(٢) الأضمعيات ٧٧ . ويذكر محققا الأضمعيات أنهما لم يجدا لأبي الفضل

الكناني ترجمة ولا ذكرا في غير هذا الموضع من أبياته .

المستلحم : المرهق . تلا به : تخلف به .

منه : أضعفه . فاتر : لانت مفاصله .

نضته : سبقته وتقدمته . محامر : تشبه الحمير في لونها وبطئها .

نهنت : كفتت وزجرت . حبا : اعترض .

خفان : موضع .

وَكأنَّ بَلَقَ الخَيْلِ فِي حَافَاتِهِ يَرْمِي بِهِنَّ دَوَالِي السُّرَاعِ
وَلَا نَتَّ أَشْجَعُ فِي الأَعَادِي كُلِّهَا مِنْ مِخْدَرِ لَيْثٍ مُعِيدٍ وَقَاعِ
يَأْتِي عَلَى القَوْمِ الكَثِيرِ سِلَاحَهُمْ فَيَبِيْتُ مِنْهُ القَوْمُ فِي وَعَوَاعِ

ومنها قوله :

(١) وَإِذَا رَمَاهُ الكَاشِحُونَ رَمَاهُكُمْ بِمَعَابِلِ مَذْرُوبَةٍ وَقِطَاعِ

ومن مظاهر انصاف القرن ، أن يذكر القوم أنهم أباءوا بسيد من ساداتهم
أوفارس من فرسانهم بفارس مشك ، يماثله ويكافئه في شجاعته وسيادته
واقدامه ، ويذكرون أنهم رزوا به قومه كما رزثوا من قبلهم ، فيكون
من شعر منه على حد قول " ربيعة الأُسدي " في رثاء ابنه " ذؤاب

ابن ربيعة " الذي قتل " عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي :

(٢) بِأَحَبِّهِمْ فَقَدَا إِلَى أَعْدَائِهِ وَأَشَدَّهُمْ فَقَدَا عَلَى الأَصْحَابِ

ولطالما تغنى الناثرون بأنهم قد شفوا أنفسهم وأبردوا غليلهم بالانتقام من
أعدائهم بفارس مشهور أوسيد مطاع .

- (١) المفضليات ٦٣ . والمسيب بن علس من ربيعة بن نزار ، شاعر جاهلي
كان أحد المقلين المفضلين في الجاهلية ، وهو خال الأُعشى وكنيته
أبوفضة ، انظر طبقات ابن سلام ١٣٢ والشعر والشعراء ١٧٤ ،
والمرزباني ٣٨٦ والموشح ٧٦ وخزانة الأدب ٢٤٠/٣ .
الدوالي : آلات السقى ، وقاع : افتراس ، الوعواع : الجلبة والصياح
الكاشحون : الميغضون ، المعابيل ، النصال ، مذروبة : محددة ،
قطاع : نصل عريض قصير .
- (٢) العقيد الفريد ٨٧/٦ والامالي ٧٢/٢ والموتى ١٢٦ للامدى ،
وذكر أن ربيعة - بالضم - هو ابن أسعد بن مالك بن نصر بن قعين
شاعر جاهلي من شعراء بني أسد .

من ذلك قول " دريد بن الصمة " لما ثار لأخيه " عبدالله بن الصمة ":

(١) قتلْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِيهِ ذُو أَبٍ بَيْنَ أَسْمَاءَ بَيْنَ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

وقول " المرقش الأصغر ":

أَبَا تِ بَشْعَلَةَ بِنِ الْخَشَا مِ عَمْرَوِ بِنِ عَوْفِ فَرَا حِ الْوَهْلِ
دَمًا بِدَمٍ وَتَعْنَى الْكُلُو مٌ وَلَا يَنْفَعُ الْآخِرِينَ الْمَهْلِ (٢)

وقتل " لقيط بن زرارة " أشيم بن عوف ب " علقمة بن زرارة " أخيه وقال

وقال يذكر فجعة قومه به ، لقدره بينهم ، ولشجاعته وجوده وسيادته :

فَان تَقْتُلُوا مِنَّا كَرِيمًا فَإِنَّنَا قَتَلْنَا بِهِ مَا وَى الصَّمَالِيكَ أَشِيمَا
جَدَفْنَا بِهِ أَنْفَ الْيَمَامَةِ كُلِّهَا فَاصْبِحْ فَرْنِينَ الْيَمَامَةِ أَكْشَمَا
قَتَلْنَا بِهِ خَيْرَ الضَّبِيعَاتِ كُلِّهَا ضَبِيعَةٌ قَيْسٍ لَا ضَبِيعَةٌ أَضْجَمَا (٣)

(١) ديوانه ٢٧٠

(٢) المفضليات ٢٥٠ . والمرقش الأصغر هو ربيعة بن سفيان من ضبيعة ،

ابن أخي المرقش الأكبر ، وعم طرفة بن العبد والأصغر أشعر المرقشين

وأطولهما عمرا ، وهو أحد فرسان العرب وعشاقهم المشهورين .

انظر ترجمته في الاغاني (كتب) ١٣٦/٦ وشعراء النصرانية ٣٢٨

والمرزباني ٢٠١ .

زاح : ذهب ، الوهل : الفزع ، تعفى : تزال ، المهمل : التقدم .

(٣) معجم الشعراء ١٧٥ . ولقيط بن زرارة بن عدس الدارمي من تميم فارس

شاعر جاهلي من أشرف قومه ، كنيته " أبو دختوس " ابنته ولا عقب

له غيرها كان دينه المجوسية وله أخبار ، قتل يوم شعب جبلة وكان

رئيس تميم فيه انظر ترجمته في الاغاني (ساس) ٣٤/١٠ والامدى

١٧٥ والشعر والشعراء ٦٩٠ - ٦٩٢ ، والنقائض ٢٢٧ والاعلام ٢٤٤/٥

وهكذا كانوا لا يقتلون بالشريف والسيد الا من يوازيه ويسامته في مقامه ومكانته
على حد قول "الأعشى" :

لَئِنْ قَاتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدِيدًا

لَنَقْتُلَنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَشِيهِ (١)

*

ثانيا - انصاف القاتل للمقتول :

ويدخل في حوزة انصاف القرن انصاف القاتل بعد أن يلتقي
القرنان ويتبارزا في حومة الوغى يريد كل منهما الفتك بصاحبه ليضيف الس
مجده السابق مجدا جديدا ، ويفخر افتخار " زهير بن مسعود الضبي " :

(٢)

هل أترك القرن مصغرا أنا مسله قد بل أشوابه من جوفه العلق

ومن بين برائن الموت ينجو أحد القرنين ، فيشعر أنه وان حقق انتصارا مجيدا
فقد قتل فارسا شجاعا كريما ، ليس بنكس ولا جبان ، ومن حق نده ونظيره
في الفروسية أن ينصفه ويعرف له قدره من مثل قول :

(٣)

وَكَمْ غَادَرْتُمْ بَطْلًا كَمِيًّا لَدَى الْهَيْجَاءِ كَانَ لَهُ غِنَاءٌ

وقول :

(٤)

كَمْ مِنْ كَرِيمٍ هَوَى لِلْوَجْهِ مُنْعَفِرًا قَدْ أَكْتَسَى ثَوْبَهُ فِي النَّعْجِ الْوَانَا

(١) ديوانه ٦٣ .

(٢) الحماسة الشجرية ٢٣ ولم أقف لزهير على ترجمة .

(٣)

(٤)

فالأبطال لا يقصدون الا أكفاهم ونظراهم من الأبطال ، يقول " الأعشى :
(١)

قد نخضب العير في مكنون فائله وقد يشيط على أرماحنا البطل

والحرب للأبطال يصرعون ويصرعون ، يقول " عمرو بن كلثوم " :

(٢)
كَأَنَّ جَمَاعَةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِنَانَا

والفارس هو الفارس ظافرا أو منهزما لا يتخلو عن أخلاقيات وسلوكيات التي بواته

هذا المحل الرفيع القديرين قومه ، في العراق يعرف لنده حقه ويصفه

بالأقدام ، والجسارة ، وقد نال من شرف قتله ما دعاه الى تمجيدته ، يقول

" الحصين بن الحمام المري " :

(٣)
بِآيَةِ أَنِّي قَدْ فَجَعْتُ بِفَارِسٍ إِذَا عَرَدَ الْأَقْوَامُ أَقْدَمُ مَعْلَمَا

فسيف البطل لا يقع الا في أعناق الشجعان كما يقول " متم بن نويرة اليربوعي " :

(٤)

ولقد ضربت فتسقط ضربتي أيدي الكماة كأنهم الخروع

وهذا " عامر بن جون الطائي " شاعر فارس من أشرف طي في الجاهلية ، كان

فاتكا تبرا قومه منه لجرائره . قتله بعض بني كلب بعد أن عمر طويلا ، ينصف

قرنه الذي قتله ، فيقول :

وَكَيْفَ قَدْ أَدَوْتُ لَكَ لَمْ يَكُنْ لِقَاؤُهُ لَعِبَانَا

(٥)

فَتَحَاجَزْنَا بِهِ رَمَقًا جَسَدَ اللَّبَاتِ مُخْتَضِبَانَا

(١) ديوانه ٦٣ -

(٢) شرح المعلقات / للنوزني ١٧٥ . وسوق : حمل بعير .

والأماعز : الأماكن الكثيرة الحجارة .

(٣) المفضليات ٦٩ . عرد : هرب .

(٤) المفضليات ٥٣ . الخروع : شجرلين .

(٥) قصائد نادرة : ١٨٠

و "قيس بن زهير" يقول في "حذيفة بن بدر الفزاري" الذي قتله
يوم "الهبادة":

عَلَوْتُهُ بِحَسَامٍ ثُمَّ قَلْتُ لَكُ خُذْهَا حَذِيفًا فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصِّدِّدُ^(١)

ويقول "شعبة بن الحارث المازني" في مقتوله "مفروق بن عتاب":

أَوْجَرْتُهُ بِالرُّمَحِ إِذْ خَامَتْ كَتِيبَتُهُ وَكَرَّ كَاللَّيْثِ يَحْمِسُ غَيْبَةَ الْغَابِ^(٢)

وتعظيم شأن المقتول تعظيم لشأن قاتله، يقول "عمرو بن قيس الجشعي" حين

قتل "هاشم بن حرمة" يوم "حوزة الثاني":

رَأَيْتِي قَتَلْتُ هَاشِمَ بْنَ حَرْمَلَةَ إِذِ الْمَلُوكُ حَوْلَهُ مُغْرِبًا لَلَّةً

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ^(٣)

و "عنترة بن شداد" فارس الشجعان ينصف خصمه من نفسه، ويقول:

انه نازل بطلا شجاعا مقداما ثابت الجأش والجنان كامل العدة والسلاح

تها به الأبطال، نصرعه وليس الموت في ميادين الفروسية بفريب على

الأبطال أمثاله، فان الرمح يكلف بالكريم : يقول "عنترة":

وَمَدَجَجِ كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالَهٗ لَا مُمَعِنٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمٍ

جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ يُشْتَقِّفُ صَدِيقَ الْكُؤُوبِ مَقْشُومِ

وفيهما يقول:

فَشَكَّكْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصَمَّ سِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمِ^(٤)

(١) الأُمالي ٢/٢٨٨ . والصد: السيد الذي ليس فوقه أحد لأنه يصد

إليه الناس في أمورهم .

(٢) المؤتلف والمختلف ١٤٢ .

(٣) اللسان ١١/٤٩١ .

(٤) ديوانه ١٥٠ هذا البطل الذي ذكره عنترة هو "معاوية بن نزال"

وانظر ديوانه أيضا ١٤٢ .

وهذا " زاهر أبوكرام التميمي " يجندل قرنه " تميم بن شعلبة " (١) - وهو رجل من " يشكر " وكان أحد الفرسان - يمتدحه ويعظم شأنه ، ويتجلى انصافه له في وصفه بأنه مقاتل كامل العدة والسلاح ، ، مقدم ، ثابت الجأش ، لا يتزحزح عن القتال ، ولا يفر ، معارك كأنه أسد في بأسه واقدامه ، يتعرض للشدائد غير هياب ولا وجل ، وكان ذلك في يوم " السلى " الذي أغارت فيه " بنومازن " على " بني يشكر " فأصابوا منهم يقول " زاهر أبوكرام التميمي " (٢) :

لِلَّهِ تَيْمٌ أَيْ رَمِحَ طِـ كَرَادٍ	لَاقَى الْحَمَامَ بِهِ وَنَضَلَ جِلَادٍ
وَمِحَشَّ حَرْبٍ مُقَدِّمٌ مُتَعَرِّضٌ	لِلْمَوْتِ غَيْرُ مُعَرِّدٍ حَيَّادٍ
كَالَلَيْثِ لَا يَثْنِيهِ عَن إِقْدَامِهِ	خَوْفُ الرَّدَى وَقَعَاقِعُ الْإِيْعَادِ
مُذَلِّ بِمُهْجَتِهِ إِذَا مَا كَذَبَتْ	خَوْفَ الْمَنِيَةِ نَجْدَةٌ الْآنُجَادِ (٣)

ولو ذهبنا نستقصى مواطن انصاف القرن لطال بنا البحث ولعثرنا على كم هائل من النصوص ، وحسبنا أن نختم ذلك بقول " حباب بن أفعى العجلي " يصف مبارزته قرنا من أقرانه ، وصفا منصفا ، لم يحل وهج الظفر والفوز دون الرواية الواضحة المنصفة لمجريات المبارزة ، فقد كاد قرنه يصرعه لولا أن أخطأه رمحه ، وأصاب هو منه مقتلا ، ومع ذلك يجري على عادة الفرسان في تقدير أقرانهم واضفاء الشجاعة والفروسية والاقدام عليهم :

وَقَرْنٌ قَدْ رَأَيْتُ لَدَى مَكْرٍ	فَلَمْ يُدِيرْهُ ، وَأَقْبَلَ إِذْ رَأَيْتُ
يَعْرِسَانَهُ حَيْثُ اتَّجَهْنَا	كِلَانَا وَإِرْدَانِ إِلَى الطَّعْمَانِ
فَأَخْطَأَ رَمَحَهُ وَأَصَابَ رَمِحِي	وَمَا عَنِ الْقِتَالِ وَلَا الْأَنْبِي (٤)

- (١) في العقد الفريد اسمه " تميم بن شعلبة اليشكري " (ويقال له أبو كدام وأبوكرام) .
 (٢) هو في العقد الفريد ٥١/٦ " زاهر بن عبد الله بن مالك " ولم أقف له على ترجمة .
 (٣) انظر خبره في شرح الحماسة للمعزوقي ٦٧٢-٦٧٣ والعقد الفريد ٥١/٦ .
 معرود : تارك القصد ، حيايد : يحميد عن موضع القتال . مذل : باح .
 (٤) الموتى تلف والمختلف للآهدى ٩٣ . وحباب شاعر جاهلي فارس . لم أقف له على ترجمة .

ومنتهى الانصاف أن يصف "ورقا" بن زهير بن جذيمة العبسي " خالد بن جعفر

ابن كلاب " قاتل أبيه بالبطولة والتكافؤ ، يقول "ورقا" بن زهير :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالعَجُولِ أَبَادِرُ

الْبَطْلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلَاهُمَا يَرِيدَانِ نَصْلَ السِّيفِ وَالسِّيفِ نَادِرُ (١)

وهكذا كانت عادة الفرسان العرب الانصاف ، ولعلمهم - في الثأر - كانوا

يعظمون قدر المقتول ليوجعوا أعداءه كما يقول " حجل بن عمرو

الخشعي الفزعي " :

"بني سليم" صَدَعْتُ شَعْبَكُمْ و"عامراً" قَدْ أَقْبَتُ فِي كَيْدِ

قَتَلْتُ مِنْهُمْ خِيَارَ سَادَتِهِمْ و"آل نصر" قَتَلْتُ فِي العَدَدِ

صَقَعْتَهُمْ فِي اللِقَاءِ دَائِمَةً لَهَا يَدِيُونُ آخِرَ الأَبِيدِ (٢)

وكذلك قال "بيهسي العذري" - وقتل رجلاً من طي" - (٣) لا أُخْتِ المقتول ،

وكان أكثر انصافاً من سابقه :

تَأْتَلِنِي أَيْتَةُ الطَّائِي شَزْرَا وَتَنْسَى بِالحَبِيبِ فَتَى عَجِيبَا

وَتَبْكِي لَا تَنَامُ عَلَى أُخِيهِمَا كَلَانَا كَانَ صَاحِبَهُ نَجِيبَا (٤)

(١) العقد الفريد ٥/٦ والكمال لابن الأثير ٣٣٨/١٠ وما بعدها .

(٢) الموء تلاف والمختلف ٠٨٣ . وحجل شاعر جاهلي فارس لم أقف له

على ترجمة .

(٣) الرجل الذي قتله يقال له "ابن مواصل" انتقاماً لـ "هلال العذري"

ومر "بيهسي" بعكاظ فاذا امرأة تقول : هو هو ، فاذا هي أخت

المقتول فقال ... الأبيات .

(٤) الموء تلاف والمختلف ٠٦٥ .

ثالثا - انصاف المقتول لقاتله :

وان تعجب فعجب أمر هذا العربي الفارس الذي يقدر في خصمه قوته وفروسيته حتى وهو وجود بروحه اثر عراك بينهما .

فهذا " بشر بن أبي خازم " في غارة له على الابطناء من " بني صعصعة بن معاوية " رماه غلام وائل يقال له " عمرو بن حذار " (١) فأصاب منه مقتلا ، فقال " بشر " يرثي نفسه ، وينوه بقاتله في قصيدة له

منها :

أَسْأَلُ * عَمِيرَةً * عَنْ أَبِيهَا	خِلَالَ الْجَيْشِ تَعْتَرِفُ الرَّكَابَا
تَوَّءَلْ لَنْ أَعُودَ لَهَا يَنْهَبُ	وَلَمْ تَعْلَمْ يَا نَّ السَّهْمَ صَابَا
فَإِنَّ أَبَاكَ قَدْ لَاقَى غَلَامَا	مِنَ الْإِبْنَاءِ يَلْتَهَبُ التَّهَابَا (٢)
وَأَنَّ الْوَائِلِيَّ أَصَابَ قَلْبِي	بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ نَكْسًا لِغَابَا
فَرَجِي الْخَيْرَ وَانْتَظِرِي رِيَابِي	إِذَا مَا الْقَارِظُ الْعَنْزِيَّ أَبَا (٣)

(١) هكذا اسمه في معجم الشعراء للمريزاني ٢٢٢ واسمه في شرح الفضليات

٣٢٩ " عمس بن حذار " .

(٢) كل " بني صعصعة " الا " عامر بن صعصعة " يدعون الابطناء .

(٣) القصيدة في ديوانه ص ٢٤ وما بعدها .

(ز) تقدير الخصوم والتنويه بآسهم وشجاعتهم

وعندما يتقابل الطرفان ويحتمد القتال وتشتجر الرياح يسمي كل منهما جاهدا أن ينهي الموقف لصالحه حتى اذا انجلى الغبار، وصمت السيوف نطقت الألسنة - السنة الظافرين - بالفخر والاعتزاز مباهاة بما أنجزوه من نصر وظفر .

هكذا كان يديدهم أوهم أرادوا ذلك ، ولكن جبلتهم واحساسهم النقي الذي لم تشبه شائبة الخداع والمداهنة تأبى عليهم الا أن تظهر مخايل انصافهم تلوح من خلال ثنايا قصائد هم الحماسية ، متمثلة في تقدير الخصوم والاعتراف بجرأتهم واقدامهم وبطولتهم وحسن بلائهم ومهارتهم الحربية .

فهذا أيضا " بشر بن أبي خازم " يقول منصفا لاعداءه ومبديا اعجابه بهم اعجابا يصل الى حد الدهشة والاستغراب :

لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَمْ تَسْمَعْ بِمِثْلِهِمْ حَيًّا كَحَيِّ لَقَيْنَاهُمْ بِبَيْسَانَا
العاطفين على ما كان من ألم كأنما خضبوا ورسا وشيباننا (١)

ولا يخطئ " الحارث بن عباد " فارس النعامة أعداءه ، شجاعتهم وبطولتهم فيقول مشيدا بخصومه وقوتهم :

رَبَّ جَيْشٍ لَقَيْتُهُ يَمِطُّ الْمَوْتَ تَ عَلَى هَيْكَلٍ خَفِيفِ الْجِلَالِ
سأئلوا كندة الكرام وبكرا وأسألوا مذججا وحق هلال
إِنْ أَتَوْنَا بِعَسْكَرٍ ذِي زُهَاءٍ مُكْفَهَرٍ الْأَذَى شَدِيدِ الْمِصَالِ (٢)

(١) ديوانه ٢١٨ .

(٢) شعراء النصرانية ٢٧٣ .

فجيش هذه صفته لا يجابهه ولا يقف ندا له الا أولو الفروسية والقوة والبأس
وهذا ما يريد أن يقوله " الحارث بن عباد " .

ولا يخفى عبدالله بن ثور العامري " عجه من شجاعة أعدائه ووقوفهم ندا
لقومه ، يقول من قصيدة له :

نُطَاعِنُ أَحْيَاءَ التُّرَيْدِينَ بِالضُّحَى أَسْوَدُ فُرُوعِ الْغَيْلِ عَنْهَا تَكْشَفُ

ومنها قوله :
فَلَمْ تَتَهَيَّبْنَا تِهَامَةً إِذْ بَدَا لَنَا رَوْعُهَا وَالظَّنُّ بِالْقَوْمِ يَخْلَفُ (١)

واشدد لوم " بني ذبيان " لـ " لقيط بن زرارة " لأنه عرضهم للهلاك بمحاربتهم
لـ " بني عامر " فلما ألحوا عليه وقالوا له : شتمتنا وقتلتنا . . . ! أجابهم
بأنه لم يخبر قتال " بني عامر " من قبل . ولم يكن يخطر بباله أنه سيلاقى
منهم هذا البأس والشدة ، فلا مجال الا الاقدام أو الموت الزؤام ، يقول
" لقيط بن زرارة " منوهاً ببني عامر " :

يَا قَوْمُ قَدْ أَحْرَقْتُمُونِي بِاللَّحْمِ وَلَمْ أَقَاتِلْ عَامراً قَبْلَ الْيَوْمِ
فَالْيَوْمِ إِذْ قَاتَلْتُهُمْ فَلَا لَوْمَ تَقَدَّمُوا ، وَقَدَّمُونِي لِلْقَوْمِ

شَتَانِ هَذَا وَالْعِنَاقِ وَالنَّوْمِ وَالْمَضْجَعِ الْبَارِدِ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ (٢)

وعادة ما يعمل شعر العصبية القبلية على هضم حقوق الآخرين والتقليل من
شأنهم ، الا أن " عبيد بن الأبرص " ان أنذر قومه زحف " بني جديلة "
اليهم ، خرج عن هذا النطاق وسلك سبيل الانصاف فذكر اقدام " بني جديلة "
وجراتهم ، وعدم تهيبهم من ظبي مشعوم ، بل كان عدوهم شديدا وطعناتهم

(١) قصائد نادرة ١٥٨ . ولم أقف لعبدالله على ترجمة وأكبر الظن أنه
جاهلي . والدوم : شجر العقول .

(٢) النقااض ٦٦٤ .

نافذة أصابت مقتل ثلاثة من فتیان قومه ، يقول " عبید بن الأبرص " :

أُنْبِئْتُ أَنْ بَنِي جَدِيهِلَةَ أَوْعَبُوا نَفَرًا مِنْ سَلَمَى لَنَا وَتَكْتَبُوا
وَلَقَدْ جَرَى لَهُمْ ، فَلَمْ يَتَعَيَّفُوا تَيْسٌ قَعِيدٌ كَالْوَلِيِّ أَعْضَبُ
وَأَبُو الْفَرَاخِ عَلَى خَشَاشِ هَشِيمٍ مَتَنَكِبًا يَبْطُ الشَّمَائِلِ يَنْعُوبُ
وَتَجَاوَزُوا ذَاكُمُ إِلَيْنَا كُلُّهُ عَدَا وَمَرَقَصَةٌ فَلَمَّا قَرَّبُوا
طَعَنُوا بُرَاجِ الْوَشِيحِ ، فَمَا تَرَى خَلْفَ الْأَسِنَّةِ ، غَيْرَ عَرْقٍ يَشْجُبُ
إِنْ تَقْتُلُوا مِنَّا ثَلَاثَةَ فَتَيَاةٍ فَلِمَنْ يَسَاحِقُ الرَّعِيلِ الْمُطْرِبِ (١)

ولا يخفي " النابغة الذبياني " كراهة قومه لملاقاة أعدائهم ، وذلك انصاف

لهم ولبطولتهم ، يقول " النابغة " في سير قومه الى أعدائهم :

(٢)

سرنا اليهم وفينا كارهون لهم وقد يصادف في المكروهة الرشد

ومن انصافه قوله في " بني حن بن حرام " وهم من عذرة مشيدا بهم

ويصمودهم في وجه جيش " النعمان بن الحارث الغساني :

تَجَنَّبَ "بَنِي حَنَّانٍ" فَإِنَّ لِقَاءَهُمْ كَرِيهٌ وَإِنْ لَمْ تَلْقَ إِلَّا بِصَابِرٍ
عِظَامُ اللَّهِهَا أَوْلَادُ عُدْرَةٍ إِنَّهُمْ لَهَا مِيمٌ يَسْتَلْهُونَهَا بِالْخَنَاجِرِ
هُمْ مَنَعُوا وَاوْدَى الْقَرَى مِنْ عُدُوهِمْ بِجَمْعٍ مُبِيدٍ لِلْعُدُوِّ الْمَكَثِرِ
مِنَ الْوَارِدَاتِ الْمَاءَ بِالْقَاعِ تَسْتَقِي بِأَعْجَازِهَا قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْحَنَاجِرِ (٣)

(١) ديوانه ٣١ ، ٣٢ ، داربيروت ودارصادر ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .

(٢) لم أجد هذا البيت في ديوانه / بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، وهو

في " حماسة البحتری ٣٩ " بغناية لويص شيخو .

(٣) ديوانه ٩٨ ، ٩٩ . مبيد : مهلك ، الواردات : النخل .

ومن الانصاف في الحرب وما نال القوم فيها من عناء ومشقة قول الآخر: (١)

أَأَمَامُ إِيَّاكَ مَا تَزَالُ جِيَادُنَا
رُجْعًا بِيَهْنٍ مِنَ الْجُرُوحِ نُدُوبُ
يَحْمِلُنَ كُلَّ مُجْرَبٍ يَوْمَ الْوَعْسِ
شَاكِي السَّلَاحِ يُحِبُّهُ الْمَكْرُوبُ

وقول " ابن الحائك " في يوم " خزاز ":

كَانَتْ لَنَا بِخَزَازِي وَقْعَةٌ عَجَبُ
لَمَّا التَقِينَا وَحَادِي الْمَوْتِ يَحْدِيهَا
مَلْنَا عَلَى وَائِلٍ فِي وَسْطِ بَلَدِهَا
وَذُو الْفِخَارِ كَلِيبُ الْعَزِيزِ يَحْمِيهَا
قَدْ فَوَّضُوهُ وَسَارُوا تَحْتَ رَايَتِهِ
سَارَتْ إِلَيْهِ مَعَدَّةٌ مِنْ أَقَاصِيهَا
وَحَمِيرٌ قَوْمُنَا صَارَتْ مَقَاوِلُهَا
وَمُذْحَجٌ الْفَرَّ صَارَتْ فِي تَعَانِيهَا (٢)

أما " لقيط بن شيبان " فيحكى لنا موقفا صعبا وقع فيه ، ان يرى القوم يتناوشون خليفه بسيوفهم ويقتلونه على مرأى وسمع منه ولا يستطيع لهم دفعا ، فالموت ينتظره ان حاول ذلك ويتراعى لنا من خلال أبياتة مدى

(١) لم ينسبه الخالديان في الأشباه والنظائر ١/١٤٩ وانما قالوا : وقال
أعرابي ، ولا حظت أنهما عادة ما يقصدان بالأعرابي شاعرا
جاهليا ، ثم ان البيتين ينطقان بروح وأسلوب الشعر الجاهلي .

(٢) معجم البلدان / لياقوت الحموي ٣/٤٣١ الطبعة الاولى ١٣٢٤هـ
١٩٠٦ م مطبعة السعادة / مصر .

ويبدو أن هذا الشعر منحول فلفته وتركيبه واسلوبه بعيد كل البعد
عن الشعر الجاهلي ، يود ذلك قول أبي العلاء عن شعر " عمرو
ابن كلثوم في هذا اليوم " : " وما رأيت أحدا عرف هذا اليوم ولا ذكره
في شعر قبله ولا بعده " انظر العقد الفريد ٦/٨٤ .

قوة الأعداء واحاطتهم بالقوم ، يقول لقيط :

رَأَيْتُ خَلِيلِي يَضْرِبُ الْقَوْمَ رَأْسَهُ فلم أستطعهُ والشَّاهدُ تَعْلَمُ
بِمُعْتَرِكِ ضَنْكَ بِهٍ قَصْدُ الْقَنَا فَلَئِن لِمَنْ يَرْجُو الْحَيَاةَ تَقَدَّمَ
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَهْدَى لِمَيْتِ تَحِيَّةً فَحَيَّاكَ رَبَّ النَّاسِ عَنِّي أَدْهَمُ (١)
ولما سبها " الصمة والدريد " ربحانه " أخت " عمرو بن معد يكرب " في

غزوة بني زبيد قال عمرو يذكر ندمه وحسرتة عليها :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِينِ يَوْمَ رَقِنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
ويعترف صراحة أنه لا سبيل اليها لأنها عند قوم ذوى عز ومنعة فيقول
يائسا :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْنِي وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ (٣)
ويقول " الحطيئة " في يوم " الصرائم " - وكان في الجيش فهرب - يذكر

اعمال بني رباح " السيوف في رقاب قومه واحتواءهم بالرماح والخيول :

مَا أَدْرِي إِنْ لَاقَيْتُ عَمْرًا أَكَلْتِي آلَ عَمْرٍو أَمْ صِحَّاحُ
لَقَدْ بَلَغُوا الشَّفَاءَ فَأُخْبِرُونَا بِقَتْلِي مَنْ تَقَتَّلْنَا رِيَّاحُ
حَوْتَنَا مِنْهُمْ لَمَّا التَّقِينَا رِمَاحُ فِي مَرَاكِزِهَا رِمَاحُ
وَجُرْدٌ فِي الْأَعْنَةِ مُلْجَمَاتُ خِنَافُ الطَّرْفِ كَلَّمَهَا السَّلَاحُ (٤)

- (١) الموتى تلف والمختلف ١٧٦ . ولم أقف للقيط على ترجمة . ضحك : ضيق .
(٢) ويقال انها امرأته المطلقة .
(٣) ديوانه ١٣٦ وما بعدها . وانظر القصيدة في الاضعميات ١٧٢ وما يليها .
(٤) ديوانه ٣٢٤ والذي أقيته هنا رواية النقاغص ٣٣٨ والاختلاف بينهما يسير
جدا وزيادة البيت الثاني في النقاغص . كلبى : مصابون بدماء الكلب .

وشبيه به قول " عمرو بن معد يكرب " يصف خيول " بني الحارث " وفرسانهم:

(١) ومرد على جرد شهدت لقاءها قبيل طلوع الشمس أو حين نرت

أما " البراء " بن قيس الكندي " فقد سلك في انصاف أعدائه سلكا جديدا هو الى مدح الأعداء والفخر بهم أقرب منه الى الانصاف في قوله :

يَوْمَ جِئْنَا يَسُوقُنَا الْحَيْنُ سَوْقًا نَحْوَ قَوْمٍ كَانَتْهُمْ أَسْدُ غَابِ

وفيها يقول :

(٢) لَقَيْتَنَا أَسُودَ سَعْدٍ ، وَسَعْدٌ خُلِقَتْ فِي الْحُرُوبِ سَوْطَ عَذَابِ

وانصاف الأعداء وذكر اقدامهم وجرأتهم وقوتهم ليس غريبا على العربي ولا على طبائعه .

ويظهر هذا اللون من الانصاف واضحا أشد الوضوح في " المنصقات " التي تمحضت لانصاف الأعداء ، وكانت مجالا خصبا له .

ولعلي لا أجد بأسا اذا أجلت النظر في رحاب " المنصقات " لاقتطف من ثمارها ما أستعين به على ما أنا بصدده .

يقول " العباس بن مرداس السلمي " :

إِذَا مَا شَدَدْنَا شِدَّةً نَصَبُوا لَهَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاحَ الْمَدَاصِمَا

(٣) إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نَكْرَهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

ويقول " عمرو بن البراقة الهمداني " منها بقوة الأعداء وأنه لم يجد أمام هجومهم الا الفرار والنجا بنفسه :

(١) ديوانه ٤٣ ، وفي الأصمعيات شهدت طرادها (١٢١) .

(٢) الاغاني ٢٦٣/١٦ (ثقافة) ولم أقف للبراء على ترجمة .

(٣) ديوانه ٧٠ وانظر البيهقي في الأصمعيات ٢٠٦ .

فَأَيَّ مَا رَأَيْتَ نَظَرْتَ طَرَفًا عَلَيْهِ الطَّيْرُ مُنْعَفِرًا تَلِيًّا
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْقَوْمَ فَلَّوْا فَلَا زَنْدًا قَبِضْتُ وَلَا فِتْيًّا
حَبَيْتُ مَلَأَتْني الْعُلْيَا كَأَنِّي حَبَيْتُ بِهَا قَطَامِيًّا هَزِيًّا (١)

ويقول "خداش بن زهير":

فَلَمَّا دَنَوْنَا لِلْقُبَابِ وَأَهْلِهَا أُتِيحَ لَنَا ذَنْبٌ مَعَ اللَّيْلِ فَاجِرٌ
أُتِيحَتْ لَنَا بَكْرٌ وَتَحْتَ لِوَأْتِهَا كِتَابٌ يَرْضَاهَا الْعَزِيزُ الْمُفَاخِرُ

وفيها يقول:

حَبَيْتُ دُونَهُمْ بَكْرًا فَلَمْ نَسْتَطِعْهُمْ كَأَنَّهُمْ بِالْعَشْرِفِيَّةِ سَامِرٌ (٢)

ولم يكن العربي يرى غضاة في الاعتراف بقوة خصومه وأعدائه وهزيمتهم لقومه لأن الأيام دول على حد قول "خداش بن زهير":

وَإِنَّ الْمَرْءَ لَمْ يُخْلَقْ سِلَافًا وَلَا حَجْرًا وَلَمْ يُخْلَقْ حَدِيدًا
وَلَكِنْ عَاشَ مَا عَاشَ حَتَّى إِذَا مَا كَادَهُ الْيَوْمُ كَيْدًا (٣)
يوء كد ذلك المهلهل " يذكر ما أصابه يوم "تحلاق اللمم" الذي هزم
فيه قومه وأسره "الحارث بن عباد" فيقول:

(١) قصائد نادرة ١٠٣ . الطرف : الكريم من الخيل والفتيان ، منعفرا :

مرغا بالتراب ، تليلا : صريعا ، حبكت : شددت ، الملاة :

الربطة ، القطامي : الصقر .

(٢) شعر خداش بن زهير ٥٦٦ - ٥٦٧ ، حبت : حالت .

(٣) شعره ٥٥٣ .

ليس مثلي يُخبرُ الناسَ عن آباءهم قتلوا وينسى القتـالـا
لم أرمُ عُرْصَةَ الكَتِيبَةِ حتّى انتـ عل " الورْدُ " مِن دِماءِ نِعالا
عَرَفْتَهُ رِمَاحُ بَكْرِ فما يـا حُذَنَ إِلا لِبائِهِ وَالقُذالـا
غَلَبُونَا وَلا مِحالـةَ يَوْمِـا يَقلِبُ الدَهرُ ذاكَ حالـا فحالـا (١)

وفي يوم " زبالة " يقول " أوس بن حجر " :

وَصَبَحْنَا عارِطَويلَ يَناوِهُ نَسَبُـه ما لَاحَ فِي الأُفقِ كَوَكَبُ
فَلَمَ أَرِيوما كانَ أَكْثَرَ باكِـا وَوَجْها تَرى فِيهِ الكابـةَ تَجْنبُ
أصابوا البَروكَ وابنَ حايِصِ عُنوَةَ فَضَلَ لَهم بِالقاعِ يَوْمَ عَصَبِـا (٢)

ولم يفت الشاعرة الجاهلية التي هزلتها المصيبة وروعها قتل عزيز كريم من أودائها أو ذوبها أن تترفع على ما حل بها ، فاذا صوتها الشهرى يسجل موقفا من المواقف ينطوى على تلك النصفه وذلك هو الاستعلاء بعينه ، واذا عرفنا كيف استطاعت " دخنتوس بنت لقيط الدارمية " أن تعبر عن هزيمة قومها ونصفه أعدائهم ، أدركنا الى أى مدى بلغت المرأة الجاهلية في مضمار الحصافة .

(١) شعراء النصرانية . وانظر التذكرة الحمدونية الجزء الخامس ص ٥٨ ، مخطوطة مصورة بالميكروفيلم عن نسخة الاسكوريال في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٧٧ أدب وفيها نص ابن حمدون على نصفه المهلهل في قوله :

انتضوا معجس القس وابرقد لنا كما يوعد الفحول الفحولـا

(٢) ديوانه ٦

تقول " دخنتوس " معترفة بقوة الأعداء ومنعتهم :

لعمري لقد لاقت من الشَّقِّ دارمَ غناءً وقد رايتُ حميداً ضاربها

فما جِينُوا بالشَّعبِ إذ صَبَرْتْ لَهُمْ رَبيعةٌ يُدعى كَعْبِها وكَلابِها

حتى لقد رثت أباها بأبيات بكائية تنشق لها العرائر وفيها تقول :

بَكَرَ النَّعِي بِخَيْرِ خِنُ ————— دَفَا كَهْلِها وشَبابِها —————

وخيرها نسباً إذا ————— عَدَّتْ إِلى أَنسابِها ————— (١)

نخلص من هذا الى القول بأن انصاف الخصوم والتنويه بآسهم وطولتهم

يكاد يكون سمة من سمات منصفات الحرب لدى الجاهليين .

(١) النقااض ٦٦٦ . ودخنتوس شاعرة جاهلية سميت باسم بنت كسرى

" دخترنوش " أي بنت الهنئ ، كانت زوجة عمرو بن عدى ، انظر ترجمتها

في المحبر ٤٣٦ والعمط ٨٣٥ والأغاني (دار كتيب) (١١ / ١٤٤)

والنويرى ٣٥٣ / ١٥ ، والعجيب انه ذكر أن لقيطاً أخاها ؟!

(ح) الوصف الصادق

ان الانصاف والصدق شيان متلازمان لا ينفصم أحدهما عن الآخر ، بل ان قوة الانصاف وجماله وعظمته في صدقه ، وتجرده عن العواثر النفسية ، الداخلية والخارجية .

والشعر فن من فنون القول كلما كان صادقا أثر في سامعيه ، وله در "بقيلة الأكبر" (١) ان يقول :

ليس امرؤ فليكن ما كان أوله ولو تخلق إلا مثل ما خلقا
وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا انشدته صدقا
وانما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيسا وإن حمقا (٢)

لذلك كان الشاعر يقدم على غيره بقدر ما يكون صادقا واضحا في شعره ، فعن "زهير بن أبي سلفى" يقول "عربن الخطاب" رضي الله عنه : انه أشعر الشعراء ، ولما سئل عن ذلك قال : (كان لا يعاظم بين الكلام ، ولا يتتبع وحشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه) (٣)

(١) هو أبو الغضال الأشجعي من بني همد بن اشجع ، شاعر فارس مخضرم ، وكان سيدا كريما ، يقال هو الذي أمد النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد " بالخييل ، انظر ترجمته في معجم الشعراء ٦٢-٦٣ والاصابة ١/٦٨ .

(٢) معجم الشعراء ٦٢-٦٣ والبيتان الاخيران في ديوان حسان ٢٩٢ وأغلب الظن أنها لبقيلة وأنحلها حسان . وهي تروى أيضا لزهير في العقد الفريد ١٠٤/٦ وانظر اختلاف الروايات في ديوان حسان تحقيق د . سيد حنفي حسنين / ٣٧ ، ٢٧٧٠ . والاصابة ١/١٦٨ وفيه بيت آخر لبقيلة هو :

أليس قريبك ان أطماره خلقت * ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١/٦٣ .

والصدق قبل هذا وذاك مزية وخلق انساني نبيل ، وما أكثر ما كان العرب يتسابقون الى مكارم الأُخلاق ، والصدق أسماها وأرفعها و حتى إن من أمثالهم السائرة قولهم : (سيني واصدقه) (١) .

وفي مجال الحرب ووصفها وتجسيد حركاتها وسكناتها ، غلب على الفارص العربي الجاهلي انتماؤه لقومه وعصبته لهم فكان الوصف مستجيبا لهذه الدواعي فجاء متحيزا الى جانب القوم ارضا للحماسة والعصبية ، بل انه جرى على العادة .

ولكننا نجد طائفة من الشعراء * تخطت الحواجز العصبية ومزقت حجب الحماسة الكثيفة التي تحول دون الوصف الصادق .

فهذا * الجاحظ * يفرّد فصلا لـ " اشعار المقتصدین " (٢) ويقصد بهم الشعراء الذين غضوا الطرف عن المبالغة الناتجة عن الحماسة ووصفوا الا * مور كما هي صدقا وانصافا لانفسهم ومن أنفسهم وتعبيرا ملتزما عن موقفهم في الحرب .

وهناك فرسان مفاويز بلغوا من الشجاعة والفروسية ذراها ، ولكن تعتر بهم في مواقف الحرب لا أول وهلة ما يعترى غيرهم من مشاعر الفجأة وزلزلة النفس وهذه عادة بشرية ، أمام كل جديد مفاجي * ، فهو * لا * الفرسان لم يخنفوا ما دار بخواطرهم وهيجان نفوسهم وصدقوا ^{عن} أنفسهم فيما اخبروا به ، حتى ان * أبا هلال العسكري * يقول : (أربعة شجعان في شعر ثلاثة منهم دلائل الجبن) (٣) .

(١) الأُمالي ١٢/٢ .

(٢) انظر الحيوان ٤٢٥/٦ وما بعدها .

(٣) ديوان المعاني ١١٠/١ لم يذكر ابو هلال هو * لا * الاربعة وانما ذكر

اثنين من الثلاثة هما عنترة وعمر بن معد يكرب .

والاخبار عن هلع النفس في الحرب وصف صادق وانصاف للموقف الرهيب الذي
تفزع له قلوب الأبطال الذين ما يلبثون أن يتماسكوا ويتردوا عن انفسهم
شيخ الخوف وترسخ أقدامهم في أرض الميدان ، وكثيرا ما نجد الشاعر
يفرد من نفسه في هذه الحالة شخصا آخر يخاطبه ، على حد قول " عامر بن
الطفيل " :

أقول لنفسي لا يجادُ بِمِثْلِهَا أَقْلَى العِرَاحِ إِنَّنِي غَيْرُ مَقْصِرِ (١)

أقول " عمرو بن الاطنابة " :

أَبَتَ لِي عِفَّتِي وَأَبَى بِلَائِسِي وَأَخَذِي الحَمْدَ بِالثَّنِّ الرَّبِيحِ
وَأَقْدَامِي عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ البَطْلِ المَشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تُحَمِّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لَا دَفْعَ عَن مَآثِرِ صَالِحَاتِ وَأَحْمِي بَعْدَ عَن عِرْضِ صَحِيحِ (٢)

(١) ديوانه ٦٥ وانظر ديوان المعاني ١١٦/١ في اختلاف الرواية
ودلالة البيت .

(٢) الأُمالي ٢٥٨/١ وديوان المعاني ١١٤/١ باختلاف يسير في
الرواية .

والاطنابة أم عمرو وأبوه عامر بن زيد من بني الحارث بن الخزرج
شاعر فحل وفارس شجاع من فرسان الجاهلية من أشرف الخزرج
يذكر صاحب الأغاني انه كان ملك الحجاز ،
انظر ترجمته في من نسب الي أنه من الشعراء ٩٥ وألقاب الشعراء
٣٢٣ والاشتقاق ٣ ، ٤٥ ، ومعجم الشعراء ٢٠٣ والسقط ٧٥ .

أما عمرو بن معديكرب " فقد أرغم نفسه على مكروها حين اعترتها رهبة

الموقف فقال :

ولما رأيت الخيل زورا كأنها جداول زرع خليت فأسبطرت
وجاشت إلي النفس أول وهلة وردت على مكروها فاستقرت (١)

فهما أوتى العرء من قوة وشجاعة وصلابة فان النفس البشرية - بطبيعتها -

تفجأ بما تجابه به وآذاك يعترىها الضعف والفرع ، وهذه لحظات من عمر

القتال لا يقربها ويعترف الا العظام من الفرسان .

وهناك لحظات أخرى رهيبة في موقف الحرب ، هي تلك الأوقات التي

يتفجر فيها الدم غزيرا من العروق ليعلن عن مصرع فارس من فرسان الحرب ،

انها لحظات القتل وازهاق الأرواح وما أهولها من لحظات ، عبر عنها

بصدق وانصاف " يزيد بن سنان بن أبي حارثة المري " في قتله " أباصخر

ابن عمرو القيني " ان يقول :

شككت مجامع الأوصال منه بينافذة على دهش وذعر (٢)

وتبدولنا سيما الصدق في الوصف واضحة عند دريد بن الصمة ، وهو يصف

مقتل أخيه " عبدالله بن الصمة " في يوم " اللوى " فيقول :

فطاعنت عنه الخيل حتى تنهتت وحتى علاني حالك اللون أسود

فما رمت حتى تحرقني رماحهم وغودرت أكبوني القنا المتقصد

ففعال أمرى آسى أخاه بنفسه ويعلم أن المرء غير مخلد (٣)

(١) ديوانه ٤٣ ، وهما في الاصمعيات ١٢٢ ، والبيت الاول منهما :

" ولما رأيت الخيل رهوا "

(٢) المفضليات ٧١ مجامع الأوصال : المفصل ومجتمع العظام .

(٣) ديوانه ٤٩ . والابيات في الاصمعيات غير أن الثاني منها لم يرد ،

بالإضافة الى اختلاف في بعض الألفاظ انظر ص ١٠٥ وما يليها .

ولما رأى الأعداء يحيطون بأخيه تتناوشه رماحهم وسيوفهم فأضحى بينهم

كالثوب في يد الحائك ينسجه ، قال :

غداة دعاني والرماح ينشئه كوقع الصيبي في النسيج المهدد^(١)

وهذا " أبو قلاب الطابخي " يذكر يوم " الأحت " وأنه يئس من الرجوع

لأن أعداءه " كاهل " و " عمرو ، كانوا يقاتلون بضراوة وعنفا ، فيقول :

فيا أسك من صديقك ثم ياسا
صحن يوم الأحت من الإياب
يصاح بكاهل حولي وعسرو
وهم كالضاريات من الكلاب^(٢)

فاذا وصف أحداث القتال ، صنف قومه الى أصناف ثلاثة ، وذلك ما يكشف

عنه قوله :

فمنا عصبية لا هم حماسة
ولا هم فائتونا في الذهاب
ومنا عصبية أخرى حماسة
كفلي النار حشت بالثقاب
ومنا عصبية ، أخرى سراع
زفتها الريح كالسنن الطراب^(٣)

وكم يكون موقف الشاعر مؤلما حين يرى قومه يتخاذلون في ساحات القتال

، ولا يجد الا الصدق في الاخبار عنهم كما يقول " الأشهب بن الحارث بن

هزلة الغنوى " :

ألا قبح الإله غداة حجر
سؤفا في أكف بني كلاب
نبون عن العدو غداة حجر
ولا تنبوا أيام السباب^(٤)

- (١) ديوانه ٤٩ .
(٢) شرح اشعار الهذليين ٧١٨ .
(٣) المرجع نفسه ٧١٩ .
(٤) الموء تلف والمختلفا ٣٣ .

ويقدر " الخصفي المحاربي " الموقف حق قدره فيعترف بيأس العدو وشدته

حتى ليرتمى ملاقوهم أن لو ماتوا قبل هذا اليوم ، فيقول :

(١)
وَيَوْمَ يَوْمِ الْمَرْءِ لَوْ مَاتَ قَبْلَهُ رَيطَنَا لَهُ جَاشًا ، وَإِنْ كَانَ مُعْظَمًا

ولما نشبت الحرب بين العرب والفرس في يوم " ذى قار " كان عدى بن يزيد بن

حمار السكوني " نازلا في بني شيبان الذين تحملوا عبء الحرب ، وتقاوس

عنها قومه ، فجاء وصفه صادقا منصفا في قوله :

يَا نِيَّ حَمَدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ حَمَدْتُ

(٢)
نِيرَانَ قَوْمِي وَفِيهِمْ سُبَّتِ النَّارُ

أما قتادة بن مسleme الحنفي " فيرد على زوجته التي لامته وعيرته بالتقاوس

عن القتال والدفاع عن فرسان قومه قتلهم الأعداء ، ويكون جوابه لها ان الحرب

انهكته ورزأته فوارسا من قومه ، فهو ليس أول من نكبه الدهر وأعان عليه

الأبطال ، فقد قاتل بضراوة وشجاعة ، ولكنه لم يجد مثل هو لا الفرسان من

قبل شجاعة واقداما ودفاعا عن انفسهم سيان عندهم النصر أو الهزيمة ،

وقد تبادل الجيشان طعن الرماح ، وحدث القنا ، يقول " قتادة بن مسleme "

يصدق الحديث :

(١) المفضليات ٣١٩ ×

(٢) الحماسة / للمرزوقي ٣٠٠ والموء تلف ٩٢ وهوفيه عدى بن حمار .

شاعر جاهلي كان حليفا لبني شيبان وله بلاء ورأى في يوم

ذى قار ، صحح التبريزي اسمه فقال " عدى بن يزيد " أنظر المرزباني

٤٩٣ وهوفيه يزيد بن حمار والتبريزي ٢٨٩/١ .

بَكَرَتْ عَلَوٌ مِنَ السَّفَاهِ تَلَوْنِي سَفَهَا تَعَجَّزُ بِعَلَمِهَا وَتَلَوْمُ
لَمَّا رَأَيْتَنِي قَدْرَزْتِ فَوَارِسِي وَدَدَتْ بِجِسْمِي نَهْكَهُ وَكَلَوْمُ
مَا كُنْتُ أَوْلَى مَنْ أَصَابَ بِنَكْبَةٍ دَهْرٌ وَحَى بِأَسْلُونِ صَمِيمُ
إِذْ تَتَقَى بِسَرَاهِ آلِ مُقَاعِيسِ حَدَّ الْأُسْنَةِ وَالسِّيَوفِ تَمِيمُ
لَمَ أَلَقْ قَبْلَهُمْ فَوَارِسَ مِثْلَهُمْ أَحْمَى وَهَنَّ هَوَازِمَ وَهَزِيمُ
لَمَّا أَلْتَقَى الصَّفَانِ وَأَخْتَلَفَ الْقَنَا وَالخَيْلُ فِي نَقْعِ الْعَجَاجِ أَرْزُومُ (١)

ويذكر " قيس بن زهير " أن قومه من بني " عيس " قد لاقوا في حربهم مع بني
ذبيان " الأمرين ، فما يكاد يفلت هو من أحد شجعانهم حتى يفاجأ بآخر ،
وقد جعلت أكباد قومه تبغضهم كما يبغض الفصن الفأس يهوى عليه
ليقطعه .

يقول " قيس بن زهير " مشيدا ببني ذبيان " ومنصفا لهم :

إِذَا قُلْتُ قَدِ افْتَدَيْتُ مِنْ شَرِّ حَنْبِصٍ لَقَيْتُ بِأُخْرَى حَنْبَصًا مَتْبَاطِنَا
فَقَدْ جَعَلْتَ أَكْبَادَنَا تَجْتَوِيكُمْ كَمَا تَجْتَوِي سُوقَ الْعَصَاةِ الْكَرَازِنَا (٢)

- (١) موسوعة الشعر العربي ٥٨٧/٤ ولم أهدد الى مصدر هذه الابيات
وقتادة شاعر جاهلي أجار الحارث بن ظالم المزني لما قتل خالد
ابن جعفر بن كلاب ، وبسببه كان يوم رحرحان .
النهكة : الضعف ، صميم : جالس ، تكافأ : من الكف وهو قلب
الشيء على وجهه ، السبل : السائل من المطر والدم .
العجاج : الغبار الكثيف ، الأرزوم : الغصن .
- (٢) النقائص ١٠٠ .

ولطم " عمرو بن الزمان الذهلي " " كثيف بن زهير التغلبي " فقتله " كثيف " وقاتل اخوته ، فانتقم " الزبان بن مجالد " بقتل خمسة وأربعين بيتا من تغلب وقذف جيفهم في " ركة الاقطانتين " وفي ذلك يقول " السفاح التغلبي " يلوم بني سعد على فعلتهم الشنعاء هذه ، ويذكر صلوات الرحم بينهم ، ويعترف بما احدثوه من أمر عظيم وعودتهم سالمين غانمين :

أَبْنِي سَعْدٍ وَأَنْتُمْ إِخْوَةٌ وَعِتَابٌ بَعْدَ الْيَوْمِ شَيْءٌ أَفْقَمُ
هَلَّا خَشِيتُمْ أَنْ يَصَادَفَ مِثْلُهَا مِنْكُمْ فَتَتْرَكُكُمْ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ
مَلَأُوا الْأَقْطَانَتَيْنِ رَكِيَّةً مِثًّا وَأَبَاوَا سَالِمِينَ وَأَغْنَمُوا (١)

ولما تجنب " الحارث بن عباد " حرب بكر وتغلب ، لأنه رأى فيها جناية ومنكرا ، أدخله " المهلهل " فيها عنوة بقتله " بجيرا " ابنه ، وقال له : " بوء بشسع نعل كليب " ، ففي ذلك يقول " الحارث بن عباد " يصف الحرب وويلاتها ، ويصدق الحديث عنها وعن نفسه وعن ابنه فيقول :

أَصْبَحْتُ وَائِلٌ تَعَجُّ مِنَ الْحَرِّ بِ عَجِيحِ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جَنَاتِهَا عِلْمَ اللَّوْ هُ وَإِنِّي بَحْرَهَا الْيَوْمَ صَالِ
قَدْ تَجَنَّبْتُ وَائِلًا كَيْ يُفِيقُوا فَابْتَ تَغْلِبٌ عَلَى أَعْتَزَالِي
وَأَشَابُوا ذَوْ أَيْتِي بِبُجَيْرِ قَتَلُوهُ ظُلْمًا بِغَيْرِ قِتَالِ
قَتَلُوهُ بِشَسْعِ نَعْلِ كَلَيْبِ إِنْ قَتَلَ الْكَرِيمِ بِالشَّسْعِ غَالِ (٢)

(١) شعراء النصرانية ١٨٢ - ١٨٣ .

(٢) المرجع نفسه ٢٧٢ .

وفي يوم " ذى قار " كان النصر حليف العرب ، وكان " لا ياد " حليفة كسرى
اليد الطولى في هذا النصر ، حين تخلت عن كسرى وجيشه في أحلك أزمات
القتال ، وقد قررت ذلك " صفية بنت ثعلبة - الحجيجة - " بقولها تنصف
ايادا وتنسب النصر لهم :

إِنْ تَوَلَّتْ لَنَا إِيَادُ أَنْهِيَامَا كَانَ مِنْهُمْ هَزِيمَةُ الْأَعْجَامِ
إِنَّ نَصْرًا لَطْمِيحٍ أَكْبَرُ نَصْرِ
وَجَنُودٍ عَلَى بَيْتِي الْأَعْمَامِ (١)

وفي يوم " عكاظ " الرابع من أيام الفجار الثاني هزمت " كنانة " " قيسا "
هزيمة منكرة ، وفي هذا اليوم يقول " ضرار بن الخطاب الفهري " يصف احداثه

بصدق وحياد ، دون مبالغة :

أَلَمْ تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ شَأِنِنَا وَلَمْ يَثْبِتِ الْأُمْرَ كَالْخَابِيِرِ
فَدَاةَ عَكَظٍ إِذَا اسْتَكْمَلْتِ هَوَازِنُ فِي كَفِّهَا الْحَاضِرِ
وَجَاءَتْ سَلِيمٌ تَهْزُ الْقَنَا عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ ضَامِرِ
وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ عَلَى الْمُضْمَرَاتِ بِأَرْعَنَ ذِي نَجَبٍ زَاخِرِ
فَلَمَّا التَّقِينَا أَدْقَنَاهُمْ طِعَانًا بِسُمْرِ الْقَنَا الْعَائِرِ
فَفَرَّتْ سَلِيمٌ وَلَمْ يَضْبِرُوا وَطَارَتْ شَعَاعًا بَنُوعَامِرِ
وَفَرَّتْ ثَقِيفًا إِلَى لَاتِهِمَا بِمَنْقَلَبِ الْخَائِبِ الْخَاسِرِ
وَقَاتَلَتِ الْعَنْسُ شَطْرَ النَّهَا ثُمَّ تَوَلَّتْ مَعَ الصَّادِرِ (٢)

(١) موسوعة الشعر العربي ٥٠٦ .

(٢) أيام العرب في الجاهلية ٣٣٥ - ٣٢٦ .

السلمية : الفرس الجسيمة ، والضاير : الدقيق الحاجبين ،
الارعن : الجيش الكثيف . العائر : الذى لا يدرى من أين أتى .
شعاعا : متفرقين .

وكما أن الصدق في النصر انصاف فهو كذلك في الهزيمة وفقد الأحاب والفرسان ،
ففي يوم " الكلاب " قتل " علقمة بن بشر " وأبوه زوج " الخرنق بنت بدر بن
هفان ، وكان مصابها فيه جلا فوصفت انهزام القوم ومقتل الفرسان وبكاء النساء
عليهم بكاء مرا ، تقول " الخرنق بنت بدر " :

وَعَدَّ بِنِي ضَيْبَعَةَ حَوْلَ بَشْرِ كَمَا مَالَ الْجُدُوعُ هِنَ الْحَرِيْقِ

وفيها : فَكَمْ بِكَلَابٍ مِّنْ أَوْصَالِ خَيْرِ أَخِي شِقَّةٍ وَجُمُجُمَةٍ فَلَيْسَ لِي (١)

وتقول :

وَبِيضٌ قَدْ قَعَدَنَ وَكُلُّ كُحْلٍ بِأَعْيُنِهِنَّ أَصْبَحَ لَا يَلِينُ
أَضَاعَ بَضُوعَهُنَّ مُصَابُ بَشْرِ وَطَعْنَةُ فَاتِكِ نَمَقَى يَفِينُ (٢)

وتذكر أن قومها سيقوا يوم " قلاب " الى الموت كما تساق العير للذبح فتقول :

لَا قَوَاغِدَاةَ قَلَابَ خَتَفَهُمْ سَوَقَ الْعَتِيرِ يَسَاقُ لِلْعَتِيرِ (٣)

(١) ديوانها ٢٧-٢٨ .

والخرنق بنت بدر بن هفان من بني ضبيعة بكريه عدنانية شاعرة جاهلية شهيرة ، أخت طرفة بن العبد لأمه ، وزوج بشر بن عمرو بن مرشد ، وقتلته بنو أسد يوم قلاب وأكثر شعرها في رثاء ورثاء أخيها طرفة . انظر ترجمتها في ديوانها والخزانة ٣/٣٠٦ ، ٣٠٧ ، والسمط ٧٨٠ وأعلام النساء ١/٢٩٤ وشعراء النصرانية ٣٢١ .

(٢) ديوانها ٢٨ .

(٣) المرجع نفسه ٣٢ . والعتيرة : الذبيحة التي كانت تذبح في الجاهلية في رجب ، وهي من الحركة والاضطراب ، وسمى " عترة " من ذلك لتحركه في الحرب وتصرفه ، انظر النوادر / للسقالي ١٦٢ .

وشعر التفجیح علی القوم وذكر مصارعهم باب من أبواب الصدق أكثر الشعراء
من طرقه، وأمثلة ذلك كثيرة، نكتفي منها، بقول "ربيعة بن مالك بن
سعد" (١) :

أَلَا إِنَّمَا هَذَا الْمَلَالُ الَّذِي تَرَى وَإِذْ بَارِئُ جِسْمِي رَدَّى الْعَبْرَاتِ
وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ تَجَلَّدَتْ بَعْدَهُ تَقَطَّعَ نَفْسِي بِإِثْرِهِ حَسْرَاتِ (٢)

-
- (١) هو ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم فارس شاعر جاهلي .
لم أقف على ما أترجم له به .
(٢) ذيل الأُمالي / ٠٨٢

(ط) انصاف الظافر للمنهزم

الحرب غمة لا تنجلي الا عن ثلاث : نصر أو هزيمة أو تعادل ، ففي لحظات النصر والتفوق يتيه المنتصر فخرا ، ويتطاول ويتكبر ، ويرى أعداءه أحقر من أن ينازلوه ، وهذه طبيعة البشر .

وفي الهزيمة تفص الحناجر بمرارتها وتتشبع القلوب بحسرتها ، وتمتلي الأفتدة غيظا وندما وحقدا وكربا لا يفرجه الا رد الاعتبار وشفاء النفوس من الأعداء .

وفي التعادل ان لا هزيمة ولا ظفر ، لا يجد أحد الفريقين سبيلا للفخر الا أن يكون مكابرة وتجاهلا .

فالانصاف في التعادل ميزة حسنة جرى عليها فئة من الشعراء الجاهليين ، ذكروا الحقائق والأحداث كما هي متخلين عن عصبيتهم وانتائمهم ، وجعلوا هدفهم الصدق والحق .

أما انصاف الظافر للمنهزم فتلك مزية جلية تحسب في خلق العربي النبيل ذلك الفارس الشهم الذي تفرد بشمائل وسمات ، جعلت منه أنموذجا فريدا للفروسية وأخلاقها .

فالفارس الحق - في نظرهم - هو الذي اكتملت رجولته وأخلاقه حلما وكريما وشجاعة وعفة . . . الخ من صفات انسانية نبيلة .

وذروة الانصاف هو انصاف المندحر المهزوم للمنتصر الظافر ، تلك القمة في الانصاف التي لم يتسنم ذراها الا من بلغ في المكارم شأوا لا يلحق .

وإذا كان الانصاف في النصر تقديرا وتقريبا فانه في الهزيمة ارتفاع عن نقائص النفس التي لا تقر لمن يهزمها بفضيلة ، وتلك لعمرى محمدا حق للفرسان

العرب أن يفخروا بها فهم الذين يقول عنهم « الحجاف » :

(١) نحن الذين اذا علوا لم يضجروا يوم اللقاء وانذا علوا لم يفجروا

ونورد بعض أمثلة على ما نقول فيما يلي :

من ذلك قول " شبيل الفزاري " :

وما عن ذلة غلبوا ولكن كذاك الاسد تفرسها الاسود
فلولا أنهم سبقت إليهم سوابق نبينا وهم بعيند
لحاسونا حياض الموت حتى تطاير من جوانبنا شريد (٢)

وكذلك قول " العباس بن مرداس السلي " " مؤكدا شجاعة أعدائه المنهزمين

وحسن بلائهم :

هزمتنا إذ لقينا جيش رعل وذكوانا وجمع بني خفاف
وما إن طبهم جبن ولكن رميناهم بثالثة الاثافي (٣)

وكذلك قول " خداس بن زهير " في منصفته :

فلم أر مثلهم هزموا وقلوا ولا كذيانا غيغا مذودا (٤)

وقول " الالفه الأودي ، يخاطب " بني عامر " ويشيد بأعدائه :

هم سدوا عليكم بطن نجد وضرات الجبابه والهضيب
قتلنا منهم أسلاف صدق وأبنا بالأسارى والقعيب (٥)

(١) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ٨١/١ .

(٢) الحماسة / بشرح المرزوقي ٦٨٠ ، ٦٨١ .

(٣) ديوانه ٩٢ .

(٤) شعر خداس بن زهير ٥٥٦ ويرى : قلوا ، وعنقا ، وعبقا ، ونجودا .

(٥) ديوانه ٨ والقعيب : العدد .

وكذلك قول " الحصين بن الحمام المرى " :

وَأَنْجَيْنَ مَنْ أَبْقَيْنَا مِنْهُ مَنَا بِخُطَّةٍ
مِنَ الْعُذْرِ لَمْ يَدْنَسْ وَإِنْ كَانَ مَوْءُ لِمَا (١)

ومر " معقل بن عامر الأُسدي " (يوم جبلة على ابي الحساس بن وهب الغنوي وهو صريع فاحتمله الى رحله ، فأداه حتى شفي ثم كساه وأداه الى أهله وقال :

يديت على ابن حساس ابن وهب بأسفل ذى الجداة يد الكريم

يريد : اتخذت عنده يدا .

قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الدَّهْمَاءِ لَمَّا شَهِدْتُ وَغَابَ عَن دَارِ الحَمِيمِ
أَوْسِيهِ بِأَنَّ الجِرْحَ يَشْوِي وَأَنَّكَ فَوْقَ عَجَلَةٍ جَمُومِ
وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الفَرَقْدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ
ذَكَرْتُ تَعَلَّةَ الفِتْيَانِ يَوْمًا وَإِلْحَاقَ المَلَامَةِ بِالمُؤَلِّمِ (٢)

ورأت " ربيعة بنت جذل الطعان " " دريد بن الصمة " في أسرقومها (فقالت : هلكنم وأهلكنم ماذا جر علينا قومنا ؟ هوذا والله الذى أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة . ثم أقت عطيه ثوبها ، وقالت : يا آل فراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادى . فسألوه : من هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمة ، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعة بن مكدم . قال : فما فعل ؟ قالوا : قتلته بنو سليم . قال : فما فعلت الظعينة ؟ قالت المرأة : أنا هي ، وأنا امرأته . فحبسه القوم وآمروا انفسهم ، فقال بعضهم : لا ينبغي لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا ، وقال الآخرون : لا والله لا

(١) المفضليات ٠٦٩

(٢) معجم الشعراء / للمرزباني ٣٧٠ - ٣٧١ والبيتان الأوليان في الحماسة

بشرح المرزوقي ١٩٣ وما بعدها مع اختلاف يسير .

يخرج من أيدينا الا برضا المخارق الذي أسره ، فانبعثت المرأة في الليل -

وهي ربيعة بنت جذل الطعان - فقالت :

سَنْجَزِي دُرَيْدًا عَنْ رَبِيعَةَ نَعْمَةً وَكُلُّ امْرِيٍّ يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَمًا
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ خَيْرًا جَزَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ شَرًّا مَذَمَّمًا
سَنْجَزِيهِ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ بِصَفِيرَةٍ بِإِهْدَائِهِ الرَّجْحَ الطَّوِيلَ الْمُقَوِّمًا
فَلَا تَكْفُرُوهُ حَقَّ نِعْمَاءٍ فَيْكُمُ وَلَا تَرْكَبُوا تِلْكَ الَّتِي تَمَلَأُ الْفَمَا
فَإِنْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَضِقْ بِثَوَابِهِ ذِرَاعًا ، غَنِيًّا كَانَ أَوْ كَانَ مُعْدَمًا
فَفَكُّوا دُرَيْدًا مِنْ إِسَارِ مُخَارِقٍ وَلَا تَجْعَلُوا الْبُؤْسَ سِوَى الْشَّرِّ سَلَمًا

فلما أصبحوا أطلقوه ، فكسته وجهته ، ولحق بقومه ، فلم يزل كافا عن حرب * بني

فراس * حتى هلك . (١)

(١) العقد الفريد ٣١/٦ والامالي ٢٧٣/٢ بزيادة بيت بعد البيت

الثالث هو :

فقد أدركت كفاه ، فينا جزاءه * وأهل بأن يجزي الذي كان أنعما

ولم أقف على ترجمة لربيعة بنت جذل الطعان .

(ى) انصاف المهزوم لهازمه

الاعتراف بهزيمة القوم واندحارهم أمام الأعداء في حد ذاته ، انصاف ، لأن قلب الحقائق ، ومعاندة الأحداث ، وتهوين الهزيمة ، بل وجعلها تبدو وكأنها نصر مبين من مظاهر الحماسة كما سبق .
وقد توخيت أن أورد من الشعر الأمثلة التي تعترف بالهزيمة اعترافاً صريحاً واضحاً وتنصف الأعداء وتهيب بهم ويقوتهم .

وإن تنطوى نفس العربي على الحماسة والاندفاع والعصبية للقوم فذلك ليس من قبيل المكابرة على كل حال فهو يرى أن الأيام دول ، وأنهم بشر يهزمون ويهزمون ويقتلون ، فليسوا حديداً أو صخوراً جليداً ، على حد قول " زيان بن سيار المرى " :

(١) وَلَسْنَا بِالسَّلَامِ وَلَا الْحَدِيدِ

خُلِقْنَا أَنْفُسًا وَبَنَى نَفْسٍ

وقول " فروة بن مسيك المرادى " :

وَإِنْ نُهْزِمُ فَغَيْرُ مَهْزَمِينَا

إِنْ نَهْزِمُ فَهَزَامُونَ قِدْمَنَا

منايانا ودولة آخرينا

وما إن طَبْنَا جَبْنَ وَلَكِنْ

(٢) تَكَرَّرُ صَرْفُهُ حِينًا فحِينًا

كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سَجَال

وله قصيدة أخرى من البحر ذاته والقافية عينها ينصف فيها أعداءه " يوم

الرزم " :

وَوَزْنَا فِي مَنَازِلِهَا السُّكُونَا

تَجَاوَزْنَا اللَّفِيفَ بِمَوْشِكَاتِ

عِجَالِ الطَّعْنِ غَيْرَ مَعْرُدِينَا

وَلَا قَيْنَا فَوَارِسَ غَيْرِ مِيهِلِ

(٣)

خَضِبِينَ بِأَرْجَوَانَ أَوْ طَلِينَا

كَأَنَّ شَيَابِنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ

(٤)

نَوَافِدُ مَنْ أَسْتَتْنَا وَفِينَا

فَأَبَتْ خَيْلَنَا قُطْفًا وَفِيهِمْ

(١) ذيل الامالي ٥١ .

(٢) الوحشيات ٢٨ .

(٣) البيت الثالث ينسب لعمر بن كلثوم .

(٤) الوحشيات ٩٤ .

والصناديد مع حماستهم شدة وعنفا ، وتطاولهم على السراة يهددونهم ويتوعدونهم
بمقدرة أقتوامهم على دحر الملوك ، نرى فيهم من عرف قدره ومقدرته وحدوده
وما لا طاقة له به ، فإذاهو يعرف للملوك قوتهم وسطوتهم ، وان انهزم
قومه أمامهم فليس ذلك عيبا أوعارا فستان ما بين سوقة وملوك .
يقرر هذه الحقيقة " العرقش الأكبر " حين غزا ملك من ملوك جفنة قومه
فأوقع بهم ، فقال " العرقش " منصفا ومشيدا بأعدائه :

مَا ذُنُبْنَا فِي أَنْ غَزَا مَلِيكَ	مِنْ آلِ جَفْنَةَ حَازِمٍ مُرْغِيْمٍ
مُقَابِلٍ بَيْنَ الْعَوَاتِكِ وَالـ	مُغْلَفٍ لَا نَكِيْسٍ وَلَا تَكْوَامٍ
حَارِبٍ وَاسْتَعْوَى قَرَاضِيَةَ	لَيْسَ لَهُمْ مِمَّا يَحَازُ نَعَمٌ
بِيضٍ مَصَالِيْتٍ وَجُوهُهُمْ	لَيْسَتْ مِيَاهُ بَحَارِهِمْ يِعَمُّ
فَانْقَضَ مِثْلَ الصَّقْرِ يَاقِدُهُ	جَيْشٌ كَغْلَانِ الشَّرِيْفِ لَهُمْ (١)

ولما أنشأ " يزيد بن الخذاق الشني " قصيدته التي مطلعها :

أَعْدَدْتُ سُبْحَةً بَعْدَ مَا قَرَحَتْ وَلَبِستُ شِكَّةَ حَازِمٍ جَلِيْدٍ (٢)

(١) المفضليات ٢٣٩ . مقابل : كريم الأيوين ، العواتك : المحمرة
من الطيب . الغلف : يريد غلفاً وسلمة عمى امرى القيس . النكس :
الضعيف . استعوى : استنصر ، قراضية : فقراء ، نعم : ابل ،
مصاليات : ماضين في الامور منجردين فيها ، أراد بياض الوجوه
عم : كثيرة . غلان : أودية فيها شجر . الشريف : موضع بنجد ،
اللهم : يلتهم كل شي * لعزته .

(٢) المفضليات ٢٩٦ . ويزيد هو ابن الخذاق من بني شن بن أفضى
ابن عبد القيس من أسد بن ربيعة بن نزار .

شاعر جاهلي قديم انظر ترجمته في المفضليات ٢٩٥ والموت تلسف

يهجو فيها النعمان بن المنذر " ويتوعده ، ويعت اليهم النعمان كتيبته
التي يقال لها " دوسر " فاستباحهم ، فقال " سويد أخو يزيد " :

ضَرَبْتُ دَوْسَرَ فِينَا ضَرْبَةً أَثَبَّتْ أَوْلَادَ مَلِكٍ فَاسْتَقَرَّ
فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ ذِي نَعْمَةٍ وَجَزَاهُ اللَّهُ مِنْ عَبْدٍ كَفَرَ (١)

وقد يأتي الاعتراف بالهزيمة وشكينة الأعداء متضمنا معاذير - لحفظ ماء
الوجه - في مثل قول " عامر بن الطفيل " يعتذر عن هزيمته يوم " نيف
الريح " وعن طعنة " مسهر بن يزيد الحارثي " :

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَىٰ بَهَيِّنٍ لَقَدْ شَانَ حَرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةُ مِسْهَرٍ

وفيها يقول :

فلو كان جمعا مثلنا لم نبالهم
أتونا بشهران العريضة كلها
أما نزل لو كان البداد لقتلوا
ولكن أتنا أسرة ذات مفخر
وأكلب طرا في جباد السنور (٢)
ولكن نزونا بالعديد المجهر

ومثل قوله أيضا :

أتونا بشهران العريضة كلها
فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا
أما نزل لو كان البداد لقتلوا
وخشم حتى يعدلون بمدحج
وأكلبها في مثل " بكر بن وائل "
يبت عن قرى أضيافه غير غافل
ولكن أتنا كل جن وخابيل
وهل نحن إلا مثل إحدى القبائل (٣)

(١) المفضليات (حاشية) ٢٩٥ . وتاج العروس (دسر) .

(٢) ديوانه ٦٤ - ٦٥ والبيت الاخير غير موجود في ديوانه وهو في العقد

الفريد ٧٦/٦ والتقاؤض ٤٧٢ والمفضليات ٣٦٢

وانظر الأسمعيات ٢١٥ بتغيير بعض الألفاظ واغفال البيت الاخير ٢١٥ .

(٣) بعض هذه الأبيات في ديوانه ٩١ البيت الاول والثاني والثالث باختلاف

يسير . وهي في التقاؤض ٤٧٢ وسائرهما في العقد الفردي ٧٦/٦

واعذار "مالك بن حطان اليربوعي" عن الهزيمة كان أكثر مكاشفة وصراحة
فيقدر ما كان سببها قوة الفرسان الأعداء واقدامهم بقدر ما كان تخاذل فرسان
قومه وانهزامهم أمامهم دافعا لانكشافهم ، يقول "مالك بن حطان اليربوعي"
في يوم "قشاوة" منصفا أعداءه وهو في المعركة قبل أن يموت :

لعمري لقد أقدمتُ مُقدِّمَ حارِدٍ ولكن أقرانَ الظُّهورِ مَقَاتِلُ
ولو شَهِدَتْنِي مِنْ عَيْدِ عِصَابَةٍ حَمَاةٌ لَخَاضُوا الْمَوْتَ حَيْثُ أُنْزِلُ
بِكُلِّ لَذِيذٍ لَمْ يَخُنْهُ ثِقَانُهُ وَعَضْبِ حُسَامٍ أَخْلَصَتْهُ الصِّيَاقِلُ
وَمَا ذَنْبَنَا أَنَا لِقَيْنَا قَبِيلَةَ إِذَا وَآكَلَتْ فُرْسَانُنَا لَا تُؤَاكِلُ
يُسَاقُونَنَا كَأَسَا مِنَ الْمَوْتِ مَرَّةً وَعَرَدْنَا عَنَّا الْمُقْرِفُونَ الْحَنَاقِلُ

وفيها يقول :

(١) فما بين من هاب العنية منكم
ولا بيننا الا ليال قلائل

وكذلك "عبد يغوث بن وقاص الحارثي" يعزى الهزيمة الى ثباته وتفرق قومه
عنه في يوم الكلاب الثاني - وكان قائدهم - فاختطفته رماح الأعداء ، فقال
يلوم قومه على فرارهم :

جزى الله قومي بالكلاب ملامةً صريحهم والآخريين المواليا
ولو شئتُ نَجَتْنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً تَرَى خَلْفَهَا الْحَوَّ الْجِيَادَ تَوَالِيَا
ولكنني أحمي ذمار أبيكُم وكان الرماح يختطفن المحاميا

(٢)

(١) النقاغص ٢٢ ٢٣٠ .

(٢) المفضليات ١٥٧ النهدة : المرتفعة الخلق ، الحوة : الخصرة ،

الذمار : ما يجب حفظه .

أما " المهلهل " الذي قيل بأنه أول من أنصف بقوله في يوم " عنيزة " :

كأنَّا غدوةٌ وبِني أبينا
بجوفِ عنيزةٍ رَحِيًّا مَدِينِ (١)

فان له أبياتا اكثر انصافا واعترافا بياس " بكر " وشجاعتهم ، منها قوله " يوم
تحلاق اللمم " : يذكر ما لاقاه قومه فيه من احوال ويبرر الهزيمة تبريرا
معنويا ، وأن هذا هو حال الدهر فيقول :

ليس مثلي يُخَبِّرُ النَّاسَ عَن آبَا
ثِيْمٍ قَتَلُوا وَيُنْسِي الْقِتَالَ
لَمْ أَرِمْ عَرَصَةَ الْكُتَيْبَةِ حَتَّى
أَنْتَعَلَ الْوَرْدُ مِنْ دِمَائِهِ نِعَالًا
عَرَفْتُهُ رِمَاحُ بَكْرِ فَمَا يَأْ
خُذْنَ إِلَّا لِبَائَتِهِ وَالْقُدَّالَا
غَلَبُونَا ، وَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا
يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حَالًا فَحَالًا (٢)

وتنصف " دخنتوس " أعداءها وتعترف لهم بالقوة والمنعة ، ولكنها تعتذر
عن الهزيمة بالحظ والشؤم الذي لا زم قومها فتقول :

لَعَمْرِي لِإِنْ لَاقَتْ مِنَ الشَّقِّ دَارِمَ (*)
عَنَاءٌ وَقَدْ رَابَتْ حَمِيدًا ضَرَابُهَا
فَمَا جَبَنُوا بِالشَّعْبِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ
رَبِيعَةٌ تَدْعَا كَعْبُهَا (**) وَكَلَابُهَا
عَصُوا بِسُيُوفِ الْهِنْدِ وَأَعْتَكُرَتْ لَهُمْ
بِرَاكَاةٌ مَوْتٍ لَا يَطِيرُ غُرَابُهَا
أَسْوَدُ سَرَى لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ
سَرَابِيلُهَا الْمَازِي غَلَبَتْ رِقَابُهَا (٣)

والاعتراف بالهزيمة انصاف لأنه تأكيد بوقوعها على الرغم من المعاذير التي
يبدئها الشاعر التي لا تعدو أن تكون حفظا لواء الوجه .

(١) الأُصمعيات ١٥٥ والخزانة ٥٢١/٣ (بجنب) بدلا من (بجوف) .

(٢) شعراء النصرانية ١٧٩

(٣) النقائض ٦٦٦ .

(*) كذا والصحيح " لكن " .

(**) كذا ولعله (تدعى) .

أما انصاف المهزوم لهازمه دون اختلاق الأعذار إلا ان تكون قوة العدو
وطولته وحنكته ودربته في ميادين القتال ، فذلك ذروة الانصاف وغايته ،
في مثل قول " رجل من قريش " (١) " الخندمة " يخاطب امرأته :

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذَا فَرَصْنَا وَفَرَعْنَا مَعَهُ
وَلَقَيْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمَسْلُومَةِ يَفْلُقَنَّ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُنْمَةٍ
ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَفْمَةً لَمْ تَنْطِقِي بِاللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ (٢)

والنصوص الجاهلية في هذا المجال كثيرة ، في مثل قصيدة " الحطيئة " يوم

" الصرائم " وكان في الجيش فهرب :

وما أدري إذا لاقيت عمراً أكلبي آل عمرو أم صحاح
لقد بلغوا الشفاء فأخبرونا بقتلي من تقتلنا ريباح
حوثنا منهم لما التقيننا رماح في مراكزها رماح
وجرد في الأئنة ملجمات خفاف الطرف كلمها السلاح
إذا نار الغبار خرجن منه كما خرجت من الندر السراح
وما بآء وأكبأ وهم علينا بفضل دمائهم حتى أراحوا (٣)

وقول " البراء بن قيس الكندي " يوم " الكلاب الثاني من قصيدة له :

قتلتنا تميم يوماً جديداً قتل عادٍ وذاك يوم الكلاب
يوم جئنا يسوقنا الحين سوقاً نحو قوم كأنهم أسد غاب

(١) لم ينسبه ابن عبد ربه في العقد الفريد ٨٢/٦ .

(٢) العقد الفريد ٨٢/٦ .

(٣) ديوانه ٢٢٤ .

وَحَشَدْنَا الصِّمِيمَ نَرْجُو نَهَايَا فَلَقِينَا الْبَوَارِدُونَ النَّهَابِ
لَقِينَا أُسُودَ سَعْدٍ، وَسَعْدٍ خُلِقَتْ فِي الْحَرْبِ سَوَاطِ عَذَابِ (١)

وفي اليوم ذاته قال "الحارث بن ولة الجرمي" من قصيدة له:

كَأْنَا وَقَدْ حَالَتْ حُدُنُهُ دُونَنَا نَعَامٌ تَلَاهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرٌ
قَمَنَ كَانَ يَرْجُو فِي تَمِيمٍ هَوَادَةً فَلَيْسَ لَجَرْمٍ فِي تَمِيمٍ أَوَاصِرٌ (٢)

وقول "عمرو بن برة" في حرب كانت بين "هذيل" وكان حليفا لهم -

و "كنانة" يذكر أنه لم يجد وسيلة غير الهرب من وجوه الأعداء الذين فجئوهم

بما لم يكن في حسابهم:

فَلَمَّا أَنْ هَبَطْنَا الْقَاعَ رَدُّوا غَوَّاشِينَا فَأَذْبَرْنَا جَفُولا
وَقَامَ لَنَا بَيْطُنَ الْقَاعِ صَيْقٌ فَخَلَّى الْوَارِعُونَ لَنَا السَّبِيلَا
كَأَنَّ مَلَأَتْ تِي عَلَى هِجَافٍ أَحْسَسَ عَشِيَّةً رِيحًا بَلِيئَا
عَلَى حَتِّ الْبَرَايَةِ زَمْخَرِيَّالِ سَوَاعِدٍ يَنْتَحِي رَتَا دَلِيئَا (٣)

(١) الأغانى ٢٦٣/١٦ (ثقافة).

(٢) المفضليات ١٦٦ والمعقد الفريد ٧٤/٦ والأغانى (ثقافة) ٢٦١/١٦
وليس فيه البيت الأول.

(٣) الموءتلف والمختلف ٦٧ وسماه الامدى ابن براق الشالي .
وهذه الأبيات من قصيدة لعمرو بن برة من كتب منتهى الطلب
في قصائد جاهلية نادرة ١٠٢ وما بعدها والاختلاف في تقديم
وتأخير الأبيات يسير وسبق شرحها ص ٢٤٥ من هذا البحث.

وانصاف الأعداء بالاعتراف بسطوتهم وبأسهم وقدرتهم على هزيمة القوم ،
انصاف رائع ونبيل ويفوقه في المكانة الاشادة بهم ومهارتهم في فنون القتال
وحنكتهم في الحرب وتفوقهم على القوم في الثبات والجرأة والمقاتلة ، وحسبنا
أن نورد قصيدة " خدش بن زهير " التي قصرها على هذا المعنى ، في
اليوم الرابع من أيام " الفجار الثاني " وكان بين " قيس " قومه و " كنانة
وبكر " يبدأ قصيدته بالثناء على قريش وانهم لا يزالون منصورين فيما مضى من
الأيام فيقول : (١)

أَتَنَا قَرِيشٌ حَافِلِينَ بِجَمْعِهِمْ وَكَانَ لَهَا قَدَمًا مِنَ اللَّهِ نَاصِرُ

وكذلك يثني على " بكر " وكنائسها القوية :

فَلَمَّا دَنَوْنَا لِلْقُبَابِ وَأَهْلِيهَا أُتِيحَ لَنَا ذَنْبٌ مَعَ اللَّيْلِ فَاجِرُ

ولا يخفى بغض قومه لقريش وتعنى الظفر بها ، لولا أن حالت " بكر " دونهم (٢)

فلم يستطيعوا " لبكر " دفعا لقوتهم ومهارتهم في القتال :

وَكَانَتْ قَرِيشٌ لَوْظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ شَفَاءً لَمَّا فِي الصَّدْرِ وَالْبُغْضُ ظَاهِرُ

حَيْثُ دُونَهُمْ بَكَرٌ فَلَمْ نَسْتَطِعْهُمْ كَانَهُمْ بِالْمَشْرِقِيَّةِ سَامِرُ

ويختتم قصيدته بذكر انهزام قومه أمام " كنانة وبكر " بعد يوم ذاقوا

فيه العناء وضاق عليهم الفضاء :

وَمَا بَرَحَتْ بَكَرٌ تُثَوِّبُ وَتَدْعِي وَيَلْحَقُ مِنْهُمْ أَوْلُونَ وَآخِرُ

(١) القصيدة في " شعر خدش بن زهير العامري " ٥٦٦ - ٥٦٧ .

(٢) هم بكر كنانة .

لدى غدوة حتى أتى الليل وانجلى غمامة يوم شره متظاهراً
(١) وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت هوازن ورفضت سليم وعامر
ولولا بيته الذى ختم به القصيدة واعتذرن فيه عن الهزيمة بالحظ الذى وقف
الى جانب قريش وتخلى عنهم لكانت قصيدته - وان كانت كذلك - ذروة

الانصاف والمنصاف :

(١) وكانت قريش يفلق الصخر جدّها
ان اأوهن الناس الجدود العواثر

(ك) الاعتراف بالهزيمة

وأحيانا لا يجد الشاعر مفرًا من الاعتراف باندحار قومه أمام جموع

الأعداء المحتشدة ، وهنا يسلك إحدى سبيلين :

١ - إما أن يحاول التخفيف من وطأة الهزيمة ولا يعترف بها صراحة

- وان صرح بها - جاء التصريح مواكبا لبعض المعانير أو الافتخار بالمجد

السالف ، أو وقوف الحظ دون القوم ، ويمكن أن نطلق على هذا النوع من

الانصاف الخفي : " الاعتراف الضمني أو غير المباشر بالهزيمة " وهو كذلك

تنويه خفي بمقدرة الأعداء .

٢ - الاعتراف صراحة بالهزيمة ، بل وتعمير القوم بها ، والتنديد

بمن يفر من القتال ، وهذا هو " الاعتراف المباشر والانصاف الواضح " .

ونبدأ بالانصاف الخفي - وهذا يتمثل بفخر الشاعر أن قومه قد

قتلوا من اعدائهم فارسا يكافي* من قتل منهم ، وانهم ردوا اعتبارهم من هزيمة

سابقة بهزيمة مثلها .

يقول " حاجز بن عوف الأزدى " :

قتلنا ناجياً يقتلِ فيهم
وخير الطالبِ الثرة الغشوم (١)

وقوله :

إِنْ تَذَكَّرُوا يَوْمَ الْقَرَىٰ فَإِنَّهُ
بِوَاءٍ بِأَيَّامٍ كَثِيرٍ عَدِيدُهُهَا (٢)

وقول مالك بن عمرو الأُسدي :

إِذَا مَا الدَّهْرُ رَفَعَ عَنْ أَنْسِ
كَلَّاكَلُهُ أَنْأَخَ بِأَخْرَيْنَا

(١) قصائد جاهلية نادرة ٧٢ .

(٢) الاغاني (ثقافة) ٢١٥ / ١٣ .

(١) فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وأما ان يعزوه زيمتهم الى الحظ وأنه السبب المباشر للمهزيمة مع ان القوم بذلوا

غاية جهدهم في المنافة والمدافعة ، وقد مر بنا قول " خدش بن زهير ":

(٢) وكانت قريش يفلق الصخر جدها اذا أوهن الناس الجدود العواثر

وقول " دخنتوس بنت لقيط الدارمية " يوم شعب جيلة :

(٣) عصوا بسيف الهند واعتكرت لهم براكا موت لا يطير غرابها

ويقول " بشر بن أبي خازم " يذكر معاندة الحظ وبنوه بالأعداء :

تراؤا لنا بين النخيل بعارضي كركن أباً مطلع الشمس أخضرا

(٤) فصعنا ولم نجبن ولكن تقاصرت بإخواننا عند الجدود تقصرا

وقد ينسب الشاعر نصر الأعداء وتفوقهم الى سبب ديني محض كأن يكونوا مؤيدي

من عند الله مثلا أو أن الله قد كتب لهم النصر على أعدائهم ، وسبق قول :

" خدش بن زهير " في قريش وكانوا يدعون " أهل الله " و " سكان الحرم ":

(٥) أتتنا قريش حافلين بجمعهم وكان لها قدما من الله ناصر

أو الاذعان لارادة الله وقدرته وأنه الناصر والمعين ، ينصر من يشاء ويخذل من

يشاء ، كما يقول " سلامة بن جندل السعدي " :

(٦) عجلتم علينا حججتين عليكم وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

-
- (١) حماسة البحتری ١٠٣ وهي في الوحشيات ٢٨ لفروة بن مسبك المرادي .
(٢) شعره ٥٦٧ وهي في الاصمعيث ٢١٧ والمفضليات ٣٦٤ منسوبة لعوف بن
الاحوص .
(٣) النقاظ ٦٦٦
(٤) ديوانه ٠٩٨
(٥) شعره ٥٦٦ وانظر ديوان سلامة بن جندل ١٨٣ وما بعدها .
(٦) ديوانه ٠١٨٤

ومن التعليل الطريف للهزيمة قول " شيخ من بني شيبان " يوم " ذي طلوح " :
فما أدري أجبنًا كانِ طَبِيَّيْ
أُم الكُوسَى إِذَا عُدَّ الحَزِيمُ (١)
وهكذا نرى وهج الانصاف يخفت في هذا اللون من الوان الاعتراف باللهزيمة ،
ولكن لا يزال له شعاع - وان كان ضئيلا - وعلى أية حال فهو يسدى ما عند
العربي من مقدرة على كبت مشاعره الذاتية ومحاولة الاعتراف بالامر الواقع .
وهناك طائفة من الشعراء كانوا أكثر صراحة ووضوحا فتحدثوا عن الامور والمواقف
كما حدثت دون تزيف أو مبالغة .

في مثل قول " البراء بن قيس الكندي " ، في يوم " الكلاب الثاني " :
قَتَلْتَنَا تَعِيمٌ يَوْمًا جَدِيدًا قَتَلَ عَابٍ وَذَاكَ يَوْمَ الكُلَابِ (٢)
فهو لا يرى فائدة او جدوى من العناد والمكابرة ، وكأنه يتمثل بقول " زيان بن
سيار الفزاري " يتفجع على قومه :

لَئِن فُجِعْتُ بِالْقُرْبَاءِ مِنْي
وَمَا تَبْقَى الْمَنِيَّةُ حِينَ تَأْتِي
وَمَا تَبْقَى الْمَنِيَّةُ حِينَ تَأْتِي
وَمَا تَبْقَى الْمَنِيَّةُ حِينَ تَأْتِي
لَقَدْ مَتَعْتُ بِالْأَمْلِ الْبَعِيدِ
عَلَى أَدْنَى الْأَحْبَةِ مِنْ مَزِيدِ
وَلَسْنَا بِالسَّلَامِ وَلَا الْحَدِيدِ (٣)

ومن الاعتراف المباشر الصريح باللهزيمة قول " أوس بن حجر " يوم " زبالة " :
وَصَبَّحْنَا عَارًا طَوِيلَ بِنَاوِهِ
نَسَبُ بِهِ مَا لَحَ فِي الْأَفْقِ كوكِبُ (٤)

(١) أيام العرب ١٨٧ .

(٢) الاغانى (ثقافة) ١٦ / ٢٦٣ .

(٣) ذيل الامالي ٥١ .

(٤) ديوانه ٦ .

وقول "خداش بن زهير":

(١) وما زال ذاك الدأبُ حتى تخاذلتُ هوازنُ وأرفضتُ سليمُ وعامرُ

وقول "المهلhel":

(٢) غلبونا ولا محالة يوماً
ويقلب الدهر ذاك حالاً فحالاً

وقول "الأفوه الأودي" يوم "خزازی":

(٣) كان الفخارُ يمانياً منقحطيناً
وأراه أصبح شامياً متزراً

وربما لا يكتفي الشاعر بالاعتراف بالهزيمة وإنما يعير قومه بها ، صنع "امرأة

(٤) من غامد" في هزيمة "ربيعة بن مكرم" لجمع غامد وحده :

ألا هل أتاها على نأيهما
بما فضحت قومها غامدُ

تمنيتُم مائتي فارسٍ
فردكم فارسٍ واحداً

(٥) فليت لنا بارتباط الخيو
لِضأنائها حالب قاعدُ

والاعتراف بالهزيمة لم يكن شيئاً هيناً على العربي وإنما كان وقعه قاسياً على قلبه ونفسه ، حيث يرى قومه وقد اخنى عليهم الدهر وفتت الأيام في عضدهم لذا نراه يتلمس المعاذير لهم فغير الحظ وكثرة الأعداء . . . الخ يلقي باللائمة على الأُحلاف والموالي الذين لم يعملوا بواجب الولاء والحلف .

(١) شعره ٥٦٧ .

(٢) شعراء النصرانية ١٧٩ .

(٣) ديوانه ١٥ من مجموعة الطرائف الأدبية .

(٤) لم ينسبها الجاحظ في البيان والتبيين ١/٢٤٩ .

(٥) انظر الرسالة المصرية لابي الصلت الاندلسي في نوادر المخطوطات ١/٣٦

واخبار العلماء / للقفطي ١٤٣ .

في مثل قول " الخصفي المحاربي " يعتب على " بني ذبيان " تخاذلهم

في الحرب وجنوحهم الى السلم بعد هزيمتهم :

من مبلغ سعد بن نعمان مالكا وسعد بن ذبيان الذي قد تختما
فريقى " بني ذبيان " ان زاع رأيهم وان سعطوا صابا علينا وشبرما
جنيتم علينا الحرب ثم ضجعتم الى السلم لما أصبح الا مرهبهما (١)

وقول " مالك بن العجلان الخزرجي " :

لكن موالبي قد بدالهم رأى سوى ما لدى أضعفوا
ياما يخيمون في اللقاء وإما ودهم للصديق مضطعفا (٢)

وما أشد مرارة " عمرو بن معديكرب " وأساه في قوله يلوم " جرما " على

تخاذلها ونكوصها عن القتال ، في أبيات له :

لحا الله جرما كلما نذر شارق وجوه كلاب هارشت فأنارت (٣)

(١) الفضليات ٣١٨ . مالكا : رسالة . تختما : لبس العمامة وتكبر ،

الصاب : الصبر . وشبرم : شجر مر ، ضجع : مال .

(٢) ومالك بن العجلان سيد الخزرج والأوس في زمانه في الجاهلية

وكان اذا حارب تنكر وغير لباسه لئلا يعرفه خصومه فيقصده . وهو

الذى أذل اليهود للأوس والخزرج وكان معاصرا لأحيحة بن

الجلاج . انظر ترجمته في ديوان احيحة والاغاني (دار) ١٨/٣ - ٤٠

وجمهرة اشعار العرب ٦٣٧/٢ وموسوعة الشعر العربي ٥٥٥/٤

والبيت الاول في ديوان حسان بن ثابت ١٨٣ والبيت الثاني من موسوعة

الشعر العربي ٥٥٦/٤ وجمهرة اشعار العرب ٦٣٨/٢ ويخيمون : يجبنون .

(٣) ديوانه ٤٤ وانظر الاصمعيات ١٢٢ .

وقد يبذل القوم جهدهم ويبلون بلاءهم في الحرب ولكن رهطاً أو فرعاً من القبيلة يتوانى ويتقاعس كما حدث يوم "تحلاق اللحم" فان بكراً (كلها صبرت وأبليت فحسن بلاؤها) إلا ما كان من ابني لجيم : حنيفة وعجل ، و"يشكر بن بكر" فان "سعد بن مالك بن ضبيعة" جد "طرفة بن العبد" هجاهم في ذلك اليوم فقال :

إِنَّ لَجِيماً عَجَزَتْ كُلُّهَا أَنْ يُرْفِدُونِي فَارِسًا وَاحِدًا
وَيَشْكُرُ الْعَامُ عَلَى خِتْرِهَا لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ لَهُمْ حَامِدًا (١)

والفرار لون من ألوان الانصاف ، ومن البدهي ان نعلم ان الفرار ينافي الشجاعة والفروسية ، ولكن النصوص التي وصلتنا تذكر أن مفاويرا لشجعان كانوا يفرون . ولا يعني هذا أن الفرار كان فضيلة بل انه عاراً عاراً ، يوصم به الفار ويلحق العار بنفسه وقومه . غير أن القرار قد يكون في موقف من المواقف ضرورة ملحة تقتضيها مصلحة القوم واساليب الحرب .

والفرار في حد ذاته وان كان بغيضاً ومكروهاً / من شيم النفس هو

الانسانية التي تفضل الحياة على الموت اذا رأت في الفرار حياتها .

والفروسية ليست القاء النفس الى التهلكة دون روية أو حزم ، انما هي قوة حين تجدى القوة والشجاعة ، وانسحاب ونجاء بالنفس حين لا مفر سواه .

والعرب بعامتهم - كما سبق - تميزوا بالشجاعة والاقدام وقد اشتهر منهم

فرسان ابطال ضربوا الامثلة في فنون الكر والفر وخوض غمار الموت دون

مبالاة .

هو لاء الأبطال المشهورون فروا ، ولحقهم ما يلحق غيرهم من عار الفرار .

وأشهر هو " لا الأبطال وأبعدهم صيتا " عنتره بن شداد " فر من " عويمر

ابن أبي عدى " فأخذ " عويمر " ماله وقال :

تركتُ بني زبيبة غير فخرٍ يجبوا الماءَ ليس لهم بعيرُ

أحير الناسَ قد علمت معدَّ ومالي غير سفي من مجير (١)

وقد عير " المتكب السلمي " عنتره " بفراره وقال :

أعتر ما صبرت لنا ولكن جزمت وما المحافظ كالجزوع (٢)

ولعل عنتره اعتذر عن نفسه بأنه لم يكن ليلقى نفسه الى التهلكة قائلا :

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة وإلا تكن لي فرصة فجان (٣)

(١) معجم الشعراء ٢٤٦ و عويمر شاعر جاهلي فارس ، لم أقف له على ترجمة .

(٢) ذاته ٢٤٦ .

(٣) هذا البيت يغلب على ظني اني قرأته في بعض المصادر منسوباً لعنتره

- ولم يسعفني البحث بالعثور عليها أو تذكرها ولم أجده في ديوانه ، وقد عثرت عليه اثناء بحثي في كتاب " عيون الاخبار " لابن قتيبة ١/١٦٣ في حديث معاوية بن أبي سفيان مع عمرو بن العاص ، وقال عمرو لمعاوية : لقد أعيانني أن اعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال : شجاع .. الخ ولعل معاوية كان يستشهد بهذا البيت ولم ينشئه على عاداته في الاستشهاد بأشعار الفرسان في الجاهلية والاسلام ، وقد استشهد في يوم " صفين " بقول عمرو بن الاطنابة :
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحي
... الخ الأبيات

انظر ما قيل في الفرار والجبن " ١٥٣ - ١٧٧ من كتاب " الحرب

والفروسية " من عيون الاخبار لابن قتيبة والأُمالي ١/٢٥٨ .

ومن الشجعان الأبطال الذين فروا " عامر بن الطفيل " في يوم " فيف الريح " ولقبه " عاصم بن الوارث " (منحدرًا من تهامة فقال له عاصم : ما اسمك فوالله لا تقتلك أو لتقتلني ؟! فقال عامر : هل لك في خير من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : فرسي هذه أعطيك أياها . قال : اربطها إلى السمرة ، فأخذها عاصم وقال :

أَسْلَمَهَا ابْنُ كَبْشَةَ إِذْ رَأَيْتَنِي يَكْفِي الرِّيحَ وَهُوَ بِهَا ضَنِينُ
وَلَوْلَا ذَاكَ دَقَّ الصُّلْبَ مِنْهُ سَنَانٌ تَسْتَجِيبُ لَهُ الْمُنُونُ
فَرَاخَ " ابْنُ الطُّفَيْلِ " بِإِلَاجٍ لَهُ فِي إِثْرِهَا أَبَدًا حَنِينُ (١)

ومن الفرسان المشهورين " بسطام بن قيس الشيباني " أبو الصهبا " فريوم " العظالي " ومن يضرب بهم المثل في الشجاعة " عمرو بن معد يكرب " فرعن " بني عبس " وفيهم " زهير بن جذيمة العبسي " وولده " شأس بن زهير " و " قيس بن زهير " وقد/امراته بالفرار ، فقال معتذرا ومنصفا :

أَجَاعِلُهُ أُمَّ التُّوَيْرِ خَزَايِمَةَ عَلَيَّ فَرَارِي إِذْ لَقِيتُ بَنِي عَبْسِ
لَقَوْنَا فَضَمُّوا جَانِبَيْنَا بِصَادِقِ مِ مِنْ الطَّعْنِ حُشَّ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْيَبْسِ
لَقِيتُ أَبَا شَأْسٍ وَشَأْسًا وَمَالِكًا وَقَيْسًا فَجَاشَتْ مِنْ لِقَائِهِمْ نَفْسِي
كَأَنَّ جُلُودَ النَّعْرِ جِيئَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا جَفَجَعُوا بَيْنَ الْإِنَاخَةِ وَالْحَبْسِ
وَلَمَّا دَخَلْنَا تَحْتَ فَيْ رِمَاحِهِمْ خَبِطْتُ بِكَفِّي أَطْلُبُ الْأَرْضَ لِلْمَسِ
وَلَيْسَ يِعَابُ الْمَرْءِ مِنْ جُنِّ يَوْمِهِ إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ (٢)

(١) معجم الشعراء* للمرزباني ٢٧١ وعاصم شاعر فارس جاهلي لم أقف له

على ترجمة .

(٢) ديوانه ١١٩ وانظر العقد الفريد ١٠٣/١ وتروى لأمس بن حجر في

ديوانه ص (٥) والصحيح نسبتها لعمرو .

ولعمرو نظرتة الخاصة للفرار ، فمهر يقربه ولا ينكره ، كما أنه شجاع لا يهاب الموت ، وهو بكلتا الخصلتين موسوم ، ولكل منهما أوان ، يقول عمرو :

ولقد أجمع رجليَ بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَفَرُّورٌ
ولقد أعطفها كارهةً حينَ للنفسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرٌ
كل ما ذلك مني خلوق ويكل أنا في الحرب جدير (١)

وللفرار فرص لا بد أن تهتبل فان فاتت فلا مجال سوى المواجهة ، فقد أراد قوم التغلب على مياه " ضبة " ، وكان " أبو شامة " مقبلاً عليها فطردهم هو وقومه ، فيذكر أنه فكر بالفرار إلا أنه لم يجد مناصاً من الدخول في المعصنة وقال :

أَقْرَبُ مِنَ الشَّرِّ فِي رِخْوَةٍ فَكَيْفَ الْفِرَارُ إِذَا مَا اقْتَرَبُ ؟ (٢)

وليشاعة الفرار ، وقبحه حاول كثير من الشعراء الذين اضطرتهم ظروف القتال إلى الهرب والفرار ان يصفوا عليه مسحة من الحسن ، وقد بلغوا في ذلك شأواً بعيداً حتى أن صاحب " رتبيل " قال (يا معشر العرب حسنتم كل شيء) فحسن حتى الفرار (٣) .

وذلك لما سمع أبيات " الحارث بن هشام " في اعتذاره من الفرار يوم بدر ومنها :

(١) ديوانه ١٠٢ وانظر العقد الفريد ١٠٤/١ وذييل الامالي ١٤٧ .

(٢) الحماسة بشرح المرزوقي ٥٧٩ .

(٣) العقد الفريد ١/٩٩ .

الله يعلم ما تركت قتالهم
وعلت أنني إن قتلت واحداً
فصدفت عنهم ولا حبة فيهم
حتى رموا مهري بأشقر مزبد
أقتل ولا يضر عدوي مشهدي
طمعاً لهم بعقاب يوم مرصده (١)

(ومن أشعار الفرارين الذين حسنوا الفرار على قبحه حتى حسن قول

الفرار السلي :

وكتيبة لبستها يكتيبة
وتركتهم تقص الرماح ظهورهم
هل ينفعني أن تقول نساؤهم
حتى إذا التبتت نفضت لهايدي
من بين مقتول وآخر مسند
وقلت دون رجالها لا تبعده (٢)

ومن أحسن ما قيل في الفرار ما قاله " قيس بن الخطيم " :

إذا ما فررنا كان أسوأ فرارنا
صدود الخدود والقنات مشاجر
ولا تبسح الأقدام عند التضارب (٣)

وقول " مالك بن أبي كعب الأنصاري " :

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً
وأنجونا غم الجبان من الكرب (٤)

(١) العقد الفريد ١/٩٩٠

(٢) المرجع نفسه ١/٩٩٠ والحرب والفروسية من عيون الاخبار ١٥٣

والفرار السلي اسمه حيان أو حيان بن الحكم بن مالك السلي من الشعراء المخضرمين كان يسمى في الجاهلية الفرار لأنه فر من بني عوف . انظر ترجمته المحبر ٤٤٩ والتبريزي ١/١٨٥ والحماسة

بشرح العرزوقي

(٣) ديوانه ٤١ وانظر العقد الفريد ١/١٠٥ وحماسة البحتري ٤٢

(٤) حماسة البحتري ٤٢

والفرار مهما حظي بلمسات التحسين ومحاولات التجميل لا بد أن يسفر عن وجه كربه خاصة اذا جر على القوم هزائم ومصائب، أو كان من فارس تعلق عليه القبيلة امالها في النصر، كما قالت "سلى بنت المحلق" تعبير "مالك بن كعب" و"الطفيل" بفراره يوم النصار:

(١) لحي الله أبا ليلى يفرّته
يوم النصار وقنب العير جواباً
كيف الفخار وقد كانت بمعترك
يوم النصار بنو ذبيان أرباباً
لم تمنعوا القوم ان شلوا سوامكم
ولا النساء وكان القوم أحزاباً (٢)

وقول "العوام بن شاذب" ينعى على "بسطام بن قيس" فراره يوم
"العظالي":

وفر أبو الصهباء إذ حمس الوغى
وألقى بأيدان السلاح وسلماً
وأيقن أن الخيل إن تلبس به
تأم عرسه أو يملأ البيت ماتماً
ولو أنها عصفورة لحسبت لها
مسومة تدعو عبداً وأزناً (٣)

وقول "دخنتوس بنت لقيط" تسخر من النعمان، وتصفه بالشجاعة - زيادة

في النكاية والهزء به لفراره يوم "شعب جيلة":

فرا بن قهوس الشجاء
ع ويكفه رنج متل
يعدو به حاظي البضي
ع كأنه سيمع أزل (٤)

(١) هكذا ولعله (لحا).

(٢) النقائض ٢٤٢.

(٣) معجم الشعراء ٣٠٠ والنقائض ٥٨٤ - ٥٨٥ وتأم لعلها (ثم).

(٤) النقائض ٦٥٦.

وانما يختص الفارس الشجاع بالسخرية والتعمير بفراره لمكانته في القوم ، وان
فر القوم من وجوه الأعداء صب الشاعر غضبه عليهم دون استثناء ، كما يقول
" العوام بن شاذب الشيباني " في " يوم الغبيط " :

قَبِحَ لِلإِلهِ عِصَابَةٌ مِنْ وَائِلٍ يَوْمَ الأُفَاقَةِ أُسْلِمُوا بِسْطَامَا
وَرَأَى أَبُو الصَّهْبَاءِ دُونَ سَوَامِهِمْ عَرَكًا يُسَلِّي نَفْسَهُ وَزِحَامَا
كُنْتُمْ أُسُودًا فِي الرَّخَا فَوُجِدْتُمْ يَوْمَ الأُفَاقَةِ بِالأَغْبِيطِ نَعَامَا (١)

وقد عبرت " دخنتوس " " بني أسد " و " هوازن " وهم أعلام تميم يوم شعب
جبله بالانهزام والفرار فقالت :

فَرَّتْ بِنُو أُسْدٍ حَرُودَ الأَ — طَيْرٍ عَنِ أَرْبَابِهِمُ —
وَهَوازِنَ أَصْحَابِهِمُ — كَالْفَأْرِ فِي أَرْبَابِهِمُ —
لَمْ يَحْفَظُوا حَسَبًا وَلَمْ — يَأْوُوا لِقِي عِقَابِهِمُ — (٢)

وينبغي عمرو بن معديكرب على قومه تخاذلهم ونكوصهم عن القتال فيقول :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي انْطَقَتْنِي رِمَاحِهِمْ نَطَقْتُ وَلَكِن الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ (٣)

ومر بنا قول " عبد يفيث الحارثي " :

جَزَى اللهُ قَوْمِي بِالكُلابِ مَلامَةً صَرِيحُهُمُ والأَخْرِينِ المَوالِيَا (٤)

وقول " مالك بن حطان التغلبي " يوم غشاوة :

وَمَا ذَنبُنَا أَنَّا لَقِينَا قَبِيلَةً إِذَا وَأَكَلَتْ فُرسَانُنَا لا تُواكِيلُ (٥)

(١) النقااض ٥٨٥ - ٥٨٦ .

(٢) المرجع نفسه ٦٦٦ .

(٣) ديوانه ٤٥ والبيت في الاصمعيات ١٢٢ .

(٤) المفضليات ١٥٢ .

(٥) النقااض ٢٣ .

والاعتراف بفرار الفارس والقوم من ساحة الوغى شهادة بالتفوق للفريق الاخر
وهذا انصاف يجمع بين الانصاف الواضح الصريح والانصاف المستتر، فهو
صريح لأنه اعلان بفرار القوم أو الفارس وهو مستتر لأنه لا ينطق بقوة الاعداء
صراحة ولا يشيد بهم. والجمع بين الاعتراف بياس الاعداء والفرار من امامهم
انصاف حقيقي، وهذا اللون من الانصاف كثير الورود في الشعر الجاهلي (١)،
وحسبنا ان نأخذ امثلة قليلة على ذلك منها قول "أزهر بن هلال التميمي"
يقربفراره وينصف خصومه :

أَعَاتِكُ مَا وَلَيْتُ حَتَّى تَبَدَّدَتْ رَجَالِي وَحَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَقَدِّمًا
وَحَتَّى رَأَيْتُ الْوَرْدَ يَدِينِي لِبَانِهِ وَقَدْ هَزَّهُ الْإِبْطَالُ وَأَنْتَعَلَ الدَّمَ
أَعَاتِكُ إِنِّي لَمْ أَلَمْ فِي قِتَالِهِمْ وَقَدْ عَضَّ سَيْفِي كَبَشَهُمْ ثُمَّ صَمًا
أَعَاتِكُ أَفْنَانِي السَّلَاحِ وَمَنْ يُطِلُّ مُقَارَعَةَ الْإِبْطَالِ يَرْجِعُ مُكَلَّمًا (٢)

وأما الحارث بن وعلة الجرمي " فقد كان واضحاً في انصافه غاية الوضوح ،

في قصيدته التي قالها " يوم الكلاب الثاني " ومطلعها :

فِدَى لَكُمْ رَجُلِي أُمِّي وَخَالَتِي غُدَاةَ الْكَلَابِ إِذْ تَحَزُّ الدَّوَابِرُ (٣)

وفيهما يقول :

نَجَوْتُ نَجَاءً لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ كَأَنِّي عِقَابٌ عِثْلَتَيْمَنُ كَاسِرُ
خُدَارِيَّةٌ سَفَفَاءٌ لَبْدٌ رِيْشَهَا مِنْ الطَّلِّ يَوْمٌ نُوْ أَهَا ضَيْبٌ مَاطِرُ (٤)

(١) انظر حماسة البحتری ص ٤١ - ٤٣ و ٤٩ - ٥٥

(٢) حماسة البحتری ص ٤١ ولم اجد لأزهر هذا ما أترجم له به .

(٣) المفضليات ١٦٥ والاغاني (ثقافة) ١٦١/٢٦١ .

(٤) المفضليات ١٦٥ .

ويذكر أن الأعداء كانوا في غاية القسوة والعنف :

(١) فمن يك يرجو في تميم هوادة
فليس لجرم في تميم أو اصبر

وحتى في الفرار اختلط الحابل بالنابل ، واهتم كل امرئ بنفسه غير مبال

بالقراية والرحم :

يقول لي النهدي : إنك مرد في
وكيف رداق الفل ، أمك عابر
يذكرني بالرحم بيني وبينه
وقد كان في نهدي وجرم تدابر

وينصف الأعداء ويذكر قوتهم وخيولهم وما أثاره منظرهم من الفزع والهلع

في قلبه فيقول :

(٣) ولما رأيت الخيل تترى أثناعجا
علمت بأن اليوم أحسن فاجر

وإذا كان الفرار ضربا من الانصاف فإنه عند الشعراء الصعاليك فن من فنون

القدرة على الجري واعجاز الملاحقين ، إذ كانت السمة الغالبة لقتالهم هي

الهجوم المفاجيء والمباغت واحراز المغنم والفرار بسرعة من وجوه القوم ، وكلما

كان فراره سريعا ومعجزا لملاحقيه استدعى ذلك فخره واعتزازه على حد

قول " تأبط شرا " :

(١) المفضليات ١٦٦ .

(٢) المرجع نفسه ١٦٦ .

(٣) المرجع نفسه ١٦٦ .

لا شيء أسرع مني ليس ذا عذرٍ وذا جناحٍ يجنب الريد خفاقٍ
حتى نجوت ولما ينزعوا سلبتي بواله من قبض الشد غيداقٍ (١)

وقول " حاجز بن عوف الأزدى " يذكر فراره من " بني خثعم ":

وكانما تبع الفوارس أرنبا أو ظبي رابية خفانا أشعبا
وكانما طردوا يدي نهراته صدعا من الأروى أحسن مكلبا
أعجزت منهم والأكف تنالني ومضت حياضهم وأبوا خيببا (٢)

وكان الشعراء الصعاليك كانوا في منافسة على السرعة في الهرب، ويعدونه ضربا من ضروب الرياضة والاقتدار، ويحكي عنهم وعن سرعتهم الأعاجيب .

(١) ديوانه ١٣٣، ١٣٤٠ .

تأبط شرا هو ثابت بن جابر بن سفيان يكنى "أبا زهير" وهو فهمي من مضر شاعر جاهلي عذا من فتاك العرب في الجاهلية . من أهل تهامة ، شعره فحل يقال انه كان يلحق الظبي فلا يفوته ، ووجدت جثته بعد مقتله وله ديوان شعر مطبوع .

انظر ترجمته في ديوانه وخرانة الأدب ١/٦٦ ، ٣٥٨/٣ ، ٤٦٧ .

والمحبر ١٩٦ والتبريزي ١/٣٧ والمبهج ١٧ .

ذا عذر : يعني فرسا ، والريد : أعلى قمة الجبل .

خفاق : كثير الخفقان وهو الطير .

الواله : زاهب العقل ، قبض الشد : سريع العدو .

غيداق : الكثير الواسع .

(٢) الاغاني (ثقافة) ١٣/٢١٨ .

هذه النظرة للفرار عندهم ذات دلالة اخرى أو انها اصطفت بصبغة
مميزة عند " شعراء هذيل " فالفرار عندهم لون من ألوان البطولة
يمتدحون به ويفتخرون .

ولعل شعراء هذيل قد اقتصوا من بين شعراء العرب بعدم الامتعاض أو
الاستنكاف عن ذكر فرارهم ، فاذا كان الفرار بمجمله عند العرب عارا وخزيا
فهو عندهم ان لم يكن بطولة فهو لا ينافي الاقدام والشجاعة فكما يفخرون
باقدامهم يفخرون بهربهم وفرارهم .

ولكن تضمن الفرار معنى الهزيمة فإن ذكره الذي نتجج به قصائد الهذليين
يدل على أنهم لم يعتذروا منه أسوة بغيرهم من شعراء العرب .
والأعجب من ذلك أنهم يصورون فرارهم وكأنه ملحمة عظيمة ويصورون الفرار
حركاته وسكناته في صور ساخرة ضاحكة .

ويكفي أن نورد مثالين فقط لشاعرين من شعراء هذيل يدلان على ما نقول
يقول " مالك بن خالد الخناعي الهذلي في غزوة قام بها وقومه على
" بني مزينة " يذكر فراره في صورة طريفة :

طرحتُ بذي الخبتين سمعني وقربتني	وقد ألبوا خلفي وقل المسارب
فكنتُ امرأً في الوعث مني فروطة	فكل ريبود حالق أنا واثيب
فما زلتُ في خوفٍ لدن أن رأيتهم	وفي وابلٍ حتى تقصى المناقب
فوالله لا أغزو مزينة بعدها	بأرضٍ ولا يغزوهم لي صاحب
أشق جواز البيد في الوعث معرضاً	كأنني لما قد أيسس الصيف حاطب
غيالٍ وأنشالٍ وما كان مقلبي	ولكن حمى ذاك الطريق المراقب

وَيَمْتُ قَاعَ الْمُسْتَحِيرَةِ إِنِّي
يَأْنُ يَتَلَاوُوا آخِرَ الْيَوْمِ آرِبُ
جِوَارَ شَطِيَّاتٍ وَيَدَا أَنْتَحَى
شَمَارِيخَ شَمًا ، بَيْنَهُنَّ خَبَائِبُ
فَلَا تَجْزَعُوا إِنَّا أَنَا كِمَثَلِكُمْ
خُدَيْفَنَا وَنَجْتَنَا الْمُنَى وَالْعَوَاقِبُ (١)

ويقول " حبيب الأعلم " في قصيدة له :

لَمَا رَأَيْتُ الْقَوْمَ بِالْعَالِ
يَأْ دُونَ قَدَى الْمُنَاصِبِ
وَفَرَيْتُ مِنْ فَزَعٍ فَلَا
أُرْمِي وَلَا وَدَعْتُ صَاحِبِ
يُغْرُونَ صَاحِبَهُمْ بِنَا جَهْ
دَا وَأُغْرَى غَيْرَ كَاذِبِ
أُغْرَى أَبَا وَهْبٍ لِيُعْنَى
جَزَهُمْ وَمَدَّوَا بِالْحَلَائِبِ
مَدَّ الْمُجَلِّجِ ذِي الْعِمَا
، يُرَاحُ مِنَ الْجَنَائِبِ
يُغْرَى جَذِيمَةَ وَالرِّدَا
كَأَنَّهُ بِأَقْبَبِ قَارِبِ

(١) شرح اشعار الهذليين ٤٥٦ وما بعدها .

السعن : قدح صغير للحلب ، المسارب : المذاهب ،
الوعث : الرمل الذي تسوخ فيه الرجل ، الريد : حرفا يتدر من
الجيل ، حالق : مشرف ، وابل : عدد شديد ،
المناقب : طرق الجيل ، جواز : وسط ، المستحيرة : بلدة
يتلاووا : يتلاوموا ، شطيات : رؤوس الجبال ، بيدان : موضع
انتحى : أعتد ، الشماريخ : أعالي الجبال ، الشم : الطوال .
خبائب : طريقة بين ظهري الصخور . العواقب : بقية من
العيش .

ومنها قوله :

وَخَشِيتُ وَقَعَ ضَرِيْبِيَّةِ قَدْ جَرِيْتُ كُلَّ التَّجَارِبِ
فَأَكُونُ صَيْدَهُمْ بِهَيَا وَأَصِيْرَ لِلضُّبُعِ السَّوَاغِيْبِ
جَزْرًا وَلِلطَّيْرِ الْمُرِيْبِيَّةِ وَالذَّنَابِ وَاللشَّعَالِيْبِ
وَتَجْرُ مُجْرِيَّةً لَهُيَا لَحْمِي إِلَى أَجْرِ حَوَاشِيْبِ (١)

ولما فر من وجه " جذيمة العبدى " قال في قصيدة :

كُرِهْتُ جُذِيْمَةَ الْعَبْدِيِّ لَمَّا رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَجْهَدُ غَيْرَ الْيَسِي
وَأَحْسَبُ عَرَفَطَ الزُّورَاءِ يُوْدِي عَلَى بَوْشِكِ رَجْعٍ وَأَسْتِيْلَالِ
فَلَا وَأَيْبِكَ لَا يَنْجُو نَجَائِي غَدَاةَ لَقِيْتُهُمْ بَعْضُ الرَّجَالِ
بَذَلْتُ لَهُمْ بِيْدِي وَسَطَانَ شَدِي غَدَاتِيذِي وَلَمْ أَبْذُلْ قِتَالِي (٢)

ويفقد الفرار قيمته في الانصاف عند شعراء هذيل لان الفرار بمنظورهم ليس دليلا على مقدرة الأعداء بقدر ما هو دليل على حنكة الفارونجاته بنفسه ، وان اعترف ببأس الأعداء وملاحقتهم فهو من قبيل تصوير شدة موقفه ورهيبته وابلائه في الخلاص منهم .

(١) ديوان الهذليين ٣١٢ وما بعدها وحيب الاعلم هو أخو صخر الفس ولم اقف له على ترجمة .

قدى المناصب : الرامي ، فريت : فزعت وتحيرت ، مدا وبالغلاب : تبعوا الجماعات ، المحلجل : السحاب ، يراح : تصيبه الريح ، أقب : حمارا ضامر البطن ، قارب : يقرب الماء ، الجزر : قطع اللحم ، العربية : الثابتة ، ذات مجرية : الكلبة ذات الاولاد ويقصد بها الثعلب ، حواشب : منتفحات الجوانب .

(٢) ديوان الهذليين ٣١٨ وما بعدها . العرفط : شجر له صمغ

كثير الرائحة . شدى : عدوى .

(ل) الأُسْرُومَعَانَاتُ

لا يخفى ما في الأُسْر من معاناة ، وعادة ما يكون الأُسْر من فلول المنهزمين ، والاعتراف بالأُسْر ومعاناته لون من ألوان الانصاف ، وسبيل لذكر قوة العدو وسيطرته على الموقف ولعل فيها نوعا من الالة قلبوب الأُسْرين واستدرار عطفهم ليكون ذلك شافعا له عندهم يفضي إلى اطلاق سراحه منا عليه .

وأبرز مثال لمعاناة الأُسْر ، وتجرحه مرارته وألم قيوده ، قصيدة " عبد يغوث بن وقاص الحارثي " التي قالها في يوم الكلاب الثاني " ودارت فيه الدائرة على قومه " بني مذحج " وأسره " بنو تميم " وكان قائدا القوم ، فقرروا قتله بوا " بالنعمان بن جساس " . فطلب منهم " عبد يغوث " أن يطلقوا لسانه ويسقوه خمرًا قبل قتله ، فأعطوه ما أراد ، وقطعوا عرقه " الأكل " فأنشأ قصيدته هذه في ذم قومه وعدم ثباتهم ، وفيها يتوسل إلى " بني تميم " ألا يقتلوه وأن يحسنوا معاملته ويقبلوا منه الفدية ، فهو ليس قاتل " النعمان بن جساس " .

يقول " عبد يغوث " :

أَمْعَشَرْتِمِ قَدْ مَلَكْتُمْ فَاسْجِحُوا فَا نْ أَخَاكُم لَمْ يَكُنْ مِنْ بُوَائِيَا
فَا نْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِي سَيِّدَا وَإِنْ تَطْلِقُونِي تُحْرِبُونِي بِمَالِيَا (١)

أما البراء بن قيس الكندي " فكان أسعد حظا من " عبد يغوث " ان افتدى نفسه ونجا بها من القتل ، وقال معبرا عن خوفه ووجهه من القتل في الأُسْر

(١) الفضليات ١٥٧ . اسجحوا : سهلوا ويسروا ، أخاكم : هو

النعمان بن جساس ، بوائيا : لم أقتله حتى تقتلونني به .

الذى ذاق به مرارة الهوان :

ترَكُونِي مَسْهَدًا فِي وَشَاقِ
أَرْقُبُ النَّجْمَ مَا أُسِيخَ شَرَابِي
خَائِفًا لِلرَّدى وَلَوْلَا دِفَاعِي
بِعَثِينَ عَنْ مَهْجَتِي كَالِهَضَابِ
لَسَقَيْتُ الرَّدى وَكُنْتُ كَقَوْمِي
فِي ضَرِيحٍ مُغَيَّبًا فِي التُّرَابِ
تَذْرِفُ الدَّمْعَ بِالْعَوِيلِ نِسَائِي
كِنِسَاءٍ بَكَتْ قَتِيلَ الرَّبَابِ (١)

وأخوف ما كان يخافه " الحارث بن ولة الجرمي " بعد القتل أن يقع أسيرا

في أيدي أعدائه ، ويصف شعوره وخوفه حال الفرار بقوله :

وَلَمَّا سَمِعْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مَقَاعِسًا
تَطَّالَعَنِي مِنْ شَفْرَةِ النَّحْرِ جَائِرُ
فَإِنْ أَسْتَطِيعَ لَا تَلْتَبِسْ بِي مَقَاعِسُ
وَلَا يَرِنِي مَبْدَاهُمْ وَالْحَاضِرُ
وَلَا تَكْ لِي حَدَادَةٌ مُضْرِيَّةٌ
إِذَا مَا غَدَتْ قُوْتُ الْعِيَالِ تُبَادِرُ (٢)

ومن مواقف الأسر كذلك ما ذكر من أن (فهم) كانت قد أسرت "قيس بن عيزارة" فتشاوروا في أمر قتله ، ولكنه نجا بأعجوبة ، وهو لا ينسى خوفه ذلك اليوم حين أجمعوا على قتله لاسرافه في دمائهم واعراضهم ، فسكن حقدهم بكلام لين بذل لهم فيه شياهمه وابله ، ولكنهم يريدون ماله ولا يبتغون اطلاقه ، وقد أمرت امرأة "تأبط شرا" الذى أسره بقتله سرا وقطع رأسه ولسانه ، فوافقها زوجها على رأيها ، ويتندم الشاعر ويدعو على نفسه بالهلاك والشلل ، ان لم يقاوم "تأبط شرا" حين أسره وأخذ سيفه وجره على

(١) الاغاني ٢٦٣/١٦ "ثقافة".

(٢) المفضليات ٠١٦٦.

الحصى فتثلم ولم يعد حادا قاطعا ، ويأسى على نفسه لأنه انقاد لآسره

كما تستسلم الضحية لمفترسها :

لعمرك أنسى روعتي يوم أقتد
وهل تتركن نفس الأسير الروائع
غداة تناجوا ثم قاموا فأجمعوا
بقتلي ليس فيها تنازع
وقالوا : عدو مسرف في دمائكم
وهاج لأعراض العشييرة قاطع
فسكنتهم بالقول حتى كأنهم
بواقر جرح أسكنتها المراتع
فقلت لهم شاء رغيب وجامل
فلكم من ذلك المال شابع
وقالوا : لنا البلها أول سوء لة
وأعراسها والله عني يدافع
وقد أمرت ريتي أم جنـدب
لاقتل لا يسمع بذلك سامع
تقول : اقتلوا قيساً وحزوا لسانه
بحسبهم أن يقطع الرأس قاطع
ويأمر بي شعل لاقتل مقتلاً
فقلت لشعل : بيثما أنت شافع
ويصدق شعل من فدائي بكرة
كأنك تعطي من قلاص ابن جامع
سكنتهم بزي نيميما ، ولم أكن
سألت عليه ، شل هني الأصابع
فياحسرتا إذ لم أقاتل ولم أرغ
من القوم حتى شد مني الأشاجع
فويل بجزر شعل على الحص
فوقر بزما هنالك ضامع
فإنك إذ تحدوك أم عويمر
لذو حاجة حاف من القوم ظالع (١)

(م) رثاء العدو وغير القوم

ان الرثاء في أصله ذكر لمناقب الميت في حياته وتعداد لمحاسنه ،
وتوجيه الرثاء لمن يقتل في ساحات الوغى فارسا كان أم جماعة من غير
القوم - انصاف وتقدير للمرثى ، وصرفه لغير القوم نبيل وشهامة من العدو
لذلك تنكر " زينب بنت مالك " أخت عامر بن مالك ملاعب الأُسنة
على من يلومها في رثائها " ليزيد بن عبد المدان " وتقول ذاكرة شمائله
معترفة بفضله عليها ، وكان قد أسرها من قبل وأخويها " عبدة وعامر "
فأطلقها من الأسر وردها الى أهلها عزيزة مكرمة مصونة :

ألا أيها الرّازي عليّ بأنّسي نِزَارِيَّةٌ تُبكي كَرِيمًا يَمَانِيَا
ومالي لا أبكي يزيدَ وردّني أَجْرُ جَدِيدًا مِدْرعي وَرِدَائِيَا (١)

وتصر على رثائه وتقول :

سأبكي يزيدَ بنَ عبدِ المدانِ على أنه الأُحلمُ الأَكْرمُ
رِمَاحَ من العِزّةِ مَرَكُوزَةً ملوكَ إِذَا بَرَزَتْ تَحْكُمُ (٢)

وقد رثى " رجل من بني الحارث بن فهر " (٣) ربيعة بن مكرم ،

(١) الاغاني (ثقافة) ١٩/١٢ ولم اعثر لزينب على ترجمة .

(٢) ذاته ١٩/١٢ .

(٣) انظر بلوغ الأرب ١٤٤/١ وقصص العرب ٢٤٦/٤

وأيام العرب ٣١٦ ومعجم الشعراء للعرزباني ٢٢١ وفيه ان اسمه
" عمرو بن شفيق بن سلامان بن عبد العزى بن عامرة بن عميرة بن
وديعة بن الحارث بن فهر القرشي " وقال : كان من فرسان قريش
في الجاهلية وشعرائهم ، وذكر بيتا من قصيدته هذه وقال : وهي
أبيات تتنازع ورويت لحسان بن ثابت وغيره .

ويقال : انه لما بلغ شعره " بني كنانة " قالوا : " والله لو عقرها - أي ناقته
لسقنا اليه الف ناقة سود الحدق .

ورثي الأجدع بن مالك الهمذاني " فرسانا من " بني ربيعة بن الحارث
ابن كعب " قتلهم قومه ، واختص منهم " الحارث بن يزيد " فوصفه بالخصال
الحميدة وسعة الكرم والجود ، فقال :

أَسَأَلْتَنِي بِرِكَائِبِ وَرِحَالِهَا وَنَسِيتَ قَتْلَ فَوَارِسِ الْأَرْبَاعِ
و " الحارث بن يزيد " وَيَحْكُ أَعْوَالِي حُلُوشَمَائِكِ رَحِيْبُ الْبَاعِ
فَلَوْ أَنَّني فُودَيْتَهُ لَفَدَيْتُهُ بِأَنَامِلِي وَأَجْنَهُ أَضْلَاعِي
تلك الرزية لا ركايب أُسَلِمَت بِرِحَالِهَا مَشْدُودَةَ الْأَنْسَاعِ (١)

ويذكر الرواة أن " عبدالله بن عنمة الضبي " كان مجاورا في " بني
شيبان " فلما قتل " عاصم بن خليفة الضبي " أحد " بني صياح " بسطام
ابن قيس بن مسعود سيد " بني شيبان " في يوم " نقا الحسن " خاف
" عبدالله " أن يقتل ، فقال قصيدته التي يرثي فيها بسطاما : (٢)

ومهما يكن من أمر فان المتمعن في ثنايا قصيدته يجد الصدق
واضحا ملموسا ، تفيض كلماتها بالاخلاص والانصاف ، ونقتطف منها هذه
الآبيات :

(١) الأُصمعيات ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) انظر النقائص ١٩٠ - ١٩٢ ، و ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، والعقد الفريد ٥٢/٦

وابن الاثير ١/٢٥٦ - ٢٥٨ ، والعمدة ٢/٣٠٨ .

لقد ضمنت بنو بدرٍ بن عمرو
وخرّ على الألاءة لم يوسد
فان تجزّع عليه بنو أبينه
يمطعم إذا الأشوال راحت
ومقدّام إذا الأبطال خامت
ولا يوفى بسطام قتيلاً
كأن جبينه سيف صقيل
لقد نجعوا وفاتهم خليل
إلى الحجرات ليس لها فصيل
وعرد عن حليقة الحلي (١)

ومنتهى الانصاف في الرثاء وغايته رثاء القاتل لمقتوله ، وأقرب مثال على ذلك
" مراثي " " قيس بن زهير العيسى " في " حمل بن بدر الفزاري وأخيه "
" حذيفة " فيذكر أنه وان شفى نفسه وأدرك تبلة بقتلها فقد خسر
فرسانا وسادة ، وكأنه فقد بعض جسده .

يقول " قيس بن زهير " :

شفيت النفس من حمل بن بدر
قتلت باخوتي سادات قومي
فان أك قد شفيت بذاك قلبي
وسيفي من حذيفة قد شفاني
وهم كانوا الأمان على الزمان
فلم أقطع بهم إلا بناني (٢)

ومن رثائه الصادق المنصف لحذيفة قوله :

كم فارس يدعى وليس يفارس
فابكوا حذيفة لن ترثوا مثله
وعلى الهباءة فارس ذو صدق
حتى قبيل خلائق لم تخلق (٣)

(١) الأُصمعيات ٣٧-٣٨ . الأشوال : الأبل التي ارتفعت ألبانها ،

خامت : جبتت ، ورد : أحجم وفر .

(٢) الأُمالي ١/٢٦٢ وفي الحماسة بشرح المرزوقي ٢٠٣ البيتان ٣٤١

(٣) السيرة لابن هشام ١/٢٨٧

وقوله في "حمل بن بدر":

تَعَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتًا عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ لَا يَرِيْمُ
ولولا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النَّجُومُ

ولكنَّ الْفَتْى حَمَلٌ بِنِ بَدْرِ بَغَى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمُ (١)

وهذا "سلمة بن الحارث الفساني" (٢) يجابه أخاه "شرحبيل" يوم

"الكلاب الأول" وينتصر عليه وتنجلي الحرب عن مقتله ، فتدعوه القرابة

والانصاف الى رثائه فيقول من أبيات له :

تَعَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُورًا قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكُلابِ (٣)

(١) الحماسة بشرح المرزوقي ٤٢٨ والعقد الفريد ١٩/٦ .

(٢) سبق التنويه بأن الراجح نسبتها الى أخيه "معديكرب".

(٣) معجم الشعراء ٢٧٥ .

الفصل الثاني

للوفاء لله تعالى

روية الشعر المنصف للحياة :

لم يكن العرب خلال العدة الزمنية التي قدرها الجاحظ عصر للشعر
الجاهلي ، في حروب دائمة أو قتال متصل ، وانما كانت أيامهم ووقائعهم
- كما مر بنا - مجرد مناوشات وحروب صغيرة لا تستمر أكثر من يوم أو يومين ،
ورغم العدد الهائل من الأيام التي ذكرها المؤرخون أو تحدثوا عنها
فلم تكن أياما شاملة لكل العرب وانما كانت مقصورة على بعض القبائل .

وحياة العرب السلمية لم تحظ - للأسف - بالاهتمام ذاته الذي لقيته
حياتهم الحربية ، اللهم الا في مواطن عابرة أو مقتطفات على سبيل التفكه
والتندر .

وإذا جاز لنا أن نخلط الحرب بالسلم ونذكر أن العرب كانوا منصفين
في سلمهم كما كانوا منصفين في حربهم ، فإن شواهد حياتهم ومآثرهم دالة
على ذلك وتثبت أخبارهم وأحاديثهم ، وحياة العرب السلمية الاجتماعية
كانت على قدر من الرفاهية والنظام على عكس ما قد يتبادر الى الذهن ،
فقد عرفوا نظام الأُحلاف ، وسنوا شرائع اجتماعية ونظما قانونية للزواج والطلاق
والبيع والشراء والمعاملات ، والحكم والرئاسة ، ولسنا بصدد الحديث المسهب
عن ذلك فحسبنا أن نثبت أنهم كانوا في أوقات السلم يعيرون من الملذات
ويسمرون حول نواديهم ، ويعقدون اجتماعاتهم التي كثيرا ما تتخللها الأحاديث
الجميلة والطرائف البراعة والغناء وسماع القيان ، يقول " بشر بن عمرو بن
مرشد " :

وَإِذَا هُمْ لِعِبْوَا عَلَى أَحْيَانِهِمْ لَمْ أَنْصَرَفْ لِأَبَيْتٍ حَتَّى الْعَبَا
وَتَبَيْتٍ دَاجِنَةٌ تُجَاوِبُ مِثْلَهَا خُودًا مَنَعَةً وَتَضْرِبُ مَعْتَبَا (١)

(١) المفضليات ٢٧٦ . الداجنة : القينة المغنية . خودا : حسنة الخلق .
معتبا : أى العود .

والى جانب الرقص والغناء ، واستعراض المهارات في اللعب بالرمح
والسيف واصابة الاهداف بالسهم كانوا يتناشدون الأشعار ، ويتذاكرون
الأخبار والأيام .

والذى لا شك فيه أن حياتهم كانت أمشاجا من عادات حميدة
وأخرى سيئة ، فمما يؤثر عن العرب عقد الأحناف لنصرة المظلوم وايواء
المستجير ، وفي شعرهم ذكر أشهر وأكرم حلف لهم في الجاهلية وهو
" حلف الفضول " (١) وهذه محمداً من محامدهم ، ومن مساوئهم شرب
الخمير ، ومزاولة الميسر ، والاحتكام الى الأُنصاب والأزلام وضرب القداح وعجادة
الأوثان ، وقد جمعها القرآن الكريم في قوله تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ
مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ * (٢)

والحديث عن حياة العرب في السلم يدعوننا للتوغل في طرق حياتهم
وأسلوب معاشهم ، لنلقي ضوءاً على أخلاقهم وطبائعهم ، التي يحدثنا
عنها " يزيد بن فسحم الخزرجي " فيقول :

إِذَا الْفَيْتَنَا وَجَدْتَ حَوْلَ بَيْوتِنَا مجالسَ تَنفِي الْجَهْلِ عَنَّا وَسُوءَ دَدَا
نَحَامِي عَلَى مَجْدِ الْأَعْرَبِ بِمَالِنَا وَنَبْدُلُ حَزَازَاتِ النُّفُوسِ لِنَحْمَسَدَا (٣)

(١) انظر ثمار القلوب ١٣٠ وخبر الحلف وما ورد فيه من الشعر في الروض
الأُنْف ٩١/١ وأسواق العرب للأفغاني ١٨١ وما يليها ومعجم
الشعراء للمرزباني ٣٥٧ .

(٢) سورة المائدة آية ٩٠ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ٤٩٣ ويزيد بن بني مالك الأغر ، أحد بني
الحارث بن الخزرج وهو شاعر فارس جاهلي ، وفي هامش أصل المعجم
أن يزيداً شهد بدرًا وقتل فيه . وفي سيرة ابن هشام ٧٠٧/١ ذكر
يزيد في عداد شهداء بدر .

وقد كان للعرب قدرة عجيبة على ابراز ما تجيش به خواطرهم ومن خلال هذه القدرة وهذه العواطف يتبين لنا مدى رزانة العربي ونظرته المنصفة للحياة بعامة ولما يجري حوله بخاصة ولذاته نفسه وما يعتريها من صحة ومرض وسقم وشفاء وعسر ويسر . وحياة وموت .

ويكفينا أن نلقي نظرة عابرة على بعض الشواهد من الشعر الجاهلي فعن الرضا بالحال عسرا ويسرا ، مسرة ومساءة يقول " سهم بن حنظلة الغنوى " :

بينما الفتى في نعيمٍ يطمئنُ به ردَّ البئيسِ عليه الدهرُ فانقلباً
أو في بئيسٍ يقاسيه وفي نصبٍ أمسى وقد زایل البأساء والنصبا (١)

ويقول " النمر بن تولب " :

فيومٍ علينا ويومٍ لنا ويومٌ نساءٌ ويومٌ نسرٌ (٢)

(١) الأصمعيات ٥٥ وحماسة البحتري ١٢٣ وسماه " سهل بن حنظلة " وهو أحد بني غنم بن أعصر فارس مشهور وشاعر محسن مخضرم انظر الاصابة ١٧١/٣ والموت تلف ١٣٦ والسمط ٧٤٠ والخزانة ١٢٣/٤ - ١٢٥ .

(٢) ديوانه ٥٧ وانظر حماسة البحتري ١٢٣ . والنمر بن تولب شاعر مخضرم أدرك الاسلام وحسن اسلامه كان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم . انظر الاصابة ت ٧٨٠٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة والبيان والتبيين ٣/١ والاشتقاق ١١٣ والخزانة ١/١ ٢٩١ .

ويقول "الأفوه الأودي" :

فصروف الدهر في أطباقه
خلعة فيها ارتفاع وانحدار
بينما الناس في عليائهم
إذ هو وافي هوة منها فغاروا
إنما نعمة قوم متعة
وحياة المرء ثوب مستعار
ولياييه إلال للقيوى
من مداه تختليها وشفار^(١)

والعربي ان غي لم يبطره الغنى وان افتقر لم يضعضه الفقر، ديدنه في ذلك

قول "المرقش الأصغر" :

كم من أخى شروة رأيت
حل على ماله دهر غشوم
ومن عزيز الحمى ذي منعة
أضحى وقد أثمرت فيه الكلوم
بيننا أخو نعمة إذ ذهب
وحولت شقوة إلى نعيم
وبينا ظاعن ذو شقوة
إذ حل رحلا وإذ خفا لمقيم^(٢)

وقول "التابغة الذبياني" :

وكل فتى وإن أمش وأشرى
ستخلجه عن الدنيا منون
سأرضي كل ما استودعت جهدي
وقد يرعى أمانته الأمين^(٣)

ولامرى القيس قصيدة معبرة تموج بانفعال مؤثر عن الموت والحياة ،

مطلعها :

- (١) ديوانه ١١ من مجموعة الطرائف الأدبية / للمعيني . والأبيات فيها خلل
كسائر شعره .
(٢) المفضليات ٢٤٩ .
(٣) ديوانه ٢١٨ .

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لَا مَرْغِيْبَ
وَنَسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
عَصَافِيرٍ وَذُبَّانٍ وَثَوْدٍ وَثَوْدٍ
وَاجْرَأْ مِنْ مُجْلِحَةِ الذَّنَابِ (١)

وعن الاعتبار بهلاك الملوك والدول ، وأن الدنيا لا تدوم على حال ، يقول
" امرؤ القيس " أيضا :

فَمَنْ يَأْمَنُ الْأَيَّامَ بَعْدَ بِنِ هِرْمِزٍ نَزَلْنَ بِهِ كَمَا نَزَلْنَ بِقَيْصَرَ
وَبَعْدَ مَعَدٍ يَبْتَغِي حِرْزَ نَفْسِهِ إِلَى كَهْفٍ غَارٍ يَحْسِبُ الْكَهْفَ أَوْعَا
فَصَادَفْنَ مِنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَلَمْ يَكُنْ لَيْسِنِقَ مَا كَادَ الْعَلِيكَ وَقَدَّرَا
وَبَعْدَ أَبِي فِي حِصْنِ كِنْدَةَ سَيِّدَا يَسُودُ جَمُوعًا مِنْ جِيُوشِ وَبَرَبَرَا
وَيَغْزُونَ بِأَعْرَابِ الْيَمَانِيِّينَ كُلِّهِمْ لَهُ أَمْرُهُمْ حَتَّى يَحِلَّ الْمَشُقُّرَا (٢)

ومن المعلوم أن الانصاف قد يكون قولاً أو عملاً ، سيرة وسلوكاً ، نبضاً وحياتاً
أدياً وممارسة ، ولله در " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه ان يقول لولده
" عبد الرحمن " : (يا بني انسب نفسك وأمهاك تصل رحمك ، واحفظ
محاسن الشعر يكثر أدبك ، فان من لم يعرف أدبه لم يصل رحمه ومن لم يعرف
الشعر لم يؤد حقاً ولم يقترب أدباً) (٣)

إذا فالشعر كان وسيلة لتأدية الحقوق ، واقتراف الأدب ، وصلة الرحم ،
وهو ما كان عليه الشعر عند العرب في جاهليتهم ان كان نبراساً لكريم

(١) ديوانه ٠٩٧

(٢) ديوانه ٢٦٩ وانظر نظيرتها ص ٣١٠ من ديوانه .

وانظر عن نظرة العرب المنصفة للحياة والموت والسعادة والبؤس وهلاك
الدول حماسة البحتری الصفحات ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٥١

(٣) جمهرة اشعار العرب ١/١٥٨

الأخلاق وحميد الصفات ، وهذا ما يؤكده "عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يقول :

(١) (محاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنتهي عن مساوئها)

ومن أخلاق النخوة عند العرب " انصاف المظلوم ، وتناصف القوم " لذلك نجد " ابن سلام " يقول عن قريش في قصة " عبدالله بن الزبير " لما همت بقطع لسانه وانتهى الأمر الى تخليته فخلوه : (وكانوا أهمل تناصف) (٢) .

وكان للجاهلية مآثر تتوارثها الأجيال بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع (وان مآثر الجاهلية موضوعة) (٣) .

وقد أوصى " الفاروق " عمر بن الخطاب ، للخليفة من بعده بقوله :
(وأوصيك بأهل البادية خيرا فانهم أصل العرب) (٤) .

وقد يكون في أبيات (امرئ القيس) التالية ما يعكس ملامح العرف في الجاهلية :

وقد كنتُ ممَّا أتركُ القِرْنَ ثاويًا وأعطِفُ نحوَ المستَفِيثِ إِذَا دَعَا
وقد كنتُ لا يَخْفَى مَقَامِي ومَوْقِفِي إِذَا مَا الخِصْيُ طَارَتْ فَصَارَتْ مع الكَلْبِ
وذلك من دهرٍ مضَى من شَبِيبَتِي فلا يَبْعُدُ اللهُ الشَّبَابَ إِذَا انْقَضَ

(١) جمهرة اشعار العرب / للقرشي ١٥٩/١ .

(٢) طبقات ابن سلام ٢٣٢/٢ .

(٣) البيان والتبيين ٣١/٢ والحديث بطوله في سيرة ابن هشام ٦٠٣/٢ - ٦٠٤ .

(٤) البيان والتبيين ٤٦/٣ .

فلمست لمن يبكي الشباب بلائم
ولكن أراه بين العذرا إن بكى
وإني مقيم للصديق صداقتي
عزوفاً إذا ما المرء ولاني القفا
وأصدق أهل الودي ما لم يبذلوا
وصالي وأطوي الكشح من دون من طوى
إذا اختار صريري صاحبي لم أقل له
هلم إلي وصلي ، وإن كان قد أسي
أقل اعتذاراً من أراد مساءً يحي
من الناس أو أهدى لي الجهل والخنا
وأعرف غش المرء في لحن قوله
لذي الحلم قبل اليوم ما تفرغ العصا
وخذ العفو واصفح عن أمور كثيرة
ودع كدر الأخلاق وأعمد لما صفا
ولا تزهدن الدهر في نضح مقتر
مقل ولا يعجبك إن كان ذاً غنى
وان كنت يوماً بين خصمين شاهداً
فقل لهما وجهاً من الحق والتقى
وقل ما رأيت عينك أو ما أحطته
بعلم ولا تشهد بشيء على عمي
ولا تك مختالاً بمشيك واقتصد
فإن الذي يختال يمشي على قلى
إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن
على أهله كلاً فقد كمل الفتى (١)

فهذه هي أخلاق العربي الناصعة التي صورها امرؤ القيس فأحسن تصويرها
وتلك لعمري أخلاق منصفة ، فإذا كان العربي / حربه يفخر بشجاعته واقدامه
وفروسيته ، فإن في سلمه يمتدح بجميل طباعه وفضائل أخلاقه ، وهذا لا
ينفي أن تكون للعرب مثالب ، بدليل انهم كانوا يتفاخرون باجتنايبها ، وهذا
يدل على علمهم بمعرفة هذه المساوي ، فهذا " العرقش الأكبر " يفخر
بمكارم أخلاقه ، ويذكر منها أنه لا يوء من بالطيرة فيقول :

ولقد غدوتُ وكننتُ لا أغدو على واقٍ وحاتمٍ
فإذا الأشائمُ كالأيا من والأيا من كالأشائم (١)

وكما أنصف الفارس العربي النبيل قرنه في ميدان القتال بسيفه ورمحه
وفرسه، وذكر بلاء خصمه ولم ينتقصه حقه، فانه في حياته الاجتماعية كان
عفا للسان طاهر القول لا يشين قرنه بهجاء مقذع ولذلك لا غرابة
اذا علمنا أن الفروسية في نظر العربي الجاهلي هي الصفات الحميدة
او هي الرجل الكامل في اخلاقه ومعاملاته وجسمه وسلوكه وقوله وفعله.

ولم يكن الشعراء الفرسان قاطبة، يبالغون في هجاء خصومهم ويوغلون
فيه، ولم يرموهم بالسنة حداد، فالشعر وسيلة شريفة للتفاخر والتباهي بالقوة،
لا تخوض في الأعراس والحرم، على حد قول "أمية بن أبي الصلت":

ودفع الضعيف وأكل اليتيم ونهك الحدود فكل حرم (٢)

وكان "خالد بن صفوان" يقول عن ترفع "عبد بن الطبيب" عن الهجاء:
(فوالله ما أبى عن عسى ولكنه كان يترفع عن الهجاء، ويراه ضعة،
كما يرى في تركه مروءة وشرفا) (٣)

وترك الهجاء صيانة للسان عن مقاذع الكلام، والتنزّه عن أن تلصق
به هذه الصفة غير المحمودة وذلك انصاف، فرغم العدا الذي كان بين "بني
مرة" و"بني سليم" قوم "صخر بن عمرو بن الشريد" إلا أنه أبى
أن يهجوهم حين قال له أخوه معاوية: (أهج بني مرة). فقال: ما بيننا
أجل من القذع ولو لم أمسك عن سيهم إلا صيانة للسان عن الخنا لفعلت،

(١) الموء تلف والمختلف ١٠٢ .

(٢) ديوانه ٤٩٨ .

(٣) الأغاني (ثقافة) (٢١/٢٧، ٢٨) .

ثم خاف أن يظن به عي ، وأنشأ يقول :

وعاذلة هبّت بليل تلومني ألا لا تلوماني كفى اللوم مابيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم ومالي أن أهجوهم ثم ماليسا

أبي الذمّ أني قد أصابوا كريمي وأن ليس إهداء الخنا من شماليا (١)

فالهجاء خسة في الأخلاق ودناءة والابتعاد عنها شيمة من شيم الأشراف

والسادة ، يقول " خفاف بن ندبة السلي " :

أدع الدناءة لا ألابس أهلها ولدى من كيس الزمان نصيب (٢)

فالفارس الشهم ان آلمه هجاء أو آذته اخبار ملفة تسوءه ، كان رده هادئا

متزنا ، على الرغم من ان الهجاء كثيرا ما تسير به الركبان وتتناشده المجالس

والنوادى ، ونظرة الى " راشد بن شهاب اليشكري " وهو يكظم غيظه ويكبت

مشاعره وينفس عنها بهدوء ، وتعقل في مخاطبته " قيس بن مسعود الشيباني "

لما بلغه منه ما يكره :

(١) العقد الفريد ٢٥٠/٦

(٢) شعره ٤١ جمع د . نوري القيسي وانظر الاصمعيات ٢٧

وخفاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن الشريد السلي أبو خراشة .

شاعر فارس من أغربة العرب عاش زما في الجاهلية وأدرك الإسلام

فأسلم ، وثبت على إسلامه في الردة وبقي الى أيام عمر ، واكثر شعره

مناقضات مع العباس بن مرداس وله ديوان شعر مطبوع .

انظر ترجمته في ديوانه والاصابة ٤٥٢/١ والموء تلف والمختلف ١٠٨

والتبريزي ٩٠/٢ والخزانة ٨١/١ و٤٧٢ .

وانظر قصة طريفة في تسامح العربي حتى مع من يريد به الشر في

الحرب والفروسية من عيون الاخبار ١٧٩ .

أرقت فلم تخذع بعيني خدعة^١ ووالله ما دهري بعشقي ولا سقم^١
ولكن أنباءً أتتني عن امرئ^١ وما كان زادي بالخبيث كما زعم^١
ولكنني أقصى ثيابي عن الخنا^١ وبعضهم للغدر في ثوبه دسم^(١)
توءك ذلك وتدعمه، نظيره قول "أبي دوء" الأيادي "يعتب على كعب
ابن مامة" ما بلغه عنه :

وأتاني تقحيم كعب لي المذ^١ طق إن النكيثة الإقحام^١
في نظام ما كنت فيه فلا يح^١ زونك شيء لكل حسناء ذام^(٢)
ونحن حينما ندرس أخلاق العرب في السلم انما نحاول إبراز مكان النصفة
في هذه الأخلاق وإبرازها ولا سيما والعربي يفخر قبل شجاعته ونسبه
بأخلاقه على حد قول "سويد بن أبي كاهل اليشكري" :
من أناس ليس من أخلاقهم^١ عاجل الفحش ولا سوء الجزع^(٣)
أقول "جويرية بن بدر" :

سراع إلى الداعي بطاء^١ عن الخنا رزان لدى النادي من غير ما جهل^(٤)

-
- (١) المفضليات ٣٠٨ .
(٢) ديوانه ٣٣٨ وانظر الأسمعيات ١٨٦ .
وأبو دوء الأيادي هو جارية بن الحجاج ، شاعر جاهلي مجيد من
وصاف الخيل له ديوان شعر ، انظر سبط اللالي ٨٧٩ ودراسات
في الأدب العربي ٢٤٣ - ٣٥٣ .
(٣) المفضليات ١٩٥ .
(٤) العقد الفريد ٤٠/٦ ولم أقف لجويرية على ترجمة .

وشفافية نفس العربي أو فطرته جعلته لا يصبر على ضيم ولا يترك ضعيفا بحاجة الى عون فهناك أخلاق سامية ومثل عليا تتراءى لنا من بين ثنايا الشعر لتنبئ بالتكافل الاجتماعي بين افراد القبيلة الواحدة ورعاية الضعيف ولو من غير القبيلة يقول " ربيعة بن مقروم الضبي " :

وَأَشَعْتُ قَدْ جَفَا عَنْهُ الْمَوَالِي لَقِيَ كَالْحِلْسِ لَيْسَ بِهِ زَمَاعُ
ضُرِيرٍ قَدْ هَنَأْنَاهُ فَأَمْسَى عَلَيْهِ فِي مَعِيشَتِهِ اتَسَاعُ (١)

وكان القوم يمدحون ويمتدحون اذا ساواوا بين غنيهم وفقيرهم وقويهم وضعيفهم يقول " عمرو بن الاطنابة " يفخر بقومه :

انى من القوم الذين اذا انتدوا بداءوا بحق الله ثم النائل

وفيها يقول :

والخالطين فقيرهم بغنيهم والبالين عطاءهم للنائل (٢)

وإذا كان العرب أودعوا شعرهم خلاصة تجاربهم وأخلاقهم ونتاج عقولهم فان خيرا ما يمثل ذلك : " شعرا الحكم والوصايا " .

ويكفي أن نطالع قصيدة " عمرو بن الاثم السعدى المنقرى " التي يوصي فيها ابنه " ربيعي بن عمرو " بوصايا غاية في الروعة والحكمة ، فالى جانب حفظ أمر العشيرة ، والصبر في السعي للمجد ، وبذل النفس والمال في سبيله نراه يوصيه باكرام الضيف والجار في الشدة ، والانقياد للحق ،

(١) شعر ربيعة بن مقروم ٢٣ وانظر المفضليات ١٨٦ وشبيه به قول " خفاف بن نديبة " في الاصمعيات ص ٢٣ .

(٢) معجم الشعراء ٢٠٤ وانظر نظير ذلك في التنبيه ٧٤ وسيرة ابن هشام ٧٨/١ لكعب بن مطرود والخزاعي يبيكي عبد المطلب وبنى عبد مناف . وتروى ابيات مطرود لابن الزنجرى في قصة انظر سيرة ابن هشام ١٣٦/١ .

ومجازاة أهل سوء سوءاً وذوى الاحسان احساناً . (١)

أما المثقب العبدى " فيفخر بخصال حميدة يوردها مورد الحكم ،
ومنها وجوب الوفاء بالوعد ، والحرص على ارضاء الناس ، واكرام الجار ، والابتعاد
عن الغيبة ، وتحاشى الرياء ، ولزوم الحلم على الجهال . (٢)

وفي قصيدة " علقمة بن عبدة " مجموعة صالحة من الحكمة والأدب ،
وفيها عدم الاغترار بالكثرة والمنعة ، وأن الحمد لا يأتي بغير ثمن ، ومن
ناوش الشر لا بد أن يصيبه منه شيء ، وكل قوى مآله الضعف ، وكل حي
مصيره الموت ، ولا يدوم شيء على حال . (٣)

ولعبد قيس بن خفاف البرجمي " قصيدة من الأدب الرفيع والخلق
السامي يمكن أن تكون نموذجا للغاية التي يرسمها العربي لابنه في وصيته . (٤)
ومن هنا يتبين لنا مدى الحرص الذى كان يوليه العربي للاهتمام بخلقه
ومعاملته لغيره بالنصفة والعدل ، وجعل ذلك طريقا وسلكا يوصى به
أحبابه وأبناءه من بعده ليتبعوه على الدرب ذاته . وطبعاً . . لم يكن
العرب كلهم على هذا النمط ، فطبيعة المجتمعات أبد الدهر لا تختلف ،
فمنها الخير والشرير والصالح والفساد ، والحكيم والجاهل ، والحليم والأهوج .

(١) انظر قصيدته بتمامها في المفضليات ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٢) انظر قصيدته في ديوانه ٢١٦ وما بعدها وانظر المفضليات ٢٩٣ -

٢٩٤ .

(٣) انظر ديوانه ٥٠ وما بعدها والمفضليات ٤٠١ .

(٤) انظر قصيدته في المفضليات ٣٨٦ .

على أن ذلك لا يعني مجيء شعر الوصايا عندهم على تلك المشابة
دائما ، وآية ذلك وصية " دريد بن زيد بن نهد " عند موته لا ولاده
فقد تمحضت للشروخلصت له ولم تترك للخير محلا يقول فيها : (أوصيكم
بالناس شرا ، لا تقبلوا لهم معذرة ، ولا تقبلوا لهم عثرة) (١)

وتلك قصة " قيس بن رفاعة " الذي كان يفد للنعمان بن المنذر
سنة ، وللحارث بن أبي شمر " سنة ، وسأله الحارث ذات مرة عن النعمان ،
فذمه قيس أسوأ الذم ووصفه بأقبح الصفات وكأنه لم يسد إليه جميلا ولم
يصنع إليه معروفا . (٢)

وشتان ما بين هذا الخلق وبين ما كان يحرض العربي على التميز
به من شمائل وفضائل الأخلق .

(١) انظر طبقات ابن سلام ٣٢/١ ، ٣٣٠ .

(٢) انظر القصة بتمامها في الأمالي ٢٥٧/١ .

١ - الانصاف في نطاق القبيلة :

أ - انصاف القبيلة والعشيرة :

كان العربي حريصا على الانصاف في المعاملة ، وكان حرصه بالغاً اذا عامل أحد أقرباه أو عشيرته لذلك لا يجد غضاضة في الاعتراف بالنقص التي جعلت العشيرة تتجنبه ، في مثل قول " طرفة بن العبد " :

وما زالَ تَشْرَابِي لِلخَمُورِ وَلذَتِي وَيَبِيعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمَقْلَدِي
إِلَى أَنْ تَحَامَتِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمَعْبُدِ (١)

ومثله قول " امرئ القيس " معترفا ونادما :

لَعْرُكَ مَا إِن ضَرَّنِي وَسَطَ حَمِيرٍ وَأَقْيَالِهَا إِلَّا الْمَخِيلَةَ وَالسُّكْرَ
وغيرُ الشَّقَاءِ الْمُسْتَبِينَ فَلَيْتَنِي أَجَرَ لِسَانِي يَوْمَ ذَلِكُمْ مَجْرُ (٢)

والرجوع عن السفه انصاف للنفس والعشيرة يقول امرؤ القيس أيضا :

وَكُنْتُ أَمْرًا مُفْرَمًا فِي الشُّبَابِ أَصِيدُ الْغَوَانِي إِذَا مَا أَشْتَهَيْتُ
فَأَصْبَحَ قَدْ بَانَ مِنِّي السَّفَاهُ وَأَبْصَرْتُ أَمْرِي ثُمَّ أَرَعَوَيْتُ (٣)

وكان يخلص الود لقومه ويمحضهم اخلاصه وتفانيه ، يقول " أبو زبيد الطائي " :

(١) ديوانه ٣١ وانظر شرح المعلقات للزوزني ٨١ والبعير المعبد :

المذلل المطلي بالقطران .

(٢) ديوانه ١١١ ، ١١٢ ، أجر : قطع ، مجر : قاطع .

(٣) ديوانه ٣٢٠ ، ٣٢١ .

فَالدَّارُ تَسْبِيهِمْ عَنِّي فَإِنَّ لَهُمْ وَدِي وَنَصْرِي إِذَا أَعْدَاؤُهُمْ نَصَعُوا
إِمَّا بِحَدِّ سِنَانٍ أَوْ مُحَافَلَةٍ فَلَا قَحُومَ وَلَا فَايَ وَلَا هَرَجَ
وَمِنْهَا أَحْمَالُ أَثْقَالِ أَهْلِ الْوُدِّ آوَنَةٌ
أَعْطَيْهِمُ الْجُهْدَ مِنِّي بَلَهُ مَا أَسْعَ (١)

والاخلاص في الوفاء للقبيلة والقيام بحقها انصاف ، يقول : " معاوية بن مالك

نُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَحَقِيقَهَا فِيهَا وَنَغْفِرُ ذُنُوبَهَا وَنَسُوذُ
وَإِذَا تَحَمَّلْنَا الْعَشِيرَةَ ثِقَلَهَا قُمْنَا بِهِ ، وَإِذَا تَعَوَّدُ نَعُوذُ (٢)

حتى ان هذا الخلق سرى الى اليهود الذين عايشوا العرب ، والا ففيم

قول " سعية بن العريض اليهودي " عن قومه فيما قاله :

وَلَا أَحَى عَلَى الْحِدْثَانِ قَوْمِي عَلَى الْحِدْثَانِ مَا تَبْنَى الْبُيُوتُ
أَيَسِّرُ مَعْشَرِي فِي كُلِّ أَمْرٍ بِأَيْسَرٍ مَا رَأَيْتُ وَمَا أَرَيْتُ
وَدَارِي فِي مَحَلِّهِمْ وَنَصْرِي إِذَا نَزَلَ الْأَلْدُ الْمُسْتَيْتُ
وَأَجْتَنِبُ الْمَقَارِعَ حَيْثُ كَانَتْ وَأَتْرِكُ مَا هُوِيْتُ لِمَا خَشِيْتُ (٣)

(١) ديوانه ١٠٨ باختلاف في الرواية عن حماسة البيهتري .
وانظر حماسة البيهتري ٦٦ وانظر في اخلاص الود للأهل والعشيرة والقبيلة

والصديق الصفحات ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ .

(٢) المفضليات ١٠٥ .

(٣) الاصمعيات ٣٥٥ .

وسعية هو بن العريض بن عادياء أخو السموءل شاعر متقدم مجيد

من بني بهدل . وقد فصل محقق الاصمعيات ترجمته ص ٨٢ .

وإذا كان العربي يفخر بموقفه المنصف مع قومه ، فإنه كان أشد فخرا بانصافهم
فيما بينهم وتعاطفهم وتكاتفهم ، وهم مع ذلك أشداء في غاية الصرامة
في مواجهة الأعداء ، تقول " الخرنق بنت بدر بن هفان " :

لَا يَبْعُدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفَّةُ الْجُزْرِ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَاكَرٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

ومنها قولها :

وَالخَالِطُونَ نَجِثَتَهُمْ بِنُضَارِهِمْ وَذِي الْغِنَى مِنْهُمْ بِذِي الْفَقْرِ (١)

(١) ديوانها ٢٩ وانظر التنبيه للبكري ٧٥ . ويروى : النازلين

ب - الانصاف الذاتي :

مهمة الشاعر العربي أن يصور قومه في أحسن صور التكاتف والتضامن والقوة وحسن المعاملة وكريم الأخلاق ، فإذا ما خرج عن هذا الخط أو هذا النطاق فانما يخرج ضرورة ، ويكون ابتعاده عنه دليلا على حدوث خلل ما في القوم أو في اخلاقهم أو في حسن زيادهم عن الحسب والشرف .

وإذا ما رأى الشاعر ميلا ما عن طريق المجد والسوء دد في قومه ، وجد أنه لزاما عليه أن يبين لهم أخطاءهم ويحاول ردعهم بالحسنى فان لم تجد استمالتهم الى الصواب ، قلب لهم ظهر المجن ، وصب عليهم سوط عذاب من شعر الهجاء ، ينقدهم فيه نقدا قاسيا ، وقد يقسو المرء أحيانا على من يرحم ، إذا كان فيه صلاحه وخيره .

ويمكن أن تطلق على هذا النوع من الشعر ، شعر انتقاد الأوضاع الداخلية . ووجدت أنه يمكن تصنيفه الى ثلاثة أنواع أجملها في الآتي :

أولا : تفرق القوم :

وهذه قضية صال فيها الشعراء وجالوا ، فلم يكن أقسى على العربي من أن يرى قومه وقد تشتت شملهم وتفرقوا أيدي سبأ^(١) ، بينما شمل غيرهم متحد متماسك ، وفي لوعة ورنة أسى يشكو العتمس هذا الوضع فيقول :

(١) انظر مثلا قصيدة ذى الأصبع العدواني في الأصمعيات ٧٢ .

تَفَرَّقَ أَهْلِي مِنْ مُقِيمٍ وَطَاعِينَ فَلِلَّهِ دَرِي أَىْ أَهْلِي أَتَبِعُ
أَقَامَ الَّذِينَ لَا أُبَالِي فِرَاقَهُمْ وَشَطَّ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَتَوَقَّعُ
عَلَى كُلِّهِمْ آسَى وَلِلْأَصْلِ زُلْفَةٌ فَزَحْزَحْ عَنِ الْاُدْنَيْنِ أَنْ يَتَصَدَّعُوا

وفيها يقول :

أَمَرْتَهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى وَلَا أَمْرَ لِلْمَعْصِيِّ إِلَّا مَضِيْعًا (١)

وفي رسالة الانذار بزحف جيش الفرس وهي التي أرسلها " لقيط بن يعمر

الأيادي " الى قومه نراه يدعو قومه للاتحاد والتماسك فيقول :

يَا لَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ شَتَّى وَأُحْكَمَ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا (٢)

وكم يكون وقع الموقف اليما على نفس العربي وهو يرى قومه يتجاوزون مرحلة

التفرق والتشردم الى التناحر والتقاتل فيما بينهم ، وقد مر بنا قول جابر بن

حنس التغلبي " الموءثر لما وصل اليه قومه من ضعف وهوان من أبيات له :

لِتَغْلِبَ أَبِكِي إِذَا أَثَارَتْ رِمَاحَهُمْ غَوَائِلَ شَرَّبَيْنِيهَا مَتَلَّثَّمًا

وفيها قوله :

أَنْفَتُ لَهُمْ مِنْ عَقْلِ قَيْسٍ وَمِرْثِدٍ إِذَا وَرَدُوا مَاءً وَرَمَجَ ابْنُ هِرْثِمٍ

وَيَوْمًا لَدَى الْحُشَارِ مَنْ يَلُو حَقَّهُ يَبْزَبِزُ وَيَنْزَعُ ثَوْبَهُ وَيَلْطَمُ

وَفِي كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِتَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَبَاعِ أَمْرٍ مَكْسُ دِرْهَمٍ

وَقَيْظُ الْعِرَاقِ مِنْ أَفَاعٍ وَغُدَّةٍ وَرَعَى إِذَا مَا أَكَلُوا وَتَوَخَّخِمُ (٣)

(١) ديوانه ١٥٤ وما يليها . (٢) ديوانه ٣٩ .

(٣) الفضليات ٢١١ . الحشار : الجباة يجمعون المال ، يلو : يعطل ،

يبزبز : يدفع . الاتاوة : الخراج ، المكس : دراهم تؤخذ من

بائعي السلع . قَيْظُ : أشد الحر ، الغدَّة : طاعون الابل ،

متوخم : وبيل .

والنصف هنا تلوح في الشفقة والحنو على القوم والتلطف عليهم
والبكاء على ماضيهم وما وصلوا اليه من تشرذم وتناحر وفرقة ، ومن جانب آخر
فالانصاف شجاعة في ذكر الموقف دون مواربة أو تلميح .

ثانيا : هجاء القوم :

وهذا النوع من الانتقاد هو أقسى أنواعه على القوم ، وأيضاً هو
أكثر دلالة على قوة شخصية الشاعر وصدقه ، وشجاعته المعنوية ، فهو صراحة
الصدق رغم قسوتها ، وصدق الصراحة رغم ألمه .
فمن كان يتوقع أن تبلغ المرارة بالكذاب الحرمازي " من قومه أن يقول
فيهم :

ان بني الحِرْمَازِ قومٌ فيهمُ عجزٌ وإيْكالٌ على أخِيهِمُ
فأبعثُ عليهمُ شاعراً يخزيهمُ يعلمُ منهمُ مثلَ عليٍّ فيهمُ^(١)

وبالرغم من قسوة الانتقاد ومرارته تلمح فيه رغبة في الإصلاح واطهار
المعايب والمساوي لتفاديها وصعوبته تكمن في سلوكه سبيلاً وعراً ، يتخذ
من تعرية القوم وفضح معاييبهم وإبراز نقائصهم وسيلة إلى ما يصبو إليه من
التخلص من هذه النقائص والعيوب .^(٢)

فحين قبل قوم " الأُسعر الجعفي " الدية عن أبيه وأكلوها ولم يأخذوا
بثأره قال يهجو اخوته لآبيه الذين لم يثأروا له :

(١) الموء تلف والمختلف ١٧٠ والكذاب سعى بذلك لكذبه وكان ممن
يهجو قومه ، ولم أقف له على ترجمة .
(٢) انظر مثلاً قصيدة " قريط بن انيف " في الحماسة بشرح المرزوقي ٢٣ وما يليها .

أبلغ أبا حمران أنّ عشيرتي ناجوا وللقوم المناجين التّسوى
باعوا جوادهم لتسمن أمهم ولكي يعود على فراشهم فتسى

وفيها يقول :

(١) راحوا بصائرهم على اكتافهم وبعصرتي يعدو بيها عند وأسى
والتنديد بالقوم وهجاؤهم لا أخذهم الدية عن القتل دفع بهم الى الكرامة
والشعور بها وتحفيز لهممهم للاخذ بثأرهم ، وذلك سائر في الشعر
العربي الجاهلي (٢) .

وإذا رأى الشاعر من قومه تخاذلا في الاخذ بحقهم لم يستنكف
أن يلومهم ويقرعهم بتأنيبه وهجائه ولكن مصيبته تكون أكبر إذا كان هذا
التخاذل عن جبن وذل وهوان ، فبعد أن هجا (المتلمس " عمرو بن هند"
لفدرة بطرفة بن العبد " وقصته معه مشهورة ، التفت الى هجاء قومه الذين
نكصوا عنه ولم يغموا فتىلا فيئس الأعمام والأخوال هم وقت الشدائد
وشبههم في جبنهم بيت من الطين هش يتلهمى الصغاريه ، ويقول :

بيئس الفحولة حين جدتهم عرك الرّهان وبيئس ما بخلوا
أعني الخوؤلة والعموم فهم كالطين ليس لبيته حـول^(٣)

(١) الأسمعيات ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) انظر مثلا لذلك حماسة البحري ٢٨ وما بعدها .

(٣) ديوانه ٤٨ .

وله قصيدة أخرى صب فيها جام غضبه على قومه الذين ارتضوا بالذل وخضعوا له كالحمير ومن ثم كانت دعوته الى الثورة على " عمرو ابن هند " كما فعلت بكر بكليب ، و الا يكونوا كالضب الذي يأكل من افرازاته طيلة الشتاء ، ثم مضى يعجب من تخاذل عبدالقيس مع ان الرماح الخطية تنسب اليهم وضرب بالحمار والوتد مثلا للذل ، ذاك يربط وهذا يضرب ويشج فما يرثى له أحد :

ان الهوانَ حمارُ القومِ يعرفُهُ والحرُّ ينكره والرُّسلةُ الاُجْدُ
كُونوا كِبَرًا كما قدْ كانَ أولَكمْ ولا تكونوا كعبدِ القيسِ إذْ قَعَدُوا
يُعْطونَ ما سئَلُوا والخِطُّ منزلُهُم كما أكَبَّ على نِي بطنه الفَهْدُ
ولن يقيمَ على خسفِ يسامٍ بهِ الا الاُذنانِ : عيرَ الحيِّ والوتدِ
هذا على الخسفِ مربوطٌ بِرِمتِهِ وذا يشجُ فما يرثى له أَحَدُ (١)

ويقذف " عميرة بن جعل التغليبي " حمما وبراكين من الهجا والشتا ثم على قومه ، فيذكر انهم قوم لثام متأصلوا اللوم ، ولم يأتهم لوهم من قبل امهاتهم ، انما من قبل آباءهم فالمرأة تتزوج عجوزا مسروق النسب ، لا ينتسب لأبيه .

ومن فرط ذلهم انهم اذا رحلوا عن منزل هوان لام بعضهم بعضا وعادوا يعتذرون لأهلهم ليسمحوا لهم بالعودة اليه ، لأنهم قد استمروا بالذل ، يقول " عميرة بن جعل التغليبي " :

(١) ديوانه ٢٠٢ وما يليها .

كَمَا اللَّهُ حَيَّى تَغْلِبَ ابْنَةَ وَاثِلٍ مِنْ اللُّؤْمِمْ أَظْفَارًا بَطِيحًا نَصُولَهَا
فَمَا بِهِمْ أَنْ لَا يَكُونُوا طُرُوقَةً هِجَانًا وَلَكِنْ عَفَّرَتْهَا فُحُولَهَا
تَرَى الْحَاضِنَ الْفَرَاءَ مِنْهُمْ لِشَارِفٍ أَخِي سَلَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهُ سَلِيلُهَا
قَلِيلًا نَبَّغِيهَا الْفَحُولَةَ غَيْرُهُ إِذَا اسْتَسَعَلَتْ جِنَانُ أَرْضِي وَقُولُهَا
إِذَا أَرْتَحَلُوا عَنْ دَارِضِيمٍ تَعَاذَلُوا عَلَيْهِمْ وَرَدُّوا وَفَدَهُمْ يَسْتَقِيلُهَا (١)

وأفسى من هذا الهجاء قول "جواس بن نعيم الضبي" يهجو قومه :

كَأَنَّ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ قِيْسٌ مَعًا وَتَيْمٌ
مَتَى تَسْأَلِ الضُّبِّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ يَقُلُ لَكَ : إِنَّ الْعَائِذِيَّ لَيْئِمٌ (٢)

وفي مقابل هذا الهجاء القاسي الذي ييراد به على كل حال الاصلاح والانصاف

نجد أن "الأفوه الأودي" سلك سبيلا هادئا متزنا هو سبيل الانتقاد

المتعقل المتأني للأوضاع دون لجأ أو صخب ، وقصيدته في الاصلاح الاجتماعي

التي مطلعها :

(١) المفضليات ٢٥٧ وما يليها .

وعميرة بن جعل من بني مالك بن الحرث من وائل بن قاسط من ربيعة بن نزار شاعر جاهلي وكان ممن هجا قومه وندم على ذلك ، انظر ترجمته في المفضليات ٦٣ والموء تلف والمختلف ٨٣ - ٨٤ و المرزباني ٢٤٥ والخزانة ٤٥٨/١ - ٤٥٩ .

نصولها : هروجهما . والطروقة : الناقة التي بلفت أن يضرب بها الفحل ، الهجان : الخالص الحسب الكريم ، عفرتها : ألققتها بالتراب الحاضن : الكريمة العفيفة ، الشارف : كبير السن . السلة : السرقة . استسعلت : صارت كالسعلاة وهي أشد شرارة من الغول والجن .

(٢) الموء تلف والمختلف ٧٥ ولم أقف لجواس على ترجمة .

فينا معشر لم يبينوا لقومهم^١ وان بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

(١) لا يرشدون ولن يرعوا لمرشديهم فالغى منهم معاً والجهل ميعاد

وقفها على ذكر الفئات الشاذة المنحرفة التي تنخر في جسم القبيلة كالسوس

تفسد ما يصلحه الناس ، وتعكس صفو الحياة القبلية بممارسات شاذة ، ويبدو

انهم قد تغلبوا على القوم أو غلبوهم على امرهم بدليل قوله :

كيف الرشاد اذا ما كنت في نفر لهم عن الرشد أغلال وأقياد

(٢) أعطو نحواتهم جهلاً مقادتهم فكلمهم في حبال الغى منقاد

ولما لم يجد وسيلة ناجعة سوى البعد عن قومه فعل ، ورأى ذلك نجاة له

من الغى الذي يتخبط فيه قومه ، فيقول :

حان الرحيل الى قوم وان بعدوا فيهم صلاح لمرتاب وارشاد

فسوف أجعل بعد الا أرضد ونكم وان دنت رحمهم منكم وميئلا

(٣) ان النجاة اذا ما كنت ذا بصير من أجة الغى إبعاد فإبعاد

ولأفوه الأودى في قصيدته هذه أبيات ضربت في الشهرة وأطنبت ، وذاع

صيتها ، يستشهد بها الأقدمون والمحدثون في اصلاح المجتمع وسن النظام

المثالي لقيام هذا المجتمع ورقيه ، يقول "الأفوه الأودى" :

(١) ديوانه ٠٩

(٢) ديوانه ٠١٠

(٣) ديوانه ٠١٠

والبيت لا يُبْتَنَى الا له عَمَدٌ ولا عِمَادَ اِذَا لم تُرْسَ اُوتَادُ
فان تَجْمَعُ اُوتَادَ واعِمِدَةً وساكنٌ بَلَّغُوا الا مَرَّ الذى كادُوا
وان تَجْمَعُ اقْوَامَ ذُوو حَسَبٍ اصطَادَ امْرَهُمُ بِالرُّشْدِ مُضْطَادُ
لا يَصْلِحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ ولا سَرَاةَ اِذَا جُجَّهَالُهُمْ سَادُوا
تَلْفَى الا مُورِبِ اَهْلِ الرُّشْدِ ما صَلَّحَتْ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَبِالْاَشْرَارِ تَنْقَادُ
(١) اِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ القَوْمِ امْرَهُمُ نَمَّا عَلَى ذَاكَ امْرُ القَوْمِ فَاَزْدَادُوا

ثالثا : سوء معاملة القوم للشاعر :

وهذا النوع يتركز على المطالبة بمصالح ذاتية أهملها القوم ، أو
المطالبة بالانصاف في المعاملة وعدم التطرف في القسوة على الشاعر ، ف
" سبيع بن الخطيم التغلبي " يشكو من سوء معاملة قومه له ووقوفهم ضده
دون ذنب جناه أو اثم اقترفه ، ثم ان نسبه صريح فيهم فلا يجد مسوغا
لهذا العقوق منهم ويقول :

اِنِّي مطيعكَ ثم اِنِّي سائلٌ قومي وكلهم علق حليفاً
مِنْ غَيْرِ ما جُرْمِ اُكُونُ جَنِيتهُ فيهم ولا انا اِنْ نُسِبْتُ قَذِيفُ
(٢)

(١) ديوانه ١٠٠ .

(٢) المفضليات ٢٧٤ .

وسبيع بن الخطيم التبيعي من تيم عبد مائة بن أد بن طابخة وهو
فارس "نحلة" شاعر جاهلي محسن ، انظر ترجمته في النقااض ١٠٦٨
والخيل لابن الاعرابي ٥٨ - ٥٩ والموء تلف ١١٢ .

وكان " محرز بن المكعبر الضبي " جارا " لبني عدى بن جندب " فأغار " بنو عمرو بن كلاب " على ابله فطلب اليهم أن يسعوا له بردها فوعده ولكنهم لم يصنعوا شيئا ، فلجأ الى " المخارق والماسحق " ابني شهاب المازنيين ، وهما من " بني خزاعة " فسعيا له بابله فرداهما ، فقال يندد بقومه وأنهم يحسنون القول ويسيقون الحمل من أبيات له :

كَسَالَى إِذَا لَأَقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ يَلِيهِ بِه الْعُتْبُولُ وَهُوَ عَنَاءُ (١)

وشبيه بهذا المعنى ما يقوله " صريم بن معشر التغلبي " في قصيدة له وكان قد سأل قومه أباعر فخيّبوا أمه فيها ولم يتحملوا عنه ديّات من قتلهم :

سَأَلْتُ قَوْمِي وَقَدْ سَدَّتْ أُبَاعُرَهُمْ مَا بَيْنَ رَحْبَةِ ذَاتِ الْعَيْصِ وَالْعَدَنِ
إِذْ قَرَّبُوا لِأَبْنِ سُورٍ أُبَاعُرَهُمْ لَلِهِ دَرْعَاءٍ كَانَ ذَا غَبَانِ
أَنْتَى جَزَوْا عَامِرًا سَوَائِي يَفْعَلِهِمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السَّوَائِي مِنْ الْحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعَلُوقُ بِهِ رِثْمَانَ أَنْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ (٢)

-
- (١) البيان والتبيين ٩/١ وانظر الحماسة بشرح المرزوقي ١٤٥٥
ومحرز بن المكعبر من ولد بكر بن ربيعة من مضر ، جاور في بني بكر
ابن وائل وهو شاعر جاهلي محسن .
انظر ترجمته في المفضليات ٢٥١ والحماسة بشرح المرزوقي ١٤٥٥
والبيان والتبيين ٩/١ .
- (٢) المفضليات ٣٦٢ - ٢٦٣ وانظر البيان والتبيين ٩/١ وفيه
تقديم وتأخير في الأبيات .

ويعيب " قسامة بن رواحة " على قومه انسياقهم وراء شهواتهم وملذاتهم

ودما قتلهم الذين وتربهم لم تجف بعد فيقول :

لَيْسَ نَصِيبَ الْقَوْمِ مِنْ أَخْوَيْهِمْ طِرَادُ الْحَوَاشِي وَاسْتِرَاقُ النَّوَاضِحِ
وما زال من قتلَى رَزَاحٍ بِعَالِجٍ دَمٌ نَاقِعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحٍ (١)

ولم يهب قوم " المنخل اليشكري " لنجدته وهو في قبضة النعمان بن

المنذر ، فلما أحس بقرب مقتله ودنو أجله نعى على قومه حبههم للعيش

الرفيد ، بينما هو واقع تحت رحمة الجلال وينتظر الموت بين لحظة وأخرى

ولا معين ولا ناصر ، فيقول منددا بهم :

طَلَّ وَسَطَ الْعِبَادِ قَتْلَى بِلَا جُرْمٍ وَقَوْمِي يَنْتَجُونَ السَّخَالَ
لَا رَعِيْتُمْ بَطْنًا خَصِيْبًا وَلَا زُرًّا تَمَّ عَدُوٌّ ۱٩٠ ، وَلَا رَزَأْتُمْ قِبَالَ (٢)

(١) المؤء تلف والمختلفا ١٢٦ ومعجم الشعراء ٣٤٠ والحماسة بشرح

المرزوقي ٩٥٨ . وقسام أو قسامة بن رواحة بن جل من طىء

وينتهي نسبه الى كهلان بن سبأ . شاعر جاهلي أشار صاحب الخزانة

الى أنه لم يجد في نسبه سنبسا ولا عنبسا كما في الحماسة +

انظر ترجمته في الاشتقاق ٣٨٩ والمؤء تلف ١٢٦ ومعجم الشعراء

٣٤٠ والخزانة ٨٨/٤ ، ٨٩ ، والحواشي : صغار الابل ، والنواضح :

التي يستقى عليها . عالج : رمل في ديار بكر ، وجاسد : حامد ،

وماصح : ناهب .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٠٥ .

والمنخل هو ابن مسعود - والخلاف كبير في اسم ابيه - من بني يشكر

بن بكر بن وائل شاعر جاهلي قديم كان نديما للنعمان بن المنذر

وكان "الأضبط بن قريع السعدى" يشير على قومه بالرأى فينقضونه ويظهرون له أنهم على رأيه حتى إنه صار يمولهم بالسلاح سرا لئلا يثير حفيظتهم عليه ، فيقول مستغربا هذا الموقف منهم وتمعجبا :

أذودُ عن حوضِهِ ويدفعُنِي يا قومُ من عازِرِي من الخدعةِ (١)
ويشكو " طرفة الجذبي " سوء معاملة قومه له ويتهددهم بقوله :

ولكنني كنتُ امرأً من قبيلةٍ بفتٍ وأتتني بالمظالمِ والفخرِ
وإني لشرُّ الناسِ ان لم أبتهمُ على آلةٍ حدباءُ نابيةِ الظهرِ
وحتى يفرَّ الناسُ من شرِّبِيننا ونقعدُ لا ندرى أننزع أم تجرى (٢)

وهجاء العشيرة والقوم لو كان للمصالح الذاتية إنما كان المقصود به طلب النصفة واصلاح ما اعوج من أمورهم بدليل أن " عقييل بن علفة "

لما سئل : أتتهجو قومك ؟ قال : الغنم اذا لم يصفر بها لم تشرب. (٣)

====
يقال ان النعمان قتله بعد ان اتهمه بامرأته المتجرده ويقال دفته حيا وبغيا به يضرب المثل .

انظر ترجمته في الموء تلفا ١٧٨ ، والمرزباني ٣٨٧ واسماء المفتالين ٢٣٩ والشعر والشعراء ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(١) الامالي ١٠٨/١ . والاضبط بن قريع بن عوف من بني سعد بن زيد من تميم من المعمرين واحد جرارى مضر ، وهو شاعر جاهلي فارس انظر اخباره في الاغاني (تقدم) ١٥٤/١٦ - ١٥٥ ومجالس ثعلب ٤٨٠ وحماسة الشجرى ١٣٧ والخزانة ٥٨٩/٤ .

(٢) الحماسة بشرح المرزوقي ٤١٢ والموء تلفا ١٤٦ - ١٤٧ . باختلاف يسير . وطرفة الجذبي او الجذمي شاعر فارس احد بني جذيمة بن رواحة من عيس بن بغيض . انظر ترجمته في الموء تلفا والحماسة .

(٣) انظر البيان والتبيين ٦٨/٢ .

والغيرة على مصالح القوم ومصالح الذات انصاف ولو جاءت عن هذه
السييل ما دامت نهايتها وغايتها دعوتهم وتحفيزهممهم الى تقويم سلوكهم
وطباعهم ودفعتهم الى الغيرة على شرفهم ومحتدهم.

وانا فاز الشاعر بمتفاه ورجع القوم عن غيهم أعلن ندمه على

هجائهم والتشهير بهم في مثل قول "كعب بن جعيل التغلبي":

ندمتُ على شتم العشيرة بعد ما مَضَى واستتبتهُ للرواة مَذاهِبُهُ
فلم أستطع ادراكه بعد ما مَضَى وكيف يردُّ الدَرَفِي الضَّرْعَ حَالِيهِ (١)

ج - انصاف ذوى القربى (ابن العم) :

مر بنا أن القبيلة وحدة واحدة تربط أبناءها وشيخة قوية هي رابطة الدم ، وكانت هذه الوحدة قوية جدا بعامل العصبية التي مثلتها القبيلة اصدق تمثيل بحيث لا نجد شعبا آخر يفوق الشعب العربي في الاستمساك بعصبية وتقديم صلة الرحم على ما سواها من الصلات وعصبية العربي لذوى قرباه الاقربين أقوى من عصبية القبيلة بعامه ، وهي عصبية تصل الى حد الايثار بالنفس كما في قصة " كعب بن مامة الايادي " الذي آثر قومه على نفسه بالماء ومات عطشا . (١)

وتتدرج العصبية للأقرب فالأقرب ، فهذا " هجرس بن كليب " ينتقم لأبيه من خاله " جساس " وكان له مثل أبيه (٢) ، ويقف العربي مع ذوى قرباه في الشدة والرخاء وقفة صادقة ، فهذا " عميلة الفزاري " يواسي عمه " أسيد بن عنقاء الفزاري " لما افتقر وساءت حاله ، وقسم ماله شطرين بينهما . (٣)

وإذا فلا عجب أن يكون الانصاف بين ذوى القربى مألوفا ، ولا غرابية أيضا أن يعد قول " ابن غزوية المدني " في ابن عمه في أبيات له :
إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَتِيٍّ عَاتِبًا لِمَقَاذِفٍ مِنْ دُونِهِ وَوَرَائِهِ (٤)
أنصف بيت قالته العرب .

(١) انظر معجم الشعراء للمرزباني ٤٧٩ - ٤٧٢ .

(٢) المرجع نفسه ٤٨٩ .

(٣) انظر القصة بتمامها في الأملالي ٢٣٧/١ .

(٤) ذيل الأملالي ٨٤ .

و "ابن العم" وانصافه يكاد يكون ظاهرة في الشعر الجاهلي ، ولطالما
اشتكى الشعراء من أبناء عمومتهم ، ان يبذلون لهم الود والرفق والانصاف
وان بدا منهم نقيض ذلك .

ولعل "أبا دؤاد الايادي" وهو يصر على وصل ابن عمه الذي قاطعه
من غير ما ذنب جناه يصور ذلك في قوله :

ولقد رابني ابن عمي كعب
أنه قد يروم ما لا يرام
غير ذنب ، بني كنانة إنسي
إن أفرق فإنتي مجذام
لا أعد الإقتار عدما ولكن
فقد من رزته الإعتماد (١)

ومعاملة أبناء العم فرادى وجماعة لا تختلف بأى حال فهذا "النايفه
الذبياني" يبكي على "بني عيس" حين فارقوا ابني ذبيان "وانطلقوا
الى "بني عامر" فيقول منوها بهم ومشيدا :

أبلغ بني ذبيان ألا أخالهم
بعبس إذا حلوا الدماج فأظلمنا
بجمع كلون الأجل الجون لونه
تري في نواحيه زهيرا وحذيمنا
هم يردون الموت عند لقاءه
إذا كان ورد الموت لا بد أكرما (٢)

ويسرد "طرفه" قصته مع ابن عمه "مالك" في معلقته ويتعجب من
موقفه منه فكلما دنا منه يبتعد عنه ، ولا يدرى ما سبب لومه ، فقد أيس
من كل خير كأنه دفنه حيا ، كل ذلك دونما ذنب اقترفه ، وعلى الرغم من
هذا يعلن تمسكه بقرابته ودفاعه المستميت عنه اذا جد الجد وسيكون

(١) ديوانه ٣٣٨ والأصمعيات ١٨٢ .

(٢) ديوانه ١٠٤ والأجل : الجبل الأبيض .

له درما واقية لعرضه ، فما يقوله طرفة مستغربا من معاملة ابن عمه

له :

فَمَالِي أَرَانِي وَابْنُ عَمِّي مَالِكًا متى ما أَدُنُّ مِنْهُ يَنَأُ عَنِّي وَيَبْعُدُ
يَلُومُ وَمَا أَدْرِي عَلَى مَا يَلُومُنِي كما لَا مَنِي فِي الْحَقِّ "قُرْطُبْنُ مَعْبُدٍ"
وَأَيَّاسِنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ عَلَى رَمْسٍ مُلْحَدٍ (١)

ويقول متمسكا بقرابة ابن عمه ودفاعه عنه :

وَقَرَّبْتُ بِالْقُرْبَى وَجَدِّكَ إِنِّي متى يَكُ أَمْرٌ لِلنَّكِيَّةِ أَشْهَدُ
وَإِنْ أَدْعُ لِلْجَلِي أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا وَإِنْ يَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجُهْدِ أَجْهَدُ
وَإِنْ يَقْدِفُوا بِالْقَذَعِ عَرْضَكَ أَسْقِهِمْ بِكَأْسِ حِيَاضِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّهْدُرِ (٢)

فهذا التودد من طرفة لابن عمه رغم مجافاته له انصاف ، وتبدولنا

لهفة " طرفة " شديدة حين يريد أن يبين سبب هذه المعاملة القاسية ،

ولا يجد لذلك سببا الا أن يكون طلبه لابل أخيه " معبد " فيقول :

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قَلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفِلْ حُمُولَةَ مَعْبُدٍ (٢)

ويقول :

بَلَا حَدِيثٍ أَحَدْتُهُ ، وَكَمْ حَدِيثٍ هَجَائِي وَقَدْ نَفِي بِالشَّكَاةِ وَمَطْرُدِي (٢)

وهنا يطلق حكمته الخالدة ، التي تنبئ " باحساسه الأليم بالظلم

فيقول :

وظلمُ ذوى القربى أشدُّ مَاضَاةً على النفس من وقعِ الحسامِ المَهْدَرِ (٢)

(١) ديوانه ٣٧ .

(٢) انظر القصيدة في ديوانه ص ٦ وما يليها .

وموقف " طرفة بن العبد " مع ابن عمه " مالك " وانصافه له
ليس حادثا فرديا عرضيا ، وانما له ما يؤيد ، فالعلاقات الاجتماعية
بين أفراد القبيلة تتسم بميزة خاصة عند العربي وهي أكثر خصوصية
في تعامله مع ابن عمه ، وشواهد ذلك كثيرة .

ولست أرى ما يمنع ادخال منصفات ابن العم في نطاق " الانصاف
في الاخاء " اذ أن الطبرسي استشهد لهذا اللون من الانصاف بقول
" الفضل بن العباس " : يخاطب بني عمه :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم

(١) وَأَنْ نَزِيلَ الْأُذَى عَنْكُمْ وَتَوْءُنُونَا

واذا كان " الانصاف في الاخاء " يشمل البعيد والقريب ، فانه بذوى القربى
أخص ولغيرهم أشمل .

والعربي بطبعه يبادل الود بالود وللبعيد ، والكره بالكره

ولوللقريب ، فهذا " الأُعشى " يوصى ابنه " بصيرا " فيقول :

(١) انظر خزنة الأدب ٣/٥٢٠ - ٥٢١ .

والفضل بن العباس الهاشمي القرشي عم النبي صلى الله عليه وسلم
من شجعان الصحابة ووجههم ، وهو أسن ولد العباس ، وممن
ثبتوا يوم حنين وريف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
استشهد في وقعة أجنادين وقيل في طاعون عماس .
انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣٧/٤ وتاريخ الخميس
١٦٦/١ والأعلام ٥/١٤٩ .

سأوصي بصيرا ان دنوت من الليل وصاة امرى قاسى الامور وجربا
بان لا تبغ الود من متباعيد ولا تنأى من ذى بغضة ان تقربا
فان القريب من يقرب نفسه لعمرا بيبك الخير لا من تنسبا (١)

وهذا " عبيد بن الابرص " يقول :

ساعدا بأرضي اذا كنت بها ولا تقل انني غريب
فقد يوصل النازح النائي وقد يقطع ذوالسهم القريب (٢)

وانصاف القريب مدعاة الى صلة الرحم وانتشال الضغن كما يقول "معن"

ابن اوس :

اذا انت لم تنصف اخاك وجدته على طرف الهجران ان كنت تعقل (٣)

ومهما يكن من شيء فان القريب جزء لا يتجزأ من القبيلة ، فيحتل على

علاته ، ومن أمثالهم قولهم (أنفك منك وان كان أجعد) (٤)

وقولهم (يدك منك وان كانت شلاء) (٥)

(١) ديوانه ٠١١٣

(٢) ديوانه ٠٢٦

(٣) ديوانه ٩٤ . ومعن بن اوس بن نصر المزني شاعر فحل ، من مخضرمي
الجاهلية والاسلام كان معاوية يفضله وهو صاحب لامية العجم له ديوان
شعر مطبوع انظر ترجمته في ديوانه والسمط ٧٣٣ والخزانة ٢٥٨/٣
ورغبة الآمل ٠١٩٠/٥

(٤) الفاخر لابن سلمة ١٤٩ وفيه : " أول من قال ذلك " قنفذ بن جعوانه

المازني " للربيع بن كعب المازني " وانظر الامثال للميداني ٢١/١
وهو فيه (أنفك منك وان كان أذن) أى ما يسيل فيه من مخاط وغيره .

(٥) مجمع الامثال للميداني ٤٢١/٢

والحقيقة أن الشعر الجاهلي في تلك البايعة سياحة متمعة/الظلال
الوارفة تعكس مراهه صوراً من انصاف الاقربين وبخاصة "ابن العم" فمن
ذلك قول "أبي بن حمام بن قراد العبسي" يشكو من حسد "خالد"
ولعله أخوه أو ابن عمه، ومع ما يبديه من عداوة له فإنه وان بادله الشعور
ذاته يبذل له صفاء نفسه وطيب معشره فيقول :

تمنى لي الموت المَعَجَّلَ خالداً	ولا خير في من ليس يُعْرِفُ حاسدهُ
فحلَّ مقاماً لم تكن لتَسُدَّهُ	عزيراً على عيسٍ وذُبيانِ ذاشدُهُ
أعادلتني كم من أخٍ لي أودُهُ	كريمٍ عليّ لم يلدني والشدُّ
إذا ما التقينا لم تراني أكُدَّهُ	ولكنني مشنٍ عليه وزائِدُهُ
وأخر أصلي في التناسبِ أضملُهُ	يباعدني في رأيه وأباعدُهُ
يود لو أنني فقد أول فاقيدِ	وأيضاً أود لو أنني فاقيدُهُ (١)

وكان "لعلمة الفحل" ابن عم يمتلي قلبه بالحقده عليه، كلما اندمل جرح
للجفوة بينهما فتح جرحاً آخر. ولا يكاد يببراً قلبه من البغضاء
، يحل به الكرب العظيم ان رأى خيراً أصاب علقمة، فهو انسان نافر منفر
شرير، فاحتمل "علقمة" أذاه مراعاة لقربته وانصاف الكرام للنام،

(١) الموء تلف والمختلف ٩١ . وأبي بن حمام من بني قطيعة بن عيس
شاعر جاهلي فارس، ولم أقف له على ما أترجم له به.
انظر الموء تلف ٩١ والتبريزي ٣٨٩/١

يقول علقمة :

ومولى كمولى الزيرقان دملته كما دملت ساق تهاض بها وقر
إذا ما أحالت والجباير فوقها أتى الحول لأبر جهمولا كسر
تراه كأن الله يجدع أنفه وعينه إن مولا ه شاب له وفر
تري الشر قد أفنى دوائر وجهه كضب الكدى أفنى أنامله الحفر^(١)

ومن انصاف ابن العم قول "أوس بن حجر" :

لأشتم ابن العم إن كان ظالماً وأغفر عنه الجهل إن كان جاهلاً
وإن قال لي ماذا ترى يستشيرني يجديني ابن عم مخلط إلا مرمزلاً^(٢)

ويقول "أمرؤ القيس" يذكر انصافه لابن عمه وصفحه عنه وتغاضيه عن

مساوئه :

وإبن عمّ قد تركت له صفوا ما الحوض عن كبدته^(٣)

ودونك قول "مزد بن ضرار الغطفاني" في مداراة ابن العم على ما فيه

من العداوة ونصره على شدة خذله وقت الحاجة :

واني للباس على المقت والقلو بني العم ، منهم كاشح وحسود
أذّب وأرسي بالحصا من ورائهم وأبدأ بالحسنى لهم وأعوود^(٤)

(١) ديوانه ١٠٩ ، ١١٠ ، ونسبها في الموء تلف والمختلف ١٤٩ لسخالد بن

علقمة الدارمي (ابن الطيفان) وهوله في لسان العرب ١٣/٢٦٧ .

(٢) ديوانه ١٢٦ وحامسة البحترى ١٧٨ .

(٣) ديوانه ١٢٦ .

(٤) حماسة البحترى ٢٤٦ ولقب "مزد" لبيت قاله واسمه "يزيد بن

ضرار بن حرملة من بني مازن بن ثعلبة من بغيض بن ريث بن غطفان ،

ول " ذى الأصبع العدواني " قصيدة تفيض باعتزازه برعايته لأوصر قرياه
مع " ابن عمه " مع الخلاف الناشب المستعر ، يفخر فيها بعفة نفسه ولسانه
واستعداده للمهادنة مع ابن عمه الذى كان يتدسس الى مكارهه ويشى
به الى أعدائه ، ويبدوها بقوله :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مَخْتَلِفَانِ فَأَقْلِبِهِ وَيَقْلِبْنِي
أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نِعَامَتَنَا فَخَالَتْنِي دُونَهُ وَخَلَّتْهُ دُونِي (١)

ويستمر في تهكمه الهادى العجيب ، الى أن يختتمها ببذله الود والصلح
فيقول :

قَدْ كُنْتُ أُدَّتِكُمْ نَصْحِي وَأَمْنُكُمْ وَدَى عَلَى مَثَبِي فِي الصَّدْرِ مَكْنُونِ
لَا يُخْرِجُ الْكُرْهُ مِنِّي غَيْرَ مَأْبِيئَةٍ وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي (٢)

ومنها قوله :

يَا عَمْرُو لَوْلَيْتَ لِي الْفَيْتَنِي يَسْرًا سَمَحًا كَرِيمًا أَجَازِي مِنْ جِجَارِيْنِي (٣)

وحدث بين " عمرو بن قميئة " وبين عمه " مرشد " ما عكر صفو المودة ،
فلم يصرم " عمرو " حبل المودة مع عمه . ورأى ذلك غيا وسفها ان فعل ،
فبالرغم مما أبداه عمه من بوادر الهجر والاغتياب والكلام المؤذى والامعان
في اللوم ، كان يلتمس له العذر فهو يعتقد أن ذلك وقية أوقعها ظالم

- ===
شاعر جاهلي فارس مشهور أدرك الاسلام فأسلم ، كان هجاء لضيوفه ،
وأقلع عنه باخرة وهو اخو الشماخ بن ضرار لأمه ومزود أسن .
انظر الموء تلف والمختلف ١٩٠ والمرزباني ٤٩٦ والسمط ٨٣ والخزائة ١١٧/٢ .
(١) المفضليات ١٦٠ .
(٢) المرجع نفسه ١٦٤ .
(٣) المرجع نفسه ١٦٤ .

بينهما أجهد نفسي/الكيد لهما ، ومع كل ما فعله عمه وقاله عنه فإنه يقسم

بأنه خير الناس وأكرمهم وأحسنهم جوارا ، يقول " عمرو بن قميئة " :

لعمرك ما نفس بجدٍ رشيدةٍ توأمرني سرا لا صرم مرشدا

وإن ظهرت منه قوارص جمّة وأفرغ في لومٍ مرارا وأصعدا

علو غير ذنبٍ أكون جنيتُه سوى قولٍ باغٍ كادني فتجهدا

لعمري لنعم المرء تدعو بحبله إذا ما المنادي في المقامة نددا

عظيم رماذٍ القدر لا متعبس ولا مؤيس منها إذا هو أوقدا (١)

وكان من العرب من تحمل مشاق عداوة ابن عمه وذوى قرياه على مضض ، ودعا

الى ترك حمل الضغينة لهم كما يقول " معقل بن قيس " :

وأعرض عما ساء قومي ثناؤه واستلج الأذنَى وإن كان ظالما

وأصغ عن ذنب ابن عمي تكرما وأبدي له بشرى إذا كان واجما (٢)

(١) ديوانه ٦ وما بعدها .

وعمر بن قميئة بن ذريح الثعلبي البكري الوائلي النزارى شاعر جاهلي

مقدم ، نشأ يتيما ، صحب حجرا أبا امرئ القيس ، وصحب امرأ القيس

في توجيهه الى قيصر فمات في الطريق فكان يقال له " الضائع " .

كان واسع الخيال في شعره ، له ديوان شعر مطبوع .

انظر ترجمته في ديوانه والامدى ١٦٨ والعرباني ٢٠٠ والخزانة

٠٢٤٩/٢

(٢) حماسة البحترى ٢٤٤ ولم أقف لمعقل على ترجمة .

وكما يقول " أبو زيد الطائي ":

وَإِنَّ أَمْرًا لَا يَتَّقِي سَخَطَ قَوْمِهِ وَلَا يَحْفَظُ الْقُرْبَى لَغَيْرِ مَوْفِقِ (١)

وكان منهم من حاول تجنب عداوتهم واستلال صفائهم كما يقول " غراب بن خالد

السكوني " :

أَلَا مَنْ يَرَى رَأَى أَمْرِي نَذِي قَرَابَةٍ أَبِي قَلْبُهُ بِالضَّغْنِ إِلَّا تَطَلَعَا
وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ مِثْلُ جَنَاحِهِ يَبْقِيهِ إِذَا لَاقَى الْكَيْسَ مَقْنَعَا
وَسَلْمُكَ أَرْجُولَا الْعِدَاوَةِ إِنَّمَا أَبُوكَ أَبِي وَإِنَّمَا صَفْنَا مَعَا (٢)

بل وكانوا يفخرون بذلك كما يكشف عنه قول " الحادرة ":

فَلَسْنَا بِحِمَالِي الْكُشَاةِ بَيْنَنَا لَيْسَيْنَا الذُّحُلُ الضَّغَائِنُ وَالْحَقْدُ (٣)

ويدعون من يحاول ظلم الأقرباء بالرجوع عن غيه ، وينعون عليه فعلته ، يقول

" عوف بن عطية " بن الخرع التيمي " :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي جُرِيحَةَ آيَةٍ فَهَلْ أَنْتَ عَنْ ظَلَمِ الْعَشِيرَةِ مَقْصِرٌ (٤)

(١) ديوانه ١٢٢ وانظر حماسة البحترى ٢٤٤ . وأبو زيد هو المنذر بن حرملة

الطائي القحطاني شاعر نديم معمر من نصارى طي ، عاش زمانا في الجاهلية وأدرك الاسلام ولم يسلم ، ولم يستعمل عمر نصرانيا غيره ومات في زمن معاوية له ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته في ديوانه والمعمرين ٨٦ والخزانة ١٥٥/٢ والشعر والشعراء ٢٦٠ .

(٢) الموءتلف والمختلف ١٦٣ و غراب هذا شاعر فارس صاحب غارات في العرب ولم أقف له على ترجمة .

(٣) ديوانه ٧٠ . والحادرة او الحويدرة (الضخم) لقب قطبة بن أوس بن محصن من بني مازن بن شعلبة من غطفان شاعر جاهلي مقل له ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته في ديوانه والمفضليات ٤٣ والاغاني (دار ٢٧٠/٣ - ٢٧٥ .

(٤) البيان والتبيين ٨٧/٣ .

غير أن الظلم قد يبلغ مداه ويخرج عن حد طاقة الصبر، فلا يجد العربي متنفسا يريح به نفسه من لآوائها، وبعد أن يدارى ويوالي ويكتم ويصبر، يضيق ذرعا بمن لا يرعى لانصافه حقا ولا لمشاعره وزنا، وينفت أناته ويرسل آهاته حرى ولا يجد أمامه الا الوعيد يقول "وعلة بن الحارث الجرمي":

مَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لَأُجْبِرَ عَظْمَهُ حِفَاطًا وَيَبْقَى مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي
أُظُنُّ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَتَحْمَلُهُمْ مِنِّي عَلَى مُرْكَبٍ وَعُورٍ (١)

وفي تجنب ابن عم السوء والتباعد منه وقطعه يقول "ابن الدثنة الثقفي":

تَبَعَ ابْنَ عَمِّ الصِّدْقِ حَيْثُ لَقِيْتَهُ فَإِنَّ ابْنَ عَمِّ السُّوءِ أُوغِرَ جَانِبُهُ
تَبَغَيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا وَجَدْتُهُ أَرَانِي نَهَارَ الْقَيْظِ تَجْرِي كَوَاكِبُهُ
مَتَى مَا أَدْعُهُ يَعْتَمِدُنِي بِشَرِّهِ وَتَدْبِبُ إِلَيَّ حَيْثُ كَانَتْ عَقَارِبُهُ
وَرَبَّ ابْنَ عَمِّ تَدْعِيهِ وَلَوْ تَسْرَى مَفْسِيْبَةً مَا يُخْفِي سَاءَكَ غَائِبُهُ (٢)

ويهدد ذوالأصبع العدواني "ابن عمه" عمرا فيقول:

يَا عَمْرُو! لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةَ اسْقُونِي (٣)

(١) الموء تلف والمختلف ١٩٦٠.

ووعلة شاعر جاهلي من الفرسان يمانى الأصل من جرم قضاة، كان صاحب اللواء يوم الكلاب الثاني وانهزم، وكان وعلة وابنه الحارث من فرسان قضاة، وانجادهما وشعرائهما.

انظر ترجمته في الموء تلف ١٩٦٠ ومعجم ما استعجم ٣٩٣، ١١٣٣، والحيوان ٣١٧/٢ والمعاني الكبير ٢٦٧ والاغاني (ساس) ٧١/١٥، ٧٢، ١٣٩/١٩، والنقاظ ١٥١، ١٥٥٠.

(٢) حماسة البحترى ٢٤٣.

(٣) المفضليات ١٦٣.

وقد تبلغ العداوة بين الأقارب أقصى حدود العداوة ، فهذا المتلمس الضبعي كان يعيش عند أخواله " بني يشكر " وهو من ضبيعة " ولما سأل " عمرو بن هند " الحارث بن حلزة " اليشكري " عن نسب " المتلمس " قال : أوانا يزعم أنه من بني يشكر وأوانا من ضبيعة " فقال " عمرو بن هند " : ما أراه إلا كالساقط بين الفراشين .

ولما بلغ الحديث " المتلمس " ثار و غضب وأعلن مقته و عداوته الصريحة المعينة للحارث بن حلزة وقال مخاطبا له معلنا عداوته الشديدة له :

أَحَارِثُ إِنَّا لَوِ تَشَاطُ دِمَاؤُنَا تَزِيلُنَّ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمَ دَمَانَا (١)

فإذا ما وقعت أحداث ومصادمات بين أبناء العمومة من العشائر والقبائل ، نصبوا حكما لفض النزاع بينهما يرتضيه الطرفان ، وبذل الصلح والحق والانصاف وطلبه في هذه الحكومة انصاف للخصوم من أبناء العمومة .

وقد مر بنا قول " عوف بن الأُحوص " في الشر الذي هاج بين بعض " بني جعفر " و " بني كعب " :

أَقْرُّ يَحْكِمِكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا وَالزَّمُّهُ ، وَإِنْ بَلَغَ الْفَنَاءُ (٢)

وفيها يطلب العدل في الحكم ويندد بالاشتطاط فيه ، ويعرض ابنه دأبا يحكمون فيه بما يشاءون .

وقد يوجه الشعر لاصلاح القبيلة والجماعة ، ويوظف للملحة شتات القوم ، وتهدئة الخواطر والمشاعر ، وتسوية النزاعات . (٣)

(١) ديوانه ١٦ وانظر الاُصمعيات ٢٤٥ .

(٢) انظر ص ١٧٠ من هذا البحث ، والمفضليات ١٧٤ .

(٣) انظر مثلا لذلك قصيدة الحصين بن الحمام المرى في المفضليات

٦٤ و ٣١٦ والنقائض ١٠٦ وديوان النابغة ١٩١ وقصيدة قبيصة

الجرمي في حماسة المرزوقي ٦١٢ وقصيدة خداش بن زهير يوم

" شواخط " في شعره ص ٥٧٨ وما بعدها .

ويمكن أن نطلق على هذا النوع من المشاحنات " النزاعات الداخلية " وغالبا ما تسوده أو تغلب عليه روح النصفة ، أو تنتهي الى صلح وتصاف .
وخضوع العربي للحكم الذي يصدره المحكمون في نزاع الأقارب ينطوي على روح النصفة لديه المشبعة بالعصبية .

*

٢ - الانصاف في المعاملة خارج نطاق القبيلة :

كان العربي بطبعه خريصا على القوة شديد العناية بمظهره ليببدو قويا فارسا تنهيه الأقران ، وهو كذلك في أخلاقه ، يعشق أخلاق القوة والمجد ، يأبى أن يمس جانبه بدم ويتقى بما له عرضه ، يقول " المرقش الأكبر " :

لكننا قومٌ أهَابَ بنا
في قومنا عفاةٌ وكَرَمٌ
أموالنا نقي النفوسِ بها
من كلِّ ما يُدني إليه الذمُّ (١)

فالحازم القوى في نظره ليس كالضعيف المتخاذل المتراخي ، وكان يطمح الى أعلى المناصب ، ولا يصل اليها الا من فاق في خلقه وخلقه ، يقول أبو قيس ابن الأُسَلت :

الحزمُ والقوةُ خيرٌ من ال
إدْهانٍ والفكّةِ والهَـاعِ
ليسَ قَطاً مِثْلُ قُطِيٍّ ولا ال
حَرَمِ في الأَقوامِ كالرَاعِي (٢)

ومن هنا اختط العربي لنفسه طريقة ومثلا يحتذيها لا يحيد عنها ، فهو دمث الأخلاق رقيقها حلو المعشر مع من صفت له نفسه وطابت مودته ، اما اذا اشتم راحة الظلم والعداوة فانه يتحول الى قوة مدمرة ، يقول " الشنفرى " :

(١) المفضليات ٢٤٠ .
(٢) ديوانه ٧٩ ، ٨٠ ، وانظر المفضليات ٢٨٥ .

وَإِنِّي لَحَلَوٌ إِذَا أُرِيدَتْ حَلَاوَتِي وَمُرُّ إِذَا نَفَسَ الْعَزُوفِ اسْتَمَرَّتْ
أَبِي لِمَا آبَى سَرِيحَ مَبَاءِ تَيْبِي إِلَى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسْرَتِي (١)

وذلك لا يخرج عن حدود النصفة ولا يجيد عنها ، فالناس أجناس لا يمكن أن
يعاملوا بأخلاق ثابتة لا تتغير ، يشير الى ذلك "امروء القيس" بقوله :

اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتُ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّجُلِ
وَمِنَ الطَّرِيقَةِ جَائِرٌ وَهُدًى قَصَدَ السَّبِيلِ وَمَنْهُ ذَوْدَ خَلِ
إِنِّي لَا ضَرَمٌ مِنْ يُصَارِمَنِي وَأُجِدُّ وَضَلَّ مِنْ ابْتَغَى وَضَلِي (٢)

والمعاملة بالنصفة لا تفرق بين غنى وفقير أو خطير وحقير ، فالكل سواسية ،
يقول "عمرو بن حلزة اليشكري :

لَا تَكُنْ مُحْتَقِرًا شَأْنِ أَمْرِي رَبِّمَا كَانَ مِنَ الشَّأْنِ شُئُونِ (٣)

ويقول "الأضبط بن قريع السعدى :

وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَكَهُ يَوْمًا ، وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ (٤)

وخير أخلاق الانصاف التقوى يقول "عدى بن زيد :

فَدَعْ الْبَاطِلَ وَالْحَقَّ بِالتَّقَى فَتَقَى رَبَّكَ رَهْنًا لِلرَّشَادِ (٥)

(١) المفضليات ١١٢ .

(٢) ديوانه ٢٣٨ .

(٣) معجم الشعراء للمريزاني ٢٠٣ . وعمرو بن حلزة أخو الحارث بن حلزة
جاهلي قديم .

(٤) الأُمالي ١/١٠٨ .

(٥) ديوانه ٤٣ وانظر حماسة البحترى ١٦٠ . ورواية البيت في ديوانه :

فدع الباطل واعمد للتقى وتقى الخ

وأخلاق العربي مع صديقه ونديمه على هذه الوتيرة ، غرض الطرف
عن أذاه ، واعتذاره بالقول والفعل الجميل ، واستلال ضعفه والتمسك
بصداقته ، والبعد عن كثرة اللجاج التي تورث العداوة ، يجسد هذه
المعاني " حاتم طي " في قوله :

وعوراءَ جاءت من أخٍ فرددتها بسالمة العينين طالبة عذرا
ولو أنني إذ قالها قلت مثلها ولم أفر عنها أوثت بيننا غمرا
فأعرضت عنه وانتظرت به غدا لعل غدا يبدي لمنتظرا أمرا
وقلت له عد للأخوة بيننا ولم أتخذ ما كان من جهله قبرا
لا نزع ضبا كائنا في فؤاده وأقلّم أظفارا أطال بها الحفرا (١)

ومن أخلاق المعاملة المنصفة الوفاء بالعهد ، وهذا الخلق امتزج بنفس العربي
وخالط شفاف قلبه ، وفضل الموت على الغدر بالعهد ، ولا يبالي بما
يحدث في سبيل الوفاء بالعهد ، فهذا " السموءل بن عاديا " (٢) يخبر
بين قتل ابنه أو الغدر فيأبى الا الوفاء ولو قتل ابنه ، ويقول :

- (١) ديوان حاتم طي * ٢٩٩ . رواية ابن الكلبي وصنعة يحيى بن مدرك
الطائي تحقيق ودراسة د . عادل سليمان جمال مطبعة المدني القاهرة .
وتختلف نسبة الابيات فهي في ذيل الامالي ٦٢ ، ٦٣ منسوبة لحاتم
طي * ، وفي الموء تلف والمختلف ص ٥٥ منسوبة لانس بن ابي أناس
الكناني ، وهي في حماسة البحتري ١٧١ منسوبة للأعور الشني .
والاختلاف في الروايات يسير وثلاث منها لدريد بن الصمة في الحيوان
٤١/٦ . هذا وقد أفرد البحتري في حماسته ، بابا في هذا المعنى
أقصد العفوعن المسي * وترك مجازاته انظر ١٨٠ - ١٧٢ .
(٢) بن العريض كما جاء ذلك في الاصمعيات .

وَفَيْتُ بِأَدْرَعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ
وَقَالُوا إِنَّهُ كَنْزٌ رَغِيْبٌ فَلَا وَاللَّهِ أَغْدُرُ مَا مَشَيْتُ (١)

والوفاء بالعهد تاج على رؤس الفرسان والسادة يتزينون به ويباهون ، واذنا
فقدوه انطفأت حللهم ، وخبا نورهم ، يقول " خدش بن زهير " يفخر بوالده :

أَبِي فَارِسُ الضُّحْيَا عَمْرُوبُ بْنُ عَامِرٍ أَبِي الدَّمِّ وَأَخْتَارُ الوَفَاءِ عَلَى الغَدْرِ (٢)

وانجاز الوعد وقرن القول بالفعل ، وترك المعاطلة ، انصاف في المعاملة ، وكان
العرب يقدرون انجاز الوعد ، ويذمون من يعاطل به ويعيرونه بذلك ،
يقول الأعمش مفتخرا منصفا :

وَإِنِّي إِذَا مَا قُلْتُ قَوْلًا فَعَلْتُهُ وَلَسْتُ بِمِخْلَافٍ لِقَوْلٍ مُبَدَّلٍ (٣)

ويقول " الممزق العبدى " ناصحا وصادقا :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِيدَ أَنْ يُتِمَّ القَوْلُ فِي شَيْءٍ نَعَمْ
فَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ فَأَصْبِرْ لَهَا يَنْجَاحِ القَوْلِ إِنْ الخُلْفَ ذَمٌّ (٤)

وجزاء الخير بمثله والشكر كذلك انصاف وتنصيف ، يقول أوس بن حجر :

فَعِنْدِي قُرُوضُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ كُلُّهُ فَبِوَأْسٍ لَدَى بُوَأْسٍ وَنَعَمْ لِأَنْعَمْ (٥)

ولعله لا يكتفي برد الجميل بمثله بل يزيد عليه ، يقول عدى بن زيد :

وَإِنْ كَانَتِ النِّعْمَاءُ عِنْدَكَ لِأَمْرِي فَمِثْلًا بِهَا فَأَجْزِ المُطَالِبَ وَأَزِدْ (٦)

وربما كان " ذو الخرق الطهوى " يطلب الانصاف حين اكتفى غلام من قومه

برد اساءة السب والشتم بمثلها ، فيقول :

- (١) ديوانه ٨٠ وانظر حماسة البحرى ١٤١ والبيت الثاني فيه :
وقالوا عنده مال كثير ولا والله اغدر ما حييت
(٢) شعره ٥٧٨ ، وانظر جمهرة أشعار العرب ٥٣٣ .
(٣) ديوانه ٣٥٣ وانظر حماسة البحرى ١٤٣ .
(٤) حماسة البحرى ١٤٥ والبيت الاول في ديوان المثقب العبدى ٢٢٧ وانظر
المفضليات ٢٩٣ . وهي فيه للمثقب العبدى .
(٥) ديوانه ١٢١ .
(٦) ديوانه ١٠٤ .

X وهي في
المثقب العبدى

فما كان ذنبُ بني مالكٍ بأن سبَّ منهم غلام فسبَّ (١)

والرجوع الى الحق فضيلة وانصاف ، ولوم النفس على ما بدر منها من ذلك رجوع
عن الغي وأوبة الى سواء السبيل ، يقول " الحارث بن ولة الجرمي " :

(٢) وما عاتب المرء الكريم كنفه ولا لام مثل النفس حين يلوم

ويقول " الحصين بن الحمام المري " :

(٣) لعمرُك ما لام امرؤ مثل نفسه كفى لامرئ ان زلَّ بالنفس لائما

وكان العربي يعقت النفاق والخدر والكذب والغش في المعاملة ، ويحب
الوضوح والصدق والنقاء ، ولا ننسى قول " المثقب العبدى " يخاطب
" عمرو بن هند " :

فأما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غشي من سميني

(٤) والا فأطرحني واتخذني عدوا أتقيك وتتقيني

وانذا كره العربي كان كرهه وبغضه مالئا كل قلبه يظهره لعدوه ولعن ينافسه
دون موارد أو تحايل ، فهو صريح في حبه صريح في بغضه ، وقلبه يمتلي
بأحدهما ولا مجال للاخر معه على حد قول " يزيد بن الخذاق الشني " :

(٥) لن تجمعوا ودي ومعتبي أو يجمع السيفان في غمدي

-
- (١) الموء تلفا والمختلف ١١٩ . وذو الخرق لقب ثلاثة شعراء كلهم من
بني طهية وقائل هذا الشعر هو قرط بن قرط من بني مالك بن حنظلة
ابن طهية من تميم ، شاعر جاهلي فارس ، انظر ترجمته في الموء تلف ١٠٩ ،
١١٩ والنقائض ١٠٧٠ والاصمعيات ١٢٤ والسمط ٧٤٧ .
- (٢) حماسة البحتری ١٠٧ .
- (٣) المرجع نفسه ١٠٧ .
- (٤) ديوانه ٢١١ ، ٢١٢ .
- (٥) المفضليات ٢٩٦ .

لأنه يرى أن التظاهر بالأخلاق ضعف لا بد أن يكشف، وأن الخلق الأصيل قوى معدنه على حد قول "ذى الأصبع العدواني":

كل امرئٍ راجعٌ يوماً لشيئته وإن تَخَلَّقَ أخلاقاً إلى حين (١)

وقوله :
لكلِّ فتى من نفسه أريحيسة وتربى على ما كان منه الضرائب (١)

وحتى في المفاخرة، كان لا يخفى إعجابه بخصمه، ولما تفاخر "يزيد بن عبد المدان" و"عامر بن الطفيل" أمام "أمية بن الأسكر الكناني" في خطبة ابنته، غلب "يزيد" "عامرا" ولكن "يزيد" لم يشتط في زهوه ولم يخف إعجابه بعامر بن الطفيل وقال - مرخما له - يرفع من شأنه ويقدر فيه فروسيته وشبابه وفتوته وكرمه ومنعته :

يا عام أنك فارس ذوميعية غيُّ الشباب أخوندي وقيان (٢)

(١) حماسة البحتری ٠٢٢٥

(٢) الأغاني (ثقافة) ٩/١٢ و يروى منعة .

أ - انصاف الصداقة والصديق :

وإذا تأملنا شعر (المنصفت) خارج اطار القبيلة ادركنا أنه اذا كان العربي على عصبية الشديدة لقومه ميالا بفطرته الانسانية الى عقد صداقات مع افراد من غير قومه ، فان عصبية لم تقف حائلا بينه وبين انصاف اصدقائه بل انه كان مضرب المثل في اخلاصه ووده لاصدقائه من غير قبيلته ، يتسامح معهم ويغض عن سيئاتهم ، يقول " عوف بن الأحوص " :

(١) إذا قِيلَت العوراءُ وليتُ سمعها سوى والم أسئلُ بها : ما دبِيرُها

واحتمال الاساءة تشبث بالصداقة وبذل الجهد لتأكيد دوامها ، يجسد هذا الموقف " ثعلبة بن عمرو العبدى " مع صديقه " عريب " فيقول :

إِنَّ عَرِيْبًا وَإِنْ سَاءَ نِي أَحَبُّ حَبِيْبٍ وَأَدْنَى قَرِيْبٍ

(٢) سأجعلُ نفسي له جُنَّةً بشاكي السِّلَاحِ نَهِيْكَ أَرِيْبٍ

ويؤكده " ضمرة بن ضمرة " في قوله :

(٣) أذيقُ الصديقَ رأفتي واحاطِتي وقد يشتكى مني العداة الأبعدُ

ولم يجد " أعشى باهلة " في رثائه لأخيه من أمه " المنتشر " وهو يعدد مناقبه خيرا من أن يصفه بحسن معاملته لصديقه فيقول :

(١) الموء تلف والمختلف للامدى ٢٧٦ وهو منسوب لمضرم بن ربيعي في معجم المرزباني ٣٩٠ وهو شاعر اسلامي .

(٢) الا صمعيات ٢٥٣ - ٢٥٤ . ذكر المرزباني في معجم الشعراء ان

" معاوية بن حذيفة بن بدر الفزاري " كان يلقب بعريب ابط الشمال

والغريب أن الغندجاني في كتابه " اسما خيل العرب وأنسابها "

١٧٥ يذكر أن " عريب " اسم فرس لثعلبة ، ولم تذكره كتب الخيل

غيره ، وهو بلا نسبة في القاموس المحيط .

(٣) المعاني لابن قتيبة ٠٨١

من ليس في خيره شريككدره
على الصديق ولا في صفوه كدر (١)

وكذلك كان "الأفوه الأودى في قوله :

الخل راضٍ شاكر في عهده
وعدوه المقهور منه آذ (٢)

وكان العرب يفخرون بانصافهم لأصدقائهم واحلالهم المكان اللائق بهم في ديارهم وصونهم عما يسىء اليهم من فاحش القول والعمل يقول : "الحادرة "

فلا فحش في دارنا وصدقنا
ولا ورع النهي اذا ابتدر المجد (٣)

ويضع النابغة الذبياني دستوراً لمعاملة الأصدقاء المنصفة وكأنه بذلك يريد أن يصور لنا أخلاق العربي مع أصدقائه ، فجاء على صورة نصائح حكيمة ، يقول النابغة :

واستيق ودك للصديق ولا تكن
قتباً يعص بقاربٍ ملحاحاً
ضغناً يدخل تحته أحلاسه
شد البطان فما يريد براحاً
والرفق يمن والأناة سعادة
فاستأن في رفق تلاقٍ نجاحاً (٤)

وكان العربي يدارى صديقه ويواليه ويصبر له على كل شيء إلا الذل فإنه لا يرضى به من أي كائن كان ، صديقاً أو أخاً أو قريباً ، وهو لا يرضى به وحيداً فكيف يرضى به على الملأ ، يقول "عميرة بن جعل" :

- (١) الأسمعيات ٩٠ . وأعشى باهلة ، يكنى "أبا قحفال" واسمه "عامر بن الحرث بن رباح من بني ربيعة بن زيد من قيس عيلان" شاعر جاهلي مجيد ، له خبر غريب عجيب في الأغاني (ساسى) ٢٠٥ ، ٥٠ / ٣ مع بشار بن برد وعقبة بن سليم وحماد عجرد ؟
انظر ترجمته في الموء تلف ١٤ والسمط ٧٥ - ٧٦ والخزانة ٩٠ / ١ - ٩١ والاشتقاق ١٦٤ .
- (٢) ديوانه ٥١١ (٣) ديوانه ٧٠ .
- (٤) ديوانه ٢٠٠ .

إِذَا ضَيِّقَتْ أُمْرًا ضَاقَ جَدًّا وَإِنْ هَوَّنَتْ مَا قَد ضَاقَ هَانَا
سَأَصْبِرُ مِنْ صَدِيقِي إِنْ جَفَانِي عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهَوَانَا (١)

والصديق الوفي الودود قد يقدم على مصالح القبيلة ، ولا يعزب عنا قول

" زيان بن سيار المرى " يعتذر الى قبيلته عن حرب الصديق ويجعل نفسه تحت طوعها ما لم تحارب صديقا :

(٢) أَبِي مَنُؤَلَةَ ، قَدْ أَطَعْتَ سَرَاتِكُمْ لَوْ كَانَ عَنْ حَرْبِ الصَّدِيقِ سَبِيلٌ
وكان العرب يعدون الوفاء مع الأصدقاء خلقا نبيلًا من أخلاق الأحرار الشرفاء ، لذلك كانوا يختصون الأحرار بالصدقة ويتباعدون عن العبيد ، لزعيمهم أن أخلاقهم لا ترقى الى مستوى أخلاق الأحرار ، يقول " عميرة بن جهمل التغلبي " :

تَوَثَّقَ مِنْ إِخَاءِ الْحُرِّ إِنِّي رَأَيْتُ الْعَبْدَ فِي الْحَالَاتِ عَبْدًا
يَزِيدُ الْحُرَّ خَيْرًا كُلَّ يَوْمٍ وَخَيْرُ الْعَبْدِ قَنْبُ يَزِيدُ بَعْدًا
إِذَا جَرِيًا لِغَايَةِ مَكْرَمَاتٍ كَبَا هَذَا ، وَبَرَزَ ذَاكَ شَدًّا (٣)

وقد يحدث بين الأصدقاء ما يعكس صفو المودة بينهما ، وانصاف الصديق حينئذ أن يتلمس له الأعذار ، ويعتبر جفوته غير متعمدة ويبقى على مودته لعل الأيام ترده لسالف عهده ، يقول " دوسر بن زهيل القريني " :

إِذَا مَا أَمْرٌ وَلَى عَلَى بَوْدِهِ وَأَدْبَرَ لَمْ يَضُدْ بِأَدْبَارِهِ وَدَى
وَلَمْ أَعْتَذِرْ مِنْ خِلَالِ تَسْوُؤِهِ لِمَا كَانَ يَأْتِي مِثْلَهُنَّ عَلَى عَصِدٍ (٤)

وقد يعاتب عتابا رقيقا لا يفسد الود الذي بينهما ، كما في عتاب " عصام بن عبيد الزماني " لصديقه أبي مسمع الذي يقول فيه من أبيات له :

(١) معجم الشعراء ٢٤٥ .

(٢) المفضليات ٣٥٢ .

(٣) معجم الشعراء ٢٤٥ .

(٤) الأصمعيات ١٥١ ويقال ان هذا الشعر لرجل من بني يربوع (كما

ذهب الى ذلك الاصمعي) .

أَبْلَغَ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مَغْلَغَلَةً وَفِي الْعَتَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامٍ
أَدْخَلْتَ قَبْلِي أَقْوَامًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَّا بَوَابَ قَدَامِي (١)

أما "تأبط شرا" فقد اختار الفرار من الصديق غير المخلص، جريا على عادته
في الفرار من وجوه أعدائه فيقول :

وَإِنِّي إِذَا خَلَّةٌ ضَنْتَ بِنَائِلِهَا وَأَمْسَكْتُ بِضَعِيفِ الْوَضْلِ أَحْذَاقِ
نَجَوْتُ مِنْهَا نَجَائِي مِنْ بُجَيْلَةٍ إِذْ أَلْقَيْتُ لَيْلَةَ خَبْتِ الرَّهْطِ أَوْرَاقِي (٢)

قصارى القول أن العربي لم يكن منعزلا ومنطويا على نفسه أو متقوقعا داخل
حدود عصبية القبيلة فاتخاذ الأصدقاء من غير القبيلة كان أمرا شائعا، ويذكرون
أن "بسطم بن قيس الشيباني" كان صديقا حميما لعنترة بن شداد " وقد
رثاه عنتره لما قتل رثاء حارا منه قوله :

أَيَا صَاحِبِي فَقَدِي لِبِسْطَامٍ هَدَنِي وَأَجْرِي دُمُوعِي فَوْقَ خَدِّي سُجْمًا (٣)

ومن حكم العرب السائرة قول "الأضبط السعدي" يوصي ولده :

وَصِلْ حَيَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصِرِ الْقَرِيبَ إِنْ أَنْقَطَعَهُ (٤)

- (١) الحماسة بشرح المرزوقي ١١٢٠ والابيات منسوبة في البيان والتبيين
لهمام الرقاشي . وعصام هذا اسلامي على الأرجح لأن له خبرا مع
مروان بن الحكم . انظر معجم الشعراء للمرزباني ٠٢٧٠ . وعده صاحب
الخرانة جاهليا . انظرها ٣/٣٤٦ .
- (٢) ديوانه ١٢٩ وانظر المفضليات ٠٢٨ .
- (٣) لم أجد أبيات رثائه في ديوانه ، وانظر موسوعة الشعر العربي
٣٢٩/٣ . ويبدو لي أن قصة صداقتها مختلفة إذ أن عنتره توفي
سنة ٢٢ ق.هـ . وأدرك بسطام الاسلام ولم يسلم ، الا على رأى من يقول
أن بسطام قتل يوم "نقا الحسن" قبل البعثة . ويواز وجهه نظري
أن الشعر تبدو عليه مسحة الصنعة واضحة .
- (٤) الأماي (١) ١٠٨

ب- الانصاف في معنى العرفان بالجميل :

ويسجل الشعر العربي الجاهلي لونا من الانصاف في معنى شكر المعروف

أو العرفان بالجميل ، ولا غرابة فان تسدى معروفا أو تصنع جميلا فذلك انصاف ، وأن يقدر صنيعك ويشكروا تحفظ أياديك فذلك انصاف أيضا .

وأكبر متفضل ومنعم غي الوجود هو الله فشكره تقوى وطاعة ، يقول

" عدى بن زيد العبادي " :

(١) شَيْعَتِي نَعْمَى عَلَيَّ لِمَا وَآ
ثَقْتُ رَبِّي إِنْ التَّقَى شُكُورُ

وكان العرب يقدرون الجميل ويعرفون لصاحبه فضله ، يقول قائلهم :

(٢) سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَخْتُ مَنِّي
أَيَادِي لَمْ تَعْنَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَسَتْ

وبرغم ما بدر من " النعمان بن المنذر " تجاه " النابغة الذبياني " فانه لم

ينكر للنعمان فضله وقال :

(٣) وَمَنْ يَغْرِفُ مِنَ النُّعْمَانِ سَجَلًا
فَلَيْسَ كَمَنْ يَتِيهُ فِي الضَّلَالِ

ويخاطب النعمان بن المنذر " ويقسم له بأغظ الأيمان انه لا يزال على عهده

وفيا شاكرا فيقول :

فلا عَمْرَ الَّذِي أَثْنَى عَلَيْهِ
وَمَا رَفَعَ الْحَجِيجُ إِلَيَّ إِلَّا لِي
لَمَّا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَأَنْتَ صِحْنِي
وَكَيْفَ وَمِنْ عَطَاكَ جُلُّ مَالِي
وَلَوْ كَفَى الْيَمِينُ بَغْتِكَ خُونًا
لَا فَرَدْتُ الْيَمِينَ مِنَ الشَّمَالِ
وَلَكِنْ لَا تُخَالِ الدَّهْرَ عِنْدِي
وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْزِيَةُ الرَّجَالِ (٣)

(١) ديوانه (٩) وانظر حماسة البحتری ١٠٩ .

(٢) حماسة البحتری ١٠٩ ولم ينسبها .

(٣) ديوانه ١٥٠ والسجل : الدلو الملوقة .

وفي شكر الجميل وتقديره لا هله يقول : " ثوب بن النار اليشكري " :

كفاني أبو حسان نفسي فداؤه تعالي أقوام ذوى نعم دشر
فأضحى عيالي كلهم كعياله سواء ثووا في ظل ذى فخر فمسر
فأثنوا عليه بالسماحة والندى لا تكفروا ان الكرام ذوو شكر (١)

وسلب قوم ابل " سبيع بن الخطيم التغلبي " فاستنجد ب " زيد الفوارس الضبي " فاستنقذها وأعادها اليه ، فقال شاكرا منصفا :

نبهت زيدا فلم أفزع إلى وكيل رث السلاح ولا في الحي مكثور
ان ابن آل ضرار حين أندبته زيدا سعى لى سعيا غير مكفور (٢)

وفي يوم " ذى طلوح " أسر " عبدالله بن عنمة الضبي " فافتكه " متم بن نويرة " فقال عبدالله :

جزى الله رب الناس عني متمما بخير جزاء ، ما أظف وأنجدا
أجرت به أبناؤنا وبناتنا وشارك في أطلاقنا وتفردا
أبانهشيل إني لكم غير كافر ولا جاعل من دونك المال موصدا (٣)

وكان " أحمر بن جندل " أسيرا في يد " صعصعة بن محمود " فأطلقه ، فقال أخوه " سلامة بن جندل " :

سأجزيك بالقد الذي قد فككته سأجزيك ما أبلتتنا العام صعصعا
فان يك محمود أباك فاننا وجدناك منسوبا إلى الخير أروعا
سأهدى وإن كنا بتثليث مدحة إليك وإن حلت بيوتك لعلعا
فان شئت أهدينا ثناء ومدحة وإن شئت عدينا لكم مائة معا (٤)

(١) المؤء تلف والمختلف للامدى ٣٧٠ .

(٢) ذاته ١١٢ .

(٣) العقد الفريد ٤٣/٦ النقااض ٥٨ واختلاف الرواية يسير .

(٤) أبياته في ديوانه ٢٠٤-٢٠٥ وانظر البيان والتبيين ٣/٣١٨-٣١٩ وفي الرواية كثير اختلاف .

وكان أوس بن حجر " قد جالت به ناقته في سفر ، فاندقت فخذاه فأداه
" فضالة بن كندة " وكانت " حليلة بنت فضالة " تعنى به في مرضه ، فقال
شاكرا لذلك :

لعمرك ما ملت ثواءً ثويها حليلة إذ ألقى مراسي مقعد

وفيها يقول :

ولم تلهها تلك التكاليف إنهما كما شئت من أكرمةٍ وتخرر
هي أبنة أعراقٍ كرامٍ نمينها إلى خلقٍ عفا براتته قد
سأجزيك أو يجزيك عني مئوبٍ وقصرك أن يثنى عليك وتحمدى (١)

وكان الثناء وشكر الجميل غاية مطلب العربي في اسدائه المعروف ، يقول
" الحادرة " :

فأثنوا علينا لا أبا لكم يا أحسابنا إن الثناء هو الخلد (٢)

وشكر المنعم المتفضل انصاف ، ولكن شكره ممن لم يصبه جميله والدفاع عنه وعن
أيديه البيضاء انصاف وفضل ، فقد كان للنعمان بن المنذر " نعم عظيمة
عند القيسيين الا أنهم في مجلس " ابن جفنة " انكروا فضله وصغروا شأنه
وعابوه ، وكان في المجلس " يزيد بن عبد المدان ، قلم يرق له هذا النكران
والجحود ، فقال قصيدة ، يذكر فيها القيسيين بنعم النعمان عليهم ومطلعها :

- (١) الأبيات في ديوانه ٢٦ - ٢٧ وانظر البيان والتبيين ٣ / ٣١٩ - ٣٢٠
والحيوان للجاحظ ٣ / ٧١ .
(٢) ديوانه ٢٦ والبيان والتبيين ٣ / ٣٢٠ والحيوان للجاحظ ٣ / ٤٧٥
ويروى " باحساننا " .

تَمَلَّأَ عَلَى النِّعْمَانِ قَوْمَ الْيَهُودِ مَوَارِدُهُ فِي مَلِكِهِ وَمَصَادِرُهُ
عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ كَانَ مِنْهُ الْيَهُودُ سِوَى أَنَّهُ جَادَتْ عَلَيْهِمْ مَوَاطِرُهُ
وَأَخَذَ يَسْرُدُ فَضَائِلَهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى "ابْنِ جَفْنَةَ" نَاصِحًا وَمَحْذَرًا:
وَلَوْ سَأَلَ عَنْكَ الْعَائِبِينَ "ابْنُ مَنْذَرٍ"

(١)

لَقَالُوا الْقَوْلَ الَّذِي لَا يَحْسَبُهُ

وَالشَّعْرَ الَّذِي يَدُورُ عَلَى شُكْرِ النِّعْمَةِ وَأَنْصَافِ الْمُتَفَضِّلِ كَثِيرٍ ، قَدْ يَمُتُّ إِلَيْهِ
بِصَلَةِ فِي بَعْضِ أَلْوَانِهِ بِأَبِ الْمَدِيحِ بِحَسَنِ الْخَلْقِ وَكَرَمِ الشَّمَائِلِ أَمَّا جِزَاءُ
لِمَعْرُوفٍ أَوْ أَعْجَابًا بِالْمَدْحِ وَتَقْرِيرًا لِفَضْلِهِ عَلَى مَا قَدْ يَكُونُ مِنْ جَفْوَةٍ
أَوْ شَحْنَاءٍ .

وَلَعَلَّ مِنْ شُكْرِ الْفَضْلِ وَجِزَاءِ الْمُنْعَمِ أَنْ يَمْدَحَ الشَّاعِرُ قَوْمًا بِحَسَنِ
جَوَارِهِ إِذَا آوَاهُ وَأَكْرَمُوهُ وَالشَّعْرَ فِي هَذَا الْمَجَالِ غَزِيرٌ وَلَا يَتَسَعُّ الْمَقَامُ
إِلَّا لِذِكْرِ نَمَازِجٍ يَسِيرَةٍ مِنْهُ .

فَقَدْ جَاوَرَ "حَاجِبُ بْنُ حَبِيبِ الْأَسَدِيِّ" قَوْمًا فَأَحْسَنُوا جَوَارَهُ

فَقَالَ يَمْدَحُهُمْ .

(٢)

وَيْلُ أُمَّ قَوْمٍ رَأَيْنَا أَمْسَ سَادَتَهُمْ فِي حَادِثَاتِ أُمَّتِ خَيْرِ جِيرَانِ

(١) انظر القصة بتمامها في الأغانى ١٢/١١ وما بعدها

(٢) المفضليات ٣٧١ . وحاجب بين حبيب بن خالد من بني عمرو

ابن قعيين ولم أقف له على ترجمة غير هذا .

انظر المفضليات ٣٦٨ .

ويثني "مقاس العائذى" على "بني زهل بن شيبان" فيقول :

أبلغ بني شيبان عني فلا يكُ من لقائِكُم الوداعا
بعيشٍ صالحٍ ما دمتُ فيكمُ وعيشُ المرءِ يهبطُه لماعا
إذا وضعَ الهزاهزَ آلُ قومٍ فزادَ اللهَ آلكُم ارتفاعا
فقد جاورتُ أقواما كثيرا فلم أرَ مثلكم حزما وباعا (١)

ويشيد "ابن عنقا" الجهمي "ب" بني رياح " وحسن جوارهم فيقول :

إذا جاورت في غطفان طرا فعند الأكرمين بني رياح (٢)

وفي لحظة الوداع وفراق الجيران ، يقول "طرفة الجذيمي" يخاطب "بني

فقمس" :

أيا راكبًا إما عرضت فبلغن "بني فقمس" قول امرئ ناخِل الصدرِ
فوالله ما فارتكمت عن كساحية ولا طيب نفسٍ عنكم آخر الدهر (٣)

وانصاف من أكرم الجوار وأحسنه كثير وكثير في الشعر الجاهلي (٤)

* * *

(١) المفضليات ٣٠٥ .

(٢) الموءتلف ١٥٩ ولم يرفع نسبه في كتاب من نسب الى من الشعراء .

(٣) الموءتلف ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٤) انظر لذلك مثلا قصائد امرئ القيس في ديوانه ٨٣ ، ٩٦ ، ١١٣ .

١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٦٠ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ .

وفي المقابل نجد من العرب من كان منصفا في هجاءه أوردته علي

الهجاء غير مفحش ولا مقذع ديدنه قول "السموءل بن العريض":

ضيقُ الصدر بالخيانة لا يند قصُ فقري أمانتي ما بقيتُ

ربَّ شتمٍ سمعته فتصاممتُ وغَيَّ تركته فكُفِيتُ (١)

ولما أراد شعراء بني ذبيان هجاء "عامر بن الطفيل" حين بلغهم قوله للنايفة في قصة:

ألا من مبلغٍ عني زيادا غداة القاع إذ أُرِفَ الضرابُ (٢)

في أبيات له ، واعتصموا به ، هنا كان "النايفة الذبياني" حكيما في تصرفه

منصفا في منطقته وحكمه عطى "عامر بن الطفيل" إذ قال لهم : (ان عامرا

له نجدة وشعر ، ولسنا بقادرين على الانتصار منه ، ولكن دعوني أجهه ، وأصغر

اليه نفسه ، وأفضل اليه أباه وعمه فانه يرى أنه أفضل منهما ، وأعيه بالجهل). (٣)

فقال في أبيات له :

فان يك عامر قد قال جهلاً فان مطية الجهل الشيبابُ

فكن كأبيك ، أو كأبي براءٍ توافك الحكمة والصوابُ

ولا تذهب بحلمك طاهيات من الخيلاء ليس لهنَّ ببابُ

فانك سوف تحلم أو تناهسي إذا ما شبت أو شاب الغرابُ (٤)

فلما بلغ عامرا ما قال النايفة شق عليه وقال : ما هجاني أحد حتى هجاني

النايفة ، جعلني القوم رئيسا ، وجعلني النايفة سفيها وتهكم بي . (٥)

-
- (١) الأُصمعيات ٠٨٥
(٢) ديوان عامر بن الطفيل ٠١٩
(٣) ديوان النايفة ٠١٠٩
(٤) المرجع نفسه ٠١٠٩
(٥) انظر العمدة ١٧١ ، ١٧٢ ،

وانا اضطر الشاعر لهجاء قوم آخرين وبينهم من تربطه به صلة
مودة وصداقة استثناء من الهجاء ، في مثل قول "الجميح الاسدى " بعد أن
هجا " بني عيس وعيرهم بالهجاء " واستثنى منهم "أبا ثوبان " لأنه لا يرضى
بالضيم ولا يسكت عليه :

حاشا أبا ثوبان إن أبا
ثوبان ليس ببيكمة فـدم (١)
وقول : " الحادرة "

لمرك لا أهجو منولة كلها
ولكنما أهجو اللثام بني عمرو (٢)
واعتذر "محمد بن حهران الشويعر " لامرئ القيس بن حجر " بأنه لم يهجه
لأن عرضه حرام عليه ولأنه لم يجد فيه ما يعيب ، وقال :

لعمري أيك الذي لا يهين
لقد كان عرضك مني حراما
وقالوا : هجوت ، ولم أهجه
وهل يجدن فيك هاج ملاما (٣)

-
- (١) المفضليات ٣٦٧ والقدم : العيسى الثقيل الكلام في قلة فهم .
(٢) ديوانه ٣٩
(٣) الموء تلفا للامدى ٠١٤١

الفصل الثالث

لللفظ السبى

سبق القول أن الشعر الجاهلي أهم مصادر تاريخ العرب في جاهليتهم ، وكان الشاعر للقبيلة بمثابة جهاز اعلام أدى مهمته خير —
أدأ .

وأيا فالقبيلة " كيان سياسي " اشتملت على خواص الدولة الرئيسية ،
والشعر المتصل بوقائعها وأيامها شكل بدائي للشعر السياسي .
ولأن القبيلة كانت تتبع نظاما سياسيا داخليا وخارجيا ، خاصا بها ،
كان لها شعر سياسي متميز .

النواصي
والأعراف القبلية ، كالجوار ، واکرام الضيف ، وجز / ، ودفع الأتاوة
في المهزومة ، والمغالاة في دية الملوك . . وغيرها ، كل هذه يمكن أن نطلق
عليها أنماطا سياسية وأعرافا متفقا عليها . " ولست أغلو اذا ذهبت الى أن
شعر العربي في قبيلته كان يصطبغ بصيغة سياسية ، داخليا وخارجيا
وهو بمثابة تاريخ خاص بحياة القبيلة .

ولعل من أمثلة الشعر السياسي الداخلي ، شعر الانتقاد والثورة على
الأوضاع الداخلية ، وشعر الصعاليك فهو ثورة على النظام الاجتماعي والاقتصادي
فهم " خارجون عن القانون " شرفاء في تصرفاتهم . وازافة الى أن التحفي
بالقبيلة والفخر بها شعر سياسي داخلي فهو أيضا اعلام خارجي في
المحافل والمجتمعات .

وتعتبر معلقة " الحارث بن حلزة " أفضل مثال للشعر
السياسي في العصر الجاهلي . (٢)

(١) يستحسن مراجعة كتاب " تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن

الثاني " د . احمد الشايب ص ٥ وما بعدها . دار القلم بيروت .

والعمدة ٦٥ / ١ وما بعدها .

(٢) شرح المعلقات للزوزني ٢١٥ .

ويمكن أن تعد القبيلة دولة مصفرة ، وان كان النظام الاجتماعي لدى الامارات العربية في الشمال ، وقريش في الحجاز اكثر تقدما وأقرب الى التنظيم الدولي الكامل .

وقد قامت قریش باعتبارها دولة ذات سيادة بمساع سياسية لتأمين سبل التجارة ، اذ قام وفد من بني عبد مناف بجولة سياسية شملت بلاد الشام واليمن والحبشة وفارس ، استطاعوا من خلالها عقد " معاهدات سياسية " مع ملوك هذه البلدان لتأمين تجارتهم .

وظاهرة التحالفات السياسية والجوار أو " اللجوء السياسي " كان أمرا مألوفا عند القبائل ، ومن أمثلة ذلك يوم " ذى قار " ويوم " شعب جيلة " الذي عقدت فيه بنو عامر و " عيس " تحالفا من طرف وعقدت " بنو زبيان " و " تميم " تحالفا من طرف آخر ، وكان النصر فيه لحلف " بني عامر " و " عيس " (١) .

وفي يوم " ذى قار " اشتركت عدة قبائل عربية في الوقوف بوجه جيش الفرس ، متضامنة متحدة ، أملى عليها التضامن والاتحاد الظروف التي واجهتها . فعقدت بينها ما يمكن أن نسميه " حلفا سياسيا " وفي معرض وصفه لهذا اليوم يذكر " عمرو بن الأسود " هذه القبائل ويقول - :

(١) في المفضليات ٤٠٦ قصيدة لـ " خراشة بن عمرو العبسي " يستغل فيه هذا النصر استغلالا سياسيا فيختص قبيلته بالاشادة وينوه الى أنها كانت سبب النصر والظفر ، وهو استغلال وان بدا لنا سيئا إلا أنه من وجهة نظرهم دليل عبقرية وولاء للقبيلة .

لما سمعت نداءً مرةً قد علا وأبني ربيعةً في الغبار الأتَمِ
ومحلماً يمشون تحت لوائهم والموت تحت لواء آلِ محلِّمِ
وسمعت يشكرُ تدعى بحبيبِ تحت العجاجةِ وهي تقطُرُ بالدمِ
وحبيبٌ يزجون كل طِمْرَةٍ ومن اللهازمِ شخت غير مصرمِ
والجمعُ من ذهلٍ كأن زهائمهم جربُ الجمالِ يقودها أبنا شعثمِ (١)

وفي حالي الحرب والسلم كانت القبائل متفقة على أعراف سياسية خارجية وعدوا من لم يلتزم بها خارجا شادا عن الأعراف العربية الأصيلة .

والقبيلة دولة سياسية جمعت عناصر الدولة والفرق بينها وبين

الدولة في عصرنا الحاضر أن القبيلة اقتصرت على قبيلة واحدة لتكون دولتها

بينما تشمل الدولة الحديثة عددا قليلا أو كثيرا من القبائل . وكان العرب

على اتصال سياسي بغيرهم بالتجارة أو السفر أو الوفاة الى الملوك (٢)

بل ان العرب قد عرفوا السياسة بمعناها المتداول حاليا ، يقول " خراشة

ابن عمرو العبيسي " يفخر بقومه :

(١) الأُصمعيات ٨٠ لم أقفا على ترجمة للشاعر ، ييزجون : يسوقون ،

طمرة : الفرس المتوثبة للعدو ، واللهازم : قبائل عجل وتيم اللات

وقيس بن ثعلبة ، وعنزة . والشخت : ما أصله دقيق ، مصرم :

الذي أصابه قرح فلا يدر .

(٢) انظر الأُمالي ٢٥٧/١ وضرب مثلا على ذلك ب" قيس بن رفاعه "

الذي كان يقد سنة الى النعمان اللخمي بالعراق وسنة الى

فلا قوم الا نحنُ خيرُ سياسةٍ وخيرُ بقياتٍ بقينَ وأولا (١)

وتقول " حرقة بنت النعمان " تأسف على ما مضى من أيام مجدها الغابر
حين كان أبوها ملكا على أهل الجزيرة بيده مقاليد سياستهم فنقم عليه
كسرى فآلت حاله الى ما آلت اليه :

وبينا نسوسُ الناسَ والامُرُأمرنا إذا نحنُ فيهمِ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ
فأقَ لِدنيا لا يدومُ نعيمُها تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ (٢)

وقد عرف العرب المناورة والسياسة ، فهذا " بشر بن أبي خازم " يهجو
قومه ليتقرب الى " أوس بن حارثة " الذي انقذ حياته بالصفح عنه بعد أن
وقع في يده :

(٣)
عبيدُ العَصا لِمَنعوكِ نفوسَهُم سوي سيبِ سَعْدَى إِنْ سَنِيبِكِ واسِعُ

وكثير من مدائح النسايفة والأعشى والحطيئة وأميرة بن أبي الصلت تدل على
ما كان يتمتع به العربي من عقلية سياسية تصل الى أهدافها عن طرق سهلة
تعتمد على الكياسة واللباقة وغير قليل من المداورة والمناورة ومدائح أمية في

====
الحارث بن أبي شمرا الفسائي ، وفي الامالي ٣٧/٢ أن قس
ابن ساعدة الايادي كان يفد على قيصر .

(١) المفضليات ٤٠٥ .

(٢) الموءء تلف والمختلف ١٠٣ . وحرقة بن النعمان بن المنذر بن امرئء

القيس من بني لخم شاعرة من بيت الملك في قومها بالحيرة . انظر

الموءء تلف ١٠٣ والتبريزي ١٠٩/٣ والخزانة ١٨١/٣ ، ١٨٢٠ .

(٣) ديوانه ١١٦ وانظر البيان والتبيين ٤٠/٣ والحيوان للجاحظ ٢٩٣ :

والرواية فيهما لم يتقوك بدمية ، والسبيب : هو العطاء ، وسعدى :

هي بنت حصن الطائي أم أوس بن حارثة .

"ابن جدعان" الا من هذا القبيل (١).

وقد مات رجل من وفد بني عبس عند النعمان يقال له شقيق فبعث الى أهله بحباً وعطاء، وكان النابغة حاضراً فأراد أن يهتبل الفرصة ليضيف الى رصيده في قلب النعمان قصيدة مدح، فقال يمدح خصلة الانصاف والعدل في النعمان :

أَبَيْتَ فِي الْعَبْسِيِّ فَضلاً وَنِعْمَةً وَمَخْمَدَةً مِنْ بَاقِيَاتِ الْمَحَامِدِ
حَبَاءً شَقِيقٍ عِنْدَ أَحْجَارِ قَبْرِهِ وَمَا كَانَ يُحِبِّي قَبْلَهُ قَبْرُ وَائِدِ
أَتَى أَهْلَهُ مِنْهُ حَبَاءً وَنِعْمَةً وَرَبَّ أَمْرِي يَسْمَى لِأَخْرَ قَاعِدِ (٢)

وقد تطرقت الى هذه المقدمة الموجزة للانصاف في السياسة، لادراكنا أن الأدب بعامة في شتى العصور على صلة وثيقة بحياة الأمة السياسية، والاجتماعية والثقافية، يتبادل معها التأثير سلبيًا وإيجابيًا. (٣)

ولكل من الشعر والنثر دورهما السياسي في القبيلة العربية الواحدة. (٤)

-
- (١) انظر مثلاً ديوان أمية ٣٣٣ وقصته مع الجارية التي شغف بها ،
ر ص ٥٠٢ وتفضيله للفالونج اليمني وعودته لابن جدعان بعد
أن صنع له مثله .
- (٢) ديوانه ١٨٩ .
- (٣) انظر الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ٢٠ للدكتور محمد عبد
المنعم خفاجي .
- (٤) انظر تاريخ الشعر السياسي ١٥ وما يليها ، د . أحمد الشايب .

١ - الانصاف السياسي "والأُحلاف والجوار" :

يكننا أن نطلق مسميات اخرى على الحلف والجوار تتناسب والحديث عن الانصاف السياسي ، فالحلف نوع من انواع "الاتحادات السياسية المعاصرة ازا" عدو مشترك .

أما الجوار فهو أقرب ما يكون الى "اللجوء السياسي " أو هوداته، ولنتكلم عن الانصاف فيهما بالتفصيل فيما يخص الأُحلاف أولاً ، ثم نثني -بمشيئة الله - بالجوار .

أ - الأُحلاف :

على الرغم من الاتحاد الظاهر المتماك الذي يبىد و في هذا الشكل من التحالف فان كل قبيلة تظل محتفظة بخصائصها ومميزاتها وعزتها الذاتية ، فلا تندمج أو تنصهر في قبيلة أخرى ، الا ما شذ أو ندر . ونظرا لذلك فنصر الأُحلاف وموازرتهم كان ضربا من ضروب التديل على قوة القوم اضافة الى القيام بالواجب والوفاء بالعهد ، فان انهزموا فقد أدوا ما عليهم ، وان انتصروا كان ذلك مدعاة الى الفخر بالقوم وقدينسب النصر لهم وحدهم ويختص بهم .

ونصر الأُحلاف مهما كانت أغراضه وأهدافه ووسائله فهو لا يعد و أن يكون انصافا سياسيا ، يمثل خلق العربي في السياسة كما يمثله في الاجتماع ، فلا غروا اذا أن يقول " الحادرة " مشيدا بقومه وأخلاقهم الاجتماعية والسياسية والحربية :

فَسَمِّ وَحِكِّ هَلْ سَمِعْتَ بَغْدَوَةَ رَفَعُ اللِّوَاءِ بِهَا لَنَا فِي مَجْمَعِ
إِنَّا نَعِفُّ فَلَا تُرِيبُ حَلِيفَنَا وَنَكْفُ شَحَّ نَفُوسِنَا فِي الْمَطْمَعِ

وَنَقَى بَأْمِنِ مَالِنَا أَحْسَابِنَا وَنَجَّرُ فِي الْهَيْجَا الرَّمَاحَ وَنَدَّيْ
وَنخوضُ غَمْرَةَ كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةً تَرْدَى النُّفُوسَ ، وَغَمَّهَا لِلأَشْجَعِ (١)

وفي تناصرا لا حلاف وتآزرهم ، يقول " النابغة " حين أعان " بني أسد " على " بني عيس " :

وقد نصرتُ بني " دودان " إذ نشدوا

حِلفي ، ولو نشدوا بالحلفِ ما غدرُوا

أبليتهم خلقاً أثنوا بأحسنيه إن الكرام إذا أبليتهم شكروا

ما زال حُسْنَى تَأْتِيهِمْ وَتَنَاشَهُمْ حتى شَفَوْا كُلَّ داءٍ عَرَقَهُ غَبْرُ

وما شهدنا قتيلاً في مَوْءِ أَيْدِيهِ إلا تقدمَ منها قبلهم نَفْرُ (٢)

وقد يأخذ الانصاف السياسي شكل الهجاء كما قد يأخذ شكل المدح

أو النصيحة وما اليهما مما يدل دلالة أكيدة على أن الشاعر الجاهلي كان

وكده أن يصيب جوهر الانصاف في أي اطار من أطره .

ومن أمثلة ذلك أن " عيينة بن بدر الفزاري " حين حاول أن يفسد

(٣)

الحلف الذي بين " بني أسد " و " بني ذبيان " نظم " النابغة " قصيدة

(١) ديوانه ٥٢، ٥١ وانظر المفضليات ٤٥ .

(٢) ديوانه ١٨٤ . تناشهم : تنعسهم . الغبر : الجرح الذي يبرأ

أعلاه دون أسفله . موءأيدة : من الأيد وهو الشدة . أوهي

الداهية .

(٣) سبب ذلك أن " بني عيس " قتلت " نضلة الأسدي " وقتلت " بنو أسد "

منهم رجلين فأراد عيينة عون " بني عيس " باخراج " بني أسد " من

حلف " بني ذبيان " انظر ديوان / ١٢٥ .

في هجائه ،ابتدأها برسالة يزجيهما الى " عيينة " يطلب منه الابتعاد عن مواضع الغي والا سلط عليه سهامه الصائبة التي لا تخيب ، والتي يدمغ بها الباطل فيدحضه ، ويظهر الحق ويبينه ، يقول " النابغة " (١) :

أَلِكُنِي يَا عِيْنُ إِلَيْكَ قَوْلًا سَأُهْدِيهِ إِلَيْكَ ، إِلَيْكَ عَنِّي
قَوَافِي كَالسَّلَامِ إِذَا اسْتَمَرْتُ فَلَيْسَ يَرُدُّ مَذْهَبَهَا التُّظَنِّي
بِيَهْنٍ أُدِينُ مِنْ يَبْفِي أُنَاتِي مُدَايِنَةَ الْمُدَايِنِ فَلَيْدِنِّي

ثم ينصف أحلافه من " بني أسد ، ويؤكّد نصرتهم بمقت " عيينة " لموقفه الشائن معهم ، وتعييره بخفة عقله ونفوره من كل شيء يراه ، فهو كالنعامة طورا ، وطورا مضطربا ، ونارة فارا يسابق الريح لا يلوى على شيء ، جهلا وخرقا وجبنا وهوجا (٢) :

أَتَخَذُلُ نَاصِرِي وَتَعِزُّ عَيْسَا أَيْرَبُوعُ بْنُ غَيْظٍ لِلْمِعَانِ
كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ " بَنِي أَقِيَشٍ " يَقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ يَشْنِ
تَكُونُ نَعَامَةً طَوْرًا ، وَطَوْرًا هَوَى الرِّيحِ تَنْسُجُ كُلَّ فَنِّ

ويميل " النابغة " الى نصيحة " عيينة " علّه يرعوى . فيذكره بقيمة الحلف ، وأن طلب هلاك أحلافه سيبيقه وحيدا في يوم ما ، ويصبح كالتائه في فلاة

(١) القصيدة في ديوانه ١٢٥ وما بعدها . الكنى : بلغ عني ، السلام :

الحجارة ، المذهب : الطريق ، أدين : أجازى .

(٢) كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في " عيينة " : " الأحمق المطاع "

والمعن : الذي يعترضك ، والشن : الجلد البالي . والقعقة :

صوته .

لا دليل بها ، ويهدده بقطع كل الوشائج التي تربط بينهما فهو يرى منه
ان هو حاول الغدر " بني أسد " يقول النابغة :

تَمَنَّيَ بَعَادَهُمْ وَأَسْتَبَقِي مِنْهُمْ فَإِنَّكَ سَوْفَ تَتْرُكُ وَالتَّمَنِّي

لَدَى جُرْعَاءَ لِيَعْنَ بِهَا أُنَيْسَ وَلِيَعْنَ بِهَا الدَّلِيلُ بِعُظْمَائِنِ

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أُسْدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

وانصافا لأحلافه من " بني أسد " أخذ يعدد فضائلهم وتأبيدهم لقومه

فهم الدرع في الأيام العصيبة والمجيدة التي خاضوها ، تشهد لهم بصدق

الود ، فهم الذين انتصروا على " حجر " والد امرى القيس ، وكانوا

عند حسن الظن بهم ، يقول النابغة :

فَهُمْ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَامْتُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ " النَّسَارِ " وَهُمْ مَجْنِسِي

وَهُمْ رَدُّوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ " عَكَازِ " إِنِّي

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أُتَيْتُهُمْ بُوَيْ الصَّدْرِ مِنِّي

وَهُمْ سَارُوا لِحَجْرٍ فِي خَمِيْسٍ وَكَانُوا يَوْمَ ذَلِكَ عِنْدَ ظَنِّي

وزيادة في انصافهم اختصهم بالمدح ووصف جحافل جيشهم الزاحف ببسطه

لكثرته وثقل سلاحه وفرسانهم الذين يهتطون خيولا أصيلة ضامرة كالسهام ،
جن

وفرسانها/ في السرعة وارهاب الآخرين تتعاور سيوفهم البيض تحت الغبار

الذي يغطي ميدان الحرب :

(١) وَهُمْ زَحْفُوا لِفَسَانٍ بِزَحْفٍ رَحِيْبَ الشَّرْبِ أَرَعْنَ مَرَجَحْنَ

بكل مجربٍ كالليثِ يسمُو على أوصالٍ ذَيَالٍ رِفْنٍ
وضُرِّ كَالِقِدَاحِ مَسْوَ مَاتٍ عليها مَعَشَرُ أَشْبَاهِ جِنِّ
غِدَاةٌ تَعَاوَرَتْهُ ثُمَّ بِيضٌ دُفِعْنَ إِلَيْهِ فِي الرَّهَجِ الْمِكْنِ

ويختتم قصيدته بالتأكيد على توثيق حلف "بني أسد" ونصرتهم، وأنه سيندم أشد الندم لو اتبع طريق الضلال الذي سلكه "عينه" ونقض الحلف، يقول "النايغة":

ولو أني أطعتك في أمورٍ قرعت ندامةً من ذاك سننِي

ومواقف النايغة مع حلفائه "بني أسد" مجيدة ومشهورة، دافع عنهم ونافح وتمسك بحلفهم وأنصفهم في دفاعه وإشادته. (١)

والدفاع عن الأخطاف وموازرتهم والوقوف في وجه من يريد بهم شرا، انصاف وتأكيد على الاخلاص للحلف، واطهار لقدرة القوم وأحقيتهم بالقبوة والسيادة. وقد ألمحت الى مثل ذلك المعنى في حديثي عن أنماط الانصاف في الحرب.

(١) وانظر مثلا ص ٥٤ وما بعدها وتعنيفه لزراعة بن عمرو بن خويلف وتهديده له ان أشار عليه قومه بترك حلف بني أسد وأكلهم، وأيضا ص ٨٢ وما بعدها وفيها توثيق الحلف والذود عنه ومدح حلفائه وولائه واخلاصه لهم.

وانظر أيضا قصيدة بشامة بن الغدير "في المفضليات ٥٥، ٤٠٦، يدعو فيها قومه بني سهم" الى توثيق حلفهم مع حلفائهم "الحرقة" ويحذرهم مغبة نقض الحلف.

جرعاً: فلاة. ذيال: فرس طويل الذيل، رفن: كثير ضاف القداح: السهام، الرهج المكن: الغبار الساتر.

وقد يقع القوم في موقف صعب مع أحلافهم الذين يحاربون ذوى قرابتهم ، فإذا كان الحلف يوجب المناصرة والموايدة فإن القرابة أولى بذلك ، وقد اختار قوم " الشداخ بن يعمر الكناني " حلا وسطا حينما حاربت " خزاعة " أحلافهم " بني أسد " قرابتهم ، فلم ينصروا " كنانة " ولم يحاربوا " بني أسد " وإن هم أرادوا أن يظهرُوا لأحلافهم أنهم على العهد باقون فقد شدوا عضدهم واستنهضوا هممهم بالقتال ، فالقوم مثلهم تماما وليسوا خلقا آخر يستعصى على الهزيمة أو الموت ، فالتكافؤ بينهما موجود ، يقول " الشداخ / بن يعمر الكناني " :

قاتلى القوم يا خزاعُ ولا يدخلكم في قتالهم فسل
القوم أمثالكم لهم شمسٌ في الرأسِ ، لا ينشرون إن قتلوا (١)

*

(ب) الجوار :

سبق القول إن الجوار كان شكلا من أشكال " اللجوء السياسي ، يطلبه الخارجون على أنظمة قبائلهم أو الناقمون على ظروفها السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، أو من يخاف سطوة عدو يلاحقه أو من اشتد به القحط ،

(١) الحماسة بشرح المرزوقي ١٩٦ . والشداخ بن يعمر بن عوف بن كعب ابن عامر بن ليث بن بكر وسمى شداخا لشدخه الدماء بين قريش وخزاعة ، وهو شاعر جاهلي ، انظر المحبر ١٣٣ ، ١٣٤ ، والاشتقاق (١٧) والتبريزي ١٨٩/١ .

وانهكه المحل ، فيطلب القوم جيراننا يشار كونهم المرعى والعيش والكلأ ، الى غير ذلك من الظروف التي تستدعي اللجوء والاحتما بجوار قبيلة أخرى .

وكان العرب في حفظهم لجيرانهم والقيام بواجب ضيافتهم مضرب

المثل ، ديدنهم في ذلك اتباع الحق والعدل والانصاف معهم ، وقد كان

للجارزمة وحرمة كبيرة عند العربي ، حتى انه يجعله جزءاً لا يتجزأ من

عشيرته له ما لها وعليه ما عليها يقول عمير بن الأبيهم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دامَ فينا ونُتبعهُ الكرامةَ حيثَ كانا (١)

ويقول "المثلث بن رياح المرى" :

خَلَطْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحَتْ بَنِي عَمَّا مِنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعَا (٢)

ومن العرب من قتل أخاه بجاره وفاء له وانصافاً ، فقد حج " وفاء بن زهير

المازني " وعاد من حجته فوجد أخاه وقد غدر بجار له فقتله ، فانتضى

سيفه ، فناشده أخوه الله والرحم ، وخرجت أمه كاشفة شعرها وقد اظهرت

ثديها تناشده الله في قتل أخيه ، فقال لها : لم سميتي وفاء اذا كنت

تريديني أن اغدر ، ثم ضرب أخاه بسيفه حتى قتله وقال :

(١) نقد الشعر ١٤٦ وتروى " حيث كانا ، وما لا سارا " وانظر القضايا

الأدبية والفنية في شرح المرزوقي للحماسة ٣٢٣ . وانظر العمدة

لا بن رشيق ٥٥/٢ .

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ٣٨٧ .

والمثلث بن رياح بن ظالم المرى شاعر جاهلي له مع سنان بن أبي

حارثة مساجلات شعرية انظر ترجمته في المرزباني ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،

ومعجم ما استعجم ٢٧/١ والتبريزي ٣٥٦/١ والخزانة ٥٠٨/٣ .

يَنَاشِدُنِي قَيْسَ قَرَابَةَ بَيْنِنَا وَسِيفِي بَكْفِي وَهُوَ مُجَرَّدٌ يَسْعَى
غَدَرْتُ فَمَا بَيْنِي وَبَيْنِكَ ذِمَّةٌ تَجِيرُكَ مِنْ سَيْفِي وَلَا رَحِمٌ تُرْعَى
سَأَرْحُضُ عَنِّي مَا فَعَلْتَ بِضَرْبَةٍ عَقِيمِ الْبَيْدَى لَا تَنْكِرُ وَلَا تَتَنَسَّى (١)

فظلم الجار ظلم للمجير واذلال له ، يقول " طرفة بن العبد " :

(٢)
وَاعْلَمْ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ إِنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ
وَلِذَلِكَ لَمَّا أَجَارَ الْمُثَلَّمُ بَيْنَ حِذَافَةَ " رَجُلًا مِنْ " بَنِي النَّعْمَانِ قَاسِطٌ يُقَالُ
لَهُ " أَوْسٌ " بَعْدَ أَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ " بَنِي جَمْحٍ " فَطَلَبَهُ " أَبِي بَنْ
خَلْفٌ " فَمنَعَهُ الْمُثَلَّمُ وَقَالَ :

(٣)
مَنْ ذَا يَبْدُدُ بَيْنَ النَّاسِ مَعْدِرَتِي إِنْ رُدَّ جَارُ أَبِي وَهُوَ مُقْتَوْلٌ ؟
وَلَجَأُ رَجُلٍ مِنْ " بَنِي الْقَيْنِ " إِلَى لَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ " فَضْرَبَهُ عَمَهُ " مَلَاعِبُ
الْأُسْتَنْةِ " مَا أَثَارَ قَضِبَ لَيْدِ الشَّدِيدِ ، فَشَنَعَ عَلَى عَمِهِ فَعَلَتْهُ الْفَكَرَاءُ
بِجَارِهِ ، وَخَفَرَهُ لِحِوَارِهِ ، وَهَدَدَهُ بِالِاسْتِعَانَةِ " بِبَنِي جَعْفَرٍ " إِذَا تَخَلَّى قَوْمَهُ
عَنْ مَنَاصِرَتِهِ ، وَقَالَ :

وَمَا يَكُ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ رَعَتْ رَوْعَةً أَبَا مَالِكٍ تَبِيضُ مِنْهَا الْغَدَا عِيرُ
فَلَوْ كَانَ مَوْلَايَ أَمْرًا ذَا حَفِيطَةٍ إِذَا زُفَّ رَاعِي الْبُهْمِ وَالْبُهْمُ نَافِرُ
فَلَا تَبْغِيَنِي إِنْ أَخَذْتُ وَسِيقَةً مِنْ الْأَرْضِ الْإِحْيَا تَبْغِي الْجَعَا فِرُ (٤)

(١) حماسة البحتري ٤٢٠ .

(٢) ديوانه ٨٤ وانظر حماسة البحتري ١١٦ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ٣٨٧ والمثلث بن حذافة بن عامر من بني عدى

ابن كعب شاعر مخضرم ولم أقف له على ترجمة .

(٤) ديوانه ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

ومن العرب من يضرب المثل بجوارهم من ذلك أن كعب بن مامة الايادي
كان اذا جاوزه رجل قام له بكل ما يصلحه وعياله وحماه ممن يريده وان هلك
له بغير أو شاة أو عبد أخلف عليه ، وان مات وداه ، فجأوره "أبودو" اد الايادي
الشاعر ، فكان يفعل به ذلك ويزيد في بره ، ويذكر أن "أبا دو" اد ، كان يفعل
بجيرانه مثل ما فعل كعب معه ، فضرب به المثل وقيل " كجار أبي دو" اد .
وكان القوم يحسنون الجوار ويقومون بواجباته يقصدون بالمديح والثناء ،
وهم لذلك أهل ، من ذلك قول "حاتم طي" يمدح " بني بدر " بحسن
جوارهم وكرم اخلاقهم وجميل معشرهم ، ونبل طباعهم :

جاورتهم زمن الفسادِ فنع	مَ الحقُّ في العوصاءِ واليسر
فُسِّقَتُ بالماءِ النَّمِيرِ وَلَمْ	أتركُ الأَطْسَ حَمَاءَ الجَفْرِ
ودعيتُ في أولِ الندى ولم	ينظرَ إليَّ بأعينِ خُزْرِ
الضارِبِينَ لَدَى أَعْنَتِهِمْ	وَالطَّاعِنِينَ وَخِيْلِهِمْ تَجْرِي
وَالخَالِطِينَ نَحِيَّتَهُمْ بِنُضَارِهِمْ	وَدَوَى الغِنَى مِنْهُمْ يَدِي الفَقْرِ (٢)

ويتعرض من يخفر الجوار للهجاء والذم والتشويه ، من ذلك قول "مزد بن ضرار
الذيباني " يهجو " زرة بن ثوب الغطفاني " في قصة - (٣)

(١) انظر ثمار القلوب / للشعالبي ١٢٧ .

(٢) ديوانه ٢١٥ وانظر الامالي ١٦٩/٢ والبيتان الاخيران ينسبان للخزرق

بنت بدر انظر ديوانها ٣٠ .

(٣) انظر شرح المفضليات / للانباري ١٢٧ ، ١٤٢٠ .

أَزْرَعُ بِنَ ثَوْبٍ إِنْ جَارَاتِ بَيْتِكُمْ هَزْلَنَ وَالْهَاكَ ارْتَعَفَا الرَّعَائِدِ
وَأَصْبَحَ جَارَاتُ ابْنِ ثَوْبٍ بَوَاشِمًا مِنَ الشَّرِّ يَشْوِيهِنَّ شَوْ الْقَدَائِدِ
تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْبٍ وَهُوَ لَا سِتْرَ دُونَهُ وَلَوْ شِئْتُ غَنَّتَنِي بِثَوْبٍ وَلَا عَيْدِي
صَقَعْتُ ابْنَ ثَوْبٍ صَقَعَةً لَا حِجَى لَهَا

(١)
يُولُولُ مِنْهَا كُلُّ آسٍ وَعَائِدِ

وفي حفظ العهد للجار وتذكر الذم يروى أن " عمرو بن شأس " جاوره
رجل من " بني عامر بن صعصعة " ومع العامري بنت جميلة فخطبها منه ،
فأبى إلا أن يعود الى قومه لئلا يقال ان الجوار قد ارضخه لتزويجها
فأبى عامر الا ان يتزوجها سبيا ، وتحلل وتذم وقال : قد كان بيني وبين
الرجل عهد وميثاق ، فاستحي وقال في أبيات له x

(٢)
وَلَوْلَا اتِقَاءَ اللَّهِ وَالْعَهْدِ قَدْ أَرَى مَنِيَّتَهُ مَنَى أَبُوكَ اللَّيَالِيَّ

من هنا يتبين لنا أن انصاف الجار كان شيمة نبيلة في خلق العربي الاصيل
ان كان يحافظ على جيرانه ويرعاهم ويصونهم ويخلطهم بأهله وولده ، ويرى
المحافظة على شرفهم وعرضهم حفاظا على شرفه وعرضه ، ويفخر بحسن معاملته

(١) المفضليات ٥٧٧ .

(٢) انظر القصة في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٩٧/١ ودوان عمرو بن

شأس ١٠٨ والشطر الثاني في طبقات الشعراء " مينة مناثير النوادي " و
عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الاسدي ، كنيته " أبو عرار " شاعر
جاهلي مخضرم أدرك الاسلام كبيرا ، كثير الشعر في الجاهلية
والاسلام في الطبقة العاشرة من فحول الجاهلية وكان ذا قدر وشرف

لجيرانه ، يقول " العيار بن شتيم الضبي " مفتخرا بخلقه وشمائله :

لا آكلُ القَتَّ في الشتاءِ وَلَا أَنصَحُ ثوبِي إِذَا هُوَ انْحَرَقَا
وَلَا إِلَى جَارِي أَدَبٌ إِذَا جُنَّ عَلَيَ الظَّلَامُ فَأَطْرَقَا (١)

وإذا كان العربي يفخر بخصاله الكريمة وأخلاقه العظيمة فإنه كان يرى حفظ

الجوار وحسن المجاورة وصيانة الجار خالقا متميزا ، يقول " مالك بن حريم

الهمداني " مفصلا أخلاق العربي التي يفخر بهار ويعتد :

وَإِنِّي لَا سَتَجِي مِنَ الْمَشْيِ أَبْتَضِي إِلَى غَيْرِنِي الْمَجْدِ الْمَوْثِلِ مَطْمَعًا
وَأَكْرِمُ نَفْسِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ حِفَاطًا وَأَنْهَى شُحَهَا أَنْ تَطْلُعَا
وَأَخْذُ لِلْمَوْلَى إِذَا ضِيمَ حَقُّهُ مِنْ الْأُعْيَطِ (٢) الْآبِي إِذَا مَا تَمَنَعَا
فَإِنَّ يَكُ شَابَ الرَّأْسُ مِنِّي فَانِي أَبَيْتُ عَلَى نَفْسِي مَنَاقِبَ أَرْبَعَا

=== في قومه له ديوان شعر مطبوع .

انظر ترجمته في ديوانه وطبقات ابن سلام ١٩٦ والاغاني (ساس)

٦٠/١٠ والمرزباني ٢١٢ والسمط ٧٥٠ والتبريزي ١٤٩/١ .

(١) الموءتلف والمختلف ١٦٠ والعيار بن شتيم أحد بني السيد بن

مالك من بني ضبة بن أدثم أحد بني حبيبي شاعر جاهلي لم أقف

له على ترجمة .

والقت : حب أسود من ثمرة العنب تطبخه العرب وتأكله في

الجدب .

(٢) الأُعيط الآبي الممتنع .

- فواحدة : أن لا أُبَيِّتَ بِفِرَّةٍ إِذَا مَا سَوَّامُ الْحَيِّ حَوْلِي تَضَوَّعًا
وثانية : أن لا أُصَمِّتَ كَلْبَنَا إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ حِرْصًا لِنُودَعًا
وثالثة : أن لا تُتَقَدَّعَ جَارَتِي إِذَا كَانَ جَارُ الْقَوْمِ فِيهِمْ مَقْدَعًا
ورابعة : أن لا أُحَجِّلَ قَدْرَنَا عَلَى لَحْمِهَا حِينَ الشَّتَاءِ لِشِبَعًا
واني لأُعدِي الخَيْلَ تَقْدَعُ بِالْقَنَا حِفَاطًا عَلَى الْمَوْلَى الْحَرِيدِ لِيَمْنَعَا (١)

(١) الأُصَمِّعِيَاتُ ٦٣ ، ٦٤ . ومالك بن حريم بن مالك بن حريم بن
والآن الهمداني ، شاعر فحل جاهلي من لصوص همدان صاحب
البيت الحكيم السائر :
متى تجمع القلب الذكي وصارما وأُنا حمية تجتنبك المظالم
انظر المرزباني ٣٢٧ وعيون الاخبار ٢٣٧/١ ، والامالي ١٢٣/٢
والسمرط ٧٤٨ - ٧٤٩ والاشتقاق ١١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ .
تضوعا : تفرق + ونودعا : نترك ، أحجل : أستر ، تقدع : تكبح .
الحريد : المنفرد المنعزل .

٢ - الانصاف السياسي والاصلاح :

أ - المصلحون ووسائلهم :

هناك طائفة من اشراف العرب وساداتهم نذروا أنفسهم للاصلاح ورأب الصدع بين القبائل المتعادية أو بين أبناء العشيرة الواحدة ، ومعنى أدق سلكوا سبيل الاصلاح الداخلي والخارجي .

ومن اشتهر بسياسة الاصلاح بين قومه واخامد نارالفتن (" غامد الأزدي " اسمه " عمرو بن عبدالله بن كعب بن الحارث " سمي غامدا لأنه أصلح ما كان بين قومه وتغمده ، وقال :

(١)

تأملت للصلح الثأمي من عشيرتي فآساني القيل الحضري غامدا

وكثيرون غيره سيأتي ذكر بعضهم في معرض الاستشهاد بالمساعي الاصلاحية .

وقد اتخذ هؤلاء المصلحون عدة وسائل وسبل للوصول الى غاياتهم النبيلة لعل من أهمها :

أ - وأد الفتنة في مهدها والحيلولة دون قيام الحرب ، بتصوير الحرب في صور مفزعة ، ووصفها بأوصاف بشعة وتنبيه القوم الى أنها تأتي على الفريقين لا تبقى ولا تذر ، الى غير ذلك من وسائل كبح جماح النفوس المضطربة المهتاجة ، وكذلك الاعتباط بمن ابتلوا بالحرب وذاقوا مرارتها ونالتهم عظامها .

(١) معجم الشعراء للمرزباني ٢٢٦ وانظر ايضا حب " مرشد الخير " للصلح بين قومه في الامالي ٩٢ / ١ ، ٩٣ ، والكامل لابن الاثير ١ / ٦٣٦ ، وغامد من قحطان جد جاهلي يمني بنوه قبائل ويطون كثيرة . انظر جمهرة الانساب ٣٥٦ ، ٣٥٧ وصفة جزيرة العرب ١١٩ ، واللباب ١٦٥ / ٢ ومعجم الشعراء ٢٢٦ ونهاية الارب ٣١٣ .

ب - الدعوة الى بذل السلم للاعداء قبل الدخول معهم في حرب ، ولعل هذا " جس نبض " لوجهة نظر الطرف الاخر فان فاءوا للصلح فذلك ما أرادوه ، وان أبوا الا الحرب فلا مفر من دخولها . (١)

ج - ضبط النفس في سبيل الصلح ، ومن ذلك غدر عامر بن مالك " و زرعة ابن عمرو " بعقد الصلح الذي عقده مع " النابغة الذبياني " اذ جمعا خيلا اغارت على ذبيان فأصابت ابلا ورعاء ، وازاء هذا الموقف المتعسف كان " النابغة " حكيما في تصرفه ، فلم يقطع الأمل بعودتهم الى رشدهم وفيئهم الى الصلح وقال أبياتا في هذا المعنى تنطوي على غير ما قيل من الهدوء وضبط النفس والاصرار على الصلح :

ألا يا ليتني والعراء ميئتُ	وما يُغني عن الحدثن ليئتُ
غرمت غرامة في صلح قيسٍ	ولم يتفاسدوا فيما بنيئتُ
فأبلغ عامرا عني رسولا	وزرعة إن نأيت وإن دنوتُ
أعاتب سيدي قيس جميعا	وأخبر صاحبي بما اشتكيتُ
فما حاولتما بقياد خييلٍ	يضان الورد فيها والكميئتُ
إلى ذبيان حتى صبحتهم	ودونهم الربائع فالخيئتُ
أثم تعذران إلى منهما	فإني قد سمعت وقد رأيتُ
أحاربن المغيرة إن قيسا	أحلوا بالمحارم وأدعيئتُ
فإن تغلب شقاؤكم عليكم	فإني في صلا حكم سعيئتُ (٢)

(١) انظر ص ٨٤ (وما بعدها من هذا البحث .

(٢) ديوانه ١٧٣ ، ١٧٤ .

د - المساعي الاصلاحية وهذا ما سنعرفه بالتفصيل فيما يلي .

ب - مساعي الصلح :

ينبغي أن يكون واردا ان "الانصاف " لا يعني ان ينصف الشاعر العربي الجاهلي ضريبه على ارض المعركة فحسب ، فقد تكون " النصفة " لونا من الرأى يقوم على أساليب " العدو " وما يصطنعه مع انذاره من مواقف سياسية قد تجهض مخططا حربيا ، أو تقوض من تدبير أو تنجح في اقالة من عشرة وهذه الحيلة او المداهنة هي ما تسمى في اعراف اليوم بالسياسة أو - " الدبلوماسية " .

ويتضح هذا الانصاف السياسي غاية الوضوح عند " معود الحكماء " ذلك الذى قام " بمساع سياسية اصلاحية حميدة " لرأب الصدع بين قبائل كعب بعد أن عجزوا عن اصلاح ذات بينهم ، فجمع شتاتهم وحمل عنهم ديات قتلاهم وغرامتهم دونما ظلم أو طلب مصلحة ولا خداع . وقد أعجبت القبائل الأخرى بمساعيه هذه و أيدتها ولا أدل على ذلك من أن " غنيا " حملت الديات عنه ، فكسب بذلك المجد لقبيلته بالاصلاح بين القبائل المتخاصمة والحيلولة دون شرمتفاقم لاحت بوادره في الأفق .

وقد اعتمد في مساعيه الاصلاحية على الله الذى منحه القوة على القيام بمثل هذه الأعمال الشاقة ، وأيضا فعمله صالح يسعى له بكل جهده يوم ازره في ذلك أعطيات قوم عرفوا قدر مساعيه وآثروا المعروف وفك الرقاب ، يقول " معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب " وهو " معود

الحكماء* يفخر بمساعيه الاصلاحية :

رَأَيْتُ الصَّدْعَ مِنْ كَعْبٍ فَأَوْدَى
فَأَمْسَوْ كَعْبُهَا كَعْبًا وَكَانَتْ
حَمَلَتْ حِمَالَةَ الْقُرَشِيِّ عَنْهُمْ
أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بَعْدِي
سَبَقْتُ بِهَا قُدَامَةَ أَوْ سَمِيرًا
وَأَكْفِيهَا مَعَاشِرَ قَدِ أَرْتَهُمْ
يَهْرُ مَعَاشِرَ مَنْ وَمِنْهُمْ
سَأَحْمِلُهَا وَتَعَقُّهَا غَنِيصِي
فَإِنْ أَحْمَدَ بِهَا نَفْسِي فَانْسِي
وَكَنتُ إِذَا الْعَظِيمَةُ أَفْطَعَتْهُمْ
بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ عَطَاءٍ قَوْمٍ
وَكَانَ الصَّدْعُ لَا يَعْدُ أَرْتَابًا
مِنَ الشَّنَانِ قَدْ نُعِيَتْ كِعَابًا
وَلَا ظُلْمًا أُرِدْتُ وَلَا أُخْتِلَابًا
إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاعِ نَابًا
وَلَوْ دُعِيَ إِلَيَّ مِثْلُ أَجَابَا
مِنَ الْجَرَبَاءِ فَوْقَهُمْ طِبَابَا
هَرِيرَ النَّابِ حَازَرْتِ الصُّعَابَا
وَأُورِثُ مَجْدَهَا أَبَدًا كِلَابَا
أَتَيْتُ بِهَا غَدَائِئِي صَوَابَا
نَهَضْتُ وَلَا أُدْبِلُ لَهَا دِبَابَا
(١) يَفْكَوْنَ الْغَنَائِمَ وَالرَّقَابَا

وللا فوه الاودى مساع خاصة داخلية لاصلاح ذات البين ، يتجلى ذلك في

قصيدته التي تعد بمثابة انتقاد صارخ للاوضاع الداخلية في محاولة جادة

لتعديل هذه الاوضاع واصلاح ما فسد منها . (٢)

(١) المفضليات ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، وانظر الاصحيات ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) سبق التعليق على قصيدته وذكر نماذج منها في ص ٣٢٠ من هذا

ولا بد أن تعترض سبيل المصلحين الذين جعلوا الإصلاح غايتهم
وهدفهم حواجز وصعاب يدفعهم اخلاصهم الى تخطيها ،ومن واجهوا هذه
المشاق "معقل بن خويلد" الذي توسط عند "النجاشي" لاطلاق سراح
افراد من قبيلته كانوا أسرى لديه ،فكان جزاؤه التمهيد بالقتل ،فقال
"معقل" مستغربا ومندهشا من حسن صنيعه وسوء جزائهم :

أتيت بأبنائكم منهم وليس معي منكم صاحب
ولقول ؛ رسولاً فاني امرؤ عاتب
فأبلغ كليبا واخوانه ليقتلني عجب عجب
عذير "ابن حية" إن جأني يب ،يعلني ،الذكر القاصب
فيمس الثواب اذا ما سئيت ب ،في الرق إن خطه الكاتب
ومنها ؛ ب ،في الرق إن خطه الكاتب
واني كما قال ملى الكتبا

(١) يرى الشاهد الحاضر المعظم من الأمر ما لا يرى الغائب

وكانت لهؤلاء المصلحين منزلة كبيرة في نفوس العرب يضرب بهم المثل ،
ويمجدون ويشاد بهم ،ولا ادل على ذلك من أن معلقة "زهير بن أبي
سلي" قد تمحضت لمدح "هرم بن سنان" و"الحارث بن عوف"
لمساعيها الاصلاحية لوقف الحرب بين "عيس" و"ذبيان" وتداركهما
الموقف وبذلهما المال في سبيل شراء دماء القتلى من الفريقين ، فوصلا
الرحم وابتعدا عن الاثم ،وتسنا ذروة العلا ،لما قاما به من دفع الديات

(١) شرح اشعار الهذليين (١/٣٩١، ٣٩٢) .

ومعقل بن خويلد بن واثلة بن مطحل السهمي الهذلي . شاعر مخضرم
ادرك الاسلام واسلم وكان شاعرا معدودا في شعراء هذيل . انظر
شرح اشعار الهذليين والشعر والشعراء لابن قتيبة .

بالمثيِّين من الابل لاجلال الصلح مع انهما ليس لهما يد في الحرب التي
غرما من أجلها ولم يهزقا فيها دما ، يقول " زهير بن أبي سلمى " :

تداركتما عيساً وذبيانَ بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر من شَمِ
وقد قلتُما : إن ندرِكَ السَلْمَ واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من الأمرِ نَسْلِمِ
فأصبحتُما منها على خيرِ موطنٍ بعيدين فيها من عقوقٍ ومأثَمِ
عظيمين في عليا معدٍ ، هديتما ومن يستيحُ كزاً من العجدِ يعظُمِ
فأصبحَ يجري فيهم من تلالِكُم مغانمُ شتى من أقالِ مَزَنِمِ (١)
تُعنى الكلوم بالمثيين وأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرِمِ
ينجمها قوم لقوم ، غراممة ولم يهزقوا بينهم ملٌ محجَمِ (٢)

ويباهي بهم " النابغة الذبياني " فيقول :

انا نَقْدُمُ لِلْفَخَارِ ثَلَاثَةَ هَرَمًا وَعَهْوًا عَمَّهُ وَسِنَانَا
وَنَعْدُ خَارِجَةَ الْمَكَارِمِ إِذْ سَعَى بِحِمَالَةٍ فَاسْتَخَلَصَتْ غَطَفَانَا
وَالْحَارِثِينَ مَعًا نَعْدُ وَهَاشِمًا ويزيدُ إن عُدَّ الكُماةُ طِعَانَا (٣)

ولا يخفى أن الشعور وسيلة مهمة من وسائل الإصلاح فاذا كان هو الشرارة
الأولى في جحيم الحروب ، فانه كذلك كان في بعض الاحيان دفقة من
الماء البارد الذي يطفى جمرات القلوب الملتهبة ، ووسيلة انذار من عاقبة
الحروب الوخيمة . وقد اتخذ منه المصلحون في تهدئة النفوس وسفارات الإصلاح
أداة طيبة فعالة مؤثرة .

- (١) اقال : الفصلان . الواحد افيل . التنزيم : سمة .
واقال المزم : فحل معروف .
(٢) شرح زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب تحقيق د . فخر
الدين قباوة - منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ص ٢٥ وما يليها .
(٣) ديوانه ٢٠٩ .

٣ - الانصاف السياسي والملوك :

بارىء ذى بدء لا بد ان نكون على ذكر مما كان العربى يتصف به من انفعال وابعاء وأنفة حتى مع الوجهاء والملوك تدفعه الى تهديدهم والتهوين من شأنهم ، كما تعلى عليه شيمه واعتداده ، بنفسه ألا يقبل الازدراء منهم فهو ابى لما يهينه ، يعامل الملوك ندا بند ، ولا يرعوى عن قتلهم اذا ما رأى لذلك "أسبابا وجيهة" ، يقول جابر بن جنى التغلبي :

نعاطي الملوك السلم ما قصدوا بنا

وليس علينا قتلهم بمحرم

وكأين أزرنا الموت من ذى تحيشة

إذ ما أزدرانا أو أسف للمأثم (١)

ويصور هذا أيضا تهديد يزيد بن الخذاق الشنى " للنعمان بن المنذر وتوعده له ان هو غزا قومه فانه سيلاقى قوما أشداء يردونه على أعقابهم ويدحرونه ويهزمونهم شرهزيمة ، يقول " يزيد " متوعدا مهددا :

نعمان إنك خائن خديع
يخفي ضميرك غير ما تبدي
فإذا بدا لك تحت أثلتنا
فعليكها إن كنت ذا حرد
يأبى لنا أنا ذو وأنف
وأصولنا من مخذ المجرد
إن تغز بالخرقاء أسرتنا
تلق الكئاب دوننا تُرد
أحسبتنا لحما على وضم
أم خلتنا في البأس لا نجد (٢)

.. الخ الأبيات

(١) المفضليات ١٧٥ .

(٢) المرجع نفسه ٩٦ ٢ وانظر قصيدة له اخرى في المعنى ذاته ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

وعلى الرغم من ذلك فالعربي يضع الأمور في نصابها حين يجد الجد
بدليل أنه لما بعث "حجر" والد امرئ القيس "جابهه الى "بني أسد"
فمنعوه الاتاوة وضربوه ضربا مبرحا ، فعاقبهم "حجر" عقابا شديدا ، بأن
أخذ سراتهم وقتلهم بالعصا ، وأباح أموالهم ، ونفاهم الى تهامة .

وهنا كان للشعر السياسي دور في الالة قلب حجر واستدرار عطفه ، ومطل
هذا الدور "عيد بن الأبرص" الذي ألقى بين يدي الملك قصيدة تفيض
بالحزن والأسف على ما آل اليه أمر قومه ويستعطف الملك أن يتحلل
من يعينه الذي عقده على ألا يساكن بني أسد "ولا يساكنوه ،

ويتبع النمط السياسي في أسلوبه فيذكر تشرد قومه في الأضغاع
واستكانتهم وذلهم ليسترق قلب الملك عليهم فهو القادر على العفو عنهم
ولن يضيره شيء ، فان لم يفعل فلن يستحق اللوم فهو الملك وهم عبيده
الأذلاء يسوقهم كما يسوق العير .

وهذه القصيدة وان خرجت عن النمط المألوف في التبحر بالقوم
ومفاخرهم الى ذكر ذلهم وخنوعهم فانها ضرب من ضروب الانصاف السياسي
ومعرفة قدر القوم ، يقول "عيد بن الأبرص" في قصيدة :

يا عينُ فابكي ما بيني
أسدٍ فهم أهل الندامة
أهل القبابِ الحمرِ والـ
نعم الموءبل والمدامة
وذوي الجيادِ الجرذِ والـ
أسلِ المثقفة المقامة
حلاً أبيت اللعن حـلاً إن فيما قلت آمنة

ومنها قوله :

إمّا تركت / عفتوا أو قتلت فلا ملامة
تركت

(١) أنت العليُّكُ عليهمُ وهم العبيدُ الى القيامِ

(٢) ذلُّوا السوطِكَ مثلَ ما ذلَّ الأشيقرُ ذوالخِزامِ

ومثله قول "المرقس" الأكبر " يمدح ملكا من ملوك جفنة غزا قومه فأوقع

بهم :

ما ذنبنا في أن غزا ملكك من آل جفنة حازم مرغيم

مقابل بين العواتك وال غلف لا نكس ولا تروأم

(٣) حارب واستعوى قراضية ليس لهم مما يحاز نعلم

..... الخ

ولنتخذ من " النابغة " لذيبياني " مثلا نحتذيه على تعامل العربي -

" الدبلوماسي " المحنك مع الطوك ، فقد مارسهم وما رسوه والفهم وألوه .

وعرف متى يمدحهم ومتى يداريهم ومتى يفاكهم ، بل انه كان يعرف

يسعدهم ويفرحهم وما يؤذيهم وينغص عليهم .

ولنبدؤ بمداحه المتزلفة التي حلق فيها واختفت فيها نبرات الصدق

وشفافية الاخلاص ، وطغت عليها رواسب الطمع وغيثات العطاء فجاءت بمبالغة

متكلفة .

(١) ولا يخفى ما قيل حول القصيدة ولا سيما البيت (انت العليك عليهم) من

انتحال راجع الاغاني وثقافة) ١٩ / ٨١ ، ٨٢ .

(٢) ديوانه ١٣٧ ، ١٣٨

(٣) المفضليات ٢٣٩ .

وعلى ما فيها من المبالغة والبعد عن الصدق فانها نمط من أنماط " الانصاف السياسي " لأنها انصاف للممدوح بذكر محاسنه وانصاف للممدوح بنيل الاعطيات والتناصف في المحاسن والاعطيات تناصف في الوسيلة التي توصل بها اليهما .

فالنابغة فار بحياته من " النعمان " الذي أوغر قلبه^{عليه} الى " عمرو ابن الحارث الأعرج " فأحسن الملك وفادته ، فقال فيه قصيدة يمدحه فيها مطلعها :

كَلَيْتِي لِيَهْمٍ يَا أَمِيمةً ناصِبٍ وَلَيْلٍ أَقاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ (١)

ولعل هذا المطلع ينبيء عن دخيلة نفس النابغة ويكشف عن أسرارها ، وهناك قصيدة أخرى يهني فيها " النعمان بن الحارث الأصغر " بمولود له منها :

هذا غلامٌ حَمِيْنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبَلُ الخَيْرِ سَرِيْعُ التَّمَامِ
للحارثِ الأصغرِ والحارثِ ال أَعْرَجِ والحارثِ خَيْرِ الأَنامِ (٢)

وأكد أميل الى أن هذا من أوائل النصوص في تهنئة الملوك بمواليدهم ولا يخفى ما تنطوى عليه التهنئة من دبلوماسية وحنكة .

ومن مدائح النعمان المتزلفة ، قصيدة يمدح فيها " الحارث بن أبي شمر الغساني " يصفه فيها بالفضل والكرم والانصاف والعفوعنه على ما كان ، به من حنق عليه لأمر سلف منه ، والعفو عند المقدرة والتغاضي عن المسيء ، صفة مدحمة في الملوك ، وقد أنصف النابغة في هذه القصيدة وأنصف ، ومن هذه القصيدة قوله :

لقد تلفف لي عمرو على حنقٍ عن قولِ عرجلةٍ ليسوا بأخيارِ
فجئتُ عمراً على ما كان من أضمٍ وما استجرتُ بغيرِ اللهِ من جَارِ
أثوى فأكرمُ في المَثْوَى وَمَتَعْنِي بجِلَّةٍ مائةٍ ليستُ بأبْكَارِ (١)

وهناك مدائح لم تقصد الى التزلف وانما كانت صادقة مخلصه ثمحضت للانصاف فالنايغة حين يمدح الفساسة لدى ارتحالهم عنهم لا يكون ذلك دافعا لعطائهم بقدر ما هو شكر للجميل وحسن الرعاية ، وذكر النعم وما يتحلى به ملوك الفساسة من صفات حقيقية دون تزييف أو مبالغة ، فينصفهم من ذاتهم وأخلاقهم ويقول :

لا يَبْرُمُونَ إِذَا مَا الْأُفُقُ جَلَّلَهُ بَرْدُ الشِّتَاءِ مِنَ الْإِمْحَالِ كَالأُذْمِ
هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي اللَّأْوَاءِ وَالنَّعْمِ
أَحْلَامٌ عَائِدٍ ، وَأَجْسَادٌ مَطْهَرَةٌ مِنَ الْمَعْفَةِ وَالْآفَاتِ وَالْإِثْمِ (٢)

ولئن كانت مدائح النايغة للمناذرة بعامة وللنعمان بخاصة شبيهة الى حد ما بمدائحه للفساسة من باب أنها استدرار للعطاء واستكثار للعمال ، وتكسب بالشعر ، فإن مدائحه للنعمان يخالطها كثير صدق ويتبدى لنسا من خلالها اخلاصه له ، وخاصة في "اعتذاراته" التي أنشأها بعد هجر النعمان وغضبه عليه ، ولما جاور الفساسة ومدحهم أجزلوا عطاءه ، لكن ذلك لم ينسه فضل النعمان عليه ، فكانت "الاعتذارات" التي اتخذت لها

(٣) مكانة سامية مرموقة في الأدب العربي .

(١) ديوانه ١٨٣ .

(٢) ديوانه ١٠١ .

(٣) انظر مثلا ديوانه ٢٠ ، ٦٧ ، ٧٢ وما بعدها .

ولما بلغه أن النعمان عليل أنشأ قصائد شعرية تنضح بصدق الوفاء ،
وتمسكه بالنعمان واخلاصه له ولا سيما في قصيدته الرائية التي تنطق بحرارة
العاطفة وصدقها في البكاء على النعمان والدعاء له بالعافية مما ألم به ،
يقول النابغة :

ألم تر خيرَ الناسِ أصبحَ نَعْمَهُ على فتيةٍ قد جاوزَ الحقَّ سائرا
ونحنُ لديه نَسألُ اللهَ خُلْدَهُ يرُدُّ لنا مُلْكَاً وللاُرضَ عامِراً
(١) ونحنُ نُرَجِّي الخُلْدَ إِنْ فَازَ قَدْ حُنَا وَنَهَبُ فَدَحَ المَوْتَ إِنْ جَاءَ قَامِراً

وشكر الفضل لأهله وتقديره ومعرفته لهم انصاف ، وكذلك كان دأب النابغة مع
النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي " الذي أغار على " بني زبيان " فأخذ
منهم ، وسبى سبياً من غطفان وأخذ " عقرباً " ابنة النابغة ، فسألها
: من أنت ؟ فقالت : أنا بنت النابغة ، وهناك كان " النعمان " كريماً
منصفاً لها ولا بيها عارفاً فضله عليه ، فقال لها : والله ما أحد أكرم علينا
من أبيك ، ولا أنفع لنا عند الملك ، ثم جهزها وخلّاها ، وكان أكثر انصاف مع
النابغة إذ قال : والله ما أرى النابغة يرضى بهذا منا ، فأطلق له سبى
غطفان وأسراهم ، فكافأه النابغة بقصيدة شكره فيها وأنصف الشكر منها قوله
يمدحه بالياس والقوة والكرم والنجدة :

لعمري لنعم الحيّ صبح سربنا وأبياتنا يوماً بذات المَراودِ
يقودهم النعمانُ منه بمحصفٍ وكبيدٍ يعمُّ الخارجيّ مُناجيدِ
وشيمةٍ لا وانٍ ولا واهنِ القوي وجدٍ إذا خاب المفيدون صاعدِ
(٢)

... الخ

فأنصفه عن طواعية ووصف براعته النعمان في قيادته ونظام جيوشه لما أثار
على قومه (١) فهذا الانصاف طواعية يختلف ويتميز بمكانته عن الانصاف "
"كرها" لأن الانصاف عن كره يأتي بعد معاندة ومكابرة لا تلبث أن تنهار
امام قوة الملوك وضخامة جيوشهم فلا يجد بدا من الاعتراف صراحة بانهزام
قومه واستحالة مواجهة الجيوش ، فلا مناص آنئذ الا الانصاف والانبهار (٢) .
واذا كانت هذه النظرة المنصفة للملوك والقوم عند النابغة فهي مثال
يحتذى لسائر العرب .

(١) وانظر ايضا نظير ذلك ص ١٧٥ ، ٢١٢ .

(٢) انظر مثلا ديوانه (١٤) .

في التشفع عند الملوك :

قد يهيم ملك من ملوك الفساسنة أو المناذرة بغزو قبيلة من قبائل العرب ، وحينئذ يهيب شاعرها الذي له صلة قوية بهم ومناذمتهم ويبذل قصارى جهده لديه للتراجع عن عزمه والعفو عن قومه أو قد تغيّر جيوش الملك على قبيلة ما ودور الشاعر هنا بذل الجهد لمحاولة فك الأُسرى والسبايا والمغذّنين التي غنمها الجيش ، وبعبارة أدق محاولة التقليل من فداحة الخسائر وتقاديتها إلى أقصى حد ممكن .

وبالنظر إلى هذا اللون من الشعر السياسي نجد أن الشعراء قد

اتخذوا إحدى طريقتين :

أ - التشفع :

من ذلك تشفع " مالك بن ربيعة النميري " لما أغار امرؤ القيس بن المنذر " عم " النعمان بن المنذر " على " النمر بن قاسط " فسبى سبيا فأنى بهم الحيرة فحظّروهم حظائرهم باحراقهم ، فكلّمه فيهم فوهبهم له فسمى يومئذ " أبا حوط وذو الحظائر " فقال أبو حوط ، منصفاً قومه من ضعفهم والملك بقوته وجبروته :

أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّكَ خَيْرُ رَاعٍ	وَنَحْنُ عِبَادُكَ الْقَنَّ الْقَطِينُ
لَقَدْ حَوَتْ الْحَظَائِرُ مِنْ مَعَدٍ	رِجَالًا كُلُّ شَكَاؤِهِمْ أُنِينُ
جَنَوْا حَرْبًا عَلَيْكَ وَكُلُّ قَوْمٍ	وَإِنْ عَزَّوْا لِحَرْبِكُمْ طَحِينُ
وَلَوْ أَوْعَدْتَ ذَا الْبَدْرِ شَتِيمًا	لضاقَ عليه من خوفٍ عَرِينُ (٢)

(١) من النمر بن قاسط ويقال له " أبو حوط " وذو الحظائر وهو أخو امرؤ

القيس بن المنذر لا مه ، معجم الشعراء ٣٥٨ .

(٢) معجم الشعراء للمريزاني ٣٥٨ .

وقد تأخذ الحمية العربية والشفقة شاعرا فيشفع لغير قومه ، صنيع

" عمرو بن معد يكرب الزبيدي * لدى " النعمان بن المنذر " حين أراد قتل

" الفظ بن مالك الفسائي " أو قطع لسانه ، بعد أن هجاه هجاء قاسيا ،

ثم وهبه لعمرو فقال " الفظ " شاكرا ومعتزفا بصنيع عمرو :

تَدَارَكُنِي مِنْ مُذْحَجٍ هَيْرٍ مُذْحَجٍ وَسَيْفِ أَبِي قَابُوسٍ يَسْتَظِيرُ الدِّمَاءَ

وَكُنْتُ الَّذِي يُثْنِي الْخُتَامَ بِاسْمِهِ وَكُنْتُ إِلَى دَفْعِ الْمَنِيَةِ سَلْمًا (١)

(ب) الوساطة عند الملوك :

وأقصد به أن يقوم الشاعر بمهمة سياسية عند الملوك يبتغي من خلالها

فك أسير واطلاق عان وعقق سبايا واسترداد مغانم ، أو ان يستوهب الملك

قومه ، أو شخصا عزيزا لديه من بين الأسرى .

على أن هذه المساعي السياسية تتطلب قدرا كبيرا ومهارة فائقة

في المداورة والمناورة وكسب رضا الملوك ، يتجلى ذلك فيما يمكن أن نطلق

عليه " الخيار السياسي " ولعل منه موقف " الاسود بن المنذر اللخمي " وقد

قاد حملة على قوم " الاعشى " أثناء غيابه ، فانهزم القوم وسبى الكثير من

نساءهم فما كان من الاعشى وقد رأى ما آل اليه قومه الا أن قدير " للاسود

قوته وجبروته " ولم يجد أمامه بدا وقد فقد الخيار الحربي الا أن يتذرع

اليه بقصيدة يستلين بها قلبه ، وصفه فيها بالندى والجود والمجد والعزة

والمنعة .

ثم مضى يضرب على هذا الوتر ، فيصفه بالتقى والنجدة وصلة الرحم ،

وشهرته بين الناس بفك الأسرى واطلاقهم ، وبأنه مجيب لمن يسأله ويجود

عليه ، وفي كريم لمن استجار به ، شديد حازم مع أعدائه صارم في عقابه .

(١) معجم الشعراء* للمريزاني ٣١٨ ، ٣١٩ .

* لعله « عمرو بن معد يكرب الأكبر » غير الشاعرا المشهور .

ثم أخذ يذكر " أمثلة من منحه وعطاياه ، وينعطف الى وصف قوته
وسطوة جيشه في الحروب ، وأنه يعود منها دائما مظفرا غانما ، بعد أن
يجرع أعداءه السم الزعاف ، فهو في أحلك الأزمات يساوى أمة وحده ،
ثم يصف جيوشه وجنوده وعددهم وعتادهم ، وأخذ يضرب أمثلة على القبائل
التي نكبها بفزوه ، وأخضعها لسلطانه .

كل هذه طرق وسبل نهجها الشاعر في محاولة الوصول الى غرضه
، وقد وصل ، فقد اخذت قصيدته بلب الأ سود ، فصح عن قومه وأعاد اليهم
ما غم سبيا ومالا ورجالا .

وحتى نعرف مدى استكانة " الأ عشي " وتودده " للأ سود بن
المنذر اللخي " نجد أنه اختتم قصيدته بدعاء اشتط في دروب الخيال ،
فيقول :

(١)
لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ ، ثُمَّ لَا زَلَّ
تُ لَهُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ

وقد سلك النهج ذاته ، والوسيلة عينها " علقمة بن عبدة " لما قتل " الحارث
ابن أبي شمر الغساني " " المنذر بن ماء السماء " وأسر جماعة من أصحابه ،
وكان في من أسر " شأس بن عبدة " أخو " علقمة " فقصد الحارث متدحفا
بقصيدته التي مطلعها :

طَحَا بِكَ قَلْبِي فِي الْحَسَانِ طُرُوبُ
بُعَيْدِ الشَّبَابِ عَصْرُ حَانَ مَشِيْبُ

حتى اذا وصل الى قوله :

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبِطَتْ بِنِعْمَةٍ
فَحَقُّ لَشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنْبُ

وفيهما يقول :

فلا تحسّر مني نائلاً عن جنابة
فإني أمروء وسط القباب غريباً (١)

فقال الحارث : نعم واذنبه ، وأطلق شأساً أخاه ، وجماعة أسرى بني
تميم ، ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم .

وعلى هذا الفرار كانت قصيدة " المثقب العبدى " حين غزا " النعمان

ابن المنذر " " بني لكيز " قوم المثقب فأسر وقتل وسبى .

وقد حاول " المثقب " (في قصيدته) انقاذ ما يمكن انقاذه متخذاً السبيل

المألوف في مدح الملك والتنويه بشجاعته وقوة جيشه ويطشه بالقبائل

الى غير ذلك مما يستدر به عطفه ويلين قلبه ، وبيئك القصيد في قصيدته

قوله يرجو الملك اطلاق سراح قبيلته وفك سبائها ؛

فأنعم أبيت اللعن إنك أصبحت
لديك لكيز كهلهما ووليدهما

وأطلقهم تمشى النساء خلالهم
مفككة وسط الرجال قيودهما (٢)

وكان العرب يتوسطون أيضا فيما بينهم ، من ذلك توسط " يزيد بن عبد المدان

ل " قيس بن عاصم المنقرى " في اطلاق أسير من هوازن ، يقول " يزيد " :

يا قيس أرسل أسيراً من بني جشم
إني بكل الذي تأتي به جازي (٣)

(١) ديوانه ٣٣ وما بعدها وانظر العمدة ٥٧/١ والمفضليات ٣٩٠ وراجع

في رياض الألب قصيدة (علقمة) د . فتحي أبو عيسى ، الجزء الأول
ط . الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية ١٩٧٧ م .

(٢) ديوانه ١١٦ .

(٣) شعراء الجاهلية ٨٦ . ويزيد بن عبد المدان من بني قطن من بني

وهكذا رأينا الشعراء يستكينون بين يدي الملوك فيصفونهم بأعظم
الأوصاف وأجلها ، ويحقرون من قومهم ويقللون من شأنهم ، حتى أن أبا عبيدة
قال في قصيدة " النابغة " البائية التي مطلعها :

رَأَيْتُ كَأَنِّي لَدَى النُّعْمَانِ خَبْرُهُ وَبَعْضُ الْأَوْدِ حَدِيثًا غَيْرَ مَكْذُوبٍ (١)

وقالها في مدح " الحارث بن أبي شمر " حين ركب اليه ليكله في أسرى
" بني أسد " و " بني فزارة " فأعطاه إياهم وأكرمه - قال أبو عبيدة :
" لم أسمع كتمنيف النابغة في هذه القصيدة ، وقد خرج من كلامه
في الحسن والاستواء ، حتى كأنه يصف بعيرا ، أو يذكر ديارا . (٢)

الا أن مدح الملوك ومحاولة استلانة قلوبهم لا يخرج عن حد
المألوف ، فقد كان ذلك شائعا عند العرب في مثل قول جويرية بن بدر يمدح
" بني عجل " وقد وقع في أسرهم يوم " الوقيط " في أبيات له :

وَقَدْ أَدْرَكْتَنِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ مَخَالِبُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عُزْلُ
سِرَاعٍ إِلَى الدَّاعِي بِطَاءٍ عَنِ الخَنَا رِزَانٍ لَدَى النَّادِي مِنْ غَيْرِ مَا جَهْلُ
لَعَلَّهُمْ أَنْ يَغْطُرُونِي بِنِعْمَةٍ كَمَا طَابَ مَاءُ العُزْنِ فِي البُلْدِ المَحَلِ (٣)

==== الحارث بن كعب بن مذحج شاعر جاهلي من اشراف اليمن وشجعانها
في الجاهلية ، وكان بنو عبد المدان مضرب المثل في الشرف قال
أحد الشعراء :

تلوث عمامة وتجر رمحا كأنك من بني عبد المدان

انظر الاغاني (سياس) والنقائض ١٥٠-١٥١ . وشعراء النصرانية

٨٠-٨٨ وأسواق العرب ٢٥٤-٢٥٥ ، ٢٦٨-٢٦٩ .

(١) ديوانه ٩ ٤ والنعمان هو ابن الحارث بن أبي شمر الفسائي .

(٢) المرجع نفسه ٥٤ وانظر بعض هذه الابيات ص ٥٢ .

(٣) العقد الفريد ٦ / ٤٠ .

فلما سمعوه أطلقوه .

وتبدو جدوى قصيدة من الشعر السياسي المنصف الذي يعترف بقوة العدو والملوك في تجنب القوم فجائع وويلات لا طاقة لهم بها .

فمن ذلك - مثلا - أن " عمرو بن هند لما هم بغزو " عبد القيس " قوم " المزق العبدى " قال " المزق " قصيدة يستعطف بها " عمرو بن هند " ويرجوه أن يعدل عن غزو " عبد القيس " معلنا وفاءه واخلاصهم له فرجع / عما عزم عليه حين بلغته القصيدة . (١)

نخلص من ذلك الى القول ان شعر الانصاف السياسي يتمثل في التشفع عند الملوك والتوسط لديهم ، والانصاف يتجلى في تلك الوسائل التي اتخذها الشعراء للوصول الى اغراضهم ، وهم وان كانوا مرغمين عليها فانها تدل على قبول الأمر الواقع وتأكيده والرضوخ له ومعرفة قدر الملوك وانصافهم ، وأن القوم لا طاقة لهم بهم ، والاعتراف بالهزيمة أمام قواته . كل ذلك يجد له حيزا واسعا في ميدان الانصاف السياسي الحربي .

وثمة شئ آخر في الانصاف السياسي ، فعلاقة الشعراء العرب بالملوك لم تكن علاقة تكسب ومدح بغية العطايا والمنح أو التشفع والوساطة فحسب ، بل اننا نجد انصافا من نوع نادر يتمثل في رثاء من هلك من الملوك ، وهو رثاء يتنزه عن الطمع في الجوائز و يترفع عن طلب العطاء ، وقد تمحض للرثاء الصادق المنصف الذي يذكر مناقب المرثى ويعدد محاسنه بعيدا عن الأغراض والأهواء الشخصية .

(١) انظر القصيدة في الاصمعيات ١٦٤ والقصة في الموءتلف والمختلف ١٨٥ .

ولعل ذلك يتضح في رثاء " النابغة الذبياني " للنعمان بن الحارث
ابن أبي شمر الغساني " تظهر في ثناياه حرارة العاطفة وصدق لوعتها
منها قوله :

لقد عَالَيْني مَا سَرَّهَا وَتَقَطَّعَتْ لِرُوعَاتِهَا مِنِّي الْقُوَى وَالْوَسَائِلُ
فَلَا يَهِينِي إِلَّا عِدَاءُ مَصْرَعِ مُلْكِهِمْ وَمَا عَتَقَتْ مِنْهُ تَمِيمٌ وَوَأَسِيلُ (١)

وأين هذا من شعر المدح والتكسب الذي لا يقصد به إلا النيل الأ عطيات
والهبات (٢) .

-
- (١) انظر قصيدته في ديوانه ١١٥ وما بعدها ومرثية أخرى فيه ص ١٦٥ .
(٢) انظر مثلا لذلك قصائد أمية بن أبي الصلت في مدح " عبدالله بن
جدعان " في ديوان أمية الصفحات ٤١٢ وما بعدها و ٤٣٤ وما
بعدها ومدائحه في " سيف بن ذي يزن " ٤٢٤ وما بعدها .
وانظر أيضا قصيدة " عبد قيس بن خفاف البرجمي في " حاتم
الطائي " في ذيل الأُمالي ٠٢٢ .

الباب الثالث :

المصنفات من وجه النظر النقدية

الفصل الأول : دراسة فنية تحليلية

الفصل الثاني : المصنفات في موازين النقد الأدبي

الفصل الأول

دراسة في تحليلية

منصفة المفضل النكري

(١)
ترجمة الشاعر :

هو المفضل بن معشر بن أسحم بن عدى بن شيبان بن سويد
ابن عذرة بن منبه بن نكرة - بضم النون وسكون الكاف - ويقع في كثير
من الكتب " البكري ، مصحفا ، والمفضل شاعر جاهلي لم تسعني المصادر
بأخبار عنه .

وذكر السيوطي أن اسمه " عامر بن معشر بن اسحم ، وانما سمي
مفضلا لهذه القصيدة " . وكذلك قال ابن سلام : " فضله قصيدته التي
يقال لها المنصفة " وهو ما يفهم من صنيع البكري في اللالي " .
ويفهم من التعقيب على القصيدة في الاصمعيات أن له عما يسمى
" عامر بن أسحم " تنسب اليه هذه القصيدة .

دراسة تحليلية لمنصفة المفضل النكري :

في هذا الفصل سأتجرد - بحول الله - لتحليل بعض المنصفات
تحليلا فنيا يقوم على شي " من التذوق المدعوم بعدد من النظرات النقدية
ابتغاء تقويم ذلك الشعر ووضع في مكانه من سائر نصوص الشعر
الجاهلي .

وقد يكتمل هذا الغرض حين أهدى الى قوائد كاملة من شعر
" المنصفات " حتى تبدو الصورة واضحة ، أما هذه الأبيات المبتوثة

(١) عن ترجمة الشاعر في الاصمعيات ١٩٩ .

هنا وهناك في حنايا القصائد فهيهات ان تبرز ملامح الدراسة الفنية ،
ومن ثم فأنني سأغضى عن هذه الأبيات المفردة الى بعض قصائد يطل
منها روح النصفة .

ومن هذه القصائد قصيدة جهيرة نائعة ترتبط على ما يرى
الأصمعي بالفضل النكري وان نسبت الى غيره من الشعراء عند غير
الأصمعي . (١)

يستهل "الفضل النكري" قصيدته تلك - على ما جرت عليه كثير
من القصائد الجاهلية - بهذا الشوق اللهيف والحنين اللاهب الى جيرته
" قوم سليمي " في زفرات تستشعر منها انفاسه الحرى التي تنطوى على
الألم لفراقهم عنه ، فيقول :

ألم تر أن جيرتنا استقلوا فبيننا ونيتهم فريق
فدمعي لو لو ليس عراه يخر على المهوى ما يليق
عدت ما رمت إذ شخصت سليمي وانت لذكرها طرب مشوق

وواضح أن "الفضل النكري" في تلك الأبيات ملتاح محزون ، لأن جيرته
يعموا صوب ناحية أخرى ، بعد ان تركوه يعض الامه ، ولكم كانت تباريح
الشوق تعتاده بوطأتها ، فلا يجد الا عبراته سبيلا للتنفيس عن هذه
التباريح فدمعه موصول لا يحتبس ، لأن صاحبه عدت عليه ان شخصت
عنه الى موضع آخر .

(١) طالع الاصمعيات ١٩٩ ومايليها .

ولعل للاستفهام الذى صدر به تلك المعاني وقعا أى وقع . فهو استفهام تقريرى يلفه في صيغة " الخطاب " وكأنه يود أن يجاهر بجيشان نفسه الى الناس قاطبة تخفيفا عما يرزح تحته ويكربه من مرارة الحرمان وغصة الفراق ، وينهض التصوير في قوله " فدعني لو لو " ببيان ما كان عليه دمه من صفا . ثم يجيء الالتفات البلاغي في قوله " وأنت لذكرها طرب مشوق " بدلا من قوله " وأنا لذكرها " تأكيدا لما آلت اليه حاله ، فعاله هذه كأنها حالة عامة لا تخصه وحده ، فشأنه مع صاحبتة يشير الطرب والشوق مع كل نفس وانسان - ولكن أترأه مع كل وسوسات نفسه يذل ويختع !!!

لا ، فوداعها خليق بأمثاله ممن يستشرفون معالي الأمور ... وآية ذلك أنه اذا دعا داعي المعارك والأيام وتنادت القبيلة بالالتحام مع مناوئتها فانه سيكون في صدارة القبيلة ، وساعنها سيجعل شغله الشاغل الذود عن قبيلته والدفاع دونها بكل ما أوتى من بمالة وتضحية غير مبال في ذلك بالموت الزوا ام ، وكان العظام تطلبه ، وذلك قول " المفضل ، في منصفته :

فودَّعُهَا وَإِنْ كَانَتْ أُنَاةٌ	مَبْتَلَةٌ لَهَا خُلِقَ أَنْيُنُقُ
تَلَهَّى الْمَرْءُ بِالْحَدَثَانِ لَهَا	وَتَحَدَّجُهُ كَمَا حُدَّجَ الْمَطِيقُ
فَأَنَّكَ لَوْرَأَيْتِ غَدَاةَ جِنْنَا	بِبَطْنِ أُنَالٍ ضَاحِيَةٍ نَسُوقُ
فَدَاةً خَالَتِي لِبَنِي حَيْسِي	خُصُوصًا يَوْمَ كَسَى الْقَوْمِ رَوْقُ

وعجيب أن تسيطر على الشاعر ذكريات عذاب يستحضر صورتها عن طريق التعبير بالمضارع " تلهي " الذى يدعاه بالتعبير بالمفعول المطلق " لهوا " وما يدور في فلك هذا التعبير من قوله " وتحدهجه كما حدج المطيق "

... فمع أنه أسفر بذاكرته ووجدانه الى حيث هذه الصورة الكامنة في نفسه
يتصرف عنها لتوه ، والا ففيم قوله في أعقاب ذلك :

* فانك لورأيت غداة جثنا بيبطن أثال *!!!

وينبرى "المفضل النكري" للحديث عن المعركة الطاحنة بين قبيلتين :
قبيلته من ناحية وقبيل بني حيسى من ناحية أخرى ... هذه العشيرة
المعادية .. والمظنون به آتئذ أن يسترسل في الوصف والحديث عن
المعركة .. وقد فعل ، بيد أن استهلاكه الحديث عن المعركة بذلك الدعاء
لها الذي ان دل على شيء ، فانما يدل على مدى اعجابه بهو "الاهدا"
واستبسالهم في أرض المعركة ، وهو استبسال يتخلقون فيه بالصبر على مجابهة
قبيلة الشاعر ، ويا له من صبر لا يتصف به الا أولو العزمات من الرجال
وان صبرهم ليبلغ مبلغه حين تراهم يتخذونه ذريعة الى مواجهة الشدائد
واصطلاء نارها ..

والى ذلك فهم يغالبون المنايا التي تتحرك "أشباحها على أرض
المعركة ، وأنى للمنايا أن تجثم عليهم وقد فعلوا الأفاعيل - لشد ما ولت
ضهم ، وفارقتهم سريعة بعد أن كادت تستأصل شأفتهم وتبيدهم - وقد
التقوا بموضع في البحرين يدعى "طريف" ..

أرأيت الى ما يقول :

هم صبروا وصبرهم تليد	على العزاة إذ بلغ الضيق
وهم دفنوا المنية فاستقلت	دراكا بعدما كادت تحيق
تلاقينا بغيبة ذي طريف	ومعضهم على بعض حنيق

تلك صورة مجملة ترسم موقف "الاهدا" من "بني حيسى" في هذه المعركة ...

فهم مرة يدفعون المنية ، ومرة اخرى هم اللائذون بالصبر ، لهم في مجاله
ممارسات قديمة حين تبلغ القلوب الحناجر أو تكاد .

وفي هذه الأبيات اشارات لافتة ، منها : ان " المفضل النكري "
خلع على الأعداء " الصبر " لكن سبيله الى ذلك الوصف هو التعبير بالجملة
الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام ، بدليل ما نجده عند قوله : "

* وصبرهم تليد على العزاء ان بلغ المضيح *

على أن الجملة الاعتراضية هنا " وصبرهم تليد " تضيف معلما من معالم
الانصاف يتجلى في ان هو " لا " أرياب حرب وضرب ، يخطون بحنكة وخبرة
في ميدانه . . . ولم يكتف المفضل بذلك ، بل أضاف انهم يدفعون
المنية ، وأن دفعهم المنايا انما جاءت بعد لحظات مواتية بدليل تعبيره
بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب في قوله " فاستقلت درাকা " .

ومن نافلة القول أن موقفهم ذلك وهم يدفعون المنايا ، ان صور
قوة الطرف الاخر من ناحية ، فهو يثبت للقبيلة المعادية اليقظة وقوة المراس ،
فأشباح الموت كانت تطل برؤوسها ومع ذلك فقد استطاع " بنوحيس " ان
يقمعوا تلك الأشباح فولت لا تلوى على شي .

فأى انصاف أكد من هذا وأبلغ ؟

ألسنا نرى نحوى ذلك في الآية القرآنية الكريمة :

* يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم

شئان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله

(١)

خبير بما تعملون * .

والحق أن المنصفات لا تهتم فريقا وتعلو من الآخر، والا ما كانت
كذلك يتبدى فيها روح الانصاف ويستعلن، ومن ثم فالشاعر المنصف مطالب
بأن يرصد الحقائق ويتحررها، وأن يكون كالعدسة اللاقطة التي تغطي
كل معلم على أرض المعركة ...

وانظر الى قوله :

فجاءوا عارضا بردا وجئنا	كسيل العرض ضاق به الطريق
مشينا شطرهم ومشوا إلينا	وقلنا: اليوم ما تقضي الحقوق
رَمِينَا فِي وُجُوهِهِمْ بِرَشِقِ	تَغْصُّ بِهِ الْحَنَاجِرُ وَالْحُلُوقُ
كَأَنَّ النَّبْلَ بَيْنَهُمْ جَرَادُ	تُكْفِيهِ شَامِيَةٌ حَرِيْقُ

وهنا يحاول "المفضل" أن يوازن بين قومه والقوم الآخرين، لقد كان
الأعداء أقل منهم عدداً بدليل قوله "فجاءوا عارضا بردا"، لكن قبيلة
الشاعر كانت من الكثرة بمكان... كانت على حد تعبيره كسيل العرض ضاق
به الطريق... واحتدمت المعركة وبدأ التلاحم بين الصفوف وهجست
الخواطر في النفوس، ان في هذا اليوم قضا الحقوق، وانها لت قبيلة
الشاعر بالسهم التي وجهتها الى الحناجر والخلوق من الأعداء...
وكان النبل جرداً منتشرة في أرجاء المعركة يصيبهم، وكان عوامل
الطبيعة ساعدت في ذلك وظاهرت عليه.

ولجؤ الشاعر في ذلك السقطع الى التعبير بالفعل الماضي ذو
دلالة معينة فهو يصف معركة تجسدت على أرض الواقع، وتحركت فوقه...
فكان التعبير بالماضي مناسباً لذلك متناغم معه غاية التناغم.

فجاءوا عارضا بردا... وجئنا... مشينا... ومشوا... رمينا

ومن الطبيعي أن معركة كهذه بلغت ضراوتها حدا من العنف لا مندوحة أن تكون ذات نتائج ان على هذا الفريق أو ذاك او على كليهما ، فماذا ترى "المفضل النكري" قائلا :

وَبَسَلٍ أَنْ تَرَى فِيهِمْ كَيْبًا كَبَا لِيَدَيْهِ إِلَّا فِيهِ نُسُوقُ
يَهْزُهُزُ صَعْدَةً جَرْدًا فِيهَا سَنَانُ الْمَوْتِ أَوْ قَرْنَ مَحْيَاقُ
وَجَدْنَا السَّدْرَ خَوَارًا ضَعِيفًا وَكَانَ النَّبْعُ مِنْبَهُ وَثِيقُ
لَقَيْنَا الْجَهْمَ ثَعْلِبَةَ بِنِ سَيْرِ أَضْرَبَنَّ يَجْمَعُ أَوْ يَسُوقُ
لَدَى الْأَعْلَامِ مِنْ تَلْعَاتِ طِفْلِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَضَجَّ بِهِ الْفُرُوقُ
فَحَوَّطَ عَنِ بَنِي عَمْرٍو بِنِ عَوْفٍ وَأَفْنَاءَ الْعَمُورِ بِهَا شَفِيقُ

ونتراءى في الابيات أن " كمة الأعداء " وشجعانهم أبلوا في هذه المعركة بلاءا مرا ، فاذا أحدهم يهزقناته وقد ركب فيها سنان الموت وهو المتخفن بالجروح الذي أصيب بالسهم من قبل الفريق الاخر ..

وهذا وحده يمكن أن يكون شافعا له في التخلي عن المعركة والاستئمان الى الدعة ، لكن " المفضل " يسبغ على هو " لا الكمة صورة ماجدة من صور البطولة الخارقة ، فعلى الرغم من أن الجروح نالت منهم منالا فهم لا يفتنون يحاربون ... فلم تلن قناتهم أو تضعف ... وانما دافعوا حتى الثمالة ... وما ان التقت قبيلة "المفضل النكري" ببطل الاعداء " ثعلبة بن سير " أو ثعلبة بن سيار ، حتى ألقته شرد الجموع وأضربهم .. وان بلغ " المفضل النكري " هذه الحالة من الانصاف ، بلغ به الانصاف كذلك أن ينصف " بني عمرو بن عوف " هو " لا الذين أحاط بهم " ثعلبة بن سيار " - ويبدو انهم كانوا في تحالف مع قبيلة الشاعر ... فهل صمدت

قبيلة المفضل النكري أوثبتت دون هذه الصورة الفذة من البطولة
والتفاني ؟ !

ذاك ما يحدثنا عنه الشاعر في الابيات التالية :

مَقِيلَ الْهَامِ كُلِّ مَا يَكْدُوقُ	فَأَلْقَيْنَا الرِّمَاحَ وَكَانَ ضَرْبًا
(١) (٢) (٣) (٤) وَخَاطِي الْجِلْزِ شَعْلِبَةَ دَمِيْقُ	وَجَاوَزْنَا الْمَنُونَ بِغَيْرِ نَكِيْسٍ
هَزِيْرًا بَاءَةً (٥) فِيهَا حَرِيْقُ	كَأَنَّ هَزِيْرَنَا يَوْمَ التَّقِيْنَا
بِنَانُ فَنَى وَجُمُجَةٌ فُلَيْقُ	بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ رِيْسِ
بِيْذِي الطَّرْفَاءِ مَنْطِقَهُ شَهِيْقُ	وَكَمْ مِنْ سَيِّدِيْنَا وَمِنْهُمْ
مِنَ الْفِيْتِيَانِ مَبْسَمُهُ رَقِيْقُ	بِكُلِّ مَجَالَةٍ غَادَرَتْ خِرْقًا
فَرَاْحَتْ كُلُّهَا تَتَّقُ يَفُوْقُ	فَأَشْبَعْنَا السَّبَاعَ وَأَشْبَعُوْهَا
وَاللِّغْرَبَانَ مِنْ شَيْعٍ نَغِيْقُ	تَرَكْنَا الْعَرَجَ عَاكِفَةً عَلَيْهِم
نِسَاءً مَا يَسُوْغُ لَهُنَّ رِيْقُ	فَأَبْكِيْنَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكُوْا
فَقَدْ صَلَّتْ مِنَ النَّوْحِ الْحَلُوْقُ	يَجَاوِبُنَ النِّيَاحَ بِكُلِّ نَجْرِ

أرأيت مكاشفة فوق تلك المكاشفة ؟ ؟

-
- (١) الخاطي : الغليظ الصلب .
(٢) الجلز : أصل السنان ومعظمه .
(٣) الشعلب : ما يدخل في جهة السنان من الرمح ، والمقصود : السهم .
(٤) الدميْق : المدخل .
(٥) الأباءة : أجمة القصب .

ان "المفضل النكري" يصور جو المعركة وكيف كان موقفهم منه بعد أن رأوا من الأعداء ما رأوا من استماتة تفوق التصور... وكان على عشيرة الشاعر أن تجهد هي الأخرى لتدراً عنها ريب المنون، وتنجو من شرك الموت ويراثنه، ولا سيما والضرب قائم على قدم وساق يستهدف الهام يحصدها حصداً.. ولا يليث "المفضل النكري" بعد ذلك ان يضعنا ازاء لوحة عرض فيها لأصوات المتقاتلين من الفريقين، فأصواتهم تشق هذا السكون الرهيب وكأنها الحطب الذى يشب فيه الحريق .

واذا لاحت من أي منهم التفاتة فسوف يهوله بنان هنا وجمجمه هناك تطايرت على صعيد المعركة وفي ميدانها حتى السادة من الفريقين أصابهم ما أصابهم من لاوأء الحرب وعنتها ومشقتها فنطق الواحد منهم شهيق من فرط ما أصابه من اعياء... هذا فضلا عن أنك ترى الجثث والأشلاء ملقاة في كل مكان.. وهذه الجثث لفتيان ساميح كانوا ذوى مروءة ونجد والمعية، لكنها الحرب التي لا تفرق بين النابه والخامل، والجواد والشحيج، وبهذه الصورة كانت المعركة لقمة سائغة للسباع التي تناهشت تلك الاجسام والأشلاء المبعثرة، وأكلت منها حتى التخمة، وما كانت السباع لتتصور يوماً ان هذه الجثث ستملؤها الى حد الكظفة والشبع، وكذلك كانت الضباع مقيمة على أرض المعركة لا تبرحها أو تريم عنها يمناً أو يسرة، وشاركت الطيور أيضاً في الأكل من جثث الضحايا...

كان القتلى من الفريقين المتحاربين، وكان كفتيها متساويتان، ولئن كان هذا منظر يستدر الشفقة ويمتثير الدموع، ولا سيما من النساء، ان الأمر كان كذلك، فهو لا نساء من قبيلة الشاعر ينتحبن بكاء ويولولن على قتلاهن، وأولئك أخريات من القبيلة المعادية ينخرطن في النسيج والعويل...

وصرخات هو " لا " وأولئك تتردد في كل مكان . . . مستمرة على ذلك حتى بحث حلوقهن من النوح . وللدكتور " شوقي ضيف " إشارة عجلية يبين فيها أن هذه الأبيات تعد طريفة ، يقول : " كثيرون اشتهروا بهذا الانصاف ، وتسمى قصائدهم المنصفة . . . وفي الأسمعيات أمثلة منها طريفة ، من مثل قول " المفضل النكري " يصف موقعة بين عشيرته من بني نكرة بن عبد القيس ، وعشيرة " عمرو ابن عوف " يقول :

كَأَنَّ هَزْبَنَا يَوْمَ التَّقِينَا هَزْبُ أَبِيهِ فِيهَا حَرِيْقُ
الأبيات (١) .

ولا أرى " المفضل النكري " مبالغا في تصوير أهوال المعركة وهو يقول :
" بكل قرارة وبكل ربيع " أو هو يذكر " بكل مجالاة غادرت خرقا " كما لست أراه كذلك يجنح الى التهويل في قوله : " وكم من سيد منا ومنهم . . الخ " فقد توهم هذه العبارات أن الشاعر تستهويه المبالغة ، ذلك أن " المبالغة " هنا غير ذات بال خصوصا وهو يقسم الموقف بينه وبين أعداءه . . . والملاحظ الذي يسترهمى الانتباه ويستلقت النظر ان الفاء العاطفة تبدو بارزة بين هذه الأبيات وفي التعبير بها ما يعكس جو السرعة التي كانت ديدن المعركة أو قل خيمت عليها .

ثم نراه الى ذلك ذات تعابير موحية منها قوله على سبيل المثال لا الحصر : " فأبكيكنا نساءهم وأبكوناسا " فقد تتقاضاه البنية التركيبية ان يقول : " وأبكوناسا " في مقابل فأبكيكنا نساءهم . وفي هذا - كما أرى ملحظان :

(١) تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي ٢٠٥ دار المعارف -
الطبعة السابعة .

أولهما : أن الحفاظ يحول بينه وبين ذلك التعبير الصريح ،
فانتماؤه الى عشيرته يملئ عليه الا يكون التعبير في مباشرة ، ولعل هذا
سبب قطع الكلمة عن الاضافة .

ثانيهما : أن قطع الكلمة عن الاضافة لا يخض من نصفته بحال ، فوق
أن هذا القطع أتاح له أن يصف نساءً هم بقوله (ما يسوغ لهن ريق)
وفي هذا ما يرشح الى ان التنكير في كلمة " نساء " يراد به التعظيم .
لقد سارت المعركة على هذا الطراز وحمى وطيسها بين الفريقين فماذا
كانت محصلة تلك الحرب النهائية ؟ والام آل أمرها ؟ !
يقول " المفضل " :

فَخَرَّكَانُ لَمَتَ الْغَسَدُوقُ	قتلنا الحارث الوضاح منهم
فَخَرَّكَانَهُ سَيْفًا دَلُّوقُ	أصابته رماح بني حيسق
كريمًا لم توه شبه العروق	وقد قتلوا به منا غلامًا
وقد أودت بثعلبة العلوق	وسائلة بثعلبة بين سائر
تمر به مساعفة حروق	وأفلتنا ابن قران جريضا
(١) وهاديها كأن جذع سحوق	تشق الارض شائلة الذنابي
(٢) تذكرت العشائر والحزيق	فلما استيقنوا ابالصهر منيا
لجيمًا لا تقود ولا تسوق	فأبقينا ولو شئنا تركنا
لنا في كل أبيات طليبق	وأنعمنا وأبأسنا عليهم

(١) الهادي : العنق .
(٢) الحزيق : الجماعة من الناس .

وهذه الأبيات خاتمة المنصفة ، وكلها جاء يسهم بأبعاد معينة

توذن بنهاية المعركة ...

فقد قتلت عشيرة الشاعر " الحارث الوضاح " أخطأت رماح الأعداء ...
ويأبى الفضل إلا أن يكرس هذا المعنى فيقول مرة : " فسخر كأن لمته
العدوق " ويقول في أخرى " فخر كأنه سيف دلوق " ويشي ذلك التكرار
التصويرى بشئ من المبالغة مع اعترافه بأن رماح بني حيسى هي التي
أخطأت فأصابت منه مقتلا ، فهل ترى ذلك يحرك في نفوس الأعداء الثرة
والتشفي ؟ ذلك ما كان ، فلم يقر لهم قرار حتى كان رد الفعل عنيفا ،
حين أخذوا به من قبيلة الشاعر غلاما كريما زاكيا على أن " ثعلبة بن سيار "
الذي ألمحت إليه فيما مضى كان قد هلك وانطوت صفحته من الوجود ، غير
أن (ابن قران) ما زال بهم يحاور ويداور حتى استطاع أن يجد
لنفسه مخلصا بالفرار ، يحزبه الموقف ، ويكرهه الهم على فرس كادت تنهب
الأرض نهبا ...

وتتجلى روعة " المفضل النكري " في منصفته تلك في أبياته الثلاثة
الأخيرة التي كانت نهاية المطاف في القصيدة ، حيث ذكر أن الأعداء ثابوا
الى رشدهم وآبوا الى المسلك الصحيح بعد أن رأوا عشيرة الشاعر تتزود
بالصبر في المعركة ، فقد ثبتوا مع فداحة الخسارة ، وجسامة الأحوال ...
وهنا ينعطفون الى " التراحم " ويستجيبيون لداعي الأواصر والمحبة
بينهم ... فتتوقف المعركة وينجلي غبارها عن الأبقاء على الفريق الآخر ،
تجاوبا مع هذه العواطف الرقيقة ، وقد كان بالوسع أن يفني هذا الفريق
الذي يمثل قبيلة " لجيم " وكان لا مناص من تلك المواقف التي تمازجت
فيها النعمى بالبوء سوى نعم السلام وأطلق سراح الأسرى بعد أن كان ما
كان .

وواضح ما في هذه القصيدة من ملاحظ فنية تتمثل فيما يأتي :

أ - أن القصيدة يلفها الأسلوب الخبىرى - فيما عدا أسلوبا استفهاميا واحدا صدر به الشاعر قصيدته ، ولا غرابة في ذلك فالقصيدة تعبير عن معركة وقعت بين عشيرتين . . . وكل هذا مما يوائم الأسلوب الخبىرى في الحكاية . . . وفي هذا النطاق يبرز التعبير بالأفعال الماضية في مواقف القصيدة . . . وفي تلك الأفعال خصيصة التعبير عن الماضي بكل معطيات . . .

ب - نهضت القصيدة بالتعبير عن واقع الاحداث التي جرت بين الفريقين المتحاربين في نطاقين :

١ - نطاق الحقيقة ، حيث لا مجال للخيال المجنح أو الشغيف كما في قوله :

لَقِينَا الْجَهْمَ ثَعْلِبَةَ بِنِ سَيْرٍ أَضْرِبُهُمْ يَجْمَعُ أَوْ يَسُوقُ
وكذلك قوله :

فَأَبْقَيْنَا وَلَوْ شِئْنَا تَرْكُنَا لَجِيمَا لَا تَقُودُ وَلَا تَسُوقُ

٢ - نطاق المجاز الذى يتضح في التشبيه حينما كما في قوله :

فَجَاءُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجِئْنَا كَسِيلَ الْعَرَضِ ضَاقَ بِهِ الطَّرِيقُ
وتارة نراه في الكناية ، كما في قوله :

وَجَاوَزْنَا الْمَنُونَ بِغَيْرِ نَكْسٍ وَخَاطَى الْجِلْزَ ثَعْلِبَةَ دَمِيقٍ
وطورا في الاستعارة كذلك البيت :

يَهْزَهُزُّ صَعْدَةَ جَرْدًا فِيهَا سَنَانُ الْمَوْتِ أَوْ قَرْنُ مَحِيقٍ

هذا علاوة على ما أسلفنا من تلوين التعبير الذي يأتي سبيلا
ليبان ما في النفس كالتعبير بالجملة الاسمية ، أو التعبير بالماضي ،
والتعبير بالمضارع . . .

وكل هذه الملاحظات مما يسهم في تجلية القصيدة والوقوف
على قسماتها ولامحها . . .

منصفة عمرو بن البراقة

(١)

ترجمة الشاعر:

هو عمرو بن الحارث بن عمرو بن منبه النهسي من همدان ، يعرف
بعمر بن براق أو البراقة ، شاعر همدان قبيل الاسلام .

وهو شاعر من شعراء اللصوص والصعلكة ، فاتك جرى جيد
الشعر ، أدرك الاسلام فهو من المخضرمين ، ولا نعرف عنه في الاسلام
شيئا ، اما في الجاهلية فهو احد صعاليك العرب العدائين الذين
كانوا لا يلحقون ولا تعلق بهم الخيل اذا عدوا . كان صاحبا لتأبط شرا
والسنفري ، يخير تأبط شرا بهما على القبائل فيغزو ويسبى ويفنم .
وكثيرا ما كان يحيط بهم أعداؤهم فيقع عمرو في قبضة الأعداء
ويحتال تأبط شرا في فكاهه ، في قصص تصور البطولة والفتوة والشجاعة
والحزم والتدبير .

*

دراسة تحليلية لمنصفة عمرو بن البراقة :

هذه منصفة أخرى للشاعر الجاهلي " عمرو بن البراقة " .
" يرى الأصمعي " كذلك أنها احدى المنصفات ...
وقد جاءت مقدمتها تلتفت الى مقدمة المنصفة الماضية للمفضل
النكري ، وذلك حيث راع الشاعر هذه الاطلال التي اندرست معالمها ،
اللهم الا من خيام بدت في جنباتها آثار لنبت يسمى " الجليل " ...
ويستثير هسذا المنظر ذكريات الشاعر ، وتتلاقى في مخيلته مرآيا الماضي

(١) عن قصائد جاهلية نادرة ٩٧ وموسوعة الشعر العربي (١/١٥١)

الذى تصرم وكأني بهذه الخيام استطاعت أن تفتق لسان الشاعر بالقول
وأن يحتم عليه الموقف، أن يستنطق المكان... والأرض...

وجميل أن يفصح " عمرو بن الوراق " عما في نفسه وما يعتمل
فيها، فقد كان من الوفاء لصاحبه أن يهرع الى حيث تقطن، وأن يخاف الى
المكان الذى يضمها، فتلك شيمة الصب المدله، لكن ما حيلته وقد أضرت
العداوة بين قبيلته وقبيلتها نار الفراق!!! فكيف يتأتى له مزارها
أويقع - ذلك دونه - كما يقال - فرط القتاد...

وهل بوسع الشاعر أن يضرب صفحا عن موروثات القبيلة وأمجادها
الى حيث يشبع رغبته في وصل صاحبه ؟

هنا نجد " عمرو بن الوراق " يتطامن لقبيلته، وينزل على الولاة
لها بكل خفقاته مع ما يكمن في شغاف نفسه من هوى ملك عليه حناياه بيد
أن ذلك الهوى الدقيق يمكن أن يظل مرتبعا بين جوانحه ولا عليه بعدئذ
ما دام يليق مواضع القبيلة وأعرافها فحسبه ذلك...

وتلك نبرة " عمرو بن الوراق " في نفسه الشعرى الأولى من

منصفته :

(١)	فَرَفْتُ مِنَ الْكُتُوبِ بَيْطُنَ ضَيْمٍ	(٢)	فَجَوَّ بِشَائِمٍ طَلَلًا مَحِيلًا
	تَقَضَى رَسْمَهُ إِلَّا خِيَامًا	(٤)	مَجَلَّةٌ جَوَانِبُهَا جَلِيلًا
	عَدَانِي أَنْ أَزُوكَ أَنْ قَوْمِي	(٥)	وَقَوْمِكَ الْقَحْوَا حُرْبًا شَمُولًا

(١) بطن ضيم : موضع .

(٢) جوبشائم : موضع كذلك .

(٣) محيلا : أتى عليه الحول .

(٤) مجللة : فيها الجليل وهو نبت ضعيف يحشبه خصاص البيوت...

وواحد جليلة...

(٥) عداني : منعني .

فالشاعر يستمخ لنفسه العذر ... وكفى ...

كانت الحرب ضروسا تلتهم كل شي "ازا" ها ، ولعل هذا هو السر
في تنكير كلمة " حربا " .

وكان مسرح هذه الحرب احدى مدائن الشام لبني هيس " الحبار "
انه يوم ولا كالا يام ينهض وحده هذا للصديق المحب ، فليس معه
عذل أو ملامة ...

في يوم " حيار " هذا كانت المقتلة عظيمة ... لا تقع العين فيه
الا على جماعة يتصارخون بغية أن يهب بعضهم لنجدة بعض ما يحيق
بهم من المهلكات - كذلك الذى فعلته " هيد عمرو " وأهل " تضاع "
حيث كانت المباغطة أليمة ، والمفاجأة مذهلة ، وذلك اذا استكن لهم
" عمرو بن عمرو " فوجهه طعنة نافذة أردته صريعا يضرج بدمائمه
...

وثارت نائرة الفريق الاخر ولم يصرفهم الالم على قتلهم ذاك عن الحرب
والرد على الصاع بصاعين ، وما هي الا لحظة خاطفة حتى ردوا على الطعنة
بمثلها أو أشد ... وساعتئذ أورى المتحاربون زناد القتال ، وأغرث الغلبة
والظفر كلا الفريقين ، مما كان سببا ومدعاة للتراشق والنزال ، وانطلقت
السهم غادية رائحة ، كل همها ان تجتث الرؤوس وان تضطلع بدورها
المرموق الذى ينشده كل من الفريقين المتصارعين .

وهذا قول " عمرو بن البراقة " في ذلك المعنى :

وَأَنْكَ لَو رَأَيْتِ النَّاسَ يَوْمَ ال
غَدَاةِ تَصَارَعَتْ عَجْدُ بِنِ عَمْرُو
غَدَاةَ حَبَالِهِمْ عَمْرُو بِنِ عَمْرُو
فَرْدُوهُ بِمِشْعَلِيَّةٍ - قَلُوسٍ (٣)
وَقَامَ مَصُوبٌ مَنَا وَمِنْهُمْ
وَقَامَ مَصُوتَانِ بَرَأْسِ عُثْرٍ
(١) "حِيَارٍ" عَذْرَتِ بِالشُّغْلِ الخَلِيلَا
وَأَهْلُ تَضَاعَ فَاحْتَمَلُوا قَتِيلَا
(٢) بِشَكَّةٍ كَامِلٍ يَدُهُ جَزِيلَا
تَخَالُ رِدَاةٌ فِيهَا طَمِيلَا (٤)
وَكُلٌّ يَنْتَحِي حَنِقًا وَبَيْلَا
أَقَامَ الحَرْبِ وَالْعِيَّ الطُويلَا

وربما استوقفنا البيت الأول من طائفة تلك الأبيات لا لشيء إلا لأنه يذكر
بنظيره في القصيدة الماضية فكلاهما تصطنع التعبير ذاته في الدخول
الى المعركة ووصفا ما كان فيها ، وتأمل قول " المفضل النكري " في القصيدة
السابقة :

فانك لو رأيت غداة جئنا بيطن أثال ضاحية نسوق

وكل هذا يوه كد ان البناء التركيبي للقصيدة العربية كان ينهج سننا معينا
تعكسه مجموعة من الخصائص الفنية التعبيرية على النحو الذي نراه هنا وهناك ..
وبالإضافة الى هذا الملح المشترك بينهما في التعبير نرى مشابه

-
- (١) يوم الحيار ، من ايام العرب والحيار : مدينة بالشام لبني عيس .
(٢) الشكة : السلاح .
(٣) مشعلة قلوب : طعنة يتفرق منها الدم ويقذف كالزبد .
(٤) طميل : ملطخ بالدم .

بينهما كذلك تتجلى في التعبير بلفظة " غداة " حيث الوقت الذي
تبتدى فيه المعركة - فواضح ان لفظه " غداة " تردد أيضا في القصيدتين
كما هو جلي ، لكن " عمرو بن البراقة " أعطى للموقف كثيرا من الاهمية
ولفت النظر اليه ، وذلك حيث كرر اللفظة مرتين في قوله " غداة تصارخت ،
و " غداة حبالهم عمرو بن عمرو "

وهذا التكرير يضيف على المعنى قيمة فنية واتساقا بديعا ..

ولعل ومضة " الانصاف " في الابيات هنا تتضح عند قوله :

وقام مصوب منا ومنهم وكل ينتحى حنقا وسيلا

ثم نرى الشاعر يرصد الحقائق رصد الفلكي النجوم ، ومن هذا القبيل
ما نجده لديه في قوله :

" فردوه بمشعلة قلسوس تخال ردا ، منها طميلا "

حيث اتكأ على أداة العطف " الفاء " تماما كما ألفينا ذلك عند " المفضل
النكري " في مواطن من قصيدته سبق أن أشرت اليها .

ومن المشابه التي تكاد تنظم القصيدتين في قرن أو تجمع بينهما
في نظام أن التعبير بالفعل الماضي والاعتماد عليه في نقل المعاني وحكايتها
يكاد يكون طاغيا في تلك الابيات عند " عمرو بن البراقة " .
ويرد فائلا في أعقاب ذلك :

وُغَوِّدِرَ فِي دِيَارِهِمْ حَبِيْشٌ وَعَيْلٌ عَلَى الْاَكَارِسِ اَنْ يَثُوْلَا
وَعَيْلٌ عَلَى الْحَمُولِ وَمَنْ عَلَيْهَا فَلَ سِيْرًا يَطِيْقُ وَلَا حُلُوْلَا
وَنُسَلِكُهُمْ مَدَارِجَ بَطْنِ صَمِرٍ اِلَى قِرْنٍ كَمَا سَقَتَ الْحَسِيْلَا

كَأَنَّ نِسَاءَهُمْ بِقَرْمَرٍ مَرَّحٍ (١) خَلَالَ شَقَائِقِ تَطَأُ الْوَحْشُ وَلَا
لَهُنَّ صَوَاعِقُ يُعْرَفْنَ فِينَا بَيْنِي الْأَخَوَاتِ وَالنَّسَبِ الدُّخَيْلَا
يَكُلُّ خَبِيئَةً وَمَجَازٍ عَرَضٍ تَرَى نَمَطًا يَطْوُحُ أَوْ خَمِيئَلَا

فالشاعر في تلك الأبيات يقدم على بعض نتائج الجولة بين الطائفتين المتقاتلتين . . . ومن هذه النتائج أن بعض الأسارى وقعوا في أيدي الأعداء من قبيلة الشاعر وقومه ، وتوقف المارة ، وقطعت الحرب السبيل على الغادين والرائحين ، فلا الغادى استطاع أن يصل إلى طلبته ، ولا الراحل كذلك بوسعه أن يغوب إلى داره . . . وإذا كان كذلك شأن الناس فقد كان شأن الدواب والأنعام أيضا . حيث لا تطيق سيرا أو بقاء وحلولا في الأرض التي تمشي فوقها . . .

لقد استبدت الحيرة بالناس ، كما استبدت الحيرة بالحيوان سوا

بسوا .

ويمض " عمرو بن البراقة " فيذكر أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي أو معصوبي الأعين عما وقع لقبيلتهم فقد تمكنوا من قيد الأسارى منهم بالحبال ثم اقتيدوا أمامهم كما يسوق الإنسان أولاد البقر لا حول لهم ولا طول ، غير قادرين على المناجزة والمصالحة بحال .

وللتشبيه في الصورة الأخيرة وقع أى وقع ، ذلك أنه شبه الأسرى

واقتيادهم باقتياد ولد الأبقار في الاستسلام والطاعة العمياء . . .

(١) « جمع شقائق وهي الأرض الصلبة أو الفرجة بين الحبلين من حبال الرمل

تنبت العشب .

وهو ما يسبلور التجربة الفنية التي ينبغي أن تكون تجربة نفسية للعقل عمل فيها ولكن بشرط الا يخرجها عن عالمها : عالم الروى والأحلام والصور الطريفة ، ولعله من أجل ذلك كان الخيال عنصرا مهما في التجربة لأنه يساعد على تمام الحلم واكتماله ، وبمقدار ما يجعلنا الشاعر نحلم تكون قيمة قصيدته ، واذ يخرجنا عن عالمنا الحقيقي الى عالمه النفسي ، وهو عالم من الصعب التعبير عنه عالم لا بد لمن يدخل فيه أن يحلم حتى يحس أنه فارق عالمه الملى بالأشياء .

وانا كانت التجربة الفنية حلما حقا فانها تكون خيالا تركيبيا تاما ، خيالا لا ينسى فيه عالمنا ، ان يحملنا على أجنحته الى عالم جديد تشعر فيه بلذة غير مألوفة ، وما هذه الأجنحة الا المجازات والاستعارات التي ينمو فيها الحلم ، أو الروية الشعرية نموا عضويا . . . حقا من الاستعارات والمجازات ما لا يبدو فيه هذا النمو العضوى لأنه لا يتولد من خلال التجربة وأحاسيسها ، ولكن هذه هي اجنحة الخيال الجيد المتداخل في التجربة ، انما هي وميض لا مع يضاف عن طريق تداعي الالفاظ تداعي الافكار والمشاعر (١) .

أجل : افتن " عمرو بن البراقة " في التصوير بدليل انه لم يكف بالتشبيه الذى أومأت اليه من قريب ، وانما أضاف اليه تشبيها آخر أداته " كأن " في بيته :

(١) في النقد الادبي ١٤٦ ، د . شوقي ضيف الطبعة الرابعة ، دار المعارف القاهرة .

كأن نساءهم بقرمراج خلال شقائق تطأ الوحولا

فنساء الأعداء بقرانطلقن الى مراعيهن ، ولكنهن مثقلات بالالام والأشجان
لا يستطعن السير في سلاسة وسهولة ، فهن عاجزات عن الحركة مترنحات
في المشي ، . . . أجمت الأحران صدورهن وغلّت مراحل الغضب فيها ،
يرسلن الصياح كما الصواق التي تصم الأذان على قتلاهن وقتلانا جميعا . . .
فالواحدة منهن مرزاة من الناحيتين ، فلها بالمقتول صلة حميمة . . . صلة
الدم هنا وصلة الرحم هناك على الصعيد الآخر ، فإذابت احداهن كان
بكاؤها تعبيراً عن الآلام المتشابهة التي لا تستطيع منها فكاً ، فكيف
لا يكون بكاؤها صاعقة .

وانظر قوله :

لهن صواقٌ يُعَرِّفُنَّ فِينَا بُنِي الْأَخْوَاتِ وَالنَّسَبِ الدَّخِيلَا

وهذا المعنى يلتقي مع ما قاله "المفضل الفكري" في قصيدته .

فلما استيقنوا بالصبر منّا تذكرت العشائر والحزيريق

فهو معنى يقع الحافر فيه على الحافر كما يقال :

ولكم كانت بشاعة المعركة وشناعتها وفي كل خبيثة من أرض أو

طريق مجاز ترى أثراً لقتيل أو صريع ، فإذا راطك نط في طريق فان خميلاً

يهولك في خبيثة ، وكلها مما يشير الى ان معركة حامية وقصف ، كان من

ضحاياها الكثير الكاثر من الرجال .

ويضيف " عمرو بن الہراق " مشهداً آخر من مشاهد المعركة تصوره

الآبيات التالية :

فلما أن هبطنا القاع ردوا
وقام لنا ببطن القاع ضيق^(٢)
فأدركنا دعاهم من بعيد^(٣)
فأيا ما رأيت نظرت طرفا^(٣)
غواشينا فأدبرنا حفولا^(١)
فخلى الوازعون لنا السبلا
نهز البيض يشفين الغليلا
عليه الطير منعفرا^(٤) تليلا^(٥)

وفي ذلك المشهد يجاهر (عروين البراقة) بأن الأعداء كانت لهم صولة ...
أى صولة، وذلك حين ضمهم القاع ... وتلاقوا فيه فكان الهبوط الى
القاع فرصة اهتبلوها، ووجد الطرف الاخر أن من الحنكة أن يلوذوا بالفرار
وينكصوا على اعقابهم في سرعة خشية أن يتساقوا كئوس المنايا مترعة ...
ولولا عامل الطبيعة الذي ساعدنا والغبار الذي انعقد في الجو
حتى تلبد لكان من السهولة بمكان أن ينقض الأعداء علينا ويبيدوا
صفونا، لكن ذلك الغبار شتت شملهم، وفرقهم في كل ناحية واتجاه،
وحيث كان لا يد لنا - أن ندركهم على هذه الحالة من التشرذم والتفرق
وفي أيدينا السيوف البيضاء اللا لاة التي أهوت عليهم فخرؤا صراعا،

(١) حفولا : مجتمعين محتدشين في سرعة .

(٢) الضيق : الغبار .

(٣) الطرف : الكريم من الفتيان والخييل (وعني به رجلا فارسا) .

(٤) منعفرا : مرغا بالتراب .

(٥) تليلا : صريعا .

فأنى سرحت الطرف وجدت فرسا كريمة مطروحة على قارعة الطريق وقد
علاه التراب ، كما وجدت الطيرتتخطف لحمه ...

وهكذا انقلبت موازين المعركة بين طرفة عين وانتباهتها ...
وتنبث في هذا المقطع من القصيدة بعض أفعال مضارعة تكاد تخرج على
التعبير الشائع المؤلف في القصيدة ، وكان هذا المعنى ما يزال نديا نابضا
في ذهنه يمرع الجدة والحضور في داعيته وهو آخذ في الحديث عنه ، نلج
ذلك من قوله :

فأدر كنا دعاهم من بعييد نهز البيض يشفين الغليلا
فبينما نرى صدارة البيت مبنية على التعبير بالماضي ، اذا بنا نرى المصراع
الثاني منه يعتمد المضارع في التعبير عن الصورة ، ولعل التكوين التعبيري
او التنويع فيه مرده الى المعنى النفسي الذي أشرت اليه وهو ما أطلق على
مثله القدامى " الياحاء " .

" واذا كان الأديب - شاعرا أو ناثرا - يعول على أدوات الخيال
ويفتن في استخدامها فان لديه طريقا آخر يمكنه ان يشقه حتى يبلغ
سما الخيال ، ونعني به " الكلمات الموحية " بمالها من وهج وبريق
واشعاع ، فالأديب الحق تسعفه هذه الكلمات الرشيقة لأنه له من
حسه الأديبي الموهوب ما يعينه على أن تأتي كلماته غايمة في الاناقة
من حيث الدلالة على المضامين التي قد يزيد بها في كلمة منتقاة ،
ومن الطبيعي ان الذوق المشحون له اعتباره ، ان فيه من جذب
" المغناطيس " ما يوهه له الى اختيار الالفاظ المناسبة " (١)

(١) دراسة في مناهج البحث الادبي ١٧٦ ، د. فتحي ابو عيسى ط .

وينتهي " عمرو بن البراقة " من ذلك الى خاتمة المطاف من مضمته

فلما أن رأيت القوم فلبوا
 (١) حبكت ملاء تي العليا كأنسي
 (٢)
 (٣) ففلا زندا قبضت ولا فتيللا
 حبكت بها قطاميا هزيبلا
 (٤)
 كأن ملاء تي على هجفا
 (٥) (٦) أحس عشيية ريجا بليلا
 (٧) على حت البراية زمخرى السواعد ينبري ، رتكا زليلا
 (٨) (٩)
 وأذبرعايد الهقم شدا
 (١٠) يكد الصمد والحزن الرحيللا
 (١١) (١٢)
 وغادرننا وغادرموليانا
 (١٣) معاق أبيدة الوغم الطويللا

-
- (١) حبكت : شددت واحكمت .
 (٢) الملاءة : الربطة .
 (٣) القطامي : الصقر ، وعني به بعيرا ضامرا كأنه الصقر .
 (٤) الهجفا : النعام .
 (٥) حت : صريع .
 (٦) البراية : النحاتة وما يبريت من العود ، والمراد هنا الشحم واللحم .
 (٧) ينبري : يعترض .
 (٨) رتكا : الرتك مقارنة الخطو .
 (٩) زليلا : الزليل الماشي في الطين .
 (١٠) الصمد : المكان المرتفع .
 (١١) الحزن : ما غلظ من الارض .
 (١٢) قاع أبيدة : موضع بعينه .
 (١٣) الوغم : الثثرة والحقد .

فشجاعة "الشاعر" لم تنطلق من عقالاتها الا حيث رأى القوم فلولا . .
وهذا انصاف ظاهر للنفس ، فلم يجنح الى الاعلاء من شأنه ، والاشادة ببطولته ،
وانما وضع شجاعته في مكانها الذي تستحقه ومنزلتها التي تستأهلها . . .
واننا لنرى الفرق شاسعا واليهون بعيد المدى بين هذا المعنى ومعنى همرو
ابن كلثوم " الجهير الذي يرفع عقيرته فيه بقوله :

اذا بلغ الفطام لنا صبيُّ
تَخَرَّلهُ الجَبَابِرُ سا جِدِينَا

ويقودنا هذا الى سوء ال موء داه : أو مطلوب من الشاعر أن تكون أفكاره
مسامة لما يجرى على أرض الواقع ؟ . والجواب : ان " الأديب مطلوب
اليه ان تكون التجربة التي يتحدث عنها صحيحة ذات صلة بالحياة ، ان ليس
معقولا أن يضمنها أفكارا لا يؤيدها الواقع وتلك هي النظرة المفروضة ، وان
خالف فيها بعض النقاد الذين ذهبوا الى أن الفن يتبنى غاية واحدة ، أن
يستهدف غرضه أولا ولا عليه بعد ذلك ، سواء عبر الأديب أو الشاعر عن فكرة
صحيحة أم جاء تعبيره عن فكر لا يمت الى الحياة بصلة ، ويعيل الى هذه النظرة
الأخيرة من نقادنا العرب " ابن رشيق القيرواني " الذي حدد مهمة
الشاعر في قوله :

" وحسن التأنق والسياسة على مقاصد القول ، فان نسب ذل وخضع
، وان مدح أطرى وأسمع ، وان هجا أخل وأوجع وان فخر خب ووض ، وان
عاب خفض ورفع ، وان استعطف حن ورجع ، ولتكن غايته معرفة أغراض
المخاطب كائناً من كان ليدخل اليه من بابه ويدخله في ثيابه ، فذلك هو
سر صناعة النيسر ومفراه الذي به تقايس الناس وبه تفاضلوا " . (١)

ويعود الى (عمرو بن البراقة) فيلوح لنا رجلا يعمد الى بعير
ضامر مهزول أو قل على نعم انتشى بريح بليل رخاء فانطلق يعدوهنا
وهناك ، أعانه على ذلك ضموره وأنه يرى منه اللحم والشحم .
وفي هذه الأثناء لاحظ التفاتة من " عايد البقي " أحد المتحاربين
في صفوف الأعداء فولى مدبرا تسلمه الوهاد الغليظة الى النجاد المرتفعة
.. حتى غاب عن الأهلين ...

ثم غادرت عشيرة الشاعر ومواليهم تاركين الثرة والحقد بقاع
أبيدة وقد خلفوا على أرضها الذكريات التي واكبت تحركهم منذ بدء المعركة
الى نهايتها .

والذي يتأمل القصيدة التي بين أيدينا يرى ما يلي :

(١) أن بدايتها حديث عن النطلل البالي على ما درجست عليه معظم
القصائد العربية الجاهلية .

(٢) أن القصيدة ذات موضوع واحد باستثناء تلك المقدمة التي جاءت
في أبيات قليلة - وكأنه قصة تحض فيها الشاعر للحديث عن
أبعادها ورسم مواقفها وشخصها على النحو الذي تطالعنا به .

(٣) والقصيدة - بالإضافة الى الملحمين السابقين - تحفل بالعديد من
التشبيهات كما انها اشتملت على بعض الاستعارات من مثل قوله
فيها :

فأدر كنا دعاهم من بعيد نَهَزُّ الْبَيْضَ يَشْفِينُ الْغَلِيْلًا

وبعض الكنايات كقوله :

وعيل على الحمول ومن عليها فلا سيرا يطيق ولا حلولا .

(٤) وفضلا عن ذلك فان القصيدة تتردد فيها بعض الملاحظ الفنية

كزيادة بعض الأدوات للتأكيد كقوله فيها:

فَأَيًّا مَا رَأَيْتَ نَظَرْتَ طِرْفًا عَلَيْهِ الطَّيْرُ مَنَعِرًا تَلِيًّا
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْقَوْمَ فَلُّوْا فَلَا زُنْدًا قَبْضَتْ وَلَا فُتِيًّا

حيث زيد في البيت الأول " ما " وزيد في ثانيهما " أن " وهي

زيادة لتقوية المعنى، أو للتنبية الوأن المعنى وقع على بعض

تسراخ في الزمن وتباطؤ فيه كزيادة (أن) في البيت الثاني.

منصفة امرئ القيس السكوني

ترجمة الشاعر :

(١)

المصدر الوحيد الذي ذكر هذا الشاعر هو العمء تلف والمختلف للامدى
فيمن يقال له امرؤ القيس فقال : " ومنهم امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث بن
معاوية الأكبر بن ثور بن مرتع الكندي ، جاهلي وهو القائل في حرب كانت
بين بني الحارث بن معاوية وبني تميم ، هزمت فيها بنو تميم وقتلوا قتلا ذريعا
في قصيدة أولها :

طربت وعناك الهوى والتطرب وغادتك أحزان تشوق وتنصب

وذكر خمسة أبيات أخرى من القصيدة ، ولم أجد للشاعر ذكرا أو شعرا في مصدر
آخر سوى قصيدته هذه في كتاب قصائد جاهلية نادرة من مخطوطة منتهى
الطلب لابن المبارك .

*

دراسة تحليلية لمنصفة امرئ القيس السكوني :

وهذه نفثة أخرى من الانصاف ، كان الشاعر المذكور قد أصدرها حين
التقت قبيلته أو رهطه بأعداء منهم من " تميم " التي جاءت على بكرة أبيها
فاختلطت صفوفهم وتداخلت أخلاطهم . . . فاذا كتيبتهم المحاربة لا تستطيع
العين أن تبلغها لما جمعت وأعدت ، انما تفعل العين في جحافلهم الجرارة
التي تنعكس في بؤرة العين ، وكأنما تحبو ، وتزحف ناهيك بأصوات الحديد
والسلاح ، وهي أصوات يصم الأذن صداها ، ثم هي تنطلق على طريق
لاحية واضحة . . .

وفي تقديري أن تلك الأوصاف التي خلعتها الشاعر على كتيبتهم أوصاف ترفع من قدرهم وتعلو من شأنهم وأن الشاعر لهذا استحق أن يكون واحداً من شعراء "المنصات" فتقرير الحقائق المتعلقة بالأعداء من قبل الطرف الآخر هو الانصاف عينه، وإن كان ذلك التقرير أوقل الاقرار يطوى تحته ما يطوى من انصاف رهط الشاعر بالقوة والشجاعة، فلولا أنهم يتصفون بالشجاعة ما كانت تلك المواجهة الجسور... وكأنما هذه الحشود المحتشدة التي سدت عين الشمس، وحالوا دون أضوائها وهي تغمر الكون والبسيطة، كأنما كل ذلك حرك في نفوس القبيلة الأخرى... قبيلة الشاعر معاني الاقدام، واستنهض همهم وشحن عزائمهم، فأقبلت الخيل في سرعة البرق الخاطف ترجم الأرض بحوافرها حتى استحالت عقباناً وسعالى، ومالها لا تكون على تلك المثابة وقد روضت ودربت لتكون معدة في الأوقات التي تدهم فيها خطوب الحرب، وتندر بالوقوع.

وكان يوسع الشاعر أن يصف الخيل بما وصفها به من الضمور وأن يكون في ذلك ما يستقطر صورتها، لكنه أردف الوصف بتشبيه فكان أن قال " أمثال القداح " ! امعانا في تنمة الصورة وملامحها.

وقد فتن العرب بالوصف بـ "الضمور" لا في جانب الخيل فحسب بل في الحديث عن الفروسية في الرجال، بدليل أن " امرأ القيس بن حجر الكندى " وهو يصف حصانه قال :

يَطِيرُ الْغُلَامُ الْخِيفَ عَنْ صَهْوَاتِهِ وَيَلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمَثْقَلِ (١)

وتأتي كناية الشاعر لطيفة رائعة تنسجم مع وصف الخيل بالضمور ،
وتتناغم مع الصورة الكلية التي تصور المعنى فاذا به يذكر أن "المشاركة
الوجدانية " بين الخيل وفرسانها من قبيلته والا ففيم قوله " يكرها على
الموت أبناء الحروب " في البيت الخامس من طائفة الأبيات الآتية . . .

وفي لمحة انصاف يود كد الشاعر أن الأعداء هم الذين بادء وهم
بالمنازلة واستحثوهم عليها في اللحظة الأولى من اللقاء ، وأذن الشاعر
وقبيلته ولهجوا : " فقلنا لهم : أهل تميم ومرحب " . ودونك أبيات
المنصفة لامرئ القيس بن عمرو بن الحارث السكوني :

- (١) أتننا تميم قضاها بقضيضها ومن سار من ألافهم وتأشبوا
(٢) برجراجة لا ينفذ الطرف عرضها لها زجل قد أحزأل وملحبا
فلما رأيناهم كأن زهاهم هم على الأرض إضباها سواد وغرب
سمنونا لهم بالخيل تردى كأنها سعال وعقبان اللوى حين تركب
ضوامر أمثال القداح يكرها على الموت أبناء الحروب فتحرب
فقالوا الصبوح عند أول وهلة فقلنا لهم : أهل تميم ومرحب

- (١) قضاها بقضيضها : أى باجمعهم ، والألاف : الأخطا ، وهو ما يدل
عليه الفعل (تأشب) أى اختلط .
(٢) الرجراجة : كتيبة كبيرة تضرب وكأنها تتمخض ولا تسير لكثرتها ،
والزجل : صوت الكتيبة وما فيها من سلاح وحديد . واحزأل : ارتفع ،
وهو في السير يعني الارتفاع والاشتداد . والملحبا : الطريق الواضح .
(٣) تردى : يقال ردى الفارس : اذا رجم الأرض رجما بين العدو
والمشى الشديد .

ويذكر الدكتور " يحيى الجبوري " عن منصفة " امرى " القيس السكوني "

قائلا :

" وهي صورة رائعة من صور الحرب والبطولة والفروسية واحدى المنصفات النادرات حيث أقر لخصومه بالقوة والبطولة والجرأة والاقدام ، وكذلك مثل الفروسية وأخلاق الفرسان " (١)

ولا أود أن استرسل في الحديث عن بقية القصيدة وسائرها ذلك لأن أبياتها فيما عدا المقطعة التي أثبتتها تدور حول أغراض أخرى كالغزل والتشبيب ، والفخر ، وقد دللنا على مثل هذه المعاني في القصائد السالفة التي قلنا بتحليلها فنيا .

ومحصلة ما عرضناه من قصائد ومقطعات يمكن اجماله فيما يأتي :

(١) أن شعراء " المنصفات " ينزعون عن قوس واحدة فيما يصدرن من معان تسرى في قصائدهم أو مقطعاتهم ، بيد أن هناك شاعرا يطيل الوصف ويمضي في رسم أبعاده ، لأن جوال المعركة كان ملتهبا محموما . ومن ثم نراه يستعين بما تجسد على أرض المعركة من أحداث متلاحقة أسعفته في تقديم أطركثيرة متباينة يسرى الانصاف في ثناياها في الوقت الذي نرى فيه شاعرا كأمري القيس السكوني " يكتفى من ذلك بما يشبه اللمس الخاطف أو الإشارة العجلى ، ثم تجى " أبيات قصيدة بعدئذ في معان بعيدة عن الغرض .

(١) قصائد جاهلية نادرة ١٤٩ .

(٢) ان خصائص التصوير عندهم وطريقة البناء التركيبي للصورة
يعتمد أدوات فنية كالتعويل على "الفاء" العاطفة مرة ،
والتعويل على بعض التصوير الموحى من تشبيه أو استعارة
أو كناية ، وقد أكدت ذلك في القصيدتين والمقطعة
بالأمثلة المتعددة .

الفصل الثاني

المنصف

في مولانا النور لدي

المنصفات في موازين النقد الأدبي

ان العناية بالشعر الجاهلي عناية كافية تعني الاهتمام بفتوة الابداع الشعري وأصوله الاولى التي كانت مثال الصياغة الشعرية عبر مئات السنين، فهو الأصل والأ نموذج والمقياس الأعلى والتقييم الفريد لكل ما يستجد من نظم، وما عداه إنما هو امتداد وظل له .

والشعر الجاهلي معين لا ينضب لشتى فروع المعرفة والثقافة الانسانية في علوم اللغة وتوابعها .

والسبيل الى ذلك هي نصوصه ولغته وعروضه وقوافيه وأبواب فنونه فهي السبيل الوحيد لدراسته وتقويمه .

أما تصنيف الشاعر وشعره ومحاولة البحث عما يؤول هذا التصنيف الى غزل أو رثاء أو حكمة أو مديح أو حماسة فتلك مشكلة تولدت عن الاشتغال بجزء معين من جوانب هذا الشعر الزاخر واذا كان لنا أن نقول أو نجزم بأن الشعر الجاهلي هو مصدر علوم اللغة والتاريخ والاثار والبلاغة وغيرها ، فان العجيب حقا أن نجد من يتفاضى عن كونه مصدرا للكشف عن مقوماته الداخلية .

ورغم محاولات النقاد القدامى والمحدثين الجادة لفهم هذا الشعر فانني أستطيع القول بأن الشعر الجاهلي لا يزال غمضا طريا بكرا في تجربته وفنه ومعاناته وتكوينه الثقافي ، وموقفه من الحياة ومشكلاتها ما يزال غامضا وعالما لم تسبر أغواره الدراسات الجادة ولم تستوعبه محاولات النقاد الا للمحات خاطفة .

وما من شك في أن اللغة العربية لغة موسيقية وعلمية في آن واحد ، فهي عالم العربي وأرضه وسماؤه وكيانه ومعارفه وأخلاقه وخياله .

لذلك نستطيع أن نقرر بأن الرأي الذي يتحدث عن موضوعات الشعر الجاهلي ويصفها بالحدودية والجفاف، ويعدّها عن اهتمامات العربي الحديث، إنما هو رأي مثقف أجنبي الروح والفكر عن مناخ الشعر الجاهلي وأصالته الخاصة، فالعودة إلى أصول البيئة الجاهلية وجذورها ومحاولة معرفة كنه أصالة التجربة ومعاناتها التي كونت وأبدعت لغته هي أعظم اللغات الانسانية الذاتية قاطبة، ومن ثم استمرت في رقيها حتى وصلت إلى ذلك الجرس الموسيقى (الشعر) الذي ينم عن عظمة تلك الثقافة ويخلفها بشفافية الترقيم النابع من معين المعاناة، وفي لحظات التوتر يخلق اللحظات الباعثة على الصورة الفنية المشرقة.

وأهمية هذه الدراسة تنبع من كونها تبحث في المصدر الوحيد الذي يصور الواقع الجاهلي تصويراً أميناً إلى درجة علمية تقريرية مباشرة ولا نعلم شعباً من الشعوب القديمة أولى الكلمة اهتماماً بالغاً، بل ربط بين وجوده ووجود الكلمة كالعرب. ولا ننسى مميزات الشاعر واحتفاً بهم به وتسيدهم له، واجلالهم للخطيب وتقديمهم له.

ورغم الصعوبات الهائلة التي تعترض طريق الباحث في هذا المجال والمتثلة في غموض نشأة الشعر التاريخية وتطور صياغته، واسلوب بنا القصيدة وندرة ما وصلنا من الشعر الجاهلي في كونه نتفاً لا يمكن أن تغنينا عن الاف اشعار الضائعة، أقول بالرغم من ذلك كله اذا توفرت النية الجادة والعزيمة القوية فان هذه النتف فيها الكفاية لتجاوز هذه الصعوبات والعقبات والخروج بأفكار وآراء جديدة من ينابيع الشعر الجاهلي الثرة المكنزة بكل جديد ومفيد.

والنقد الذي يتجه الى الشعر الجاهلي لا بد أن يأخذ في اعتباره
أن (الشعر الجاهلي صورة لأخلاق العرب في الجاهلية) (١).

هذه الأخلاق حميدها وذيمةها تتركز وتمثل في أخلاق رئيسة
مثل (الشجاعة والكرم والوفاء ، والاباء والحمية والعفة ، وحب الاستقامة ،
والأخذ بالتأثر) (٢).

وإذا كان النقد الأدبي عند المحدثين يعتمد على تقدير النص تقديرا
صحيحا ، وبيان قيمته الأدبية ودرجته ، فإن النقد في الجاهلية وعند الجاهليين
كان تعبيرا خاطفا يوميء الى رأى في الاجادة أو الاستهجان للنص بعامة ،
ولجزئيات هذا النص بخاصة .

وحتى نوجد مجالا للمقارنة بين النقد القديم أو بذور النقد الأولى
والنقد الحديث ، نذكر أن النقاد المحدثين يرون أن أنواع الشعر بحسب
أغراضه ثلاثة : غنائي وقصي وتمثيلي .

ولما كان الشعر مادته الخيال و الخيال غذاؤه الحس ، فإنهم
حكما على الشعر الجاهلي بأنه شعر غنائي محض ، لأنه تصوير لخلجات
النفس وتعبير عن الشعور والعواطف ، في صور وأخيلة تتعاود وتتكرر .

وحسبنا أن نعلم أن من أهم مميزات الشعر الجاهلي وخصائصه
(الصدق في تصوير العاطفة وتمثيل الطبيعة ، فلا نجد فيه كلفا بالزخرف
ولا تكلفا في الأداة ، فكثير لذلك الايجاز ، وقل المجاز ، وندرت المبالغة) (٣).

(١) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي / ١٨٥ للدكتور محمد عبد المنعم

خفا جي ١٩٤٩ م

(٢) المرجع نفسه ١٨٥ م

(٣) تاريخ الأدب العربي ٣٢ للزيات .

في مثل قول " عبيد بن الأبرص " يستعطف الملك حجر الكندي :

أنت المليكُ عليهمُ
وهمُ العبيدُ إلى القيامِ
ذَلَّ الأُشيقِرُ ذوالخُزامِ
ذَلَّ الأُشيقِرُ ذوالخُزامِ (١)

(١) ديوانه ١٢٦٠

الأُشيقِرُ : تصغير الأُشقر وهو الأُحمر من الدواب .

مع مقاييس النقدبين القدامى والمحدثين

كان النقاد القدامى يحكمون على النص من خلال أسلوبه وألفاظه ومعانيه ،
وطريقة سبكه وتأليفه ، ومدى تأنيق الأديب وتألقه في اجادة اللفظ والمعنى
من خلال مدلولاته وموقع اللفظ من المعنى والعكس بالعكس .
واللغة عامل مهم وأساسي في اصدار الحكم النقدي ، وتحظى
بالعناية الخاصة في منظور النقد القديم ، لذلك تجد " الآمدى " فسي
موازنته بين أبي تمام والبحتري يقول :
(فان كنت ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك ،
وحسن العبارة ، وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحتري أشعر عندك ضرورة . .
وان كنت/الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالفصوص والفكرة
تميل ولا تلوى على ما سوى ذلك فأبوتام أشعر عندك لا محالة) . (١)
وكذلك ترى تمسك الآمدى " وجيله من النقاد بالاهتمام بالكلمة
واللغة يتجلى في اصداره الحكم التالي على البحتري فيقول : " وكان يتجنب
التعقيد ومستكره الألفاظ " .

والتخصص النقدي كان معروفا منذ أقدم مراحل النقد اسمع الى ابن
سلام يقول :

(وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم
والصناعات منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه
اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان) (٢) .

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ١/٥ لا أبي القاسم الحسن
ابن بشر الامدى ت ٣٧٠ هـ ، تحقيق السيد أحمد صقر ،
الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م دار المعارف بمصر .
(٢) طبقات ابن سلام ٥ .

وينتهي الى نتيجة مؤداها أن الشعر له فئة خاصة من الناس تترجم
اهتمامها به وتذوقها له الى أحكام نقدية تصدر عن طبع سليم وذوق رفيع ،
فيقول : (فكذاك الشعر يعلمه أهل العلم به) (١) .

وقد استعمل ابن سلام في نقده أدلة وحججا نقدية لنقض
بعض الشعر الذي أورده " محمد بن اسحاق في سيرته " وعنه يقول :
(وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غناء منه) (٢) .

وفي تلازم اللغة والشعر ، كان اللغوي هو المرجع في نقد الشعر عنده ،
ولأبي عمرو بن العلاء منزلة كبيرة عند ابن سلام ولعل أهم ما قدره وأجله
فيه قوله (وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها) (٣) .

ونقد " ابن سلام " لابن اسحاق وشعره الذي أورده لم يكن
جزافا بل اعتمد على نظريات هي بالنسبة لعصره وناقديه غاية في البراعة
والدقة فقله مثلا : (فلو كان الشعر مثل ما طبع لابن اسحاق ومثل
ما روى الصحفيون ما كانت اليه حاجة ولا فيه دليل علم) (٤) .

فهذه طريقة تقرر أو تضع مبدأ جديدا يتلخص في العبارة الآتية
: من أي جانب ننفذ الى النص ؟ وكيف نقرر أهميته ؟

(١) طبقات ابن سلام ٠٧

(٢) المرجع نفسه ٠٧

(٣) المرجع نفسه ٠١٤

(٤) المرجع نفسه ٠١١

وتطور النقد القديم وتوالت مراحل نموه ، وتباينت مدارسه واتجاهاته ،
وانما ضربنا بنقد " ابن سلام " المثل في هذا المجال للاشارة فقط .
وان قد عرضنا للنقد القديم وبيننا أساليبه وطرقه النقدية ، فاننا
نعقد ما يشبه الموازنة بين بعض وجهات النظر النقدية القديمة والحديثة
لنتعرفا على مواطن الالتقاء والتنافر بين القديم والحديث .
وفي لمحات سريعة عن الأسلوب المنهجي للنقد الحديث وأأسسه
الفنية نجد أنه اعتمد في دراسته للنص وتقييمه له ومن ثم اصدار الأحكام
النقدية على مايلي :

- أ - التجربة : فالفن وثيق الاتصال بالحياة فهو شرة من شراتها .
ب - اللغة الفنية : فلكل فن لغته الخاصة به ، مثل الرسم والنحت والشعر
والحركة فالوسائل التي تؤدى هذا الفن وتبدع به
هي اللغة الفنية .
ج - الذوق : ويعني انتقال النص من الابداع الفني الى انعكاس
الفن على نفوس المقبلين عليه (١)
وحتى تكتمل الموازنة وتتضح نقول : ان القدماء اعتمدوا في
نقدهم على :
اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافية ، والنظم ، والأسلوب ،
والمعنى .

(١) ينظر في أسس النقد كتاب / الأسس الفنية للنقد الأدبي ، للدكتور
عبد الحميد يونس ، الطبعة الأولى ١٩٥٨ م دار المعرفة / القاهرة .

بينما اعتمد المحدثون على مايلي :

الأسلوب ، والمعنى ، والعاطفة ، والخيال .

وعرفوا العاطفة بأنها تشبع النفس بفكرة أو مشاهدة ينتج عنه تأثير

قوى ودافع ملج للتعبير ، أو هي الانفعال ، أو قوة يثيرها فنيا الأرب (١) .

والعواطف الأدبية كثيرة ومتعددة فهي اما أن تكون :

عواطف شخصية ، أو عاطفة خشوع ، أو حقد وانتقام ، أو أنانية وحب

ذات أو حب الخير للناس .

وللعاطفة مقاييس ارتكزت على مايلي :

- ١ - صدق العاطفة وإخلاصها للنص .
- ٢ - قوتها وتأثيرها على نفس الأديب ، تأثيرا وظيفيا .
- ٣ - ثباتها واستمرارها .
- ٤ - تنوعها ، وتمايز أغراضها من حب وكره وشفقة واجلال وعطف ونفور . . . الخ .
- ٥ - سموها ، فبقدر ما تكون العاطفة سامية محلقة ، يكون تقديرها والوقوف عندها .

(١) انظر النقد العربي الحديث ومناهجه ٣٤ وما يليها ، د . محمد عبد المنعم خفاجي / مكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة ١٩٧٥ م .

ويتبين لنا من خلال النظرات الخاطفة السابقة لوجهات نظر القداماء
والمحدثين أن النقد القديم كان يعتمد على دراسة النص باعتبار جزئياته
ودلالاته انظر مثلاً قول " قدامة بن جعفر " في المعاني التي يدل عليها
الشعر :

أ انه لما كانت فضائل الناس من حيث أنهم ناس ، لا من طريق ما هم
مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك ،
انما هي العقل ، والشجاعة ، والعدل ، والعفة (١) .

أما النقد الحديث فالى جانب دراسة النص من جميع جوانبه اللغوية
والأسلوبية والبلاغية فانه كان يتطرق أويعد صلة بين النص والأديب
وتأثير كل منهما في الآخر وتأثر الأديب بالبيئة الاجتماعية والمناخية
وغيرها وتلك نظريات نقدية حديثة لا أراني في مسيس الحاجة الى
سبر أغوارها والدخول في متاهاتها فحسبك منها علمك بها .

الرواية الفنية والشعر الجاهلي

سبق القول الى أن الشاعر كان يهتم بالحديث عن الموقعة وعن ذاته على حساب الصورة الفنية ، وهذا بحد ذاته يعتبر ابداعا من العربي ، ان يحاول أن (ينقل لوحات الحروب نقلاً أميناً ، يبقى فيه على صورها الحقيقية دون أن يدخل عليها تعديلاً من شأنه أن يمس جوهرها) (١) .

ولعل للبيئة الصحراوية وما فيها من بساطة ، ووضوح في الروايات ، وتصوير للأشياء تصوراً لا تعقيد فيه ولا غموض ، فنجد الشاعر لا يرد فشله أو نجاحه إلا لعوامل مفهومة ومعروفة ، كل ذلك أثر في خصوبة الخيال واكتمال الصورة الفنية .

يقول الدكتور " شوقي ضيف " عن بساطة الصورة في الشعر الجاهلي : (لا يقف بينك وبينها أي غموض أو إشراك ذهنية تضل في مراتبها وشعبها الفكرية) (٢) .

والشعر أي شعر مكوناته الأساسية : المباني والمعاني ، والحقيقة والخيال ، والتنظيم ، والبساطة لذلك نجد بعض الشعراء تميزوا بمهارتهم واجادتهم لهذه المكونات فشهروا بألقاب خاصة بهم .

(١) العصر الجاهلي ٢١٩ ، د. شوقي ضيف ، الطبعة الثامنة ،

دار المعارف ١٩٧٧ .

(٢) المرجع نفسه ٢٢٠ .

وروح الشعر ونبضه : المجاز ، فالشعر بلا مجاز ليس الا كتلة جامدة لا حياة فيها والشعر المقترن بالمجاز ينبض حيوية ويشع بريقا .

وبنظرة عامة الى الشعر الجاهلي نجد أن الشعراء لم يعتمدوا كلهم على المجاز وانما ورد في أشعارهم بنسب متفاوتة في التعقيد والتصنيف والتجربة والبساطة .

ومهما يكن من أمر فان أهم الخصائص المعنوية التي تميز بها الشعر والشاعر الجاهلي هي الواقعية ، فقد عاش الشاعر حياته واشترك في الحروب وتأثر بها وأثر فيها وعبر عن ذاته التي هي جزء لا ينفصم من قبيلته فجاء شعره معبرا عن الذات وعن القبيلة ووجدتها ووجدانها .

وبين الطبع والصنعة عند الجاهليين دار النقاش واحتدم الجدل فما بين مثبت ومؤكد للصنعة وبين ناف لها ومنكر (١) .

ولنأخذ بطرف من الصنعة لنرى جزءا بسيطا منها وهو " الصورة " فالصورة هي التي تقابل المضمون أو المعنى ، وهي الشكل في النص الأدبي وتشمل المنهج وطريقة الأداء ، فالأسلوب ، والخيال والعاطفة تصبغها الصورة وتلونها جميعا وتوازن فيما بينها .

(١) انظر مثلا كتاب " الفن ومذاهبه في الشعر العربي " ١٣ - ٢٤ للدكتور شوقي ضيف ، الطبعة العاشرة دار المعارف ، ١٩٧٨ ، ففيه ما يكفي ويشفي .

ويمكن أن نجعل من عناصر الصورة عنصرين أساسيين هما :

- ١ - الدلالة المعنوية للالفاظ والعبارات .
 - ٢ - المؤثرات التي تكمل الأدب الفنى وتجمله وتشمل :
- الايقاع ، والموسيقى ، والكلمات ، والعبارات ، والصور ، وظلالها ،
والأخيلة ، وطريقة التناول ، والألوان ، أسلوب الذى تعرض به
هذه التجربة .

وكذلك تقابل الفكرة المضمون أو المعنى ، وللخيال أثره البالغ فى

تقييم النص الأدبى ، لأنه يتميز بما يلي :

- أ - أن صورته أقل وضوحاً من الحسية ، إذ لا يحاط بالشيء غير العرفى
إلا بصفة عامة لا تتجاوز إلى الجزئيات والمكونات الدقيقة .
- ب - أن الخيال لا يحده حد ، ولا يقيد قيد الزمان أو المكان .
- ج - مرونته وقابليته للتلون والتصوير حسبما يراه الأديب .

ولمعرفة الصور الذهنية الخيالية يمكن أن نقول فى التفريق

بينها وبين الحسية :

- ١ - أن الصور الحسية ترسم فى الخيال بعد ادراكه بالحس ، فتوصف
فإذا ما ارتسمت وأعيد وصفها بعد فاصل زمنى معين أصبحت خيالا .
- ٢ - أما الصور الذهنية فهى صور افتراضية معدومة لا وجود لها على
أرض الواقع ، وإنما هى محض خيال أو خيالات الأديب
ورواه .

وقد جمع بينهما " خدائش بن زهير " فى قوله :

بَأَنَا يَوْمَ شَمَطَةَ قَدْ أَقْمَنَّا عمودُ المجدِ إنَّ له عَمُودًا
جَلَبْنَا الخيلَ سَاهِمَةَ اليَهم عوابسَ يَدْرِعَنَ النَّعَقَ قُودًا

وان قد تعرضنا للصورة والفكرة والخيال في النص الأدبي ، فلا بد أن نقف على أهمية عنصر الخيال في النص الأدبي بخاصة وفي الحياة بعامة .

والأسباب التي تبوئ الخيال مكانة كبيرة من الأهمية ، ثلاثة هي :

- ١ - للخيال شأن لا ينكر في الأعمال العقلية ، تبعث فيها الحياة وتحيطها بأسرار وغموض لذيذ ، وشحن للذهن .
وهو كذلك في الأعمال العملية ، فما معظم المخترعات والمبتكرات الا وليد خيال ما يلبث أن يتحول من حلم الى حقيقة .
 - ٢ - الخيال العقلي أرقى من الإدراك الحسي ، ان الخيال يخلق صوراً وأشكالا ويوجدتها من العدم ، بينما الإدراك الحسي يقتصر على المشاهدات دون أن يوثق فيها .
 - ٣ - يعتمد الخيال على اثاره العاطفة واشعالها ، والعاطفة جزء لا يتجزأ من مؤثرات الأدب (١) .
- وقد استخدم كثير من الشعراء الجاهليين الخيال ، في مثل قول

(١) في الصورة والفكرة والخيال ، يحسن مراجعة كتاب د . محمد عبدالمنعم خفاجي ص ٤٠ وما بعدها .

"عبيد بن الأبرص" يصور الفارس القتيل في ساحة القتال :

(١) قد أتركُ القِرْنَ مُصْفَرًا أَنَامِلُهُ كَأَنَّ أَشْوَابَهُ مَجَتْ بِفِرْصَادِ

*

الصدق وشعر المنصفات

من أهم ملامح تعريف المنصفات هو الصدق ، فلا غرابة اذا في أن المنصفات هي المثال السامي للصدق الذي ينبثق من واقع الأحداث .
واذا كان الخيال مطلوباً في العمل الأدبي بل هو ركيزته الأساسية في المتعة والابداع ، فان الشطح فيه والغلو يخرجانه من طور الابداع الى طور المبالغة الممجوجة المستقبحة .

وابن سلام من قداماء النقاد يقول عن "المهلهل" : " وزعمت العرب أنه كان يدعى في شعره ويتكشر بقوله بأكثر من فعله " (٢) .
ولعله يقصد بيته المشهور :

فَلَوْلَا الرَّيْحُ أَسْمَعُ مِنْ بَحْجَرٍ صَلِيلِ الْبَيْضِ يُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه نظرة صائبة في مقياس الشاعر الذي يخلص لشعره ويصدق فيه وعنه ، فان تفضيله لزهير بن أبي سلمى وشعره ،

(١) ديوانه ٦٤ مجت : صبغت . الفرصاد : التوت .
(٢) طبقات ابن سلام ٤٠ وانظر زهر الاداب للحصرى ١٠١/١ المطبعة
الرحمانية ١٩٢٥ م .

جاء معللا بقوله : " كان لا يعاظم بين الكلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل الا بما فيه " (١).

ويرتبط الصدق بالغايات الاخلاقية ألا ترى الى عربن الخطاب رضي الله عنه حين أنشده " سحيم - عبد - بني الحسحاس " أبياته المعروفة :

عسيرةٌ ودعُ إن تجهزت غاديا كفى الشيبُ والاسلامُ للمرءِ ناهيا

كيف عقب على انشاده بقوله : " لو قلت شعرك مثل هذا لا عطيتك عليه "

فلما قال :

فباتِ وسادنا الى علجانةٍ وحُقِفَ تهاداه الرِّيحُ تهاديا

وهبتْ شمالَ آخرَ الليلِ قرةً ولا ثوبَ إلا دَرَعها وردائيا

فما زال بُردى طيباً من ردايها الى الحولِ حتى أنهجَ الثوبَ باليا

قال له ابن الخطاب : " ويلك ؟؟ انك مقتول " (٢).

وهناك فئة من الشعراء في الجاهلية التزموا في شعرهم بغايات أخلاقية ولم يحدوا عنها ، فكان من الشعراء من يتأله (٣) في جاهليته ويتعنف في شعره ولا يستبهر الفواحش ولا يتهكم في الهجاء (٤).

- (١) طبقات ابن سلام ٠٦٣
- (٢) انظر المرجع نفسه ١٨٧ وما يليها والأبيات في ديوان " سحيم " ١٩، ٢٠ بتفسير طفيف . وانظر التعليق على هذه القصة في كتاب " القضايا الأدبية والفنية في شرح المرزوقي لديوان الحماسة ٣١٤ للدكتور فتحي محمد أبو عيسى ، دار المعارف مصر ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م) .
- (٣) يتأله : يتنسك ويتعبد .
- (٤) طبقات ابن سلام ٠٤١

والصدق الفني يرتبط بالواقعية في الأدب فيما يمكن تسميته بـ
"الصدق الواقعي" وتظهر مخايل الصدق الفني واضحة في الشعر متأثرة
بدوافعه، فان من دوافع قول الشعر التنفيس عن النفس والرغبة في بث
كوامنها هذا التنفيس وهذه الرغبة يؤطران في صورة مثيرة تعبر عن عاطفة
الشاعر الجياشة، ذلك أن الشاعر يتميز عن الشخص العادي بميزتين مهمتين:

١ - رهافة الحس، التي تولد القدرة على التعبير بصورة أدق وأقوى
وأعمق .

٢ - نقل العاطفة في أداها مشروممتع .

فجمال الشعر اذا يتجلى في صدق الشاعر في التعبير عن عاطفته والاخلاص
لفنه دون مبالغة أو تكلف، وذلك هو الصدق الفني الواقعي .

فهل كانت الواقعية من رموز الشعر الجاهلي وسمة من سماته ؟!

لقد قال معظم الباحثين بواقعية أدبنا العربي في العصر الجاهلي،
قبل وجود مذهب الواقعية بمئات السنين، كما كان الشعر بعيداً عن
التكلف والاغراق في الخيال، وكان الشاعر يحاول نقل الأحاسيس والأشياء
نقلاً أميناً (١).

فاذا كانت عناصر الحرب التي تستأثر باهتمام الشاعر ووصفه

وتشبيهاته هي :

(١) انظر العصر الجاهلي ٢١٩، د. شوقي ضيف وتاريخ الشعر العربي

٦. وما يليها لنجيب البهيتي والواقعية في الأدب ٦ لعباس

خضر .

- أ - الفارس : باعتباره دعامة الحرب ، والمقاتل الحامي عن
الذمار ، فيوصف مقبلا على الحرب مصادما للفرسان ،
وان قتل يصور مصرعه ، وان فريذكر فراره ، وان
أصيب في غير مقتل وجرح كان ذلك ما يذكر
به وينوه .
- ب - الجيش : في اقدمه ووقع سيره وزحفه واشتجار الجيشين^{*} ويحفل
الشعر الجاهلي بشتى الصور والتشبيهات له .
- ج - الخيل : وما أغنى الشعر بذكر الخيل ووصفها ومدحها .
- د - أدوات القتال : من سيف ورمح ودرع ولائمة وغيرها كل ذلك لم
يبخل عليه الشعر الجاهلي بالنعوت والصفات .
- هـ - الظعينة : وحمايتها والذود عنها ، وجمالها ، ومفارقتها ،
ولطالما تغنى الشعراء^{*} بها وأفاضوا في وصفها
والتشبيب بها والتشبيه لها .
- و - السبايا : وخنوعهن ، وذلهن ، وحسنهن ، ووقع أسرهن على
نفوس الأعداء ، قد أخذ حظه من التشبيه
والوصف .

هذه العناصر واشتمالها على الصور والتشبيهات ، فهل كانت
تشبيهات واقعية وهل نهجت سبيل الصدق الفني ؟ !!

ان العربي كان في مجال الوصف يسرد ما رآه أو فعله سردا
حقيقيا أميناً حسب قدرته ورويته للأشياء ومعاناته لها .

أما في مجال التشبيه فانه كان لا يجاوز طاقته الخيالية المحدودة
بأشياء معينة ولذلك كثر التكرار في تشبيهاته .

وأكبر دليل على صدق العربي وواقعيته في الشعر أنه كان في مجال الفخر بقبيلته يمدحها بصفات وينعتها بمزايا لا تخرج عن حدود الواقع الذي يعيش في خياله ويأمل أن يتمثل في صورة حقيقية تعيشها قبيلته .

وكان ينزع في خياله الى تصوير المحسوسات تصويرا يثبت فيها الحركة ويبعث فيها الحياة ، مما ينبس عن ظلال نفسيته وشخصيته .

ومن أمثلة الواقعية والصدق في الشعر الجاهلي : رثاء امرئ القيس لملوك قومه الذين قتلهم بنو أسد ، وتصويره لهم تصويرا لا تزيين فيه ويذكر النهاية غير اللائقة بهم وهم الملوك . (١)

وكذلك اعتراف " عامر بن الطفيل " بضراوة المعركة وأن الدماء قد بلت نحره وحصانه ، فيقول :

وَمَا رَمْتُ حَتَّى بَلَ صَدْرِي وَنَحْرُهُ نَجِيعُ كَهْدَابِ الدَّمِ قَسِ الْمُسِيرِ (٢)

وهكذا فانه يمكننا الحكم على النص الأدبي بالصدق اذا توفرت فيه المميزات التالية :

(١) أن تكون العاطفة حقيقية ، غير مختلقة أو مفتعلة .

(٢) أن تأتي حدة التصوير من قوة الشعور والاحساس والمعاناة لا عن رغبة في المبالغة .

(١) انظر ديوانه ٢٠٠ .

(٢) ديوانه ٦٥ .

(٣) أن يتسامت التصوير والنواميس الكونية وألا يشق فيخالفها ويوغل في البعد عن المدارك الانسانية .

(٤) أن تقف الصنعة - ان وجدت - الى جانب العاطفة ، وألا تقف ضدها .
فاذا تحققت هذه الشروط كان لنا أن نحكم على أي نص أدبي بالصدق الفني والواقعية .

وإذا كان الأثر كذلك فأين مكان المبالغة في هذا الشعر من النقد الأدبي ، وهل تعد عيبا فيه ؟

ان المبالغة لا تعد عيبا ما دام الأديب ملتزما بالحقيقة الفنية ، فالصدق المطلوب في الأدب أن يصدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي أحس بها فعلا ، وعلان عقيدته ، وليس معناه أن يكون نقلا حرفيا للواقع الخارجي بكل حذافيره .

ويعنى أدق فإن الصدق الذي نعنيه هو إخلاص الأديب لعاطفته وتجربته الانفعالية . (١)

أما المبالغات المضاعفة المكررة في مثل قول " رواش بن تميم الأزدى " :

(٢) وانا لنعطي النصف منا وإنا لناأخذه من كل أبلغ ظالم

(٣) فانها تطيح بالصدق والواقعية في النص .

(١) انظر وظيفة الأدب ٤٩ - ٥٠ د . محمد النويهي .

(٢) النصف : الحق كاملا ، الأبلغ : المتكبر .

(٣) نقد الشعر ١٤٧ .

أما قول "قدامة بن جعفر" : والغلو عندى أجود المذهبين ،
وهو ما ذهب اليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما ، وقد بلغني عن بعضهم
أنه قال " أحسن الشعر أكذبه " (١) .

فلعله كان يقصد بالغلو المبالغة التي لا تلتزم بالحقيقة الفنية .

وللمرزوقي رأى في هذا الشأن أبرزه في عدة نقاط تشير إلى

اتجاهات نقدية أجملها فيما يلي :

(أ) من الناقدین من ذهب إلى أن " أحسن الشعر أصدق " لأن تجويد

قائله فيه مع كونه في أسار الصدق يدل على الاقتدار والحدق .

(ب) ومنهم من اختار الغلو حتى قيل " أحسن الشعر أكذبه " لأن قائله

إذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه إلى أعلى

الرتبة وظهر قوته في الصياغة وتمهره في الصناعة ، واتسعت

مخارجه موارجه فتصرف كيفما شاء ، لأن العمل عنده على

المبالغة والتحميل لا المصادفة والتحقيق و على هذا أكثر العلماء

بالشعر والقائلين له .

(ج) وبعضهم قال " أحسن الشعر أقصده " لأن على الشاعر أن يبالي

فيما يصير به القول شعرا فقط ، فما استوفى أقسام البراعة والتجويد

أوجلها من غير غلو في القول ، ولا إحالة في المعنى ، ولم يخرج

الموصوف إلى أن لا يؤء من لشيء من أوصافه لظهور الشرف

في آياته ، وشمول التزويد لأقواله كان الايثار والانتخاب أولى " . (٢)

(١) نقد الشعر ٩٤ .

(٢) انظر مقدمة شرح الحماسة للمرزوقي (١) وما يليها وكتاب " القضايا الأدبية والفنية " في شرحه ٢٩٩ وما يليها .

هـ (ساق " المرزوقي " هذه الاتجاهات النقدية الثلاث دون أن يشير الى موقفه من أى منها ، ولعل في تصريحه - وقد عرض للاتجاه الثاني ، بأن اكثر العلماء يميلون اليه ما قد يومي " الى ميله لذلك الاتجاه والانعطاف نحوه " (١) .

أما الدكتور " محمد غنيمي هلال " فرأيه أن القول بأن " أحسن الشعر أكذبه " لا أساس له من الصحة ، فالصدق الفني واللواقعي دعامة الخلق وبدونه لا يوجد فن يعتد به ، والفنان الصادق يتطلب منه الصدق " (٢) .

(١) القضايا الأدبية والفنية في شرح المرزوقي ٢٩٩ .

(٢) في النقد الأدبي ٢٣٠ .

المنصفات في موازين النقد الأدبي

قد تأتي المنصفات في شكل مقطوعة أو قصيدة (١) من الشعر يقولها
الفرس قبل المعركة أو بعد احتدامها .

إذا فللمنصفات صلة وثيقة بشعر الأيام ، فلا بد لنا أن نخرج ولو بلمحة
موجزة على شعر الأيام لنتبين خصائصه ولغته ، ومن ثم فإن هذه الخصائص
قد تنطبق كلها أو بعضها على شعر المنصفات .

ولشعر الأيام ميزات خاصة في كل غرض من أغراضه ، فمثلاً :

أ - الفخر له ألفاظ خاصة به ، وصور وأخيلة وأوصاف ينفرد بها في مثل

قول " خدأش بن زهير " :
ألم يَبْلُغْكَ مَا لَأَقْتُ قُرَيْشٍ وحسبُ بني كِنَانَةَ إِذَا أَثِيرُوا
دهمناهم بأرعن مكفهرٍ فظللنا يعقوتهم زئيرُ
نقوم مارن الخطي فيهم يجسُّ على أسنتنا الجزيرُ

ب - الرثاء كذلك فمن يعرك الحرب ويتمرس بأهوالها وينجع بأحبابه
فيها يكون قد درب قسوتها واكتوى بناها ، ولناخذ من " عنتره بن
شداد " مثلاً على ذلك ، ففي الفخريقول :

لما سمعتُ دعاءَ مُرَّةٍ إِذْ دَعَا ودعاه عيس في الوغى ومحبَّل
ناديتُ عيسا فاستجابوا بالقنا ويكلُّ أبيض صارم لم ينجل

(١) انظر الشعر و أيام العرب ٣٠٢ .

(٢) شعره ص ٥٦٤ - ٥٦٥ - أرعن : عظيم جرار ، العقوة : الساحة

مارن : رمح لدنة ، الجزير : بمعنى مفعول من الجزر .

حتى استباحوا آل عوفِ عَنُوةً بِالْمَشْرِفِي وَالْوَشِيحِ الذُّبُلِ
انى امرؤٌ من خيرِ عِبَسٍ مَنْصِباً شَطْرِي وَأَحْمَى سَائِرِي بِالْمِنْصَلِ
وفي رثاء "مالك" بن زهير العبسي (*) تظهر رنة الأسس
والحزن واضحة في مقسمات شعره وألفاظه .

ج- طريقة سرد المعارك ووصف أحوالها تختلف من شاعر الى آخر ويمكن
تقسيم الوصف الى قسمين :

١ - وصف واقعي لشاعر حضر المعركة واصطلى بجحيمها ، فيكون
وصفه دقيقاً ينفذ من خلاله الى تصوير جزئيات الحرب
ودقائق المعركة ، وهو حينئذ تصوير سريع مستعجل ، يهتم
بالجزئيات دون الكلّيات ، ويكون شعره موجزاً قبل المعركة
وبعدها .

٢ - وصف أمله ملا بسات الحرب من شاعر لم يحضر المعركة ولم
يكابد أهوالها ، تدفعه عصبية الى الفخر بقومه وتمجيدهم ،
فيلجأ الى تصوير الكلّيات ولا ينفذ الى دقائق الحرب وجزئياتها ،
وان تمهل وتأنى فهو انما يتحدث عن المعركة بصفة عامة
أوقل غير مباشرة ، وطابع التأنى والتسهل والتنقيح والاطالة
يطغى على هذا النوع من شعر الأيام . (١)

(*) هو أخو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي .
(١) انظر مثلاً قصيدة " محرز بن المكعب الرضي " في المفضليات (٢٥١)
عن يوم " الكلاب الثاني " ولم يشهده وتقرن بقصيدة " ربيعة بن مفرور
الضيبي " ١٨٠ و ٣٧٨ وقد شهد اليوم ذاته .
وانظر أيضاً قصيدتي " متم بن نويرة " يهجو قومه لفرارهم يوم -
" نغفاً قشاوة " في النقااض ٢٢ وقصيدته عن يوم " مخطط "
ولم يشهده .

د - الاهتمام بالموضوع على حساب الصورة الفنية ، فهناك فرسان تأثروا بالحروب وتعمقوا فيها وخاضوا غمارها فيميلون الى الاطناب نسي الفخر بنفسهم وطولتهم دون محاولة الامتاع والابداع ، ويقل الفخر كلما قل عدد المعارك التي يخوضها الفارس .

هـ - هناك فرسان يميلون الى السهولة والافصاح فيما يبينون عنه من حالهم واحوال أعدائهم فيجسّ شعريهم مطبوعا غير متكلف ، وهناك فرسان كان ديدنهم الصناعة والتنقيح فيأتي شعريهم مصنوعا متكلفا تبدو عليه مسحة من جمال الصناعة وتهذيبها . فالأولون جعلوا من الشعر عدة واتخذوه سلاحا فرأوه منحصرافا في الدفاع عن القبيلة والتعبير عن تأييدها والولاء لها وحل مشكلاتها والرد على خصومها ولا يتأتى تأثيره الا اذا كان مفهوما وواضحا سهلا .

و - لشعر الأيام لغة فنية قائمة بذاتها ، تسمو على اللهجات التي تستمد ألفاظها من البيئة الجاهلية ، ان نجد مثلا في شعر الأيام لفظة مستخدمة للتعبير تحتمل معنيها الحسى والمعنوى .

ز - الاهتمام بما وراء الألفاظ من ايحاء معين توكيدا للمعنى السدى يعبر عنه ، أو تعظيم من يوجه اليه الخطاب ، أو من يتحدث عنه الشاعر فمثلا ، قول الأعمش ، ناعيا على قيس بن مسعود الشيباني وفادته على كسرى بعد يوم " ذى قار " :

(١) أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وأنت امرؤ ترجو شبايك وائل

وقول " دريد بن الصمة " يفخر بثأره لأخيه " عبدالله " الذي قتل يوم اللوى " :

(١)

قتلتا بعبدالله خير لداتيه ذوآب بن أسما بن زيد بن قارب

حتى إن أبا عبدة قال : " لقد كاد أن يأتي بنسبه الى آدم عليه السلام "

ح - قد يستعيف الشاعر عن المقدمة الطللية الغزلية المعتادة بما يتلاءم وجو قصيدته التي تتحدث عن معركة ما ، في مثل قول " عامر بن الطفيل " في مقدمة قصيدة له :

(٢)

ألسنا نقود الخيل قبا عوابسا ونخضب يوم الروع أسيفنا دما

ط - المقطوعات ، وهي من مميزات شعر الأيام ، ويمكن أن نقسم المقطوعات الى قسمين :

١ - مقطوعات طبيعية : تصدر عن طبع وتحدث عن الحرب أو

الموضوع في سرعة وإيجاز وعدم المبالغة والاسراف في القول ، ليصل الى هدفه بسرعة فهذا مثلا " البراض " يبرر قتله " عروة الرحال في أوجز عبارة فيقول :

نَقِمْتُ عَلَى الْمَرْءِ الْكَلَابِيِّ فَخَرَهُ وَكُنْتُ قَدِيمًا لَا أُقْرَفُ فَخَارًا
عَلَوْتُ بَحْدِ السِّيفِ مُفْرَقَ رَأْسِهِ فَاسْمَعِ أَهْلَ الْوَادِيَيْنِ خَوَارًا (٣)

وكذلك المقطوعة في المنصفات تأتي عجلو غير مترتبة تفصح عن

مكانها بأوجز القول .

(١) ديوانه ٢٧ .

(٢) ديوانه ١٢٨ .

(٣) الأغاني (ثقافة) ٦٥/٢٢ .

٢ - صناعية : وهذه المقطوعات شعر من قصائد كاملة ضاعت

لأحد سببين مهمين :

أولهما : الرواة ، ان يختارون في معرض حديثهم ما يفي بغرضهم
عن اليوم أو الحادثة التي هم يصدد الحديث عنها ، ولا يتطرقون
الى ما لا حاجة لهم به من باقي القصيدة وأبرز مثال على ذلك
وأوضحه صنيع أبي عبيدة في النقائض ان نجده يذكر
مقطوعة فنعشر عليها في الديوان ضمن قصيدة متكاملة .

وثانيهما : نسيان الرواة ، والنسيان آفة العلم والحفظ ، وكذلك فقد
تشبه على النسخ قصيدة ما فيعرضون عنها الى ما يتضح
لهم ثم ان النسخ فن لم يكن يتقنه الا قلائل .
وقد تحدث حادثة كحريق أو غرق فتتلف جزءا من القصيدة
وتبقى منه مقطوعة .

وكما تحدثنا عن مميزات شعر الأيام ، فيمكن تلخيص أغراض هذا الشعر
في الفخر ، ووصف المعارك ، والرثاء ، والمدح ، والهجاء ، والاستعطاف ، وانذار
القوم ، وتحذيرهم ، والتهديد والوعيد ، والتعيير ، والتحريض ، وكثير من هذه
الأغراض له صلة مباشرة أو غير مباشرة بشعر المنصفات يلاحظها من تأملها بدقة
وحرص وعناية .

ويلاحظ أن شعر الأيام يكاد يكون نسخة معادة مكررة الا أن الصورة
تتغير ملامحها بعض الشيء ، بل نجد في القصيدة أفاظا تتكرر كثيرا ، ولكن
ذلك التكرار - من وجهة نظري - له هدف وغاية ، فمثلا " تكرر " عبارة
" قريبا مربط النعامة مني " في شعر " الحارث بن عباد " تشير الى حالة
الثورة والغليان ، وتأجج النفس والتهاب الشاعر . وقد أشار الى مثل هذا
الملح بعض النقاد القدامى .

(١)
وكذلك تكرر "النايعة الذبياني" لعبارة " فأصبحتم والله يفعل ذلكم"
في قصيدة له تنم عن عميق الأسى والحزن للفراق وتباعد الصف والكلمة .
أما " قيس بن زهير " ففي معرض فخره يكرر كلمة "أخي والله
خير من أخيكم" (٢) أكثر من مرة ، وكأنه يريد أن يؤكّد فخره ومباهاته
ويزرعها في عقول السامعين .

أما القسم الذي كثيرا ما تصطبغ به كثرة من قصائد شعر الأيّام
فهو للتأكيد والتعبير عن هول الموقف أو شدته ، أو التهديد بالنار والانتقام ،
أو الاعتذار عن هزيمة أو فرار . . . الخ
والاستقهام الذي تلون به القصائد انما يأتي محاولة للفت نظر
وجلب الاهتمام ، وتعظيم الانجاز ، وتهويل الموقعة .

ولا يخفى اشتغال العديد من قصائد ومقطعات الانصاف على جل
مميزات وأغراض شعر الأيّام وأكثرها .

* * *

وبعد أن عرضت لبعض وجهات النظر النقدية وسطت الآراء وعينت
مواطن الالتقاء والاختلاف ، أتى الى بيان موقف المنصفات من مدارس النقد
قديمها وحديثها .

ولا بد أن الملاحظ بعين البصيرة والذكاء يفطن الى مواقع النقد
التي لم تشر الى المنصفات صراحة ، ولكن النقد ذاته ينطبق على هذا اللون
من الشعر كالواقعية والصدق الفني والأخلاقي وخلافه . . .

(١) انظر ديوانه ص ١٩١ .

(٢) انظر النقااض ٣٣٦ .

ولنتتبع خطوات النقد خطوة خطوة ولنقتف أثرها بالمنصفات
لنرى مدى تلاؤمها مع هذه النظرات النقدية .

فمثلا الحكم على النص من خلال اللغة واعتبارها عاملا مهما فيه ،
مثل تمام السبك وصحة المعنى وما شابه ، فان المنصفات كانت لا تميل
الى غامض المعاني التي تحتاج الى عقل مشحون ليفهمها وانما كانت واضحة
صريحة بسيطة مؤلفة متناسقة .

وأما أساليب النقد المعتمدة على التجربة ، واللغة الفنية ، والذوق ،
فان التجربة كانت أشد وضوحا لدى شعراء المنصفات الذين عبروا عن
تجاربههم الذاتية النابعة من معاناة حقيقية بلغة فنية مبدعة تم عن
ذوق خلاق خلاب .

وكانت العاطفة التي تشبعت بها نفوسهم عاطفة نبيلة دفعتهم للتعبير
عنها بصدق مؤثر ثابت سام .

وأما المعاني الأربعة التي ذكرها " ابن قدامة " لدلالة الشعر عليها ،
وهي العقل والشجاعة والعدل والعفة .

فان العقل والشجاعة والعدل يتمثل في جميع أشكال وأوان المنصفات
وما قصة " دريد بن الصمة " و " ربيعة بن مكرم " الا مثال يوضح ذلك .

وأما العفة فيكفينا قول " عنترة " المنصف :

يخبرك من شهد الوقعة أنني
أغشى الوغى وأعفا عند المغنم
وكذلك كانت لا غراض المنصفات على تلونها وتنوعها الفاظ خاصة بالفخر
والرثاء وغيره .

ويلاحظ في شعر المنصفات أن الانصاف في الحرب كان يأتي من شاعر

حضر المعركة وشهد القتال واشترك بنفسه فيه ، ولم أجد من أنصف فسي الحرب الا وقد شارك فيها كما نطقت النصوص المتعددة في تلك الدراسة . ولم يهتم شعراء المنصفات كما هي عادة الشعراء الجاهليين بالموضوع على حساب الصورة الفنية ، فقد أثروا قصائدهم بصور كثيرة لاقبال خصومهم واقدام قومهم الى القتال ، وتفننوا في رسم صور مختلفة لالتقاء الجيشين وتعاركهما واختلاف الطعنات وتداول زمام المعركة .

واختص شعراء المنصفات دون غيرهم بميلهم الى السهولة والافصاح عما يبينون عنه ، فجاء شعرهم سهلا غير متكلف .

أما المقدمة الطللية فكانت تختلف من شاعر الى آخر ، من حيث الاطالة والايجاز لكن الملاحظ أن المقدمة ترتبط ارتباطا مباشرا أو غير مباشر بموضوع القصيدة ، أو ذكر ما يلح أو يشير اليه .

وان كانت المقطوعات من مميزات شعر الأيام فان المنصفات كانت تجيء غالبا على شكل مقطوعة قد لا تزيد عن البيت الواحد تأتي على عجل لتنبئ عن غرضها بسرعة وايجاز .

لكننا لا نعلم ان كانت هذه المقطوعات جزءا من قصائد كاملة ابتست منها أوضاع باقيا لنسيان الرواة أو سهو النساخ أو استيفائها الغرض ، أولعلها مقطوعة قد قالها الشاعر في موقف عبر عنه بما جاش في صدره واكتفى بالايجاز .

أما تكرار عبارات معينة في شعر المنصفات فلم يظهر كأثر له قيمته في كثير من قصائدها أو أبياتها .

وفيا يتعلق بالأساليب الانشائية ، هذه الصيغ التي تنبث في بعض القصائد المنصفة كالاستفهام وغيره فان المنصفات أمت بأنماط من تلك الصيغ على ما رأينا في قصيدة "المفضل الفكري" العاضية .

وبرغم أن المنصفات جاءت لتصور ما حدث على أرض الواقع تصويراً أميناً صادقاً فإنها لا تخلو من الخيالات المعتمدة على التشبيهات والاستعارات في صور رائعة متميزة في غير مبالغة ولا غلو .

ولم تمارس المنصفات الصنعة والفكف ، الا على قول من يقول ان الشعر الجاهلي كله كان أنموذج الصناعة الشعرية .

وأخلاقية شعر المنصفات تتمثل في انه انصاف للأعداء ، وأية غاية أخلاقية أعظم من هذه وأجل .

والمنصفات المثال الرائع للصدق الفني والواقعي ، بل انها الشاهد الواضح على الواقعية في الشعر الجاهلي .

وسبق القول ان الشعر يأتي بدافع الرغبة في التنفيس عن النفس والتعبير عنها وهكذا كان شعر المنصفات معبراً بصدق وعمق عن خلجات نفوس الشعراء في أداء قوى ومبدع وأمين .

وكانت عناصر الانصاف في الحرب هي العناصر ذاتها في غيره من شعر الأيام الا أن المنصفات تميزت بعنصر آخر هو " وصف الجيشين المتقاتلين ، وليس وصف جيش واحد فقط ، حيث وازنت المنصفات بين الجيشين موازنة دقيقة وكانها كفتا ميزان .

وجميع مميزات الصدق التي اشترطت للحكم على النص الأدبي بالصدق الفني والواقعي قد حازتها المنصفات كاملة ، فلا مبالغت مكرورة ، ولا عواطف مفتعلة ، ولا شذوذ في التصوير ولا خروج عن القوانيـ الكونية والمدارك الانسانية .

و خلاصة القول أن شعر المنصفات :

- أ - يقرر حقائق تحدث على أرض المعارك .
- ب - لا يجنح الى المبالغة في التصوير يعكس أغراض الشعر الباقية .
- ج - له قدرة على تلوين الحقائق بالجناس والاستعارة والكنايمة والتشبيه .
- د - له قيمته الأخلاقية ، وهذه أجل ما يميز شعر " المنصفات " عن سائر الشعر الجاهلي بصفة عامة .
- هـ - يميل الى تصوير الواقع مع احتفاظه بجودته الفنية .
- و - ينهض بالحقائق لتسامت الخيال في بعض أنماطها ، اذا واقت شاعرا صناعا .

" حول نقد المنصفات "

حاولت قدر طاقتي في الباب النقدي للمنصفات أن أحلل بعضها تحليلا يعتمد على التذوق الأدبي ، ثم عرجت على بعض النظريات النقدية ومدى قابلية المنصفات لها والانضواء تحت لوائها الا أن لي مع ذلك ملاحظات مهمة في نقد المنصفات أسردها فيما يلي :

أولا : ترتب على قلة دراسة المنصفات وتتبعها ، والدراية بها ، والاعتناء بنصوصها والتنقيب الجاد عنها ، ترتب على ذلك عدم وجود دراسة نقدية لهذا اللون من الشعر الجاهلي ، فقد حظيت جميع أنماط الشعر الجاهلي من مدح ورثاء وغزل وفخر وحماسة وحكمة وغيره بنصيب وانصر من النقد ، وبقيت " المنصفات " عالما مجهولا لم يحاول أحد من النقاد تبين ملامحه مع جدارته بافراغ الجهد في دراسته وسبر أغواره .

الا أن هناك ما يمكن أن نطلق عليه " ارهاصات نقدية " تتمثل في قول " ابن سلام " مثلا عن " المفضل النكري " : " فضله قصيدته التي يقال لها " المنصفة " (١) .

ثانيا : لم أشر في أثناء بحثي على دراسة نقدية حديثة أو قديمة تحضت لدراسة المنصفات ، اللهم الا ما قام به الدكتور محمد عويس " في كتابه " الشعر الجاهلي " (٢) فقد أدلى بدلوه في دراسة المنصفات دراسة نقدية ، وعاد اليه فارغا أويكاد ، ذلك أنه اعتمد في هذه الدراسة على الطريقة ذاتها التي انتقدتها في بداية الباب النقدي ، والتي تعتمد على دراسة النص من خارجه ، ولا تحاول أن تستشف روحه أو تبحث عن مقوماته الداخلية ، إضافة الى ذلك فقد كانت للدكتور " عويس " ملحوظات على

(١) طبقات ابن سلام ٢٧٥ .

(٢) أنظر ص ١٠٧ - ١٢٣ .

كتاب "المنصفات" للدكتور "الملوحي" الذي كان له الفضل في شق طريق هذه الدراسة الوعرة - والفضل للمتقدم - وهذه الملحوظات التي أبدتها الدكتور "عويس" تتلخص فيما يلي :

(١) - أن "الملوحي" "اجتهد" في تحميل النصوص معنسى

النصفة وخرج بها عن الطوق المؤلف لما تعارف عليه الأقدمون .

ولي على ذلك تعقيب ، فقد رأيت من خلال كلامه ومن تضاعيف

كتابه أنه يقصد بذلك الانصاف في السلم والانصاف في الاخاء وما شابه

وكانه يريد أن يضيق واسعا ويحجر على المنصفات أن تخرج من مكانها

التي ظلت فيها حبيسة طيلة هذه القرون ، ولا أحتاج الى زيادة جهد

لدحض مثل هذه الملحوظة فقد أفضت في ذلك في باب الانصاف في الحرب .

(٢) - يذكر الدكتور "عويس" أن "الملوحي" بالرغم من اجتهاده

قد أخطأ في ذكر نصوص والحكم عليها ، أو في تقسيه للمنصفات ، ومخالفة

الأقدمين في تفسير النصفة والانتصاف .

ومع تقديري للدكتور "عويس" فأنني أكاد أجزم بأنه لم يقرأ

"المنصفات" الا من خلال كتاب الدكتور الملوحي وذلك ظاهر واضح ،

فاعتماده على نقد النصوص الأدبية للمنصفات كان اعتمادا كلياً أو شبه كلي

على كتاب "الملوحي" ، ثم انه رجع اليه حتى في تفسير بعض الألفاظ الغامضة

التي تعترضه .

من هنا جاءت دراسة الدكتور "عويس" النقدية للمنصفات دراسة

مبتسرة ناقصة لا تعتمد على خلفية كبيرة عن هذا الموضوع ، وأيضاً فطريقة

الدراسة كما أسلفت اعتمدت على الموازنة بين الألفاظ والمقاطع وأنصاف

الأبيات ، وكأن المنصفات تعنى "التنصيف وحسب" . فقد صب جل

اهتمامه على طريقة نظم الشعراء لمنصاتهم والسمات المميزة لهذا النظم

مثل قولهم :

* فجا، وا عارضا بردا وجئنا *

وتكرر هذا المقطع في أكثر من قصيدة ، وهذا اللون من النقد لا يفي بالغرض ،
وحسبنا أن نذكر أن هذا المقطع مثلا جاء في قصيدة حماسية لعنترة بن
شداد " تعد من أقوى قصائده في الفخر بالبطولة والاقدام ، يقول " عنترة " :

فجا، وا عارضا بردا وجئنا

خلاصة القول أن الدراسة النقدية المتخصصة للمنصفات تكاد تكون معدومة ،
لذلك أجد نفسي أدور في دائرة ضيقة مختنقة من البحث لا أستطيع منها
فكاكا الا باجتهادى الشخصي ولعل غيرى يأتي فيرى رأيا فيما كتبت
فيضيف جديدا الى رصيد المنصفات وأكرم بتلك لهنة تكمل بناء المنصفات
وتشيده .

ولعلي أبيع لنفسي هنا أن أذكر نماذج من نقدي لبعض أوجه

المنصفات غير المألوفة أو التي خلعت عليها ثوب النصفة .

فمن ذلك " الفرار " وهو انصاف ، وقد ذكرت في حينه أنه انصاف لأنه

اعتراف ببأس العدو والمقابل الذى يدفع من يقف أمامه الى النفاذ بالجلد والهرب .

وقد اختص الشعراء الهذليون من بين سائر الشعراء الجاهليين بذلك ،

اذ كانوا يمثلون نوعا من " الفروسية العكسية " اذا جاز التعبير ، فيفخرون بفرارهم

مرارا ، ويصفون ذلك كل وصف ويمعنون فيه ، بينما ينفق سائر الشعراء جهدهم

في وصف شدة اقبالهم على المعركة وتفوقهم على من دونهم . ولقد أضفى ذلك

على شعرهم جدة في التجربة ، وعمقا في الاخلاص ، فبدوا فرسانا فاشلين نسي

فروسياتهم ، صادقين في انسانياتهم ، يتطعم شعرهم بشي من السخرية على

الذات بين اسراب الشعراء المتجهمي الوجوه ، المربدى القسما ، تحت وطأة

الفخر الآخذ بالحياة مأخذ جد واعتداد (١) .

(١) انظر موسوعة الشعر العربي ٣ / ٤٨٩ .

وحسبنا أن نطل اطلالة خاطفة على قصيدة "لمالك بن خالد الخناعي الهذلي"
يذكر فيها فراره من معركة رهيبة، فيقول (١) :

- | | | |
|-----|--|---|
| (٢) | طَلَجُ الشَّوَّاجِنِ وَالطَّرْفَاءِ وَالسَّلَمِ | لَمَّا رَأَيْتُ عَدَى الْقَوْمِ يَسْلُبُهُمْ |
| (٣) | إِنِّي سَنَعْتُ الْفَتَى كَالْبَكْرِ يَخْتَطِمُ | كَفْتُ ثَوْبِي لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ |
| (٤) | أَوْ يَأْسُرُوهُ يَجْعُ فِيهِمْ، وَإِنْ طَعَمُوا | وَقَلْتُ مَنْ يَشْقُوهُ تَبِكُ حَنْتَهُ |
| (٥) | جُونَ السَّرَاةِ، هَرْفٌ لِحْمَاهِ زَيْمٌ | وَاللَّهِ مَا هَقَلَةٌ حَصَاءٌ عَن لَهَا |
| (٦) | مِنَ الرَّبِيعِ، نَجَاءٌ نَبْتُهُ دِيمٌ | كَانَتْ بِأَوْدِيَةِ مَحَلِّ فَجَادَلَهَا |
| (٧) | غَيْرُ السُّحُوفِ وَلَكِنْ عَظْمَاهُ زَهْمٌ | فَهِيَ شَنُونٌ قَدْ أَبْتَلَتْ مَسَارِيهَا |
| (٨) | لَمَّا عَرَفْتَهُمْ، وَاهْتَزَّتِ اللَّمَمُ | بِأَسْرَعِ الشَّدِيدِ مِنِّي يَوْمَ لَانِيَةَ |

فهذه الأوصاف والتشبيهاً الساخرة تلقى ظللاً من الفروسية العكسية على
نفسية الشاعر، وتشير في قارى النص أو مستمعه جواً مشبعاً بالتمتع والانشراح
تصل إلى حد الضحك من الأعماق .

وهكذا كان وصف الفرار عند الشعراء الهذليين وصفاً معناه فسي
السخرية متأنياً في وصف دقائقه، متراً بالكثير من التشبيهات والصور
والأخيلة ولكن نجد الفرار عند غيرهم يأتي سريعاً غير متلبث كما في قصيدة
"وعلة الجرمي" في يوم "الكلاب الثاني" ومطلعها :

فَدَى لَكَمَا رَجَلِي أُمِّي وَخَالَتِي غَدَاةَ الْكَلَابِ إِذْ تُحَزُّ الدَّوَابِرُ

فهو وإن شابه شي من التصوير والوصف إلا أنه لا يرقى بحال إلى شعر الهذليين .

(١) شرح اشعار الهذليين

(٢) عدى : جماعة القوم بلغة هذيل ، الشواجين : مسيل الماء إلى الوادي ،

والطلج ، والطفاء والسلم : نوع من الشجر .

(٣) كفت : شمرت ، سنعنت : أبغضت ، يختطم : يقتاد بالخطام أى يذل ويؤسر .

(٤) يشقوه : يظفروا به . حنته : امرأته .

(٥) هقلة : نعامة . حصاء : ذهب ريشها لكبرها ، عن : اعترض ، جون

السراة : ظليم ، هرف : خفيف ، زيم : متقطع .

(٦) نجاء : جمع نجو وهو السحاب ، ديم : أمطار تدوم أياماً .

(٧) شنون : بين السمين والمهزول ، مساريها : مجارى الشحم فيها أو جوانب بطنها .

السحوف : التي يقشر الشحم عن متنها ، زهم : سمين ، أى فيه مخ .

(٨) نية : فتور ، من ونى ينى نية ، اللمم : مقدم شعر الرأس .

والفرار ابراز للحقائق في أصدق صورها ، وقريب منه الاعتراف بهزيمة
القوم ان هزموا ، فلا يبخل الشاعر على أعدائه بنعمت الشجاعة والبلاء في الحروب ،
وحول هذا اللون من الانصاف يقول الدكتور شوقي ضيف " ولهم في ذلك قصائد
تلقب بالمنصفات " (١)

ومن الصور الفنية التي استخدمها الشعراء في هذا المجال : الخيال
المعتمد على الاستعارة ، من ذلك مثلا تشبيه الموت بشخص له القدرة على سوق
الناس في قصيدة " البراء " بن قيس الكندي " ان يقول :

(٢)
يوم جئنا يسوقنا الحين سوقاً الى قوم كأنهم أسد غاب

وفي مجال آخر من الانصاف نجد القرن يصف أداة القتل قبل وصف طريقة القتل ،
كما عرض " البراض الكناني " قتله " عروة الرحال " في صورة فقال :

(٣)
جمعت له يدى بنصل سيفٍ أفل فخر كالجدع الصري

ولا شك أن أي قارىء لشعر " دريد بن الصمة " في " ربيعة بن مكرم " يحس
بأن " دريد " يكن احتراماً واعجاباً بهذا الفارس وصلنا عبر ذلك التشبيه الذي
صوره شجاعته وخوف الفرسان منه . (٤)

والمنصفات كما سبق جزء من شعر الأيام تشترك معه في خصائصه
وأسلوبه وتتميز عنه بالصدق والواقعية .

ويرى كثير من النقاد أن شعر الأيام بخاصة والشعر الجاهلي بعامة

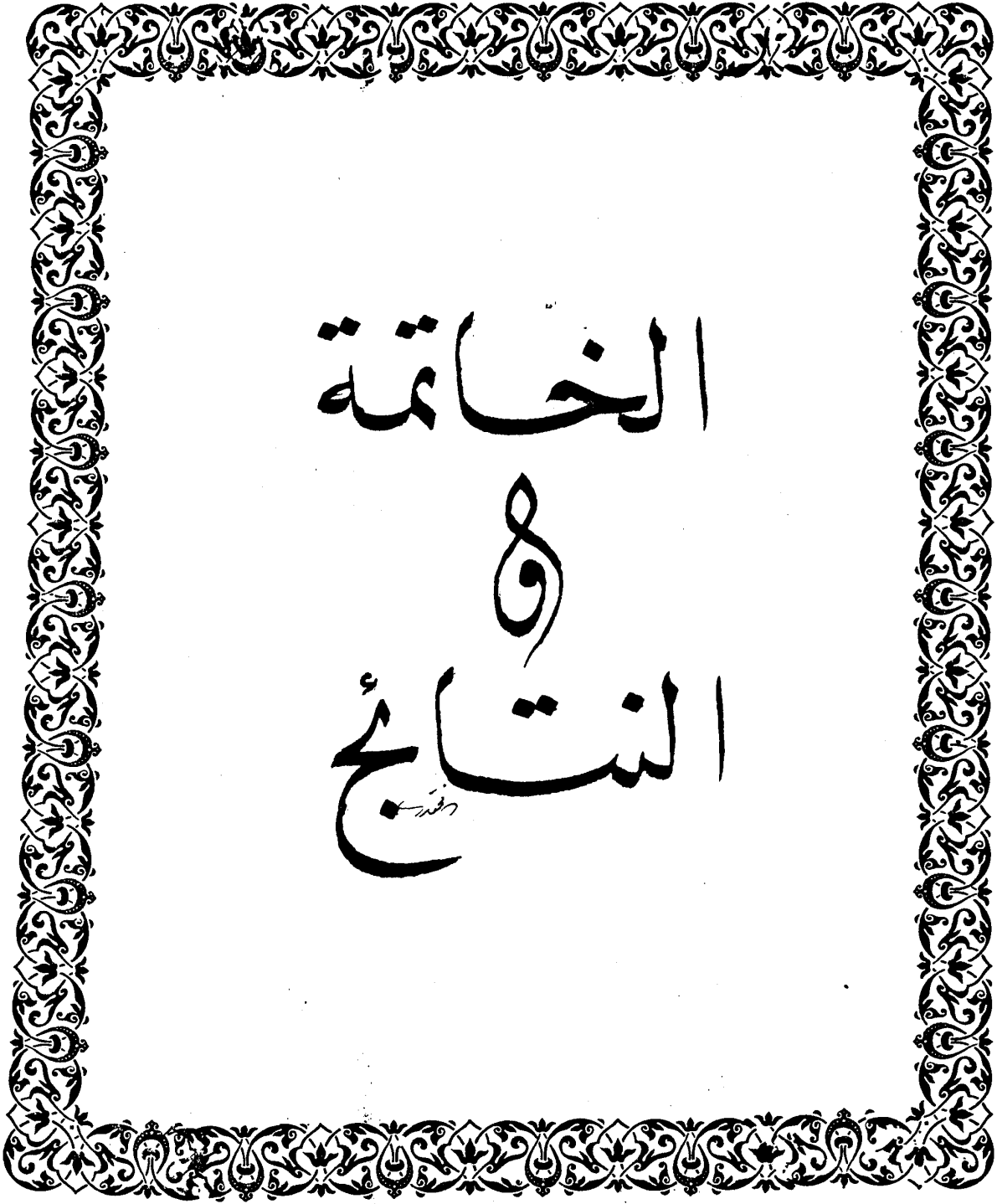
شعر غنائي محض فمثلاً يقولون : " ان الشعراء الجاهليين كانوا يميلون الى
السرعة والايجاز ، لذلك لم يظهر عندهم ضرب من ضرب الشعر القصصي " (٥)

الا أن " سليم البستاني " يرى أن " شعر الأيام هو أقرب الى الشعر القصصي
منه الى الغنائي وكل قصيدة منه قطعة من ملحمة " (٦)

ولي في ذلك رأى ، ذلك أن تمرس العربي بالحرب وطول مشاهدته لها
جعله يصف المعركة وصفاً دقيقاً ينزع فيه الى لمحات خاطفة من التصوير فلم يكن
شعرهم غنائياً محضاً ولم يكن قصصياً بحتاً ، ففيه من هذا وذاك ، الا أن الجانب

الغنائي يطغى عليه . . .

(١) انظر تعليقه كاملاً في كتابه " العصر الجاهلي " ٢٢٠ .
(٢) الاغني (ثقافة) ١٦ / ٢٦٣ (٣) الاغني (ثقافة) ٢٢ / ٦٥ .
(٤) انظر الشعر وايام العرب ٣٤٦ والابيات في ديوان دريد ٩٥ .
(٥) البيادة هوميروس ١٧٠ .
(٦) انظر العصر الجاهلي ٢٢٥ للدكتور شوقي ضيف ، وشعر الحرب في أدب العرب ٣٤
للدكتور زكي المحاسني



الخاتمة



النشأ

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الدراسة التي استبحرت في عرض موضوع المنصفات في الشعر

الجاهلي يمكن اجمال النتائج التي توختها هذه الدراسة ومنها :

أولاً : أن الكتابة في موضوع المنصفات جد قليلة تكاد تأتي تنفاً في شبه أحكام طائفة كثيراً ما يغلفها التعميم . واطلاق الاحكام وهذه الصعوبة التي اكتنفت الموضوع كانت سلاحاً بالنسبة لي ذا حدين ، ذلك أنني جهدت من ناحية على تتبع النصوص في مظانها على ما في قراءة الشعر الجاهلي من وعورة فاستدرت بذلك الكثير الكاثر من النصوص التي غابت عن هؤلاء الذين امتشقوا أقلامهم وعلى تحييص بعض الأحكام من ناحية أخرى حيث جاءت كتابة بعض الباحثين في الموضوع معجلة لا تستشرف الحقائق باستثناء أستاذ هو الدكتور نوري حمودي القيسي في كتابه دراسات في الشعر الجاهلي ، حيث كانت نظرتهم أدق من سواه في النظرة الى الانصاف ، وليس يعني ذلك انني بهذه الدراسة قد استوفيت جنبات الموضوع فقد يأتي من بعدى من يجلى الموضوع بصورة أوضح وأظهر .

ثانياً : وقد أفضت هذه القلة في الكتابة الى صورة مشوهة تناقلتها كتب الأدب في تعريف المنصفات ذلك أنها تقصر المنصفات على الشعر الذي قيل عن الأعداء في ميدان الكروا الفر ما يفضي عليهم القوة أو البسالة أو ما اليهما .

وهذا المعنى يتردد في كثير من هذه الكتب التي تلمس الانصاف لسا ،

ودراستي هذه ما كان غرضها أن تنقض ما قال السابقون أو تأتي عليه عروة عروة بقدر ما كان الهدف منها تحديد المعنى تحديداً علمياً بما يتسق مع النصوص الموفورة في الشعر العربي الجاهلي .

وقد أدى هذا الى أن يكون للمنصفات معنى عندى يتمثل في توخي الصدق والنصفة في جميع أغراض الشعر ومناحي الحياة .

ثالثا : واذا كان من ذلك الذى ذكرت يسلم بطبيعته الى أن يجيء الشعر المنصف على يد بعض الدارسين أو الباحثين مبتسرا أو يكاد نتيجة عدم الدقة في معنى المنصفات فان هذه الدراسة بحمد الله كانت ذات رؤية واضحة منذ البداية استطاعت عن طريقها أن تغربل نصوص الشعر الجاهلي وأن تؤكد انتماء بعضها الى الشعر المنصف .

رابعا : وعجيب أن ترى معظم الكتب الأدبية بل كلها يكاد يتضافر حول أن المنصفات في الشعر الجاهلي ثلاثة هي منصفة المفضل النكرى والعباس ابن مرداس السلي وعبد الشارق بن عبد العزى الجهنى . وهذه شبه مصادرة على أذهان الباحثين أو الدارسين وليس في هـذا غمزة للسابقين أو تناولهم بالقدح فيما توصلوا اليه حول هذه القصائد فبحسبهم انهم اجتهدوا غير أن ذلك لا يعني أن يعطل الباحث ذهنه بدليل أن الدكتور محمد المعين الملوحي (مثلا) استدرك على ما قال القدامى واستدرك على الملوحي الدكتور محمد عويس وقد أدليت بدلوى في هذا المضمار فكانت لي محاولات فيما توصلت اليه من نصوص قمت بإثبات أنها من المنصفات .

كذلك ناقشت بعض هؤلاء وأخص منهم الدكتور محمد عويس في كتابه في الشعر الجاهلي .
وبهذا كان لي شرف محاولة زحام هؤلاء العلماء ومناقشة بعض آرائهم بما تمثلت لي صحته .

خامسا : نهجت نهجا آخر يختلف عما سلكه بعض المعاصرين في فهم معنى المنصفة فقد دأبوا على أن المنصفة لا تكون في الشعر الا اذا جاءت مسامته لبعض القوائد التي تتجلى فيها الموازنة - أعني موازنة الأعداء بمن سواهم على النحو الذي نراه مثلا في قصيدة المفضل النكري التي قمت بتحليلها حيث كرس المفضل همه على تبيان تلك الموازنة . لكني رأيت أن ذلك ليس ضربة لازب، فالقصيدة ما دامت تسرى فيها روح الصدق والنصفة ولولم تتحر هذه الموازنة أو تحتذ حذوها لا مانع من انتمائها الى المنصفات ، ومن هنا فقد سلكت في عداد شعر المنصفات قوائد بل وأبياتا تنبث خلال قصيدة من القوائد على ما جاء في تضاعيف هذه الدراسة .

سادسا : ولست أدري ما الذي دفع بعض هؤلاء القدامى والمعاصرين على السواء الى الوقوف بمعنى النصفة في الحرب !!
أفاذا جاءت القصيدة في السلم تناشد الطرفين المتعاركين
أو المتحاربين أن يثوبا الى رشد هما وأن يقلبا الأمر على وجوهه المختلفة فكان الانصياع والانهان تكون بعيدة عن المنصفات ؟!

وهل اذا رأينا قصيدة يستصرخ فيها الشاعر الجاهلي ابن عمه بغية أن يرعوى عن الدخول في الحرب أو ارتكاب بعض الحماقات في حقه حفاظا على أوامر القرابة الحميمة تكون قد باعدت عن نطاق الانصاف ؟!

هذه الصور ومثيلاتها ليس هنالك ما يمنع من انخراطها في سلك شعر المنصفات ومن هنا تأتي مخالفتي للقدامى والمحدثين معا في الرواية حول ذلك الشعر المنصف .

سابعاً : وإذا كان قد لاج لي كثير من نماذج الشعر الجاهلي
منصفا فأنني لا أستطيع أن اتذرع بذلك الى انني غطيت ما في الشعر الجاهلي
أومسحته من شعري دور حول الانصاف ، كل هي أن اجتهدت ، ومن
اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد .
ومن يدرى فلعل الزمن وجود بباحث يستطيع أن يزيد على ما أتيت
وتلك هي الفائدة السجل التي نبغيها نحن طلاب العلم حيث تتوقف
محاولاتنا عند مجرد فتح الباب لمن يأتي بعدنا من الأجيال الخالفة .
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ،،

ثبت باسماء
المصادر
و
المراجع

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

- أولاً : القرآن الكريم .
- ثانياً : الحديث الشريف
- سنن أبي داود ، تعليق عزت عبد الدعاس وعادل السيد الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م دار الحديث ، حمص سوريا .
- ثالثاً :
- كتاب الأبل لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (١٢٢-٢١٦)
- من كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي ، نشر وتعليق الدكتور
- أوغست هفتر المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣م .
- أبو تمام بين أشعاره وحماسه ، محمد بركات علي ، الطبعة الأولى
- ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م مؤسسة الخافقين / دمشق .
- ادب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها
- وأيامها ، تاليف الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي
- ٣٧٠ - ٤١٨ هـ أعده للنشر / حمد الجاسر ، النادي الأدبي
- الرياض .
- الادب في حماسة أبي تمام ، د/ احمد ماهر البقرى مؤسسة شباب
- الجامعة / الاسكندرية
- أساس البلاغة / للزمخشري طبعة دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
- الأسس الفنية للنقد الأدبي للدكتور عبد الحميد يونس .
- الطبعة الأولى ١٩٥٨م دار المعرفة / القاهرة .
- الاستيعاب في أسماء الاصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري
- القرطبي (٣٦٣هـ - ٤٦٣هـ) الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ مطبعة
- السعادة / مصر .

- أسماء خيل العرب وانسابها للأُسود الغندجاني / تحقيق د . محمد
على سلطاني مكتبة الغندجاني / دمشق
- أسواق العرب في الجاهلية والاسلام / سعيد الافغاني ، الطبعة
الثالثة بيروت القاهرة . دار الفكر ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين للخالديين
ابي بكر محمد (٠٠٠ - ٣٨٨) وأبي عثمان سعيد (٠٠٠ -
٣٩٠) - ٣٩١هـ) ابني هاشم .
- تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف القاهرة مطبعة لجنة التاليف
والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٨م .
- الاشتقاق / لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١)
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون القاهرة مؤسسة الخانجي
١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .
- اشتقاق الاسماء / الاصمعي عبد الملك بن قريب (١٢٢ هـ - ٢١٦ هـ)
تحقيق وشرح سليم النعيمي بغداد مطبعة اسد ١٩٦٨م .
- اشعار الشعراء الستة الجاهليين / اختيار العلامة يوسف بن سليمان
ابن عيسى الاندلسي المعروف بالاعلم الشنتمري (٤١٥ - ٤٧٦)
الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ / ١٨٩٢م دار الفكر .
- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٠٠٠ - ٨٥٢)
القاهرة مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ .
- الاصمعيات / اختيار الاصمعي ابي سعيد عبد الملك بن قريب بن
عبد الملك (١٢٢ - ٢١٦ هـ) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر
وعبد السلام هارون الطبعة الخامسة / دار المعارف بمصر . بدون .

- الأضنام / لابن الكلبي (هشام بن محمد) تحقيق احمد زكي

مطبعة دار الكتب القاهرة الطبعة الثانية ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م

- الاعلام / خير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت لبنان

الطبعة السادسة ١٩٨٤م

- الاغاني / لابي الفرج الاصفهاني - علي بن الحسين (٥٠٠ - ٣٥٦هـ)

اشرف على مراجعته وطبعه العلامة الشيخ عبدالله العلايلي

وموسى سليمان واحمد ابوسعد دار الثقافة / بيروت ١٣٨١هـ

/ ١٩٦٢م

- الافصاح في فقه اللغة تأليف عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى

الطبعة الاولى ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م دار الكتب القاهرة .

- الافعال لعلي بن جعفر السعدى (ابن القطاع) (٥٠٠ - ٥١٥هـ) ،

مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٠هـ حيدرآباد الهند ترتيب

سالم الكرنكوى .

- الافعال لابي عثمان سعد بن محمد المعافى السرقسطي / تحقيق

حسن محمد شرف ود . محمد مهدي علام القاهرة

المطابع الاميرية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

- الامالي / لابي علي اسطعيل بن القاسم القالي البغدادي بعناية محمد

عبدالله الاصمعي دار الكتاب العربي / بيروت لبنان . بدون

- امالي المرتضى للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوى العلوى

٣٥٥ - ٤٣٦ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية

١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م دار الكتاب العربي / بيروت لبنان .

- الامثال / لابي عبيد القاسم بن سلام تحقيق / د . عبد المجيد

قطامش دار المأمون بيروت دمشق الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

- أنساب الاشراف / تصنيف احمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى .

تحقيق الدكتور محمد حميد الله معهد المخطوطات العربية دار

المعارف بمصر ١٩٥٩م

- انساب الخيل في الجاهلية والاسلام / لابن الكلبي (هشام بن محمد
(٠٠٠ - ٢٠٤ هـ) تحقيق احمد زكي باشا القاهرة مطبعة
دارالكتب المصرية ١٩٤٦ م .
- ايام العرب في الجاهلية / تاليف محمد احمد جاد المولى بك ،
د . علي محمد الهجاوى ومحمد ابو الفضل ابراهيم دار الفكر . بدون .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان لابي عثمان عمرو بن بحر بن
محيوب الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥ هـ) .
تحقيق محمد مرسى الخولى ، دار الاعتصام القاهرة - بيروت
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب / تاليف السيد محمود شكرى الانوسى
البيهدادى / عني بنشره وتصحيحه وضبطه محمد بهجت الاثرى
الطبعة الثانية ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م . المطبعة الرحمانية بمصر .
- البيان والتبيين / تاليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٠٠٠ -
٢٥٥ هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الطبعة
الخامسة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م مطبعة المدني بمصر .
- تاج العروس من جواهر القاموس / للسيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى
تحقيق عبد الستار احمد فراج ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م مطبعة
حكومة الكويت .
- تاريخ اداب العرب / تاليف مصطفى صادق الرافعى الطبعة الرابعة
١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م دار الكتاب بيروت لبنان .
- تاريخ الادب العربى تاليف احمد حسن الزيات الطبعة الخامسة والعشرون
دار نهضة مصر القاهرة بدون .

- تاريخ الادب العربي / تاليف عمر فروخ الطبعة الرابعة ١٩٨١ م دار العلم للملايين / بيروت .
- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي / حسن ابراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٤ م .
- تاريخ التمدن الاسلامي / جرجي زيدان دار الهلال ١٩٠٢ م .
- تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني تاليف احمد الشايب مكتبة النهضة المصرية / بدون .
- تاريخ الشعوب الاسلامية (العرب والامبراطورية العربية) كارل بروكلمان ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي الطبعة الثانية ١٩٥٣ م دار العلم للملايين بيروت لبنان .
- تاريخ العرب / فيليب حتى واخرون الطبعة الثانية دار الكشاف بيروت لبنان ١٣٦٧ هـ / ١٩٥٢ م .
- تاريخ العرب العام (امبراطورية العرب) تاليف ل. أ. سيديو ترجمة عادل زعيترا القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٩٤٨ م .
- تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين للفيروزابادي تحقيق محمد خير البقاعي دمشق ١٩٨٢ م / ١٤٠٢ هـ .
- وتحبير الموشين في التعبير بالسين والشين للفيروزابادي / المطبعة الاهلية بيروت ١٣٣٠ هـ .
- ترتيب القاموس المحيط / على طريقة المصباح المنير و اساس البلاغة للاستاذ طاهر احمد الزاوي الطبعة الاولى ١٩٥٩ م مطبعة الاستانة بالقاهرة .

- التكملة والذيل والصلة للصاغاني (الحسن بن محمد بن الحسن)
(٥٧٧ - ٦٥٠ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار
الكتب القاهرة ١٩٧٣ م .
- للتلخيص في معرفة اسما* الاشيا* لابي هلال العسكري (الحسن بن
عبدالله بن سهيل بن سعيد) (. . . بعد ٣٩٥ هـ) تحقيق
د . عزة حسن ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م مجمع اللغة العربية دمشق .
- التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه / تاليف الامام اللغوي ابي عبدالله
ابن عبد العزيز البكري بعناية محمد عبد الجواد الاصمعي
دار الكتاب العربي بيروت لبنان . بدون .
- ح تنزيل الايات على الشواهد من الابيات / باخر كتاب الكشاف للزمخشري
للعالم المدقق محب الدين افندي / دار الفكر الطبعة الاولى
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- تهذيب سيرة ابن هشام / عبد السلام هارون الطبعة الثالثة ١٣٩٦ هـ
/ ١٩٧٦ م المؤسسة العربية الحديثة .
- تهذيب الصحاح / تاليف محمود بن احمد الزنجاني تحقيق عبد
السلام محمد هارون واحمد عبد الغفور عطار دار المعارف بمصر
١٩٥٢ م .
- تهذيب اللغة لابي منصور محمد بن احمد الازهري (٢٨٢ - ٣٧٠)
تحقيق عبد الكريم العزباوي الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لابي منصور عبد الملك بن محمد بن
اسماعيل الثعالبي النيسابوري (٣٥٠ هـ - ٤٢٩ هـ) تحقيق
محمد ابو الفضل ابراهيم ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

- الجاسوس على القاموس ل احمد فارس الشدياق مطبعة الجوانب ١٢٩٩ هـ
- الجامع لاحكام القرآن لابي عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبي
مطبعة دارالكتب العربية القاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م
- جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام تاليف ابي زيد محمد بن
ابي الخطاب القرشي تحقيق وتعليق وشرح محمد علي الهاشمي
مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الطبعة الاولى
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
- جمهرة اللغة لابن دريد / ابي بكر محمد بن الحسن الاودى البصرى
(٣٢١ هـ - ٤٠٠ هـ) مؤسسه الحلبي القاهرة . بدون .
- كتاب الجيم لابي عمرو الشيباني - اسحاق بن مرار (٢٠٠ هـ - ٢٠٦ هـ)
بتحقيق ابراهيم الابيارى المطابع الاميرية القاهرة ١٣٩٤ هـ /
١٩٧٤ م
- الحديقة جمع محب الدين الخطيب المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤١ هـ
- الحرب الفروسية من عيون الاخبار لابن قتيبة عبدالله بن مسلم الدينورى
(٢٧٦ هـ - ٣٠٠ هـ) (٨٨٩ م - ٠٠ م) طبع مديرية احيا التراث العربي
دمشق - سوريا ١٩٧٧ م .
- حسان بن ثابت حياته وشعره / د . احسان النص دار الفكر دمشق . بدون .
- حضارة العرب / غوستاف لوبون ترجمة محمد عادل زعيتر ١٣٦٤ هـ /
١٩٤٥ م دار احيا التراث العربية .
- حلية الفرسان وشعار الشجعان / لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل
الاندلسي تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن دار المعارف
للطباعة والنشر / ١٩٥١ م .
- حماسة ابي تمام وشروحها للدكتور عبدالله عبد الرحيم عسيلان ، دار
اللويا الرياض ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

- الحماسة لابي تمام تحقيق الدكتور عبدالله عبد الرحيم عسيلان ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ،
١٣٤٠هـ / ١٩٨٧م .
- الحماسة تاليف ابي عبادة الوليد بن عميد البحرى غياة لويين شيخو اليسوي دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية
١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- الحماسة (ضياء الدين ابي السعادات) هبة الله بن علي بن محمد ابن حمزة العلوى (المعروف بابن الشجرى (. . . . - ٤٢٥هـ)
مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن .
- الحماسة البصرية تاليف صدر الدين علي بن الفرج بن الحسن البصرى تحقيق مختار الدين احمد الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م
عالم الكتب .
- الحياة الادبية في العصر الجاهلي / تاليف محمد عبد المنعم خفاجي دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣م .
- الحياة العربية في الشعر الجاهلي د / احمد محمد الحوفي الطبعة الخامسة دار نهضة مصر القاهرة بدون .
- الحيوان لابي عثمان عمرو بن بحر الجاظ تحقيق عبد السلام هارون مطبعة الحلبي القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٩م) .
- خزنة الادب ولب لباب لسان العرب للشيخ عبد القادر بن عسر البغدادي (. . . . - ١٠٩٣هـ) الطبعة الاولى المطبعة الاميرية ببولاق ١٢٩٩هـ .

- كتاب الخيل لابي عميدة معمر بن المثنى التيمي (٥٠٠ - ٢٠٩ هـ)
الطبعة الاولى ١٣٥٨ هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية / حيدر
آباد الدكن الهند .
- دراسات في الشعر الجاهلي / للدكتور نوري حمودي القيسي جامعة
بغداد / ١٩٧٢ م .
- دراسة في مناهج البحث الادبي للدكتور فتحي محمد أبو عيسى ،
طبعة الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية ١٩٧٩ م / ١٩٨٠ م .
- ديوان ابي قيس بن اسلت الاوسي / جمع وتحقيق د . حسن محمد
باجودة دار التراث القاهرة ١٩٧٣ م .
- ديوان الاسود بن يعفر جمعه د / نوري حمودي القيسي / سلسلة
كتيب التراث ببغداد .
- ديوان الاعشى الكبير / ميمون بن قيس شرح وتعليق د . محمد محمد
حسين الناشر مكتبة الاداب بالجاميز المطبعة النموذجية بدون .
- ديوان امرى القيس تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم الطبعة الرابعة
دار المعارف القاهرة .
- ديوان امية بن أبي الصلت صنعة الدكتور عبد الحفيظ السطلي / الطبعة الثانية
١٩٧٧ م ، المطبعة التعاونية دمشق .
- ديوان أوس بن حجر / تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم دار صادر
و دار بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي / تحقيق الدكتور عزة حسن ١٣٧٩ هـ /
١٩٦٠ م من مطبوعات مديرية احيا التراث القديم / دمشق .
- ديوان تأبط شرا واخباره جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاعر
دار الغرب الاسلامي الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- ديوان حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي (٥٤٠ - ٥٤ هـ)
تحقيق الدكتور وليد عرفات ١٩٧٤ م دار صادر بيروت .
- ديوان حسان بن ثابت تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين ومراجعة
حسن كامل الصيرفي ١٩٧٤ م . الهيئة العامة المصرية للكتاب
- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني تحقيق نعمان
امين طه الطبعة الاولى ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- ديوان خفاف بن ندبة السلي جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودى القيسي
١٩٦٧ م مطبعة المعارف بغداد .
- ديوان دريد بن الصمة الجشمي جمع وتحقيق الدكتور محمد خير البقاعي
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م دار قتيبة دمشق .
- ديوان رؤبة بن ربيعة بتحقيق وليم بن الورد البروسي من كتاب مجموع اشعار
العرب الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ديوان زيد الخيل الطائي صنعة الدكتور نوري حمودى القيسي /
مطبعة النجف الاشرف . بدون .
- ديوان سحيم بن عبد بنى الحساس تحقيق الاستاذ عبد العزيز الميمني
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م
والدار القومية للطباعة والنشر/ القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .
- ديوان سلامة بن جندل السعدى / تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة
الطبعة الاولى ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م المكتبة العربية حلب .
- ديوان السمؤال مع ديوان عروة بن الورد . دار صادر بيروت
١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م بيروت .
- ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي واخباره صنعة يحيى بن مدرك
الطائي رواية هشام بن محمد الكلبي دراسة وتحقيق الدكتور
عادل سليمان . مطبعة المدني القاهرة . بدون .

- ديوان شعر الحادرة تحقيق وتعليق الدكتور ناصر الدين الاسد
دار صادر / بيروت ١٣٩٣هـ / ٠١٩٧٣م
- = ديوان شعر الخرنق بنت بدر بن هفان تحقيق الدكتور حسين نصار
مطبعة دار الكتب ٠١٩٦٩م
- ديوان شعر المتلمس الضيعي تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٣٩٠هـ/
١٩٧٠م من منشورات معهد المخطوطات العربية بجامعة
الدول العربية .
- ديوان شعر المثقب العبدى تحقيق حسين كامل الصيرفي ١٣٩١هـ/
١٩٧١م معهد المخطوطات العربية .
- ديوان طرفة بن العبد شرح الاعلام الشنتمرى (٤١٠ - ٤٧٦هـ)
تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال من مطبوعات مجمع
اللغة العربية دمشق ١٣٩٥هـ - ٠١٩٧٥م
- ديوان طفيل الغنوى (٠٠٠ - نحو ١٣ ق. هـ) تحقيق محمد عبد
القادر احمد بيروت دار الكتاب الجديد ٠١٩٦٨م
- ديوان عامر بن الطفيل (رواية الانبارى عن ثعلب) (دار صادر
و دار بيروت ١٣٨٣هـ / ٠١٩٦٣م
- ديوان العباس بن مرداس السلمي (٠٠٠ - ١٨هـ) جمع وتحقيق
يحيى الجبورى وزارة الثقافة والاعلام بفداد ١٣٨٨هـ / ٠١٩٦٨م
- ديوان عبدالله بن رواحة دراسة في سيرته وشعره / د. وليد قصاب
دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢هـ / ٠١٩٨٢م
- ديوان عبيد بن الابرس دار بيروت و دار صادر ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م
بيروت .

- ديوان عبيد بن الابرص تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار الطبعة
الاولى ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م مطبعة الحلبي مصر .
- ديوان العجاج عبدالله بن ربيعة (. . . . - نحو ٩٠ هـ) رواية الاصمعي
وشرحه تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي مكتبة اطللس دمشق
المطبعة التعاونية ١٩٧١م
- ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت يعقوب بن اسحاق (. . . . - ٢٤٤)
تحقيق عبد المعين الملوحي ١٩٦٦م .
- ديوان علقمة الفحل تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب دار الكتاب
العربي حلب الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي صنعة هاشم الطعان / سلسلة كتب
التراث دمشق . بدون .
- ديوان عنتر بن شداد تحقيق وشرح عبد المنعم شلبي / المكتبة
التجارية القاهرة .
- ديوان قيس بن الخطيم تحقيق د . ناصر الدين الاسد الطبعة الاولى
١٣٨١هـ / ١٩٦٨م مطبعة المدني القاهرة .
- ديوان ليلى بن ربيعة بتحقيق د . احسان عباس الطبعة الثانية ١٩٨٤م .
حكومة الكويت مصورة .
- ديوان لقيط بن يعمر الايادي تحقيق عبد المعين خان مؤسسه
الرسالة بيروت لبنان ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- ديوان المعاني لابي هلال العسكري صححه الاستاذ كرنكو مكتبة القدسي
١٣٥٢هـ القاهرة .

- ديوان معن بن أوس المزني جمع الدكتور نوري حمودي القيسي
وحاتم الضامن دار الجاحظ بغداد ١٩٧٧م الطبعة الاولى .
- ديوان النابغة الذبياني تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية
دار المعارف . بدون .
- ديوان المهذليين / الطبعة الاولى ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م مطبعة دار الكتب
المصرية القاهرة .
- ذيل اللالي شرح ذيل الامالي والصلة وذيله وتنبيه على اغلاطه المعدودة
فيهما لعبد العزيز الميمني ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م مطبعة لجنة
التاليف والترجمة والنشر / القاهرة .
- ذيل الامالي والنوادر تاليف ابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي
بعناية محمد عبد الجواد الاصمعي دار الكتاب العربي بيروت
لبنان . بدون .
- رسائل البلغاء جمعها محمد كرد علي الطبعة الثالثة ١٣٣١هـ ١٩١٣م
مطبعة دار الكتب العربية الكبرى / القاهرة .
- رغبة الامل من كتاب الكامل تاليف العلامة اللغوي الكبير سيد بن علي العرصني
الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م مكتبة دار البيان بغداد .
- الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام (لابي القاسم عبد
الرحمن بن احمد بن ابي الحسن الخثعمي السهيلي -
(٥٠٨ - ٥٨١ هـ) (١١١٤ - ١١٨٥) تقديم وضبط
طه عبد الرؤوف سعد مكتبة الكليات الازهرية القاهرة
١٩٧٢م / ١٩٧٣م

- زهر الاداب وثمر الالباب لابي اسحاق بن ابراهيم بن علي الحصرى
القيرواني (٠٠٠ - ٤٥٣ هـ) شرح و ضبط الدكتور زكي
مبارك الطبعة الثالثة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م المطبعة الرحمانية
نشر المكتبة التجارية .
- شرح العميون في شرح رسالة ابن زيدون تاليف جمال الدين بن نباته
المصرى (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م دار الفكر العربي القاهرة .
- سمط اللالى في شرح امالي القاضي لابي عبيد البكرى تحقيق عبد العزيز
الميمنى ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر
القاهرة .
- السيرة النبوية لابن هشام حققها وضبطها وشرحها مصطفى السقا و ابراهيم
الابيارى و عبد الحفيظ شلبي الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م
مطبعة الحلبي القاهرة .
- شجرة الدر لابي الطيب اللغوى (عبد الواحد بن علي ٠٠٠ - ٣٥١ هـ)
تحقيق محمد عبد الجواد دار المعارف مصر ١٩٥٧ م .
- شرح اشعار الهد ليين لابي سعيد السكرى / الحسن بن الحسين
(٠٠٠ - ٢٧٥ هـ) تحقيق عبد الستار احمد فراج ومراجعة
محمود محمد شاكر دار العروبة القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .
- شرح ديوان حسان بن ثابت الانصارى لعبد الرحمن البرقوقي المكتبة
التجارية مصر مطبعة السعادة / بدون .
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ابي علي احمد بن محمد بن الحسن
(٠٠٠ - ٤٢١ هـ) نشر احمد امين و عبد السلام هارون
الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م القاهرة .

- شرح ديوان الحماسة لابي زكريا يحيى بن علي التبريزي الشهير بالخطيب
طبعة بولاق ١٢٩٦ .
- شرح شعر زهير بن أبي سلع طبعة دار الكتب المصرية القاهرة
١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م .
- شرح القصائد العشر للإمام الخطيب ابي زكريا يحيى بن علي التبريزي
ضبطه وصححه الاستاذ عبد السلام الحوفي بدون .
- شرح التعليقات السبع تأليف ابي عبدالله الحسين بن احمد الزوزني
دار الجيل بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- شرح المفضليات لابي محمد القاسم بن محمد بن بشار الانباري -
تحقيق كارلوس يعقوب لايل ، مطبعة الالباء اليسوعيين /
بيروت ١٩٢٠م .
- شعر ابي دواد الايادي من كتاب دراسات في الادب العربي
لفوستاف غرونباوم / باشراف الدكتور محمد يوسف نجم
نشر دار مكتبة الحياة وموسسة فرنكلين / بيروت نيويورك ١٩٥٩م .
- شعر ابي زيد الطائي ، جمعه وحققه د . نوري حمودي القيسي ،
مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٧م .
- شعر الحرب في العصر الجاهلي تأليف الدكتور علي الجندي الطبعة
الثالثة ١٩٦٦م مكتبة الجامعة العربية / بيروت .
- شعر خدش بن زهير العامري جمع وتحقيق وشرح الدكتور رضوان محمد
حسين النجار مجلة كلية اللغة العربية / جامعة الامام محمد
ابن سعود الاسلامية ١٤٠٤هـ /
- شعر ربيعة بن مقروم الضبي صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي
مطابع الحكومة ببغداد ١٩٦٨م .
- شعر زهير بن ابي سلع صنعة الاعلم الشنتمري تحقيق الدكتور فخر الدين
قباوة ، دار الافاق الجديدة بيروت / الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- شعر عمرو بن شأس الاسدي للدكتور يحيى الجبوري جامعة بغداد
١٩٧٦م مطبعة النجف الاشرف / بغداد .

- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي / جمعه وحقه مطاع الطرابيشي ١٣٩٤هـ
١٩٧٤م مطبوعات مجمع اللغة العربية / دمشق .
- شعر النمر بن تولب صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي جامعة بغداد
مطبعة دار المعارف ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م بغداد .
- شعراء النصرانية قبل الاسلام جمعه ونسقه لويس شيخو اليسوعي ،
الطبعة الثانية ١٩٦٧م المطبعة الكاثوليكية بيروت .
- الشعر الجاهلي - نصوص ودراسات للدكتور محمد عويس / مكتبة
الكلية بأسبوط (بدون) .
- الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي للدكتور عفيف عبد الرحمن الطبعة
الاولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م دار الاندلس بيروت لبنان .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ١٩٦٦م
دار المعارف بمصر .
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم / للقاضي نشوان بن
سعيد الحميري تصحيح القاضي عبدالله بن عبد الكريم الجرافي
اليمني عالم الكتب بيروت .
- الصحاح / تاج اللغة وصحاح العربية / تاليف اسماعيل بن حماد الجوهري
تحقيق احمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين بيروت
الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- صفة جزيرة العرب للهمداني (٣٣٤ - ٠٠٠) تحقيق محمد بن علي
الاكوع الحوالي دار اليمامة للبحث والتاليف والترجمة والنشر /
الرياض ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- صفة جزيرة العرب للهمداني بتحقيق محمد بن عبدالله بن بليهد
النجدي مطبعة السعادة مصر ١٩٥٣م .

- صناجة الطرب / نوفل الطرابلسي الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
دار الرائد العربي .
- طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي (١٣٩ - ٢٣١) قرأه
وشرحه محمود محمد شاكر مطبعة المدني بالقاهرة .
- الطرائف الادبية / صححه وخرجه وزيه عبد العزيز الميمني الرجكوتي
دار الكتب العلمية ١٩٣٧م بيروت لبنان .
- العباب الزاخر واللباب الفاخر / تاليف الحسن بن محمد بن الحسن
الصفاني (٥٧٧ - ٦٥٠) بتحقيق الشيخ محمد حسن
ال ياسين دار الرشيد بغداد ١٩٨١ ح
- كتاب العرب لابن قتيبة من مجموعة رسائل اللفاء جمعها محمد
كرد علي طبعة دار الكتب العربية مصر ١٣٣١هـ / ١٩١٣م
الطبعة الثانية .
- العرب قبل الاسلام / جرجي زيدان دار الحياة بيروت لبنان ١٩٧٩م .
- العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي الدكتور احسان النص
دار الفكر الطبعة الثانية ١٩٧٣م .
- العصر الجاهلي د . شوقي ضيف الطبعة الثامنة ١٩٧٧م دار المعارف
بمصر .
- العقد الفريد تاليف الفقيه احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي -
(٣٢٨ - ٠٠٠ هـ) بتحقيق محمد سعيد العريان دار الفكر .
- العمدة في محاسن الشعر ودابه ونقده تاليف ابي الحسن بن رشيق
القيرواني الازدي تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبدالحميد .
- عيون الاخبار لابن قتيبة (ابي محمد عبدالله بن مسلم) (٠٠٠ - ٢٧٦هـ)
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م

- الفاخر لابي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (٠٠٠ - ٢٩١) تحقيق
عبد العليم الطحاوي ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م الطبعة الاولى
دار احيا الكتب العربية .
- فجر الاسلام احمد امين الطبعة السابعة مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م .
- الفخر والحماسة لحنا الفاخوري الطبعة الثانية ١٩٦٨م دار المعارف
مصر .
- الفروسية في الشعر الجاهلي للدكتور نوري حمودي القيسي عالم الكتب
ومكتبة النهضة العربية بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- فقه اللغة وسر العربية للامام ابي منصور اسماعيل الثعالبي النيسابوري
(٠٠٠ - ٤٢٩هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان . بدون .
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي د . شوقي ضيف الطبعة العاشرة
دار المعارف القاهرة ١٩٧٨م .
- في رياض الادب للدكتور فتحي محمد أبو عيسى / طبعة الجهاز
المركزي للكتب الجامعية والمدرسية ١٩٧٧ .
- في النقد الادبي للدكتور شوقي ضيف الطبعة الرابعة
دار المعارف القاهرة .
- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي
الطبعة الاولى ١٣٣٠هـ / المكتبة الحسينية القاهرة .
- قصائد جاهلية نادرة د . يحيى الجبوري الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
- قصص العرب تاليف محمد احمد جاد المولى و محمد أبو الفضل ابراهيم
وعلى محمد البجاوي الطبعة الرابعة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م
دار احيا الكتب العربية القاهرة .

- القضايا الأدبية والفنية في شرح المرزوقي لديوان الحماسة للدكتور
فتحي محمد أبو عيسى - دار المعارف مصر ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م
- كتاب القلب والابدال / لأبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت من كتاب
الكنز اللغوي في اللسان العربي .
نشر وتعليق الدكتور أوغست هفتر المطبعة الكاثوليكية
بيروت / ١٩٠٣م
- الكامل في التاريخ للإمام العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد
ابن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير (٦٣٠ - ٠٠٠)
راجعته نخبة من العلماء . نشر دار الكتاب العربي بيروت
لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون حاجي خليفة / دار الفكر
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لأبي اسحاق الأجدى الطبعة الأولى
١٣٢٣هـ المطبعة الخيرية القاهرة .
- لباب الاداب / تأليف الامير اسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤هـ)
تحقيق احمد محمد شاکر ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م المطبعة
الرحمانية مصر .
- لسان العرب لابن منظور - نشر دار صادر ودار بيروت ١٩٥٥م
- المبهج في تفسير اسما شعراء ديوان الحماسة لأبي الفتح عثمان بي
أبي جني (٣٩٢ - ٠٠٠) دمشق مكتبة القدسي ١٣٤٨هـ
- مجالس ثعلب لأبي العباس احمد بن يحيى ثعلب (٢٠٠ - ٢٩١هـ)
شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الثانية ١٩٦٠
دار المعارف .

- مجمع الامثال لابي الفضل احمد محمد النيسابوري دار الفكر للطباعة
والنشر بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م
- مجمل اللغة صنفه احمد بن فارس (٠٠٠٠ - ٣٥٠هـ) وحققه الشيخ
هادي حسن حمودي من منشورات معهد المخطوطات العربية
الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
- مجموعة المعاني / الطبعة الاولى ١٣٠١هـ / مطبعة الجوائب
القسطنطينية .
- المحبر لابن حبيب (٠٠٠٠ - ٢٤٥هـ) بتصحيح الدكتور ايلزه ليختن
شتيتر الامريكية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م
- المحكم والمحيط الاعظم في اللغة تاليف علي بن اسماعيل بن سيدة
(٠٠٠٠ - ٤٥٨هـ) تحقيق مصطفى السقا والدكتور حسين نصار
الطبعة الاولى ١٣٧٧هـ / ١٩٢٨م الحلبي / مصر .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر لابي الحسن علي بن الحسين بن
علي المسعودي (٠٠٠٠ - ٣٤٦هـ) تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد الطبعة الخامسة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م -
دار الفكر .
- المزهر للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن شرح محمد احمد جاد المولى
ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد الهجاوي الطبعة الثالثة
دار احياء الكتب العربية القاهرة بدون .
- المسلسل في غريب لغة العرب لابي الطاهر محمد بن يوسف بن عبدالله
التميمي (٠٠٠٠ - ٥٣٨هـ) تحقيق محمد عبد الجواد / بدون .
- المعاني الكبير في ابيات المعاني لابي محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة
(٠٠٠٠ - ٢٧٦هـ) تقديم وتصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلي
الطبعة الاولى ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م دائرة المعارف العثمانية حيدر
آباد الدكن الهند .

- معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي
الرومي البغدادي (٠٠٠ - ٦٢٦ هـ) تصحيح وترتيب محمد
امين الخانجي الطبعة الاولى اختتام سنة ١٣٢٣ هـ وافتتاح
١٩٠٦ م مطبعة السعادة بمصر .
- معجم الشعراء للامام ابي عبدالله محمد بن عمران العريزي (٠٠٠ - ٣٨٤ هـ)
الطبعة الاولى تصحيح وتعليق أ. د. ف. كركنو عنيت بنشره
مكتبة القدسي ودار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية
١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- معجم ما استعجم من اسما البلاد والمواضع لابي عبيد البكري (٠٠٠ - ٤٨٧ هـ)
تحقيق مصطفى السقا الطبعة الاولى ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م)
القاهرة .
- معجم متن اللغة للشيخ احمد رضا دار مكتبة الحياة / بيروت ١٣٧٧ هـ /
١٩٥٨ م .
- معجم مقاييس اللغة لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (٠٠٠ - ٣٩٥ هـ)
بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون الطبعة الاولى ١٣٦٦ هـ
دار احيا الكتب العربية بالقاهرة .
- المعمرون والوصايا لابي حاتم السجستاني (٠٠٠ - ٢٥٠ هـ) (٠٠٠ - ٨٦٤ هـ)
تحقيق عبد المنعم عامر ١٩٦١ م ، دار احيا الكتب العربية بالقاهرة .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام / ^{للكلثوم} جوان علي دار العلم للملايين بيروت
لبنان ومكتبة النهضة بغداد الطبعة الاولى ١٩٦٨ م .
- المفضليات اخبار المفضل محمد بن يعلى الضبي تحقيق وشرح احمد
محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون الطبعة السادسة بيروت
لبنان . بدون .

- مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر الطبعة الاولى
١٣٢٢ هـ المطبعة الخيرية القاهرة .
- المقرب تاليف علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (٠٠٠ - ٦٦٩ هـ)
تحقيق احمد عبد الستار الجوارى وعبدالله الجبوري الطبعة
الاولى ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م احيا التراث الاسلامي بغداد
مطبعة العاني .
- اختيار من كتاب المتع في علم الشعر وعمله لعبد الكريم النهشلي
القيرواني تقديم وتحقيق الدكتور منجى الكمي الدار العربية
للكتاب ليبيا تونس ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .
- المنصفات جمعها وحققها عبد المعين الملوحي دمشق ١٩٦٧ م
مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي .
- من قيثاره الشعر العربي د . فتحي محمد ابو عيسى دار المعارف
القاهرة ١٩٨٠ م .
- المنمق لابن حبيب بعناية خورشيد احمد فاروق الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ
١٩٦٤ م مطبعة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن / الهند .
- الموازنة بين شعرا بي تمام والبحتري لابي القاسم الحسن بن بشر
الامدي تحقيق السيد احمد صقر الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ /
١٩٧٢ م دار المعارف بمصر .
- مواسم الادب واثار العجم والعرب للسيد جعفر بن السيد محمد البيتي
العلوي الطبعة الاولى ١٣٢٦ هـ مطبعة السعادة مصر .
- المؤء تلف والمختلف في اسماء الشعراء وكناهم والقابهم وانسابهم
وبعض شعرهم للامام ابي القاسم الحسن بن بشر الامدي
(٠٠٠ - ٣٧٠ هـ) بتصحيح وتعليق أ . د . فد كرتكو
عنيت بنشره للطبعة الاولى مكتبة القدس الطبعة الثانية .
١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

- موسوعة الشعر العربي اختارها وشرحها وقدم لها مطاع الصفدى
وايليا حاوى تحقيق وتصحيح احمد قدامة شركة خياط للكتب
بيروت لبنان ١٩٧٤م .
- الموشح في ماخذ العلماء على الشعراء تاليف ابي عبدالله محمد
ابن عمران المرزباني (٠٠٠ - ٣٨٤ هـ) جمعية نشر الكتب
العربية القاهرة ١٣٤٣هـ / المطبعة السلفية .
- نظام الغريب في اللغة . عيسى بن ابراهيم الربيعي الانطاقي الحميري
(٠٠٠ - ٤٨٠ هـ) تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي ،
دار المأمون بيروت دمشق ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- النقائص طبع ليدن ١٩٠٥م .
- نقد الشعر العربي لابي الفرج قدامة بن جعفر تحقيق وتعليق
محمد عبد المنعم خفاجي الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
مكتبة الكليات الازهرية القاهرة .
- النقد العربي ومناهجه للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة
الكليات الازهرية القاهرة ١٩٧٥م .
- نكت الهميان للصفدى / القاهرة ١٩١٠م .
- نهاية الارب في فنوب الادب / لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب
النويرى (٦٧٧ - ٧٣٣) نسخة مصورة عن طبعة دار
الكتب .
- النوادر لابي مسحل الاعرابي عبد الوهاب بن حريش تحقيق د . عزة
حسن مجمع اللغة العربية دمشق ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .
- النوادر في اللغة لابي زيد سعيد بن اوس بن ثابت الانصارى
(٠٠٠ - ٢١٥ هـ) الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م دار
الكتاب العربي / بيروت لبنان .

- الوحشيات لابي تمام تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي .
- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابي العباس شمس الدين احمد
- ابن ابي بكر بن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) تحقيق الدكتور
- احسان عباس ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م دار صادر بيروت .

*

المخطوطات :

- تذكرة ابن حمدون
- مخطوطة مصورة بالميكروفيلم في مركز البحث العلمي بجامعة
- ام القرى تحت رقم ٦٧٧ أدب .
- منتهى الطلب من اشعار العرب لمحمد بن المبارك بن ميمون البغدادي
- (حوالي ٥٢٩ - قبل ٦٥٦ هـ) مخطوطة مصورة بالميكروفيلم
- في مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم أدب .

*

الدوريات :

- جريدة الشرق الاوسط ، جريدة يومية تصدر في لندن / الثلاثاء
- ٧ ذى الحجة ١٤٠٦ هـ ١٢ اغسطس ١٩٨٦م ص ١٣ .
- مجلة الاقلام تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي / بغداد العدد
- السادس رمضان ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م .

- مجلة الأمة ص ٢٠ العدد ٦ السنة الخامسة ، ذوالحجة ١٤٠٥هـ
تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة
قطر .
- مجلة كلية اللغة العربية / بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
العدد عام ١٤٠٤هـ .

فهرس الموضوعات

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
أ - ز	المقدمة
٢٨ - ١	التمهيد والمدخل
٢	البيئة الجغرافية
٩	البيئة الاقتصادية
١٥	البيئة الاجتماعية
٢٣	السيادة والرياسة في القبيلة
٣٠	العصبية القبلية
٣٩	الباب الأول : (الحماسة في الشعر الجاهلي)
٤٠	الفصل الأول : أبعاد الحماسة وغاياتها
٤١	الحماسة بين المدلول اللغوي والمفهوم الأدبي
٤١	أولاً : المدلول اللغوي وغاياته
٤٩	غايات الحماسة اللغوية
٤٩	الشدة
٥١	الشجاعة
٥٢	الغضب
٥٣	الانفعال الشديد
٥٣	الاعتقال
٥٤	الورع في الدين
٥٥	الحرمة
٥٦	الوقوع في الضلال والشر والهلكة

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٥٧	ثانيا : المفهوم الأدبي للحماسة
٦٧	الفصل الثاني : دوافع الحماسة والحرب
٦٨	الحماسة والحرب
٩٥	دوافع الحماسة
١١١	الفصل الثالث : مجالي الحماسة وغاياتها
١١٢	مدخل في البيان والشعر ومنزلتهما في نفوس العرب
١١٤	وظيفة الشعر والشاعر في القبيلة
١١٦	مجال الحماسة في الشعر الجاهلي
١١٧	مظاهر الحماسة القولية في الشعر
١٢٤	مظاهر الحماسة الفعلية في الشعر
١٣٤	أغراض الشعر الحماسي والحربي
١٣٤	أهمية الشعر الحماسي
١٣٩	الحث على الحرب وانذار القوم
١٤١	المبالغة في تصوير المعاني الحماسية
- ١٤٧	الباب الثاني : (المنصفات في الشعر الجاهلي)
١٤٨	تمهيد
١٤٩	المنصفات من وجهة النظر اللغوية
١٥٥	المنصفات من وجهة النظر الأدبية
١٦٠	مظاهر الانصاف في حياة العرب
١٨٢	الفصل الأول - الانصاف في الحرب
١٨٣	تمهيد
١٨٤	أ - الدعوة للسلم ونبذ الحرب
١٩٢	ب - التقرير بأن الحرب تصيب الطرفين

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٩٥	ج - امحاض العداوة
١٩٨	د - التكافؤ
٢١٣	هـ - انصاف الاقرباء
٢٢٤	و - انصاف القرن
٢٢٤	أولا : امتداح شجاعته و بطولته وسيادته
٢٣٣	ثانيا : انصاف القاتل للمقتول
٢٣٨	ثالثا : انصاف المقتول لقاتله
٢٣٩	ز - تقدير الخصوم والتنويه بآسهم وشجاعتهم
٢٤٨	ح - الوصف الصادق
٢٥٩	ط - انصاف الظافر للمنهزم
٢٦٣	ي - انصاف المهزوم لهازمه
٢٧٢	ك - الاعتراف بالمهزيمة
٢٩٠	ل - الاسر ومعاناته
٢٩٣	م - رثاء العدو وغير القوم
٢٩٧	الفصل الثاني - الانصاف الاجتماعي
٢٩٨	رواية الشعر المنصف للحياة
٣١١	أ - الانصاف في نطاق القبيلة
٣١١	أ - انصاف القبيلة والعشيرة
٣١٤	ب - الانصاف الذاتي
٣١٤	أولا : تفرق القوم
٣١٦	ثانيا : هجاء القوم
٣٢١	ثالثا : سوء معاملة القوم
٣٢٦	ج - انصاف ذوى القربى (ابن العم)

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣٣٨	٢ - الانصاف في المعاملة خارج نطاق القبيلة
٣٤٤	أ - انصاف الصداقة والصديق
٣٤٨	ب - الانصاف في معنى الاعتراف بالجميل
٣٥٥	الفصل الثالث : الانصاف السياسي
٣٥٦	تمهيد
٣٦١	١ - الانصاف السياسي والاحلاف والجوار
٣٦١	أ - الاحلاف
٣٦٦	ب - الجوار
٣٧٣	٢ - الانصاف السياسي والاصلاح
٣٧٣	أ - المصلحون ووسائلهم
٣٧٥	ب - مساعي الصلح
٣٧٩	٣ - الانصاف السياسي والملوك
٣٨٦	التشفع عند الملوك
٣٨٦	طرقه
- ٣٩٣	الباب الثالث : (المنصفات من وجهة النظر النقدية)
٣٩٤	الفصل الاول - دراسة فنية تحليلية
٣٩٥	منصفة المفضل النكري
٣٩٥	ترجمة الشاعر
٣٩٥	دراسة تحليلية للمنصفة
٤٠٩	منصفة عمرو بن البراقة
٤٠٩	ترجمة الشاعر
٤٠٩	دراسة تحليلية للمنصفة

الصفحة

الموضوع

٤٢٣

منصفة امرؤ القيس السكوني

٤٢٣

ترجمة الشاعر

٤٢٣

دراسة تحليلية للمنصفة

٤٢٨

الفصل الثاني : المنصفات في موازين النقد الأدبي

٤٦٥

الخاتمة والنتائج

٤٧٠

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

٤٩٦

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

<u>الصفحة</u>	<u>السورة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٧٨	البقرة	٣٠	"وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم ما لا تعلمون "
			"يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون "
٣٩٩	المائدة	٨	"لا تقتلنك "
٧٧	=	٢٩	" فطومت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين "
٧٧	=	٣١	" كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله "
١٣٣	=	٦٤	" يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والعيسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون "
٢٩٩	=	٩٠	" ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم "
٧٧	هود	١١٩/١١٨	" لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون "
٣١	يوسف	١٤	" ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وايامكم "
١٣	الاسراء	٣١	" والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون "
١٨	العنكبوت	٥٢	" إنه كان ظلوماً جهولاً "
١٦٧	الأحزاب	٧٢	

<u>الآية</u>	<u>رقمها</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>
" لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور "	١٥	سبأ	١١
" وانا أواياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين "	٢٤	=	١٨
" ان جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية "	٢٩	الفتح	٣٢
" افرايتم اللات والعزى "	١٩	النجم	١٩٩
" فليدع ناديه "	١٧	العلق	٢٢
" لا يلاف قريش ايلا فهم رحلة الشتاء والصيف "	٢٤١	قريش	١١

*

فهرس الآحاد يك النبوية

<u>الحديث</u>	<u>الصفحة</u>
العصبية (أن تعين قومك على الظلم)	٣٢
(اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا)	١٥٠

فهرس الشعراء

(أ)

٣٣١	:	أبي بن حمام بن قراء العبسي
٢٩٤٠ ٢٠٩	:	الاجدع بن مالك الهمداني
١٦٤	:	الاجرد الثقفي
٣	:	الاخنس بن شهاب التغلبي
٢٨٤	:	ازهر بن هلال التميمي
٣١٦٠ ٨٧	:	الاسعر الجعفي (مرثد بن ابي عمران)
١٦٦	:	ابوالاسود الكناني
١٦٥	:	الاسود بن يعفر
١٤٣	:	الاشعر البلوي
٢٥٢	:	الاشهب بن الحارث بن هزلة الخنوي
انظر (حرثان بن الحارث)	=	ذوالاصبع العدواني
٣٤٧٠ ٣٣٩٠ ٣٢٤	:	الاضبط بن قريع السحدي
٣٢٩٠ ٢٣٤٠ ٢٣٣٠ ١٧٤٠ ١٤٤	:	الاعشى (ميمون بن قيس)
٤٥٢٠ ٣٨٨٠ ٣٤١٠ ٣٣٠	:	
٣٤٤	:	الاعشى الباهلي
انظر قيس بن بجرة	=	اعشى بن اسد
انظر حبيب بن عبد الله	=	الاعلم الهذلي
٣١٩٠ ٣٠١٠ ٢٦٠٠ ٢١٦٠ ١٦٤	:	الافوه الاودي
٣٧٧٠ ٣٧٦٠ ٣٤٥٠ ٣٢١٠ ٣٢٠	:	
٢٧٥	:	امراة من غامد
٢٢٦٠ ١٩٧٠ ١٩٤٠ ١٥٢٠ ١٠٨	:	امروء القيس
٣٣٢٠ ٣١١٠ ٣٠٣٠ ٣٠٢٠ ٣٠١	:	
٤٢٤٠ ٣٣٩	:	

- ٤٢٣ ، ٤٢٥ : امروء القيس عمرو بن الحارث السكوني
١٩٥ : امروء القيس بن كلاب العقيلي
٨٦ ، ٩٠ ، ١٥١ ، ٣٠٥ : امية بن ابي الصلت
١٢١ : انيف بن حكم النبهاني
١٧٨ : اوس بن تميم
٢٤٦ ، ٢٧٤ ، ٣٣٢ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ : اوس بن حجر

(ب)

- ٢٤٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٤٦٤ : البراء بن قيس الكندي
٤٥٣ ، ٤٦٤ : البراض
٢٩٢ (وانظر عمرو بن براق) : ابن براق الشمالي
٢٨ ، ١٤٠ : يشامة بن الغدير
٧٣ ، ٩٣ ، ٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٣٨ : بشر بن ابي خازم
٢٣٩ ، ٢٧٣ ، ٣٥٩ : بشر بن عمرو بن مرثد
٩٦ ، ٢٩٨ : بقبلة الاكبر
٢٤٨ : بلعاء بن قيس الكناني
١٩٠ : بيهس العذري
٢٣٧ :

(ت)

- ٢٨٥ ، ٣٤٧ : تأبط شرا
تماضر بنت عمرو بن الشريد = (انظر الخنساء)
١١٣ : ابوتمام (حبيب بن اوس الطائي)

(ث)

- ٣٤٤ : ثعلبة بن عمرو العبدي
٢٨٠ : ابو ثمامة الضبي
٢٤٩ : ثوب بن النار اليشكري

(ج)

- جابر بن جنى التغلبي : ٣٧٩٠ ٣١٥٠ ١٠٢٠ ٧٢
جبار بن مالك بن حمار بن حزن الفزاري : ٢١٤
جزء بن ضرار : ١٢٥
الجعفي : ١١٩
الجميع الاسدي : ٣٥٤
ابو جندب الهذلي : ١٥٣
جواس بن نعيم الضبي : ٣١٩
جويرة بن بدر : ٣٩٠٠ ٣٠٧

(ح)

- ابن الحائك : ٢٤٢
حاتم طيء : ٣٦٩٠ ٣٤٠
حاجب بن حبيب الاسدي : ٢٠١
حاجز بن عوف الازدي : ٢٨٦٠ ٢٧٢٠ ٢٣٤٠ ٢٠٦٠ ٢٠٢
الحادرة = انظر قطبة بن اوس
الحارث بن زهير العبسي : ١٦٦
الحارث بن عباد : ٢٥٥٠ ٢٣٩
الحارث بن ظالم الموي : ٢٣٠
الحارث بن هشام : ٢٨٠
الحارث بن ولاة الجرمي : ٢٨٥٠ ٢٨٤٠ ٢٦٩٠ ٢١٧
٣٤٢٠ ٢٩١
الحارث بن يزيد : ٦٢
حياب بن افصى العجلي : ٢٣٦
حبيب بن عبد الله الهذلي (الاعلم) : ٢٨٩٠ ٢٨٨٠ ٢٩

- الحجاف : ٢٦٠
- حجل بن عمرو الخثعمي : ٢٣٧
- الحجيبة : ٢٥٦
- حرثان بن الحارث (نوالاصبع العدواني) : ١٠٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٣
- حرقة بنت النعمان بن المنذر : ٣٥٩
- حسان بن ثابت : ٢١ ، ٢٦ ، ١٨٠ ، ١٨١
- حسبا بن سجيح الضبي : ١٢٢
- الحصين بن الحمام العري : ١٨ ، ٧٦ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ٢٢١
- ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٦١ ، ٣٤٢
- الحطيئة : ٢٤٣ ، ٢٦٨
- حكمة بن قيس الكناني : ١٨٧ ، ٢٠٤
- حليس بن مشمت (المخبل الضبي) : ٢١٣
- حنظلة بن ثعلبة : ١٣٩
- ابو حوط نوالحظائر : ٣٨٦
- (خ)
- خالد بن زهير الهذلي : ١٧٢
- خالد بن غراب السكوني : ٢١٨
- خداش بن زهير العامري : ٦٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٤٥ ، ٢٦٠
- ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٣٤١ ، ٤٤٠
- ٤٤١ ، ٤٥٠
- خراشة بن عمرو المبسي : ٣٥٨
- ذوالخرق الطهموي : ٣٤١
- الخرنق بنت بدر : ٣٥٧ ، ٣١٣
- الخصفي المحاربي : ٢٥٣ ، ٢٧٦

١٦٧ : خفاف بن مالك بن عبد يغوث التميمي :

٣٠٦ : خفاف بن ندة السلمي

١٩٣ : الخنساء

(د)

٣٣٦ : ابن الدثثة الشقي

٣٢٧، ٣٠٧ : ابود وء اد الايادي

٢٨٣، ٢٨٢، ٢٧٣، ٢٦٧، ٢٤٧ : دخنتوس بنت لقيط الدارمية

٨٨، ٩١، ١٩٣، ٢١٢، ٢٢٨، : دريد بن الصمة

٢٣٢، ٢٥١، ٢٥٢، ٤٥٣

٣٣، ٣٤٦ : دوسرين زهيل القريني

(ن)

١٩٠ : ذوء اب بن ربيعة الاسدي

١٧٢ : ابونوء يب الهذلي

(ر)

٤٢، ٤٨ : روءبة بن العجاج

٢٥ : راجز بن مالك

١٦، ٣٠٦ : راشد بن شهاب اليشكري

٢٣١ : ربيعة الاسدي

٢٥٨ : ربيعة بن مالك بن سعد التميمي

٣٣، ١٢٥، ٣٠٨ : ربيعة بن مقروم الضبي

٤٤٧ : رواش بن تميم الازدي

٢٦٢ : ربيعة بنت جذل الطعان

(ز)

- زاهر ابوكرام التيمي : ٢٣٦
زيان بن سيار المرى : ٣٤٦ ، ٢٧٤ ، ٢٦٣ ، ١٨٥
ابوزيد الطائي : ٣٣٥ ، ٣١١
الزبير بن عبد المطلب : ١٧٧
زربن أريد بن قيس : ٢١٤
زهير بن ابي سلمى : ١٢٧ ، ١٢٤ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٠
٣٧٨ ، ١٩١ ، ١٧٠ ، ١٦٢
زهير بن جناب الكبي : ١٨٩
ابن زيا به : ١٠٦
زيد الخيل : ١٢٥ ، ٨٣ ، ٧٦
زينب بنت مالك : ٢٩٣

(س)

- سبيع بن الخطيم التيمي : ٣٤٩ ، ٣٢١
سحيم - عبد بني الحساس : ٤٤٣
سراقة بن مرداس : ٢٩٣
سعد بن مالك بن ضبيعة البكري : ٢٧٧ ، ١٩٣ ، ١٠٢
سعية بن العريض : ٣٥٣ ، ٣١٢
السفاح التغلبي : ٢٥٥
سلامة بن جندل : ١١٥ ، ١٠٩ ، ١٠٠ ، ٩١ ، ٣٤
٣٤٩ ، ٢٧٣ ، ١٤٢
سلمى بنت الملق : ٢٨٢
سلمة بن الحارث الغساني : ٢٩٦ ، ٢١٩
سلمة بن الخرشب الأنماري : ٢٢٩ ، ١٦٩ ، ١٢٣
السموأل بن العريض بن عادياء : ٣٤٠ ، ١٩٣ ، ٨٨

- ١٢٩ : سنان بن أبوحارثة المري
٣٠٠ : سهم بن حنظلة الغنوي
٣٠٧ : صويد بن ابي كاهل اليشكري
٢٦٥ : صويد بن خذاق الشني
١٦٣ : صويد المرائي

(ش)

- ٢٦٠٠ ، ٢٢٠ : شبيل الفزاري
٣٦٦ : الشداخ بن يعمر الكثاني
٢٢٠٠ ، ١١٦ : الشميذر البحارثي
٣٣٨ ، ١٥٣ : الشنغري

(ص)

- ١٥٤ : صهير بن عمير
٣٠٦ : صخر بن عمرو بن الشريد
٨٧ : صخر الغي الهذلي
٣٢٢ : صريم بن معشر بن ذهل التغلبي
٣٣٨ ، ١٥٩ ، ١٢٤ ، ١٠٩ ، ١٧ : صيفي بن الاسلت (أبوقيس)

(ض)

- ٢٥٦ : ضرار بن الخطاب الفهري
٣٤٤ ، : ضمرة بن ضمرة النهشلي

(ط)

- ٣٥٢ ، ٣٢٤ : طرفة بن جذيمة بن رواحة
٣٢٨ ، ٣٢٧ ، ٣١١ ، ١٦٠ ، ١٠٦ : طرفة بن العبد

طريف العنبري (طريف بن تميم بن عمرو) : ٢١ ، ١٣٠٠ ، ١٩٥٠

١٢٦ : طفيل الخنوي

١٢٠ : ابوالطحان القيني

٨ : ابوالطيب المتبي

(ع)

عائذ بن محصن (المثقب العبدى) : ٥٨ ، ٣٤٢٠ ، ٣٨٩٠

٢٢٩ : عاصم بن الوارث

٢٨ ، ٩٧٠ ، ٩٩٠ ، ١٠٨٠ ، ١١٩٠ ، : عامر بن الطفيل

١٢٤ ، ٢٥٠٠ ، ٢٦٥٠ ، ٣٥٣٠ ،

٤٤٦ ، ٤٥٣٠

١٦٥ : العباس بن عبد المطلب

١٢٨ ، ١٩٨٠ ، ٢٢٦٠ ، ٢٤٤٠ ، ٢٦٠٠ ، : العباس بن مرداس السلمي

١٢١ ، ١٩٩٠ ، : عبد الشارق بن عبد العزى

٢٤٠ : عبد الله بن ثور العامري

٢٠٨ : عبد الله بن جذل الطعان

٩٦ : عبد الله بن جعدة

١٨٨ : عبد الله بن العجلان

٢٨ ، ٢٩٠ ، ١٢٣٠ ، ١٨٨٠ ، ٢٩٤٠ ، : عبد الله بن عنمة الضبي

٢٩٥ ، ٣٤٩٠

١٦٨ : عبد الله بن مخارق أو محارق

٢٦٦ ، ٢٨٣٠ ، ٢٩٠٠ ، ٢٩١٠ ، : عبد يغوث بن وقاص الحارثي

١٧٥ : العيسى

١٠٨ ، ١١٩٠ ، ١٢٢٠ ، ٢٤١٠ ، : عبيد بن الابرض

٣٣٠ ، ٣٨٠٠ ، ٣٨١٠ ، ٤٣٢٠ ، ٤٤٢٠ ،

- العتبي : ١٥٣
- عتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي : ١٢٠
- عتيبة بن الحارث بن مدرك البكري : ٣٨٠ ٣٧
- العجاج (عبدالله بن ربيعة) : ٥٠٠ ٤٤
- عدى بن الرعلاء الغساني : ١٩٢٠ ٩٠
- عدى بن زيد : ٣٤٨٠ ٣٤١٠ ٣٣٩٠ ٩١
- عدى بن يزيد : ٢٥٣
- عروة بن الورد : ١٣١
- عصام بن عبيد المازني : ٣٤٦
- عصمة بن حدرة اليربوعي : ١٤٥
- علقمة بن عتبة بن النعمان (الفحل) : ٣٣١٠ ٢٢٦٠ ٨٠٠ ١٤
- ٣٨٩٠ ٣٨٨٠ ٣٣٢
- عمرو بن ابي عمارة الخنيسي الازدي : ٣٦
- عمرو بن الاسود : ٣٥٨٠ ٣٥٧
- عمرو بن الاطنابة : ٣٠٨٠ ٢٥٠
- عمرو بن الاهتم : ١٦١
- عمرو بن براءة الهمداني : ٤١٠٠ ٢٦٩٠ ٢٤٤٠ ٢٠٣٠ ١٦٣
- ٤١٥٠ ٤١٤٠ ٤١٣٠ ٤١٢٠ ٤١١
- ٤٢٢٠ ٤١٩٠ ٤١٧٠ ٤١٦
- عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكري : ١٣٩
- عمرو بن حذار : ٢٥
- عمرو بن شأس : ٣٠٧٠ ٨٨
- عمرو بن حلزة اليشكري : ٣٣٩
- عمرو بن عبدالله بن حنيف (ذو الكفل الاشل) : ١٣٧٠ ١٥٠

عمرو بن عبد الله بن كعب بن الحارث (غامد) : ٢٧٣

عمرو بن قتباس : ١٧٣

عمرو بن قميثة : ٣٣٤ ، ٣٣٣

عمرو بن قيس الجشمي : ٢٣٥

عمرو بن كلثوم : ٢٠٩ ، ١٤٥ ، ١٣١ ، ٨٢ ، ٧١

عمرو بن لجأ التيمي : ٤٥

عمرو بن معد يكرب : ١٩٧ ، ١١٥ ، ١٠٧ ، ٩٢ ، ٧٦

٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٥١

٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣

عمرو بن النبيت الطائي البحتري : ٣٦

عمير بن الاهتم العبدى : ٢١٠

عمير بن الايهم التغلبي : ٣٦٧

عميرة بن جعييل : ٣١٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦

عميرة بن طارق اليربوعي : ١٢٨

عنتر بن شداد : ٦١ ، ٨٣ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٢٩

١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ٢٢٥

٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٧٨ ، ٣٤٧ ، ٤٥٠ ، ٤٥٦

ابن عنقاء الجهني : ٣٥٢

العوام بن شاذب : ٢٨٢ ، ٢٨٣

عوف بن الاحوص : ١٢١ ، ١٧٠ ، ٣٣٧ ، ٣٤٤

عوف بن عطية التيمي : ٣٤ ، ٩٢ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٢٩

١٦٤ ، ٣٣٥

عويمر بن ابي هدى : ٢٧٨

العيار بن شتيم الضبي : ٣٧١

(غ)

غامد (انظر عمرو بن عبدالله بن كعب بن الحارث)

- غراب البين الفزاري : ٢١٨
ابن غزوية المدني : ٣٢٦ ، ١٧٩

(ف)

- الفرار السلمي : ٢٨١
فروة بنت قيس بن مسعود : ١٩٢
فروة بن مسيك المرادي : ٢٦٣ ، ٧٠
فضالة بن شريك الاسدي : ١٢٥
الفضل بن العباس : ٣٢٩
ابو الفضل الكثاني : ٢٣٠
الفظ بن مالك الفساني : ٣٨٧
الفند الزماني : ١٨٥

(ق)

- قبصة الجرمي النصراني : ١٠٥
قتادة بن مسلمة الحنفي : ٢٥٣
القتال السكوني : ٢١٨
قراد السدوسي : ١٨٧
قريط بن أنيف : ٧٥ ، ٣٥
قسامة بن رواحة السنسبي : ٣٢٣
قطبة بن أوس : ٣٥٠ ، ٣٤٥ ، ٣٣٥ ، ٢٢٥
٣٦١ ، ٣٥٤
ابوقلابة الطابخي : ٢٥٢ ، ٢٢٥

ابو قيس بن الاسلت (انظر صيفي بن الاسلت)

قيس بن بجرة (أعشى بنى أسد) : ١٨٧

قيس بن جروة الطائي : ٨

قيس بن الخطيم : ٥٩ ، ٧٢ ، ٢٢٢ ، ٢٨١

قيس بن زمان بن سلمة (الموج التغلبي) : ١٣٦

قيس بن زهير العبسي : ١٦٢ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢٣ ، ٢٩٦

٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥

قيس بن عاصم المنقري : ١٢

قيس بن العيزارة او عيزارة الهذلي : ٢٩١ ، ٢٩٢

قيس بن مكشوح المرادي : ١٩٦

(ك)

كبشة (أخت عمرو بن معديكرب) : ٩٧

ابو كبير الهذلي : ٢٢٧

الكذاب الحرمازي : ٣١٦

كعب بن جعيل : ٣٢٥

ذوالكف الاشلي (انظر عمرو بن عبدالله بن حنيف) .

كنانة بن ابي الحقيق : ١٦٧

(ل)

لبيد بن ربيعة العامري : ٧ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٦٠ ، ٣٦٨

لقيط بن زرارة : ١٠٩ ، ٢٠١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠

لقيط بن يعمر الايادي : ٦٨ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ٣١٥

لقيط بن شيان : ٢٤٢

(م)

- ٢٨١ ، ٨٠ : مالك بن ابي كعب الاوسى
- ١٩٠ : مالك بن الحارث النخعي
- ٣٧١ : مالك بن حرين الهمداني
- ٢٨٣ ، ٢٦٦ ، ١٠١ : مالك بن حطان اليربوعي
- ٤٦٣ ، ٢٨٧ ، ٢١١ : مالك بن خالد الخناعي الهذلي
- ٢٠٥ : مالك بن زرعة الباهلي
- ٢٧٦ : مالك بن العجلان الخزرجي
- ٢٧٢ : مالك بن عمرو الاسدي
- ١٣٧ : مالك بن عمرو النضيري
- ٢١٩ : مالك بن عوف النصري
- ٢٤٤ ، ١٤٣ ، ٩٠ ، ٨٢ : مالك بن نويرة اليربوعي
- ١٨٨ ، ١٥٣
- ١٥١ : مالك المزموم
- ٣١٤ ، ٢١٨ ، ١٤٠ ، ٧٣ ، ٥٩ : المتلمس الضبي
- ٣٣٧ ، ٣١٨ ، ٣١٧
- ٢٣٤ : متم بن نويرة اليربوعي
- ٢٧٨ : المتكبا او المتكثك السلمي
- المتكبا العبدى (انظر عائذ بن محسن)
- ٣٦٨ : المثلم بن حذافة
- ٣٢٢ : محرز بن المكعب الضبي
- ٣٥٤ : محمد بن حمران الشريد
- المخبل الضبي انظر (حليس بن مشمت)
- ٣٠١ : مرقش الاصغر

- موقش الاكبر : ٣٠٤٠ ٢٦٤٠ ٢٣٢٠ ١١٩٠ ٨٤
- ٣٣٨٠ ٣٠٥
- ١٧٥ : مروان بن سراقه العامري
- ٣٦٩٠ ٣٣٢٠ ١٢٥ : مزرد بن ضرار الغطفاني
- ٢٢٠٠ ٢٠٤ : المسور بن زياده
- ٢٣٠٠ ١٥٣ : المسيب بن علس
- ٢٢٤ : معاوية بن اوس بن خلف اليربوعي التميمي
- ٣٧٦٠ ٣٧٥٠ ٣١٢٠ ٣٣٠ ١٤ : معاوية بن مالك (معبود الحكماء)
- ٢٢٧٠ ٢٠٣٠ ١٣١ : معقر بن حمار البارقي
- ٣٧٧٠ ١٧٢ : معقل بن خويلد الهذلي
- ٢٦١ : معقل بن عامر بن مجمع الاسدي
- ٣٣٤ : معقل بن قيس
- ٣٣٠٠ ١٧٦ : معن بن اوس
- معبود الحكماء (انظر معاوية بن مالك)
- ٢١٤ : مغلص بن لقيط السعدي
- ٢٠٩٠ ٨٩ : مفروق بن عمرو بن الاصم الشيباني
- ٣٩٩٠ ٣٩٨٠ ٣٩٧٠ ٣٩٦٠ ٢٢٣ : المفضل النكري
- ٤٠٧٠ ٤٠٥٠ ٤٠٤٠ ٤٠٢٠ ٤٠١
- مقاس المائذي (مسهر بن النعمان بن عمرو) : ٣٥٢٠ ١١٨
- ٢١٥ : مقيس بن صباة الكناني
- ٣٤١ : الممزق العبدي
- ٣٢٣ : المنخل اليشكري
- ١٩٢ : ابنة المنذر بن ماء السماء
- ١٥١ : منقذ الهلالي

مهلهل بن ربيعة : ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١١١ ، ٢٤٥ ،

٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٤٤٢ ،

الموج التغلبي (انظر قيس بن زمان) : ١٣٦

(ن)

النايعة الذبياني (زياد بن معاوية) : ٣٥ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٢٦ ،

١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ٢٤١ ،

٣٠١ ، ٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ،

٣٥٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،

٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ،

٣٩٠ ، ٣٩٢ ،

النمر بن تولب : ٣٠٠

(و)

وداك بن ثميل او - نميل - المازني : ٣٥

ورقاء بن زهير : ٢٣٧

وطلة بن الحارث الجرمي : ١٠١ ، ٣٣٦ ، ٤٦٣ ،

وفاء بن زهير المازني : ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،

(ي)

يزيد بن أنس الحارثي : ١٧٨

يزيد بن حنيفة التميمي : ١٦٠

يزيد بن خفاق الشني : ٢٦٤ ، ٣٤٢ ، ٣٧٩ ،

يزيد بن سدان بن ابي حارثة المري : ٩٩ ، ٢٥١ ،

يزيد بن الصعق الكلابي : ١٢٢

يزيد بن عبدالله بن سفيان الضبي : ١٧٧

يزيد بن عبد المدان : ١٦٦ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٨٩ ،

يزيد بن فسحم الخزرجي : ٢٩٩

فهرس الشواهد الشعرية

الصدر القافية البحر الشاعر الصفحة

(الهمزة المضمومة)

٣٣٧/١٧٠	عوف بن الاحوص	الوافر	الفناء	أقر
١٨٠	حسان بن ثابت	الوافر	الوفاء	هجرت
١٩١	زهير بن ابي سلمى	الوافر	السواء	أرونا
٢٣٣	-	الوافر	غناء	وكم
٣٢٢	محرز بن المعبرالضبي	الطويل	عناء	كسالى

(الالف المقصورة)

٨٧	الاسود الجعفي	الكامل	بغى	او اذا رأيت
١٦٣	سويد المرائى	الطويل	أتى	اضارت
٣٢٣	الاسود الجعفي	الكامل	التوى	أهلبغ
٣٦٨	وفاء بن زهير المازني	الطويل	يسعى	يناشدني

(الهمزة المكسورة)

٢٦/١٧٩/٣٦	عمرو بن النبيت (ابن غزوية المدني)	الكامل	وراءه	انى
٩٠	عدى بن الرعلاء	الخفيف	الاحياء	ليس
١٩٢	عدى بن الرعلاء	الخفيف	نجلاء	ربما

(الباء المضمومة)

٣	الاخنس بن شهاب	الطويل	جانب	لكل
١٤	علقمة بن عبدة	الطويل	طبيب	فان تسألوني

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
	(تابع الباء المضمومة)			
٢٩	-	-	اللقب	أكنيه
٣٤	سلامة بن جندل	البسيط	الظنابيب	كنا
٧٣	بشر بن ابي خازم	الطويل	رقيبيها	عطفنا
١٢٠	ابو الطحان القيني	الطويل	صاحبه	واني
١٢٥	فضالة بن شريك الاسدى	الطويل	الجلائب	اناصح
١٦٠	يزيد بن حنيفة اليميني	الكامل	يحررب	وزعمت
١٦٠	طرفة بن العبد	الكامل	تغلب	والظلم
١٦٧	خفاف بن مالك	الطويل	مذهب	ولا عزنا
١٨٨	عبد الله بن عتمة	البسيط	مقروب	ان تسالوا
٢٠٨	القتال السكوثي	الطويل	الركب	سأبكي
٢١٤	مفلس بن لقيط	الطويل	عتابها	أبقت
٢١٥	-	الطويل	يكذب	يا عمرو
٢٤١	عبيد بن الابرص	الكامل	اوعبوا	انبتت
٢٤٢	-	الكامل	ندوب	أأمام
٢٧٤/٢٤٦	اوس بن حجر	الطويل	كوكب	وصبحنا
٢٦٧/٢٤٧	دختوس بنت لقيط	الطويل	ضرابها	لعمري
٢٧٣	دختوس بنت لقيط	الطويل	غرابها	عصوا
٣٠٦	خفاف بن ندبة السلمي	الكامل	نصيب	أدع
٣٢٥	كعب بن جعيل	الطويل	مذاهبه	ندمت
٣٣٠	عبيد بن الابرص	المقارب	غريب	ساعد
٣٣٥	ابن الدثنة الثقفي	الطويل	جانبه	تبغ
٣٤٣	ذوالاصبع العدواني	الطويل	الضرائب	لكل فتى

الصدر القافية البحر الشاعر الصفحة

(تابع الباء المضمومة)

٣٥٣	عامر بن الطفيل	الوافر	الضراب	ألا من
٣٥٣	النايفة الذبياني	الوافر	الشباب	فان يك
٣٧٧	معقل بن خويلد	المقارب	صاحب	أتيت
٣٨٦	مالك بن ربيعة النمرى	الطويل	مشيب	طحا بك
٤٢٣	امرؤ القيس السكوني	الطويل	وتنصب	طربت
٤٢٥	امرؤ القيس السكوني	الطويل	وتأشبو	أتتنا

(الباب المفتوحة)

٢٢١	الحصين بن الحمام المرى	الطويل	يذهبا	يا أخونا
٢٣٤	حاجز بن عوف الأزدي	-	لعبا	وكى
٢٣٧	بيهس العذرى	الوافر	عجيا	تألمني
٢٣٨	بشر بن ابي خازم	الوافر	الركابا	أسائلة
٢٨٢	سلى بنت المحلق	البسيط	جوابا	لحق الله
٢٨٦	حاجز بن عوف الأزدي	الكامل	أشعبا	وكانما
٢٩٨	بشر بن عمرو بن مرشد	الكامل	ألعبا	واذا هم
٣٠٠	سهم بن حنظلة الغنوى	البسيط	فانقلبا	بيننا
٣٣٠	الاعشى	المطويل	وجربا	سأوصى
٣٧٦	معاوية بن مالك	الوافر	ارتثابا	رأبت

(الباء المكسورة)

٢٨	عامر بن الطفيل	الطويل	موكب	اني
٢٨	بشامة بن الغدير	الطويل	محتبى	وجدت

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>المصدر</u>
	(تابع الباء المكسورة)			
٧٩	ليبيد بن ربيعة	الطويل	محجب	نشين
٨٠	مالك بن ابي كعب	الطويل	أبي كعب	معان الهبي
٩١	سلامة بن جندل	البسيط	تأويب	يومان
١٠٨	عامر بن الطفيل	الكامل	مغلب	أفرحت
١٠٩	سلامة بن جندل	البسيط	للشيب	أودي
١٣١	قيس بن الخطيم	الطويل	لاعب	أجالدهم
١٦٦	ابوالاسود الكناني	الطويل	واغضب	اذا كنت
١٩٥	امروء القيس الحقبلي	الكامل	وتراب	ولقد
٢٠٧	عمرو بن معد يكرب	الكامل	الأرنب	عجب
٢١٩	سلمة بن الحارث	الوافر	للثواب	ألا ابلغا
٢٣١	ربيعة الاسدي	الكامل	الاصحاب	بأحبهم
٤٥٣/٢٣٢	دريد بن الصمة	الطويل	قارب	قتلت
٢٣٥	شعبة بن الحارث	الكامل	الناب	أوجرتة
٤٦٤-٢٤٤	البراء بن قيس الكندي	الخفيف	غاب	يوم جئنا
٢٤٧	دختوس بنت لقيط	الكامل	شبابها	بكر النعي
٢٥٢	ابوقلابة الطابخي	الوافر	الاياب	فيأسك
٢٥٢	الاشهب بن الحارث	الوافر	بني كلاب	ألا
٢٦٠	الأفوه الأودي	الوافر	والمهضيب	هم
٢٧٤	البراء بن قيس	الخفيف	الكلاب	فتلتنا
٢٨١	مالك بن ابي كعب	الطويل	الكرب	اقتل
٢٨١	قيس بن الخطيم	الطويل	الضناكب	اذا ما

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
	(تابع الباء المكسورة)			
٢٨٣	دختوس بنت لقيط	الكامل	اربابها	فرت
٢٨٩/٢٨٧	مالك بن خالد الخناعي	الطويل	المسارب	طرحت
٢٩١	البراء بن قيس	الخفيف	شرابي	تركوني
٢٩٦	سلمة بن الحارث الغساني	الوافر	الكلاب	تعلم
٣٠٢	امروء القيس	الوافر	وبالشراب	أرانا
٣٨٢	النابغة الذبياني	الطويل	الكواكب	كليني
٣٩٠	النابغة الذبياني	البسيط	مكذوب	اني

(الباء الساكنة)

٢١٠	عمير بن الاهتم	الرمل	ضرب	از دنونا
٢٨٠	ابوشامة الضبي	المتقارب	اقترب	أفر
٣٤٢	ذو الخرق الطهوي	المتقارب	فسب	فما كان
٣٤٤	ثعلبة بن عمرو العبدى	المتقارب	قريب	ان عرييا

(التاء المضمومة)

٨٩	مفروق بن عمرو	الكامل	حييت	فلا طلبن
١٧٢	خالد بن زهير	الطويل	سفاتتها	ولا تبعث
١٧٢	ابو ذؤيب الهذلي	الطويل	شكاتها	لا تذكر
١٧٣	عمرو بن قنعاس	الطويل	اصطلمت	ونار
٢٠٩	مفروق بن عمرو الاصم	الكامل	وسقيت	ولرب
٣١١	امروء القيس	المتقارب	اشتبهت	وكت
٣١٢	السمورل	الوافر	البيوت	ولا الحى

الصدر القافية البحر الشاعر الصفحة

(تابع التاء المضمومة)

٣٤١ وفيت وفيت الوافر السموء ل
٣٥٣ ضيق الصدر بقيت الخفيف السموء ل
٣٧٤ ألا يا ليتني ليت الوافر النابغة الذبياني

(التاء المفتوحة)

.....

(التاء المكسورة)

١١٥/١٠٧ فلوأن أجرت الطويل عمرو بن معد يكرب
١٠٧ لحد الله ازأرت الطويل عمرو بن معد يكرب
١٥٣ وتأتي المتلفت الطويل الشنفرى
٢٧٦/١٧٢ اتاني أمهاتها الطويل معقل بن خويلد
٢١٠ فثاروا فتجلت الطويل قيس بن زهير
٢٤٤ ومرد نرت الطويل عمرو بن معد يكرب
٣٣٩ واني استمرت الطويل الشنفرى
٣٤٨ سأشكر جلت الطويل -

(الجيم المكسورة)

١٦٦ وأشوس اعوجاج الوافر الحارث بن زهير

(الحاء المضمومة)

١٩٣ والحرب المراح الكامل سعد بن مالك
٢٦٨/٢٤٣ ما أدري صحاح الوافر الحطيئة

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
	<u>(الحاء المفتوحة)</u>			
٣٤٥	النايفه الذبياني	الكامل	ملحاحا	واستبق
	<u>(الحاء المكسورة)</u>			
٣٢٣	قسامة بن رواحة.	البسيط	النواضح	لبئس
	<u>(الدال المضمومة)</u>			
١٤	معاوية بن مالك	الكامل	وفود	قالت
٣١٢/٣٣	معاوية بن مالك	الكامل	نسود	نعطي
٨٢	مالك بن نويرة	الطويل	حرد وا	فقال
٨٧	صخر الفخ الهذلي	الخفيف	وعد وا	ذلك
١٤٢	المهلهل	البسيط	أحد	اكثرت
١٥١	امية بن ابي الصلت	الكامل	تحشد	ينتابه
١٦٤	الاجرد الثقفي	البسيط	عضد	من كان
١٨٧	قراة السدوسي	الطويل	حدائد	فمن مبلغ
١٨٨	مالك بن نويرة	الطويل	مقعد	وقد كان
٢١٦	الافوه الاودي	البسيط	ارشاد	حان
٢٢٠	شبيل الفزاري	الوافر	الشديد	آيا لهفي
٢٢٥	الحادرة	الطويل	القد	اذا هي
٢٣٥	قيس بن زهير	البسيط	الصدر	علوته
٢٤١	النايفه الذبياني	البسيط	الرشد	سرنا
٢٦٠	شبيل الفزاري	الوافر	الاسود	وما عن
٢٧٢	حاجز بن عوف الازدي	الكامل	عديها	ان تذكروا

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
٢٧٥	-	المتقارب	غامد	الاهل
٣١٥	المتملمس	البسيط	الأجد	ان الهوان
٣٢١ / ٣٢٠	الافوه الاوى	البسيط	عاد و	فيما
٣٣١	ابى بن حمام بن قراد العبسى	الطويل	حاسده	تمنى
٣٣٢	مزد بن ضرار	الطويل	وحسود	واني
٣٣٥	الحادرة	الطويل	الحقد	فلسنا
٣٤٤	ضمرقبن ضمرة النهشلي	الطويل	الاباعد	اذيق
٣٤٥	الحادرة	الطويل	المجد	فلا فحش
٣٥٠	الحادرة	الطويل	الخلد	فاثنوا
٣٨٩	المثقب العبدى	الطويل	ووليدها	فأنعم

(الداال المفتوحة)

٢٠١	خداش بن زهير	الوافر	الحديدا	ومتنا
٢٠٦	-	الطويل	مجلدا	رفعنا
٢٤٥	خداش بن زهير	الوافر	حديدا	وان المرء
٢٧٧	سعد بن مالك	الرمل	واحد ا	ان لجيما
٢٩٩	يزيد بن فسحم الخزرجي	الطويل	وسوء ددا	اذا الفيتنا
٣٤٦	عميرة بن جعل التغلبي	الوافر	عبد	توثق
٣٤٩	عبد الله بن عتمة الضبي	الطويل	أنجدا	جزى الله
٤٤١	خداش بن زهير	الوافر	عمودا	بأنا

<u>الصدر</u>	<u>القافية</u>	<u>البحر</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
ومن مبلغ	البعده	الطويل	عارق الطائي	٩
وأرمى	عهد	الطويل	دوسر بن زهيل القريعي	٣٣
ولتسألن	أطرد	الكامل	عامر بن الطفيل	٩٩
وظلعة	الأسد	البسيط	أبو تمام	١١٣
ولا أجيء	ابن مياذ	البسيط	سنان بن ابي حارثة	١٢٩
وإذا	لم أنشد	الكامل	عوف بن عطية	١٢٩
ومنا	الجراد	المقتارب	-	١٣٠
سلام	اياذ	الوافر	لقيط بن يعمر	١٤٠
فما فتثوا	مزبد	الطويل	مالك بن نويرة	١٤٣
فاسأل	ابراد	البسيط	القطامي	١٤٩
احكم	الشد	البسيط	الناطقة الذبياني	١٦٨
أريد	مراد	الوافر	عمرو بن معد يكرب	١٩٧
بأس	مرشد	المقتارب	امروء القيس	١٩٧
أقول	لم ترد	البسيط	العريان بن سهلة	٢١٧
لله تيم	جلاد	الكامل	زاهر ابوكرام التيمي	٢٣٦
بنو سليم	كبد	المجث	حجل بن عمرو	٢٣٧
فطاعت	أسود	الطويل	دريد بن الصمة	٢٥١
غداة	المدد	الطويل	دريد بن الصمة	٢٥٢
خلقنا	الحديد	الوافر	زيان بن سيار المرى	٢٦٣
أعدت	جلد	الكامل	يزيد بن خذاق الشنبي	٢٦٤
لئن	البعيد	الوافر	زيان بن سيار المرى	٢٧٤

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
<u>(تابع الدال المكسورة)</u>				
٢٨١	الحارث بن هشام	الكامل	مزيد	الله يعلم
٢٨١	الفرار السلمي	الكامل	يدى	وكثيبة
٣١١	طرفة بن العبد	الطويل	ومتلدى	وما زال
٣٢٨	طرفة بن العبد	الطويل	ويحمد	فمالي
٣٤١	عدى بن زيد	الطويل	أوزد	وان
٣٤٢	يزيد بن خذاق الشنى	الكامل	في غمد	لن تجمعوا
٣٤٦	دوسر بن زهيل القريعي	الطويل	ودى	اذا
٣٥٠	أوس بن حجر	الطويل	مقعد	لحمرك
٣٦٠	النابغة الذبياني	السريع	المحامد	أبقيت
٣٦٩	مزد بن ضرار الشيباني	الطويل	الرعائد	ازرع
٣٧٩	يزيد بن خذاق الشنى	الكامل	تبدى	نعمان
٣٨٤	النابغة الذبياني	الطويل	المراد	لعمري
٣٤٢	عبيد بن الابرص	البسيط	بفرصاد	قد أترك
<u>(الدال الساكنة)</u>				
١٣٧	ذوالكف الاشلى	الطويل	أسد	حنيفة
٣٣٩	عدى بن زيد	الرملى	للرشد	فدع
<u>(الراء المضمومة)</u>				
٢٧٥	خداش بن زهير	الطويل	عامر	وما زال
٢٧٨	عويمر بن ابي عدى	الوافر	بعير	تركت
٢٨٠	عمرو بن معد يكرب	المديد	لغرور	ولقد

الصدر القافية البحر الشاعر الصفحة

(تابع الرأء المضمومة)

٢٨٥/٢٨٤ ٤٦٣	الحارث بن وطة	الطويل	الدواهر	فدى لكما
٢٩١	الحارث بن وطة	الطويل	جائر	ولما سمعت
٣٠١	الأفوه الأودى	المقتضب	انحدار	فصروف
٣٣٢	علقمة بن عبدة	الطويل	وقر	ومولى
٣٣٥	عوف بن عطية	الطويل	مقصر	ألا ابلفا
٣٤٤	عوف بن الأحوص	الطويل	دبيرها	اذا قيلت
٣٤٥	أعشى باهلة	البسيط	كدر	من ليس
٣٤٨	عدى بن زيد	الخفيف	الشكور	شايعتني
٣٥١	يزيد بن عبد المدان	الطويل	مصادره	تمالا
٣٥٣	النابغة الذبياني	البسيط	غدروا	وقد نصرت
٣٦٨	لبيد بن ربيعة	الطويل	الخدائر	ومابك
٤٥٠	خداش بن زهير	الوافر	أنيروا	ألم ييلفك

(الرأء المفتوحة)

٩٢٠ ٣٤	عوف بن عطية	المتقارب	طارا	نوءم
١٢٦	عوف بن عطية	المتقارب	عوارا	كميتا
١٣١	عروة بن الورد	الطويل	أعدرا	عجبت
١٤٤	الأعشى	الكامل	بالحجاره	لسنا
٣٤٠	حاتم طىء	الطويل	عذراء	وعورا
٣٨٤	النابغة الذبياني	الطويل	سائرا	ألم تر
٤٥٣	البراض الكثاني	الطويل	فخارا	نقمت

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية	الصدر
٦٩	خداش بن زهير	الطويل	العواثر	وكانت
٨٧	زيد الخيل	الطويل	ناظر	فلست
٩١	عدى بن زيد	الخفيف	الوفور	أيها
٩٢	أعشى باهلة	البسيط	ينتظر	لا يأمن
٩٣	بشر بن أبي خازم	الوافر	الفرار	ولا ينجى
١٠١	وطلة بن الحارث	الطويل	فاجر	ولما رأيت
١٠٦	ورقاء بن زهير	الطويل	المظاهر	فشلت
١٢١	عوف بن الاحوص	الطويل	واخر	وما برحت
١٣١	المعفر بن حمار	الطويل	وسامر	وماتوا
١٦٤	الاء فوه الاودى	الرمل	نجارا	يا بنى
١٦٨	عبدالله بن محارق	الطويل	جائر	ومن ينصف
١٧٠	زهير بن ابي سلمى	الوافر	نفار	فان
١٨٧	أعشى بنى اسد	الكامل	قصار	ابلق
١٨٨	عبدالله بن العجلان	الطويل	نذيرها	ألم يأت
٢٧٠/٢٠٢	خداش بن زهير	الطويل	ناصر	اتتنا
٢٧١				
٢٠٥	مالك بن زرة الباهلي	الطويل	نفيرها	فثارت
٢٠٥	-	الطويل	قبورها	مشينا
٢٢٧	معقر بن اوس البارقي	الطويل	ماهر	هوى
٢٣٠	ابو الفضل الكناني	الطويل	فاتر	ومستلحم
٢٣٧	ورقاء بن زهير	الطويل	أبادر	رأيت
٢٤٥	خداش بن زهير	الطويل	فاجر	فلما
٢٥٣	عدى بن يزيد (زيد) السكوني	البسيط	النار	انى

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
٢٦٠	الجحاف	الكامل	يفخروا	نحن
٢٦٩	الحارث بن ولة	الطويل	متواترا	كأنا
٢٧٣	خداش بن زهير	الطويل	العواثر	وكانت
٢٧٥	خداش بن زهير	الطويل	عامر	وما زال
<u>(الراء المكسورة)</u>				
١٦	راشد بن شهاب اليشكري	الطويل	عمرو	فلا تحسبنا
٢٠	-	المديد	والنفر	بال قصص
٤٧	-	البسيط	وفرى	لوبي
٨٨	دريد بن الصمة	الطويل	القدر	أبي القتل
٩١	دريد بن الصمة	الطويل	وتر	يفار
٩٣	ضمره بن ضمره	الطويل	الجمر	ويوم
٩٨	النابغة الذبياني	الكامل	الاشعار	نبئت
٩٩	يزيد بن سدان	الوافر	عمرو	فلم أنكل
١٢٠	عوف بن عطية	الوافر	عمر	لعمرك
١٢٣	سلمة بن الخرشب	الطويل	بالحرائر	اذا ما
١٢٦	النابغة الذبياني	الكامل	المضمار	فيهم
٤٤٢/١٤٢	المهلهل بن ربيعة	الوافر	بالذكور	فلولا
١٥٣	المسيب بن علس	الكامل	يدرى	نصف
١٥٣	ابوجندب الهذلي	الطويل	مئزرى	وكتت
٢١١/١٥٨	المهلهل بن ربيعة	الوافر	مديد	كأنا
١٧٤	الاعشى	المجتث	الواتر	علقم

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
	<u>(تابع الرأء المكسورة)</u>			
١٧٧	يزيد بن عبدالله الضبي	الوافر	دوار	كأني
١٧٧	الزبير بن عبدالمطلب	الوافر	أهل دار	حلفت
١٨١	النابغة الذبياني	الكامل	الأكوار	فلتأتينك
٢١٢ / ١٩٣	دريد بن الصمة	الطويل	نكر	فانا
٢٢٩	سلمة بن الخرشب	الطويل	وواتر	فدى
٢٤١	النابغة الذبياني	الطويل	بصابر	تجنب
٢٥٦	ضرار بن الخطاب	المقارب	كالخابر	ألم
٢٥٧	الخرنق بنت بدر	الكامل	للعشر	لاقوا
٢٦٥	عامر بن الطفيل	الطويل	مسهر	لعمري
٣١١	امروء القيس	الطويل	والسكر	لعمرك
٣١٣	الخرنق بنت بدر	الكامل	الجزر	لا يبعدن
٣٢٤	طرفة الجذبي	الطويل	والفخر	ولكنني
٣٣٢	امروء القيس	المديد	كدره	وابن عم
٣٣٦	وعلة بن الحارث	الكامل	كسرى	ما بال
٣٤٩	ثوب بن النار اليشكرى	الطويل	دشر	كفاني
٣٤٩	سبيع بن الخطيم	البسيط	مكثور	نميت
٣٥٤	الحادرة	الطويل	بني عمرو	لعمرك
٣٦٩	حاتم طيء	الكامل	اليسر	جاورتهم
٣٨٣	النابغة الذبياني	البسيط	باختيار	لقد

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
<u>(الراء الساكنة)</u>				
٦٢	الحارث بن يزيد	الكامل	مضر	لا لا أعق
٨٣	زيد الخيل	رجز	منسر	بتنا
٨٤	المرقش الأكبر	المقارب	الغرر	فما شعر
٢٦٥	سويد بن خدق	الرمل	فاستقر	ضربت
٣٠٠	النمر بن تولب	المقارب	نسر	فيوم
<u>(الزاي المفتوحة)</u>				
١٩٣	الخنساء	المقارب	عجزا	ومن ظن
<u>(الزاي المكسورة)</u>				
٣٨٩	يزيد بن عبد المدان	البسيط	جازي	يا قيس
<u>(السين المضمومة)</u>				
٥٠	-	الطويل	الأحامس	لنا اهل
٧٣	المتلمس	الطويل	يرمس	أعازل
١٤٠	المتلمس	الطويل	تفرسوا	القوم
<u>(السين المفتوحة)</u>				
٢٥	عمرو بن حذار	الرجز	قلوسا	أقدم
٤٨/٤٢	روبة	الرجز	حميسا	وكاهلا
٤٥	عمرو بن لجأ التبيي	الرجز	حماس	أرسلت
٤٦	-	الرجز	الأحامسا	قلت له
٤٧	-	الهزج	منجسا	ولم يهين
٥١	عمرو بن معد يكرب	الطويل	الأحامسا	اعياس

<u>الصدر</u>	<u>القافية</u>	<u>البحر</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
<u>(تابع السنين المفتوحة)</u>				
بمطرر	القوانسا	الطويل	حسيل بن سجيح الضبي	١٢٢
يا قوم	الفرسا	الرجز	حنظلة بن ثعلبة	١٣٩
فلم أر	فوارسا	الطويل	العباس بن مرداس	١٩٩
اذا ما شدونا	المداعسا	الطويل	العباس بن مرداس	٢٤٤
<u>(السنين المكسورة)</u>				
وكم	دهس	الرجز	العجاج	٥٠
الله	عيس	الرجز	هصمة بن حدرة	١٤٥
ولقد ألين	حويس	الكامل	عبدالله بن سلمة	١٨٤
أجاعة	بنى عيس	الطويل	عمرو بن معد يكرب	٢٧٩
<u>(الضاد المكسورة)</u>				
عذير	الارض	المهزج	ذوالاصبع العدواني	١٠٣
<u>(الطاء المضمومة)</u>				
وفتية	شحط	البيسط	عبيد بن الابرص	١١٩
<u>(الطاء المفتوحة)</u>				
فلم أر	غابطا	الطويل	علقمة بن عبدة	٨٠
<u>(الطاء المكسورة)</u>				
عذرتم	يعاط	الوافر	عمرو بن معد يكرب	٢١٢
<u>(العين المضمومة)</u>				
وأحفظ	يضاع	الوافر	ربيعة بن مقروم	٣٣
ولقد	أجزع	الكامل	مالك بن نويرة	٩٠

<u>الصدر</u>	<u>القافية</u>	<u>البحر</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
أشاب	الضلوع	الوافر	عمرو بن معد يكرب	٩٢
وانني	المقازع	الطويل	الأُسود بن يعفر	١٦٥
ولم أر	طائع	الطويل	حيان بن جرير	٢١٣
قبح	تنفع	الكامل	زر بن اربد	٢١٤
أمن	هجوم	الوافر	عمرو بن معد يكرب	٢٤٣
لمرك	الروائع	الطويل	قيس بن العيزارة	٢٩٢
وأشعث	زما ع	الوافر	ربيعة بن مقروم	٣٠٨
فالدار	نصعوا	البيسيط	ابوزبيد الطائي	٣١٢
تفرق	اتبع	الطويل	التملمس	٣١٥
أذود	الخدعة	المنسرح	الاضبط بن قريع السعدى	٣٢٤

(العين المفتوحة)

لا يطعم	خشعا	البيسيط	لقيط بن يعمر	٦٨
فأدرك	اصبعا	الطويل	سلمة بن الخرشب	١٠٤
لا تلهكم	قرعا	البيسيط	لقيط بن يعمر الايادى	١٢٧
وسلمك	معا	الطويل	خالد بن غراب السكوني	٢١٨
وكنت	اذا دما	الطويل	امروء القيس	٣٠٣
يا لهف	فاجتعا	البيسيط	لقيط بن يعمر	٣١٥
أذود	الخدعة	المنسرح	الاضبط بن قريع السعدى	
الامن	تطلعا	الطويل	غراب بن خالد السكوني	٣٣٥
ولاد تعاد	رفعه	المنسرح	الاضبط بن قريع السعدى	٣٣٩
وصل	قطعه	المنسرح	الاضبط بن قريع السعدى	٣٤٧
سأجزيك	صعصعا	الطويل	سلامة بن جندل	٣٤٩

<u>الصدر</u>	<u>القافية</u>	<u>البحر</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
أبلغ	الوداعا	الوافر	مقاس العائذى	٣٥٢
خلطنا	معا	الطويل	المثلث بن رياح المرى	٣٦٧
يناشدني	يسعى	الطويل	ورقا ^١ بن زهير المازني	٣٦٨
واني	مطمعا	الطويل	مالك بن حريم الهمداني	٣٧٢/٣٧١

(العين المكسورة)

حتى تجلت	جماع	السريع	ابو قيس بن الاسلت	١٧
قالت	إسماعي	السريع	ابو قيس بن الاسلت	١٠٩
أعددت	القاع	السريع	ابو قيس بن الاسلت	١٢٤
صبرا	بجمعاع	البسيط	الناطقة الذبياني	١٥٩
وكنا	وادع	الطويل	المسور بن زيادة	٢٢٠/٢٠٤
حيان	ناعي	الكامل	الاجدع بن مالك	٢٠٩
وكان	الزراع	الكامل	المسيب بن علس	٢٣١
أضتر	كالجزوع	الوافر	العتكيب السلمي	٢٧٨
الحزم	والهباع	السريع	ابو قيس بن الاسلت	٣٣٨
نسى	مجمع	الكامل	الحادرة	٣٦١
جمعت	الصريع	الوافر	البراض الكناني	٤٦٤

(العين الساكنة)

كم قطعنا	لمع	الرمل	سويد بن ابي كاهل	٧١
من أناس	الجزع	الرمل	سويد بن ابي كاهل	٣٠٧

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
	<u>(الفاء المفتوحة)</u>			
١٧٥	-	البيسيط	جنفا	وان المحكم
	<u>(الفاء المضمومة)</u>			
٢٠٣	معقر بن حمار	الوافر	نقيف	كأن
٢٢٢	قيس بن الخطيم	المنسرح	أنف	أبلغ
٢٤٠	عبدالله بن ثور العامري	الطويل	تكشف	نطاعن
٢٧٦	مالك بن العجلان	المجتث	ضعفوا	لكن
٣٢١	سبيع بن الخطيم	الكامل	حليف	اني
٣٥٩	حرثة بنت النعمان	الطويل	نتنصف	وبينا
	<u>(الفاء المكسورة)</u>			
٨٤	ضفرة بن شداد	الطويل	مزف	وما نذروا
١٨١/١٦٥	ضفرة بن شداد	البيسيط	منتصف	ما زلت
١٩٦	بشر بن ابي خازم	الكامل	تقافى	انا وباهلة
٢٦٠	العباس بن مرداس	الوافر	خفاف	هزنا
	<u>(القاف المضمومة)</u>			
٣٧	ضبية بن الحارث البكري	البيسيط	تختفق	واذكر
١٨٩	زهير بن جناب الكلبي	الطويل	تحرق	اياقومنا
٤١٦/٢٢٣	المفضل النكري	الوافر	الخريق	فلما استيقنوا
٢٥٧	الخرنق بنت بدر	الوافر	الحرقيق	وبعد
٤٠٨/٣٩٦	المفضل النكري	الوافر	فريق	ألم تر
٤١٢	المفضل النكري	الوافر	تسوق	فانك

الصدر القافية البحر الشاعر الصفحة

(القاف المفتوحة)

١٨١	وان	صدقا	اليسيط	حسان بن ثابت
٢٤٨	ليس امروء	خلقا	اليسيط	بقيلة الاكبر
٣٧١	لا اكل	انحرقا	المجتث	العيار بن شيم الضبي

(القاف المكسورة)

٤٤	كان	بالخناق	الوافر	-
٩٦	بل هل	مسبوق	اليسيط	بشر بن عمرو
٢٧٣/١٠٠	عجلم	يطلق	الطويل	سلامة بن جندل
١٠٥	ألم تر	البوارق	الطويل	قبيصة النصراني
١٠٧/١٠٦	لقيت	الأوراق	المقارب	طرفه بن العبد
١١٥	لمن طلل	فمطرق	الطويل	سلامة بن جندل
١٣٧	انبثت	الخرق	اليسيط	مالك بن عمرو
٢١١	أبانا	الممزق	الطويل	مالك بن خالد الخناعي
٢٩٥/٢٢٣	كم فارس	مصدق	الكامل	قيس بن زهير
٢٨٦	لا شيء	خفاق	اليسيط	تأبط شرا
٣٣٥	وان امراً	موفق	الطويل	ابو زبيد الطائي
٣٤٧	اني	خذاق	اليسيط	تأبط شرا

(القاف السكون)

١١٧	ان تقبلوا	النمارق	الرجز	-
١٣٩	يا قوم	برق	الرجز	عمرو بن جبلة
٢١٥	ودعت	أفق	الطويل	مقيس بن صباية

الصدر	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
لقد	قتيل	الوافر	عبد الله بن ضمة	٢٩٥
بئس	بخلوا	الكامل	المتلمس	٣١٧
كسا الله	نصولها	الطويل	عميرة بن جعل	٣١٩
إذا أنت	تعقل	الطويل	معن بن اوس	٣٣٠
قاتلى	فشل	الخفيف	الشداخ بن يعمر الكناني	٣٦٦
وأعلم	ليل	الطويل	طرفة بن العبد	٣٦٨
من ذا	مقتول	المسيط	المثلث بن حذافة	٣٦٨
لقد	الوسائل	الطويل	النايفة الذبياني	٣٩٢

(اللام المفتوحة)

و انا	زملا	الطويل	حسان بن ثابت	٢٦
فطل	طويلا	المتقارب	زهير بن أبي سلمى	٨٠
فلنقتلن	نكالا	المضارع	عبد الله بن جعدة	٩٦
ولا تقعدوا	غولا	المتقارب	بشامة بن الغدير	١٤٠
وقبلها	الجيله	الرجز	صحير بن صمير	١٥٤
وقام	وبيللا	الوافر	عمرو بن الهراقة	٢٠٣
اني	مغريلة	الرجز	عمرو بن قيس الجشمي	٢٣٥
فأيا	تليلا	الوافر	عمرو بن الهراقة	٢٤٥
ليس مثلي	القتالا	الخفيف	المهلل بن ربيعة	٢٦٧/٢٤٦
فلما	جفولا	الوافر	عمرو بن الهراقة	٢٦٩
غلبونا	فحالا	الخفيف	المهلل	٢٧٥
طل	السخالا	الخفيف	المنخل اليشكري	٣٢٣
لا اشم	جاهلا	المجتث	أوس بن حجر	٣٣٢
فلا قوم	أولا	الطويل	خراشة بن عمرو العبسي	٣٥٩
عرفت	محيلا	الوافر	عمرو بن الهراقة	٤٢٢

<u>الصدر</u>	<u>القافية</u>	<u>البحر</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
			(اللام المكسورة)	
بكرت	بمعزل	الكامل	عنتره بن شداد	٩١
عجبت	كالمنصل	الكامل	عنتره بن شداد	١٠٩
يوم لا مال	عسال	-	عامر بسن الطفيل	١٢٤
أقرب	حيال	الوافر	الحارث بن عباد	١٢٥
فحسبك	حال	الوافر	منقذ الهلالي	١٥١
أغرك	يفعل	الطويل	امروء القيس	١٥٢
يا ضمير	بمثال	الكامل	جاجز بن عوف الأزدى	٢٠٦
القاتلون	يقتل	الكامل	العباس بن مرداس	٢٢٦
ولقد	ممثل	الكامل	أبو كبير الهذلي	٢٢٧
ما ان	يقتل	الكامل	دريد بن الصمة	٢٢٨
ر بجيش	الجلال	الرمل	الحارث بن عباد	٢٣٩
اصبحت وائل	بالاثقال	الخفيف	الحارث بن عباد	٢٥٥
أتونا	وائل	الطويل	عامر بن الطفيل	٢٦٥
سراع	جهل	الطويل	جويرية بن بدر	٣٠٧
اني	النائل	الكامل	عمرو بن الاطنابة	٣٠٨
الله أنجح	الرجز	الكامل	امروء القيس	٣٣٩
ومن يغرف	الضلال	الوافر	النايفه الذبياني	٣٤٨
لن تزالوا	الجبال	الخفيف	الأعشى	٣٨٨
وقد ادركتني	عزل	الطويل	جويرية بن بدر	٣٩٠
يطير	المثقل	الطويل	امروء القيس	٤٢٤
لما سمعت	ومحبيل	الكامل	عنتره بن شداد	٤٥١/٤٥٠

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>المصدر</u>
<u>(اللام الساكنة)</u>				
١٠٨	عبيد بن الأبرص	المجتث	جاهل	ياأيها
٢٣٢	المرقش الأصغر	المتقارب	الوهل	أبات
٢٨٢	دختوس بنت لقيط	الكامل	مثل	فر
<u>(اليم المضمومة)</u>				
٧	ليبد بن ربيعة	الكامل	فرجامها	عفت
٢١	طريف بن تميم العنبري	الكامل	يتوسم	أوكلما
٧٣	الجميح الاسدي	المتقارب	قحم	مجر
٧٤	ليبد بن ربيعة	الكامل	ذامها	وكثيرة
١٠٦	ابن زيابة	الخفيف	الخصوم	طعنه
١٢٤	زهير بن أبي سلمى	البيسيط	الخدم	تهوى
١٣٠	طريف العنبري	الكامل	معلم	فتوسموني
١٥١	معن بن أوس	الطويل	الحكم	وان
١٦٢	قيس بن زهير	الوافر	النجوم	ولولا
١٦٣	عمرو بن البراقة	الطويل	المظالم	متى
١٦٤	عوف بن عطية	الكامل	تظلم	يا قرة
١٨٦	بشر بن ابي خازم	الوافر	زام	تسومكم
١٩٥	طريف العنبري	الكامل	و معلم	ولكل
٢١٥	مقيس بن صباية	البيسيط	اللحم	أبلغ
٢٤٣	لقيط بن شيبان	الطويل	تعلم	رأيت
٢٥٤	قتادة بن مسلمة الحنفي	الكامل	تلوم	بكرت
٢٥٥	السفاح التغلبي	الكامل	أفقم	أبنى
٢٧٢	حاجز بن عوف	الوافر	الغشوم	قتلنا

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية	الصدر
	(تابع الميم المضمومة)			
٢٧٤	-	الوافر	الحزيم	فما أدري
٢٩٣	زينب بنت مالك	الطويل	الأكرم	سأبكي
٢٩٦	قيس بن زهير	الوافر	يريم	تعلم
٣٠٧	أبو دؤاد الأيادي	الخفيف	الاقحام	وأتاني
٣١٦	الكذاب الحرمازي	الخفيف	أخيهم	ابن بنى
٣١٩	جواس بن نعيم الضبي	الطويل	وتميم	كان
٣٢٧	الأفوه الأودي	الكامل	يرام	ولقد
٣٤٢	الحارث بن وطة الجرمي	الطويل	يلوم	وما عاتب
٤٦٣	مالك بن خالد الخناعي	اليسيط	والسلم	لما رأيت

(الميم المفتوحة)

١٨	الحصين بن الحمام المري	الطويل	متقسما	موالي
١٦٦/٣٥	الناطقة الذبياني	الكامل	مطلوما	حدبت
٥٩	المتلمس	الطويل	دم دما	أحارث
١٠٧	الحصين بن الحمام المري	الطويل	مأثما	جزى الله
١١٨	الحصين بن الحمام المري	الطويل	عرمرما	وحتى
١٢٠	عتيبة بن الحارث	الكامل	بسظاما	أبلغ
١٢٥	ربيعة بن مفرور	المتقارب	الشكيا	وجردا
١٢٨	عميرة بن طارق	الطويل	يتكلما	فلأتأمرني
١٦٥	العباس بن عبد المطلب	الطويل	تظلما	أبا طالب
١٦٩	سبيع بن الخطيم	الكامل	ذما	أبلغ
١٧٥	مروان بن سراقمة العامري	الخفيف	حكاما	يال
١٩٠	بلعاء بن قيس	الوافر	حساما	وكنتم

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
	<u>(تابع الميم المفتوحة)</u>			
١٩٥	-	المجتث	زما	لم أمش
٢٠٦	-	الرجز	اللمه	نحن
٢١٨	المتملس	الطويل	ميسما	ولو غير
٢٢٢	الحصين بن الحمام العري	الطويل	اظلما	ولما رأيت
٢٣٢	لقيط بن زرارة	الطويل	أشيما	فان
٢٣٤	الحصين بن الحمام العري	الطويل	معلما	بآية
٢٦٢	ربيعة بنت جذل الطعان	الطويل	قدما	سنجزى
٢٦٨	-	الرجز	عكرمة	انك
٢٧٦	الخصفي المحاربي	الطويل	تختما	من مبلغ
٢٨٢	العوام بن شوذب	الطويل	سلما	وفر
٢٨٣	العوام بن شوذب	الكامل	بسطاما	قبح الاله
٢٨٤	ازهر بن هلال التيمي	الطويل	متقدما	اعاطك
٣٢٧	الناطقة الذبياني	الطويل	فأظلما	أبلغ
٣٣٤	معقل بن قيس	الطويل	ظالما	وأعرض
٣٤٢	الحصين بن الحمام العري	الطويل	لائما	لعمرك
٣٤٧	عنترة بن شداد	الطويل	سجما	أيا صاحبي
٣٥٤	محمد بن حمران	التقارب	مراما	لعمر أميك
٣٨١/٣٨٠	عبيد بن الابرص	الكامل	الندامة	يا عين
٣٨٧	الفظ بن مالك الخساني	الطويل	الداما	تداركني
٤٣٢	عبيد بن الابرص	الكامل	القيامة	أنت
٤٥٣	عامر بن الطفيل	الطويل	دما	أسنا

<u>الصدر</u>	<u>القافية</u>	<u>البحر</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
أحاديث	هشام	المضارع	-	٢٧
وكأن	عمرم	الطويل	جابر بن حي	٨٢
ومن لا يذو	يظلم	الطويل	زهير بن أبي سلمى	٨٥
تعدو	الحامى	البسيط	النايفه الذبياني	٨٥
مستحقين	المهام	الطويل	النايفه الذبياني	٩٥
وأرمل	دمى	الطويل	كبشة بنت معد يكرب	٩٧
لتغلب	متثلم	الطويل	جابر بن حسي	٣١٥/١٠٢
ولقد	من دمى	الكامل	عترة بن شداد	١٠٩
من فر	نديمه	الرجز	يزيد بن حنظلة	١١٨
وجدنا	نظام	الوافر	يزيد بن الصعق	١٢٢
غضناها	المصم	الطويل	طفيل الغنوى	١٢٦
يخبرك	المغمم	الكامل	عترة بن شداد	٤٥٦/١٣٠
الهي	كلثوم	البسيط	المرج التغلبي	١٣٦
فان	بالدراهم	الطويل	-	١٤٤
طيروني	حكام	الخفيف	مالك المزموم	١٥١
وتعجب	ظلمي	الكامل	-	١٥٢
ولقد	تعليسي	الكامل	ليبد بن ربيعة	١٦٠
جرى	يظلم	الطويل	زهير بن أبي سلمى	١٦٦
وكنتم	نتظلم	الطويل	يزيد بن عبدالمدان	١٦٦
فلو أن	يظلم	المتقارب	كثانة بن أبي الحقيق	١٦٧
واني	بالظلم	الطويل	أوس بن تميم	١٧٨

الصدر	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
واضي	بظالم	الطويل	يزيد بن أنس	١٧٨
نهيت	حزم	الطويل	حكمة بن قيس الكناني	١٨٧
ومن يعص	لهذم	الطويل	زهير بن ابي سلمى	١٩١
بعين	القسيم	الوافر	فروة بنت قيس بن مسعود	١٩٢
ولولا قيتني	بالسلام	الوافر	قيس بن مكشوح المرادي	١٩٦
فبتنا	لحم	الطويل	حكمة بن قيس الكناني	٢٠٤
ويل ام	والأكم	الطويل	جبار بن مالك الفزاري	٢١٤
قومي	سهبي	الكامل	الحارث بن وطة	٢١٧
كلا	عمرم	الطويل	-	٢١٨
وجمع	صلدم	المتقارب	معاوية بن أنس	٢٢٤
ولقد	الفم	الكامل	ضنرة بن شداد	٢٢٥
أنازل	سهامي	الكامل	امروء القيس	٢٢٦
وقد	موسوم	البسيط	علقمة بن عبدة	٢٢٦
بطل	بتوأم	الكامل	ضنرة بن شداد	٢٢٦
ومذحج	مستسلم	الكامل	عنترة بن شداد	٢٣٥
يا قوم	اليوم	السريع	لقيط بن زرارة	٢٤٠
ان تولت	الاعجام	الخفيف	الحجيحة	٢٥٦
قصرت	الحميم	الوافر	معقل بن عامر	٢٦١
فعندى	لا نعم	الطويل	أوس بن حجر	٣٤١
أبلغ	أقوام	البسيط	عصام بن عبيد الزماني	٣٤٧
خا شا	قدم	الكامل	الجميع الأسدي	٣٥٤
لما سمعت	الأقتم	الكامل	عروة بن الأسود	٣٥٨
تداركتما	منشم	الطويل	زهير بن ابي سلمى	٣٧٨

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
---------------	---------------	--------------	----------------	--------------

(تابع الميم المكسورة)

٣٧٩	جابر بن حنى	الطويل	بمحرم	نعاطي
٣٨٢	النايعة الذبياني	السريع	التام	هذا
٣٨٣	النايعة الذبياني	البيسط	كالا دم	لا يبرمون
٤٤٧	رواش بن تميم الازدى	الكامل	ظالم	وانا
٤٦٢	ضنرة بن شداد	الوافر	اضطرام	فجاءوا

(الميم الساكنة)

١١٩	الجعفي	الوافر	تذم	أحوط
١٥٠	-	الطويل	ندم	متى
٣٨١/٢٦٤	المرقش الاكبر	السريع	برغم	ما ذنبنا
٣٠١	المرقش الاصغر	المجتث	غشوم	كم من
٣٠٥	المرقش الاكبر	الكامل	وحاتم	ولقد
٣٠٥	امية بن أبي الصلت	المقارب	مرم	ودفع
٣٠٧	راشد بهاشهاب اليشكرى	الطويل	سقم	أرقت
٣٣٨	المرقش الاكبر	السريع	كرم	ولكننا
٣٤١	المزق العبدى	الرمل	نعم	لا تقولن

(النون المضمومة)

٦٠	قيس بن الخطيم	الطويل	قمين	اذا جاوز
٢٧٨، ٦١	-	الطويل	جبان	شجاع
١١٢	قيس بن عاصم	السريع	أفن	انى امرؤ
١٤٢	سلامة بن جندل	المقارب	أركانها	تكاد
١٨٥	الغند الزماني	الوافر	اخوان	صحننا

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
(تابع النون المضمومة)				
٢٧٩	عاصم بن الوافر	الوافر	ضنين	أسلمها
٣٠١	النابغة الذبياني	الوافر	منون	وكل فتى
(النون المفتوحة)				
٣٥	قريط بن أنيف	البيسيط	برهانا	لا يسألون
٢٦٣/٧٠	فروة بن مسبك	الوافر	مهزمتنا	ان نهزم
٧١	عمرو بن كلثوم	الوافر	طحينا	مضى ننقل
٧٥	قريط بن أنيف	البيسيط	شيبانا	لو كنت
٨٢	عمرو بن كلثوم	الوافر	بنوآبينا	وكنا
٨٦	أمية بن أبي الصلت	الوافر	حصينا	وأرصدنا
٩٠	أمية بن أبي الصلت	الوافر	مجريننا	وفتيانا
١١٩	عامر بن الطفيل	البيسيط	عريانا	لله
١١٩	المرقش الأكبر	البيسيط	فاسقيننا	يا ذات
١٢١	عبد الشارق الجهني	الوافر	جهننا	فنادوا
٢١٠/١٣١	عمرو بن كلثوم	الوافر	لاعبينا	كان
١٨٩	قيس بن زهير	الطويل	أجن	لحا الله
١٩٤	امروء القيس	الوافر	الذاهبيننا	ألا يا عين
٢٠٠	عبد الشارق الجهني	الوافر	وازعيننا	فجاء وا
٢٣٣	-	البيسيط	ألوانا	كم من
٢٣٤	عمرو بن كلثوم	الوافر	يرتحيننا	كان
٢٣٩	بشر بن أبي خازم	البيسيط	بيسانا	لم تر
٢٥٤	قيس بن زهير	الطويل	مستياطنا	إذا قلت

<u>الصدر</u>	<u>القافية</u>	<u>البحر</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
تجاوزنا	السكونا	الوافر	فروة بن مسيك	٢٦٣
اذا ما	بآخرينا	الوافر	مالك بن عمرو الأسدي	٢٧٢
لا تطعموا	وتوءذونا	البيسيط	الفضل بن العباس	٣٢٩
اذا ضيقت	هانا	الوافر	عميرة بن جعل	٣٤٦
ونكرم	كانا	الوافر	عمير بن الايهم التغلبي	٣٦٧
انا	سنانا	الكامل	النايفة الذبياني	٣٧٨
اذا بلغ	ساجديننا	الوافر	عمرو بن كلثوم	٤٢٠

(النون المكسورة)

مقاديم	يمان	الطويل	وداك بن نميل المازني	٣٥
فاما	سميني	الوافر	المثقب العبدى	٣٤٢/٥٨
وقر	كالا رجوان	الوافر	ضرة بن شداد	٩٩
أحنظل	ولا رضاني	الطويل	امروء القيس	١٠٨
ان كليبا	تريان	الطويل	عمرو بن الاهتم	١٦١
أليس	أخوان	الطويل	غواب الهمين الفزاري	٢١٨
از لا	أجبان	البيسيط	أبو قلابة الطباخي	٢٢٥
وقرن	رآني	الوافر	حباب بن أفعى العجلي	٢٣٦
شفيت	شفاني	الوافر	قيس بن زهير	٢٩٥
سألت	العدن	البيسيط	صريم بن معشر التغلبي	٣٢٢
لا ه ابن عم	يقليني	البيسيط	ذو الاصبغ العدواني	٣٣٣
يا عمرو	استقوني	البيسيط	ذو الاصبغ العدواني	٣٣٦
كل امرئ	حين	البيسيط	ذو الاصبغ العدواني	٣٤٣

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>	<u>الصدر</u>
	<u>(تابع النون المكسورة)</u>			
٣٤٣	يزيد بن عبد المدان	الكامل	وقيان	يا عام
٣٥١	حاجب بن حبيب	البيسط	جيران	ويل ام
٣٦٥ / ٣٦٣	النايفة الذبياني	الوافر	ضى	الكنى
	<u>(النون الساكنة)</u>			
٣٣٩	عمرو بن حلزة	الرمل	شعون	لا تكن
	<u>(الياء المفتوحة)</u>			
٢٨٣ / ٢٦٦	عبد يفوث بن وقاص الحارثي	الطويل	المواليا	جزى الله
٢٩٠	عبد يفوث بن وقاص	الطويل	بواثيا	أمعشر
٢٩٣	زينب بنت مالك	الطويل	يمانيا	ألا أيها
٣٠٣	امروء القيس	الطويل	مابيا	وعاذلة
٣٧٠	عمرو بن شأس	البيسط	اللياليا	ولولا
٤٤٣	سحيم عبد بني الحساس	الطويل	ناها	عميرة

فهرس القبائل والبطون

(أ)

٢٢	:	بنو آكل المرار
١٦١	:	آل بدر
٣٨١ ، ٢٦٤	:	آل جفنة
٨٨	:	آل الصمة
٢٦٨ ، ٢٤٣ ، ٢٠١	:	آل عمرو
٤٥١	:	آل عوف
٣٥٨	:	آل محليم
٢٣٧	:	آل نصرى
٢٠٢	:	آل برفى
الأيناء (من بني عامر بن صعصعة) : ٢٣٨		
١٩	:	الاحابيش
٥١	:	بنو أحس
٣٦٢ ، ٢٨٣ ، ٢١٨ ، ٩٨ ، ٧	:	بنو أسد
٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٠ ، ٣٩٠	:	
٢٠	:	أشجع
٣٦٣	:	بنو أقيش
٢٦٥	:	أكلب
٥٥٠ ، ٢٠٠ ، ٧	:	الأوس
٢٥٦ ، ١٤٠ ، ٥	:	اياز

(ب)

١٩٦	:	باهلة بن يعصر
٥١	:	بجيلة
٣٦٩	:	بنو بدر
٢٩٥	:	بنو بدر بن عمرو
١٦٩ ، ١٥٩	:	بنو بغيض
١٤٥ ، ١٢١ ، ١٠٢ ، ٨٤ ، ٧٠ ، ٤	:	بنو بكر
٣١٨ ، ٢٧٠ ، ٢٤٥ ، ٢١٥	:	
٢٠١	:	بكر كنانة
٢٦٥ ، ٢٠٨	:	بكر بن وائل
٢٠٠ ، ١٢١	:	بهثة
٤	:	بهراء

(ت)

١٦٠ ، ١٤٥ ، ١٣٦ ، ١٠٢ ، ٧	:	تغلب
٣١٩ ، ٣١٥ ، ٢٥٥	:	
٢٦٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧ ، ٢١ ، ٢٠ ، ٧ ، ٤	:	تميم
٣٥٢ ، ٣١٩ ، ٢٩٠ ، ٢٨٥ ، ٢٧٤ ، ٢٦٩	:	
٤٢٥ ، ٣٦٤	:	
٢٤٠	:	تهامة
٢٩٠	:	تيم

(ث)

٢٥٦ ، ٧	:	ثقيف
---------	---	------

(ج)

٢٢٢	:	بنو جحبي
٢٤١، ٢٤٠، ٤٧	:	بنو جديلة
٢٨٥، ٢٧٦، ٢٠٧، ١٠٧	:	جرم
٣٨٩	:	بنو جشم
٣٦٨، ٣٣٧	:	بنو جعفر
٣٦٨	:	بنو جمح
٢٠٠، ١٢١، ٥١، ٢٠	:	جهينة

(ح)

٢٤٤، ٢٠٨، ٢٠٧، ١٧	:	بنو الحارث
٢٩٣	:	بنو الحارث بن فهر
١٩	:	الحبشة
٣٥٨	:	حبيب
١٩٤	:	بنو حجر بن عمرو
٢٧	:	بنو حذيفة الفزاريين
١٥، ١٤	:	الحرقة
٣١٦	:	بنو الحرماز
٥٠، ٤٧، ٤٦، ١٩	:	الحمس
٢٠٢، ٢٧	:	حمير
٥١	:	بنو حميس
١٠٨	:	بنو حنظلة
٢٤١	:	بنو حصن بن حرام
١٣٧	:	بنو حنيفة
٢٧٧	:	حنيفة بن لجيم
٤٠٥، ٣٩٨، ٣٩٧	:	بنو حيسي

(خ)

٢٠٢٠ ٩٨٠ ٩٧	:	خشعم
٥٥٠ ١٩٠ ٧	:	الخرزج
٣٦٦٠ ٣٢٢	:	خزاعة
٢٢١	:	خطة
٢٦٠	:	بنو خفاف
٢٤٧	:	خندف

(د)

٢٦٧	:	بنو دارم
٢٠٢	:	د عى
٣٦٢	:	بنو ودان
٢٧	:	بنو الديان

(ز)

٢٤٠٠ ١٥٩٠ ١٦٩٠ ١٤٥٠ ١٠٣	:	بنو زبيان
٣٥٧٠ ٣٥٣٠ ٣٢٧٠ ٢٨٢٠ ٢٧٦٠ ٢٥٤	:	
٣٨٤٠ ٣٧٨٠ ٣٧٧٠ ٣٧٤٠ ٣٦٢	:	
٢٦٠	:	بنو زكوان
٣٥٨٠ ٧٥	:	ذهل
٣٥٢	:	بنو زهل بن شيان
٢٧	:	بنو زى الجدين

(ر)

١٩	:	الرباب
٢٦٧٠ ٢٤٧٠ ٥	:	ربيعة
٣٥٨	:	ابنا ربيعة

٢٩٤	:	بنوربيعة بن الحارث
١٣٣	:	بنورجل
٣٥٢، ٢٤٣	:	بنورياح
(ز)		
٢٤٣، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٢، ١٩٦	:	بنوزبيد
٢٧	:	بنوزارة بن عدي
٢٠	:	بنوزهرة
٢٠٧	:	بنوزياد
(س)		
٢٦٩، ٢٥٥، ٢٤٤، ١٨٦	:	بنوسعد
٢٧٦	:	سعد بن نبيان
٢٧٦	:	سعد بن نعمان
٢٦٣	:	السكون
٢٠١، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٥٦، ٢٦١	:	بنوسليم
٢٧١، ٢٧٥	:	
٨٨، ٩٧، ٩٨	:	سلول
٢٠، ١٤٠، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٢١	:	بنوسهم
١٨٨	:	بنوالسيد
(ش)		
٢٠٢	:	بنوشعار
٢٦٥	:	شهران
١٨، ٢٧، ١٢٠، ١٢٣، ٢٥٣	:	بنوشيبان
٢٧٤، ٢٩٤	:	
(ص)		
٢٠٢	:	صدا

(ض)

٢٨٠٠	١٧	:	ضبة		
٣١٩٠	٤٧٠	١٨٠	١٧	:	بنو ضبة
٣٣٧٠	٢٥٧	:	بنو ضبيعة		
٢٠٦	:	ضم			

(ط)

١٨٧	:	بنو الطرماح		
٢٣٧٠	١٢١٠	٧	:	طحاء

(ع)

١٨٨٠	١٢٨٠	١٢٣٠	٨٨٠	٥٦٠	٢٨	:	بنو عامر
٢٧١٠	٢٦٠٠	٢٥٦٠	٢٤٠٠	٢٣٧٠	٢٢٧	:	
٣٧٤٠	٣٥٧٠	٣٢٢٠	٢٧٥	:			
٣٧٠٠	٤٧	:	بنو عامر بن صعصعة				
٤١٢	:	عبد عمرو					
٣١٨	:	عبد القيس					
٢٢٧٠	٢٠٢٠	١٦١٠	١٤٥٠	١٢٩	:	بنو عيس	
٣٥٧٠	٣٥٤٠	٣٢٧٠	٢٧٩٠	٢٥٤	:		
٤٥٠٠	٤٢١٠	٣٧٨٠	٣٧٧٠	٣٦٣	:		
٤٥٨٠	٣٦٢	:					
١٧	:	عيس بن بغيض					
٣٩٠	:	بنو عجل					
٢٧٧	:	عجل ابن لجيم					
١٠٣٠	٤٧	:	عدوان				
٣٢٢	:	بنو عدي بن جندب					

١٤٣	:	بنو عذرة
١٧٥	:	بنو العشرة
٣٥٤، ٢٥٢	:	بنو عمرو
٤٠١	:	بنو عمرو بن عوف
٤٠١	:	العمور
٢٥٦	:	العنيس
(غ)		
٢٧٥	:	غامد
٣٦٤، ٤	:	غسان
٣٨٦، ٣٨٣	:	الغساسنة
٣٨٤، ٣٥٢، ٢٢٩، ٧	:	غطقان
٣٧٦، ٣٧٥، ٧	:	غنى
(ف)		
٣٩٠	:	بنو فزارة
٣٥٢	:	بنو فقمس
٢١٥، ١٦	:	بنو فهر
٢٩١، ٤٧	:	فهم
(ق)		
٢٠٥، ١٩٦	:	بنو قتيبة
٥١، ٤٧، ٢٧، ٢٢، ١٩، ١١، ٧	:	قريش
٢١٥، ٢٠٢، ١٧٥، ٦٩، ٥٥، ٥٤		
٢٧٣، ٢٧١، ٢٧٠		
٧	:	بنو قريظة
١٣٨	:	بنو قصي

٢٢١	:	قضاة
٣٦٨	:	بنو القين
٧	:	بنو قينقاع
٣٧٤، ٣١٩، ٢٥٦، ٦٩، ٤٧، ٢٧، ٢٢	:	قيس
٤٧، ٧	:	قيس عيلان
٢٧	:	بنو قيس بن مسعود
(ك)		
٢٥٢	:	كاهل
٣٧٦، ٣٣٧، ٢٦٧، ٢٤٧	:	بنو كعب
٣٧٦، ٢٦٧، ٢٥٢، ٢٤٧	:	بنو كلاب
٤	:	كلب
٢، ٦٩، ٢٥٦، ٢٢٨، ٤٧، ٧	:	بنو كنانة
٤٥٠٠، ٢٧٠		
(ل)		
٤٠٦، ٤٠٥، ٢٧٧	:	لجيم
٣٨٩، ٣	:	بنو لكيز
٣٥٨	:	اللهازم
(م)		
٢٦٣، ٧٥	:	بنو مازن
٢٠٥	:	بنو مالك
٣٥٨	:	مخلم
٣٨٧، ٢٩٠، ٢٠٢، ٧	:	بنو مذحج
١٩٨، ٧٠٠، ٧	:	مراد

٤٥٠٠٠ ٣٥٨	:	مرة
٧	:	مرية
١٩٤٠ ١٩٣	:	بنو مرينا
٢٨٧٠ ٢٠	:	بنو مزينة
٦٢	:	مضر
١٩	:	المطيون
٢٧٠ ٣	:	معد
	:	مقاص
١٣٨	١/٢	بنو ملقط
٣٨٦٠ ٣٨٣	:	المنازرة
١١٢٠ ٥١	:	بنو منقر
٣٥٤٠ ١٨٦٠ ١٨٥	:	بنو منولة
(ن)		
١٦	:	بنو ناشم
١٢١	:	نزار
٧	:	بنو النضير
٤٠٤	:	بنو نكرة بن عبد القيس
٣٨٦٠ ٣٦٨	:	النمر بن قاسط
١٧	:	بنو نمير
٢٨٥٠ ٢٠٨٠ ٢٠٧٠ ١٨٨	:	بنو نهد
(ه)		
١٦٤	:	بنو هاجر
٢٧٠ ٢٠	:	بنو هاشم
٢٨٧٠ ٢٦٩٠ ٧	:	هذيل

- ٥٥٩ -

٧٠٠٧	:	همدان
٥٦٠٤٨٠٤٤٠٤٢	:	بنوهند ال ^ف حامس
٣٨٩٠٢٨٣٠٢٥٦٠٢٠١٠١٢٩	:	هوازن
(و)		
٤٥٢٠٢٥٥٠٢٠٥٠١٦١٠١٦٠	:	وائل
(ى)		
١٧	:	يربوع بن حنظلة
٢٧٧	:	يشكر بن بكر
٣٥٨٠٣٣٧٠٢٣٦	:	بنو يشكر